

قَلَائِدُ الْجَمَانِ

فِي فَرَائِدِ شُعْرَاءِ هَذَا الزَّمَانِ

المشهور بـ
عُقُودِ الْجَمَانِ فِي شُعْرِهِ هَذَا الزَّمَانِ
لكمال الدين أبي البركات المبارك بن الشاعر الموصلي
المتوفى سنة ١٥٤٤ هـ

تحقيق
لما كان سماكة البوري

المجلد السابع

الجزء التاسع

الجزء الثامن - مفقود

المختوم:

نصرت به يوسف بن نصر - يحيى بن عبد العظيم بن يحيى

مكتبات تحت رعاية
دار الكتب العلمية بيروت

منشورات محمد باي داون بيروت



بيروت
بشكال

دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved ©
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة

لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite
sans autorisation préalable signé par l'éditeur est illicite
et exposerait le contrevenant à des poursuites
judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٥ م. ١٤٢٦ هـ

منشورات محمد باي داون بيروت

دار الكتب العلمية

بيروت - بشكال

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦١١٣٥ (٩٦١)

فرع عرمون، القبعة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.

هاتف: ١١ / ٩٦٢٤ - ٨٠٤٨١٠ / ٩٦١
فاكس: ٨٠٤٨١٣ - ٩٦١
ص.ب: ٩٦٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ١١٠٧

<http://www.al-ilmiyah.com>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun-ilmiyah.com

الكتاب: قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان

المؤلف: ابن الشعار الموصلي

المحقق: كامل سلمان الجبوري

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 3440

سنة الطباعة: 2005 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى



ISBN 2-7451-3796-4



9 782745 137968

قَلَامُ الْجَمَانِ فِي فَنَاءِ شِعْرَاءِ هَذَا الزَّمَانِ

المشهور بـ

عُقُودُ الْجَمَانِ فِي شِعْرَاءِ هَذَا الزَّمَانِ
لكمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعار الموصلي
المتوفى ٦٥٤ هـ

تحقيق
كامل سلمان الجبوري
المجلد السابع
الجزء التاسع
الجزء الثامن مفقود

المحتوى:

نصر بن يوسف بن نصر - يحيى بن عبد العظيم بن يحيى



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد، وآله الطيبين، وصحبه المنتجبين.

وبعد:

هذا هو الجزء التاسع من كتاب:

قلائد الجُمان

في فرائد شعراء هذا الزمان

حسب تجزئة المؤلف.

ويقع في ٢٤٨ ورقة. تحمل ورقة الغلاف عنوان الكتاب وعليها اختتام التملك التي أشرنا إليها آنفاً، كما تحمل تملكاً أمحى بعضه والمقروء منه هذا الاسم «بدر الدين القرافي المالكي»^(١) وهذه العبارة «ثاني جمادى الأولى سنة ٩٩٩»^[٩]، والجدير بالذكر أن ورقة الغلاف هذه هي - كما في بقية الأجزاء - ليست أصلية إذ هي ملصقة على ورقة الغلاف الأصلية فغطتها، وبالإمكان رؤية بعض الورقة الأصلية في هذا الجزء فقط، وعليها تملك يعجى الشافعي سنة ٨٠٠، وتملك آخر باسم عبد البر ابن الشحنة^(٢) مؤرخ في سنة ٨٧١. وعلى هذه الورقة الأصلية عنوان الكتاب واسم المؤلف بخط ابن الشعار نفسه، وهو الخط الذي كتب به هذا الجزء بكامله وبعض الجزء السابع (اعتباراً من الورقة ١٨٦) كما أسلفنا، واتبع فيه الأسلوب الذي سبق أن تم شرحه على خط الجزء السابع. ونقطة أخرى جديرة بالملاحظة هي أن الورقة الأخيرة من الجزء التاسع لم يكتب فيها ما هو معتاد كتابته في نهاية كل جزء، رغم وجود فراغ في أسفل الورقة يتسع لثلاثة أسطر. وربما كان غرض الكاتب أن يتوسع في الترجمة الأخيرة قبل أن يختم هذا الجزء، إلا أنه لم يفعل، ثم نسي تسجيل عبارة الختام. والحمد لله أولاً وآخراً.

المحقق

(١) هو محمد بن يحيى بن عمر القرافي، فقيه مالكي (٩٣٩-١٠٠٨هـ).

انظر ترجمته في: خلاصة الأثر ٢٥٨/٤. الأعلام ١٤١/٧ وغيرها.

(٢) انظر ترجمته في: أعلام النبلاء ٣٨١/٥. المكتبة الأزهرية ١٥٣/١. الأعلام ٢٧٣/٣.

الجزء التاسع من عقود الجمان في شعراء هذا الزمان^١ لابن السعاري

الغرض من هذا الكتاب هو تجميع ما كتبه شعراء هذا الزمان في فنون مختلفة من الشعر والنثر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 نَصْرُ بْنُ يَسْفَرٍ نَصْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ
 ابْنُ عَبْدِ الرَّهْمَنِ ابْنِ الْخَضِرِ عَبْدِ الرَّهْمَنِ ابْنِ الْخَضِرِ ابْنِ عَجَلَانَ
 ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْمُقَدَّمِ بْنِ لَيْسَةَ بْنِ النَّبَاغَةَ وَهَجْرَ
 قَيْسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدُسَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ جَعْلَةَ بْنِ كَعْبَةَ
 ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَائِشَةَ صَعْصَعَةَ بْنِ مَعْوِجَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ
 هَوَازِنَ مَنصُورَ بْنَ عَكْرَمَةَ بْنِ خَصْبَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عِيْلَانَ
 ابْنِ مَضَرَ بْنِ زَارِ بْنِ مَعْدَنَ بْنِ عَبْدِ يَزِيدَ ابْنِ أَبِي سَعْدٍ الْبَلَسِيُّ الْمَعْرُوفُ
 بِابْنِ قَاضِي السَّرِّ وَيَعْرَفُ بِالْجَعْبَرِيِّ لِأَنَّهُ سَكَنَ قَلْعَةَ جَعْبَرٍ
 وَهِيَ قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ عَلَى طَرَفِ الْقَوَاتِ مِنَ الْبِلَادِ الْخَمْدِيَّةِ
 مِنْ أُنْبَاءِ الْقُضَاةِ وَيُنَبِّئُكَ بِأَيِّ مَالٍ شَرُّهُ وَكَانَ يَلْبِسُ
 الْعِمَامَةَ اقْتِدَاءً بِسَلَفِهِ ثُمَّ تَجَنَّدَ وَزِيَّ ابْنِ الْإِجْدَادِ فِي
 الْمَبُوشِ وَخُوطِبَ بِالْإِسْلَامِ بَعْدَ أَنْ كَانَ يُدْعَى بِالْقَاضِي وَلَيْسَ
 الْقَبَادِصَانُ وَالْبَيَّاءُ يَمْشُونَ مِنْ قَبْلِ الْمَلِكِ الْعَادِ سَيِّدِ الدِّيرِ

لا يمكن المرء ان يمسي علي سنان وان غدا الرشد لا تخفي بعالمه
 قد يكتم السر من لم يخفيه ابداع الرجال وقد يغشيه كاتمته
 يسالم الدهر من اضحي بخاريه كما تجاري من اضحي بسالمته
 وقد يكون نافع التدرج جاهله كما يكون وضيع الغدر عالمه
 اشكوا الى الله دهر البين يغني وكيف ينصف من ذا الدهر حاكمه
 ثم اذا ازل قريضا نجاهه جهلا الى باب من عزت دراهمه
 لولا ضوأت دهر كان داره قد استوى اليوم في عين دجانه
 بار القريض عصر اليوم فهو اذا اعرضه عن شاريه وشايمه
 لو قدر الله ان اتي الشام به ما اسلمتني الي دهر يحسوا صمه
 وكنت اذكر ما الرجوه باين ارجوه حسب اني مكارمه
 عليك يا شرف الدين اعتماد فني شكوا لك الدهر اذ عمت مظالمه

بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ سهل ووفق

[تتمة حرف النون]

[ذكر من اسمه نصر]

[٨٥٥]

نصرُ بنُ يوسفَ بن نصر بن عبد الرزاق بن عبد الوهّاب بن
الخضر بن عبد الوهّاب بن الخضر بن عجلان بن عبد الله بن
ربيعة بن المقدّم بن ليبد بن النابغة وهو قيس بن عبد الله بن
عُدُس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن
صعصة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن
خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان،
أبو سعد البالسي، المعروف بابن قاضي بالس:

ويعرف بالجعبري؛ لأنه سكن قلعة جعبر - وهي قلعة حصينة على طرف الفرات من
البلاد الجزيرية^(١) - .

من أبناء القضاة، وبیت كبير ببالس^(٢) مشهور . وكان يلبس العمامة اقتداءً بسلفه، ثم
تجنّد وتزيّاً بزّي الأجناد في الملبوس، وخطب بالإمرة بعد أن كان يدعى بالقاضي، ولبس
القباء وصار والياً بدمشق من قبل الملك العادل سيف الدين / ١٢ / أبي بكر محمد بن أيوب،
وبعده لولده الملك المعظم أبي الفتح عيسى - رحمهم الله

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (جعبر).

(٢) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقّة، على الفرات من الجانب الغربي، بينها وبين شاطئ الفرات يسير، وهي
تحت صفين . انظر: معجم البلدان/ مادة (بالس).

تعالى - ولم يزل على ولايته إلى أن توفي بدمشق بقلعتها في ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وستمائة . وكان قد توفي له ولدان قبله فحملوا جميعهم إلى بالس فدفنوا بها .

وكان شاعراً مطيلاً جيد الشعر فيه ذكاء وفهم ، ولديه أدب وفضل .

أنشدني الشيخ الأجل نجم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن سراج البزاز الحلبي بها ، قال : أنشدني أبو سعد بقلعة دمشق في سنة أربع عشرة وستمائة لنفسه :

[من الخفيف]

وَالَّذِي بِي مِنَ الْجَوَى غَيْرُ خَافِي
لَّ وَلِيْلِي بِالْقُرْبِ وَالْإِتْلَافِ
وَلَوْ . . . قَبْلَ التَّلَافِي
بِقَاءَ قَلِيلَةَ الْإِنْصَافِ
عَهْدَ مَنْ عَاهَدَتْ بِأَنْ لَا تُصَافِي
لَا تَرَاهُ مَعَ غَدْرَهَا غَيْرَ وَافِي
كُنْ لَهَا مِنْهُ يَا إِلَهِي كَافِي
أَمْ تُرَى لِي مِنَ الصَّبَابَةِ شَافِي
فَصْلِيهِ تَسْرِي إِلَيْهِ الْعَوَافِي
كَتُّ مُقَرَّأً إِلَيْكَ بِالْإِقْتِرَافِ
رَيْبَ بَعْدَ الْإِفْرَارِ وَالْإِعْتِرَافِ

طَالَ مَا يَبْنِي النَّوَى وَالتَّجَافِي
فَنَهَارِي أَعْلَلُ النَّفْسَ بِالْوَصْدِ
طَمَعًا كَاذِبًا وَتَسْوِيفَ نَفْسِ
مَا كَذَا كَانَتْ الْعُهُودُ اسْتَقَرَّتْ
طُولَ دَهْرِي أَصْفَى الْوُدَّادَ وَأَرْعَى
/ ٢ب / تُخْلِفُ الْوَعْدَ لَا الْوَعِيدَ لَوَافِ
أَضْرَمْتُ فِي حَشَايَ نَارَ أَشْتِيَاقِ
أُتْرَاهُ الزَّمَانَ فِيهَا بَصَافِ
أَنْتِ أَمْرَضْتَ بِالصُّدُودِ مُحِبًّا
إِنْ أَكُنْ إِقْتَرَفْتُ ذَنْبًا فَقَدْ جُنْتُ
فَاغْفِرِي الذَّنْبَ بِاعْتِرَافِي فَلَا تُنْثِ

وقال أيضاً : [من البسيط]

مَنْ وَضَلَ خَوْدَ كَعُوبٍ أَيْ مُرْتَاحِ
عَلَى هَوَاهَا وَمَاذَا يَزَعُمُ الْلَا حِي
وَأَسْفَرَتْ خَلْتُ فِيهِ ضَوْءُ مُضْبَاحِ
لِلْمُسْكِ رَيْقُهَا لِلشَّهْدِ لِلرَّاحِ
دَعَّ عَنْكَ يَا صَاحِ إِرْشَادِي وَإِصْلَاحِي
فَلَا أَرَى كُلَّ لَاحٍ غَيْرَ نَبَّاحِ
بَصِيبٍ مِنْ غَوَادِي السُّخْبِ سَحَّاحِ

أُمْسِي وَأُصْبَحُ مُرْتَاحًا بِلَا أَمَلِ
لَا أَسْمَعُ اللَّوْمَ مِنْ لَاحٍ يُعَنِّفُنِي
أَسْلُوفَتَاهُ إِذَا جُنَحَ الظُّلَامُ دَجَا
لِلْوَرْدِ وَجَتَّهَا لِلدَّرِّ مَبْسُمُهَا
تُرِيدُ بِالْعَدْلِ إِرْشَادِي لِتُصْلِحَهُ
فَمُتَّهَى الرُّشْدِ غِيِّي فِي مُجْتَهِدَا
سَقَى مَنَازِلَهَا مُتَعَجِّرٌ غَدَقُ

/١٣/ مَا كَانَ أَطْيَبَ أَيَّامًا لَنَا سَلَفَتْ
وَالدَّارُ مُشْرِقَةً مِنْ نُورِ غُرَّتِهَا
أَشْكُو إِلَيْهَا صَبَابَاتِي فَتُطْمَعُنِي
مَنْ لَحْظَهَا نَرْجِسِي مَنْ خَمَرِ رَيْقَتِهَا
إِنْ عُدْتَ يَا دَهْرُ أَذْنَيْتِ الدِّيَارَ بِهَا
فَسَوْفَ أَمْدَحُ نِعْمَاكَ الَّتِي شَمِلَتْ

وقال أيضًا: [من مجزوء الرجز]

أَحْبَبَانَا بَجَلًّا ق
مَا أَتَيْتُمُ بِلَعْلَعٍ
مَا هَجَرَكُمُ وَدَارَكُمُ
قَدْ رَاعَنِي شَيْبٌ بَدَا
يَضْدُقُنِي وَعَيْدُكُمْ
حَتَّى الْخَيْالُ هَاجِرِي
تَقْطَعُنِي يَا كَبِيدِي
/٣ب/ وَلِلرُّقَادِ فَاهْجُرِي
عَلَيَّ فَتَوَاةَ حَيْثُمُ
حُسْنًا يَحْكِي قَدُّهَا
يَرْقُ لِي مِنْ أَرْقِي
فَمَا بَقِيَ فِي كَمَا
فَلَيْتَهُ لَا أَخْلَقْتُ

وقال أيضًا: [من مخلع البسيط]

تَنَاسَتِ الْوُدَّ وَالْعُهُودَا
فَدَمَعُ عَيْنِي مِنَ التَّجَافِي
مُتَعَنِّجِرٌ وَدُقُّهُ هَتُونٌ
لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ دَمِ أَتْنَهُ
أَمْرَضَنِي الْبَيْنَ وَالتَّنَائِي

بُقْرَبَهَا حَالِ إِمْسَائِي وَإِصْبَاحِي
وَمَنْ جَبِينِ كَضْوَاءِ الصُّبْحِ وَضَاحِ
بِالْوَصْلِ مِنْهَا بَلْفَظٍ يُسْكِرُ الصَّاحِي
رَاحِي وَمَنْ [حُمْرَةً] الْخَدَيْنِ تَفَاحِي
فَقَدْ تَكَفَّلْتَ أَسْعَادِي وَإِنْجَاحِي
مَدْحًا يُقْصِرُ عَنْهُ كُلُّ مَدَاحِ

أَنْ لَنَا أَنْ نَلْتَقِي
وَلَسْتُ بِمُ بِالْأَبْرِقِ
دَانِيَةً بِلِيٍّ ق
لَهْجَرِكُمْ فِي مَفْرِقِي
وَوَعْدُكُمْ لَمْ يَضَاقُ
تَأْجَجِي يَا حُرْقِي
يَا أَعْيُنِي تَرْفَقِي
وَبِالْدُمُوعِ فَأَغْرَقِي
لَمِيَاءَ ذَاتِ الْقُرْطَقِ
قَدْ الْقَضِيْبُ الْمُورِقِ
وَلِلْإِلَهِ يَتَّقِي
تَرُونَ غَيْرَ الْرَمَقِ
وَلَيْتَنِي لَمْ أُخْلَقِ

وَأُبَدَّتِ الْهَجَرَ وَالصُّدُودَا
يَا خَوْدٌ قَدْ خَدَّدَ الْخُدُودَا
مَنْ مُقْلَةً عَاقَتِ الرُّقُودَا
خَوَامِشُ تَبْتَغِي السُّورُودَا
عَسَاكَ يَا فَرْبُ أَنْ تُعُودَا

لَلْبَيْنِ لَا تَعْرِفُ الْخُمُودَا
 أَنْصَرَكُلَّ الْأَنَامِ عُودَا
 أَكْرَمَ كُلِّ الْوَرَى جُدُودَا
 أَدْرَكَ بِالسُّوْدُودِ السُّعُودَا
 رَامَ إِلَى رَبِّهِ الصُّعُودَا
 خَطُّوا لِأَعْدَائِهِمْ لُحُودَا
 فَوَارِسًا تَقَرَّسُ الْأُسُودَا
 تُضْحِي لِأَسْيَافِهِمْ غُمُودَا
 تَظَلُّ أَعْنَاقُهُمْ سُجُودَا
 اللَّهُ كَمَ قَدْ حَوَتْ عُقُودَا
 بِحُبِّ مَنْ تَنَكَّثَ الْعُهُودَا
 لَكِنَّهَا تُخْلِفُ الْوَعُودَا
 إِلَّا هَوَى أَضْمَرَ الْخُلُودَا

فَفِي فُؤَادِي لَهَيْبُ نَارِ
 كَمَ ذَا التَّجَنِّي عَلَى مُحِبِّ
 / ١٤ / أَغْرَبَ كُلَّ الْوَرَى لِسَانَا
 جَعَدَةُ أَكْرَمَ بِهِ أَبُوهُ
 وَالْجَدُّ قَيْسُ فَتَى الْمَعَالِي
 قَوْمٌ إِذَا قَاتَلُوا رَجَالَا
 أَوْ رَكِبُوا خَيْلَهُمْ تَرَاهُمْ
 أَعْنَاقُ مَنْ سَامَهُمْ قَتَالَا
 وَأَنْتَ مِنْ مَعَشَرَ لَدَيْنَا
 تَحْوِي لِأَحْسَابِنَا عُقُودَا
 لَا كَانَ يَوْمٌ بِهِ بَلِينَا
 تُنْجِزُ إِنْ أَوْعَدْتَ مُحِبًّا
 فَلَا دُنُو وَلَا سُلُودَا

وقال أيضاً: [من الخفيف]

رَحْمَةً مِنْ لَوَاعِجِ الْأَشْوَاقِ
 قَبْلَ أَنْ يَحْدُثَ التَّفَرُّقُ بَاقِي
 قَا إِلَى قُرْبَهَا وَوَشَكَ التَّلَاقِي
 ضَرَّةَ الْبَدْرِ فِي الْهَوَى مَا الْأَقِي
 بِخَيْالٍ مِنْ طَيْفِكَ الطَّرَاقِ
 نُبَعُونِي عَنْ دَمْعِهَا الْمُهْرَاقِ
 فَيَكُونُ الشَّفِيعَ لِي بِالتَّلَاقِي

أُتْرَاهَا تَرَقُّ لِلْعُشَّاقِ
 وَتُرَى وَدَّهَا عَلَى مَا عَهْدَنَا
 / ١٤ ب / كَلَّ يَوْمَ أَرَى بِقَلْبِي أَشْوََا
 لَمْ أَجْذَهَا بِالْأَمْسِ فِيهِ فَحَسْبِي
 قَدْ حُرْمَتَا مِنْكَ الْوَصَالَ فَجُودِي
 إِنْ وَهَبْتَ الْكَرَى وَأَقْلَعْتَ الْعِيْدِ
 فَلَعَلَّ الْخَيَْالَ يَنْظُرُ سُقْمِي

وقال أيضاً: [من البسيط]

تَسْرُّ قَلْبًا إِلَيْكَ الدَّهْرُ مُشْتَاقَا
 أَمْ قَدْ فَقَدْتَ قَدَتَكَ النَّفْسُ أُرَاقَا
 حَيَاةَ عَبْدِكَ لَا لَأَقِيَتْ مَا لَأَقِيْ

مَا بَالُ كُتُبِكَ لَا تَأْتِي لِعَادَتَهَا
 أَعَاقَهَا غَضَبٌ أَمْ صَدَّهَا مَلِكُ
 مَا رَاقَ بَعْدَكَ لِي عَيْشٌ وَلَا نَعَمْتُ

وقال أيضاً: [من الطويل]

لَهَا كُلُّ وَقْتٍ أُمٌّ تَنَاسَتْ وَدَادِيَا
عُهُودًا لَهَا تُرْعَى وَأُرْعَى لِيَا لِيَا
مَلُولٌ وَلَا مُسْتَقْصِرُ الْوُدِّ جَافِيَا
عَلَى غَفْلَةٍ يَا حُبَّ لَيْلَى فُؤَادِيَا
فَقُلْ يَا مَلُولًا لَا بَلَغْتَ الْأَمَانِيَا
إِلَيَّ لَقَدْ خَابَتْ ظُنُونُ الْأَعَادِيَا

أَتَذْكُرُنِي لَيْلَى كَمَا أَنَا ذَاكِرٌ
لَنْ نَسِيَتْ عَهْدِي فَإِنِّي لَذَاكِرٌ
فَمَا أَنَا يَا لَيْلَى قَطُوعًا لِقَاطِعِ
فِيَا حُبِّهَا زِدْنِي جَوَى وَاعْتَبِرْ بِهِ
/ ١٥ / فَإِنْ نَرَفِيهِ سَلُوةً أَوْ تَنَاسِيًا
أَسْأَلُوهَوَى لَيْلَى وَلَيْلَى حَبِيَّةً

وقال أيضاً: [من المنسرح]

نَأْيٌ فَمَا الْإِتْفَاعُ بِالْقُرْبِ
لُبْعَدِهِ فِي خَوَاطِرِ الْقُلُوبِ
مَنْ لَا عَجَّ الشُّوقُ وَالْأَسَى حَسْبِي
عَظْفًا يُرْجَى لَهَا عَلَى الصَّبِّ
إِذْ كَانَ وَشْكُ النَّوَى عَلَى عَتَبِ
ذَنْبٍ وَلَوْ كَانَ ثُبْتُ مِنْ ذَنْبِي
وَرَشَفَ سَلَسَالُ رِيقِهَا الْعَذَبِ
كَأَنَّهُ غُضُنٌ بَانَةٌ رَطَبِ
مَنْ الصَّبَا وَهُوَ دَائِمًا يُضْبِي
فَلَيْتَنِي قَاضِيًا بِهَا نَحْبِي
مَحْمُودَةً عِنْدَهُ مِنْ الْحَبِّ

دَانِيَةً الدَّارَ وَالْمَزَارَ بِهَا
وَالْوَصْلَ لَا يُرْتَجَى أَصُورُهُ
فَالْوَجْدُ يَنْمِي وَمَا أَكْبَادُهُ
غَدَارَةٌ تُخْلَفُ الْوَعُودُ وَلَا
نَأْتُ فَزْدَنَا أَسَى لِفُرْقَتِهَا
وَلَمْ يَكُنْ لِي عَلَى تَعْسُفِهَا
بِي فَرَطُ شَوْقٍ إِلَى مُقْبَلِهَا
وَضَمُّ دَاكِ الْقَوَامِ مُعْتَقًا
صَبَا إِلَيْهَا الْفُؤَادُ فِي طَرْبِ
وَمَا قَضَيْنَا مِنْ حُبِّهَا أَرْبًا
فَمَا حَيَاةُ الْمُحِبِّ مَعَ غَضَبِ

/ ٥٥ / وقال أيضاً: [من الخفيف]

وَالْتَنَائِي يَزِيدُ دَارَكَ بُغْدًا
كُلَّ يَوْمٍ لَشَقَوَاتِي مُسْتَجَدًّا
وَلَا وَلَا خُنْتُ بِالْتَنَائِي عَهْدًا
وَارْثِي لِي مَنْ جَوَانِحَ لَيْسَ تَهْدًا
لَكَ [أ] يَا ضَرَّةَ الْعَزَالَةِ بُدًّا

أَتَرْجَى دُنُو دَارَكَ سَعْدِي
وَصُرُوفُ الْأَيَّامِ تُحَدِّثُ بَيْنَا
مَا ثَنَانِي عَنِ الْوُدَادِ صُدُودُ
فَارْحَمِي لَوْعَتِي وَفَرَطَ غَرَامِي
لَكَ مِنِّي بُدٌّ وَمَا إِنْ أَرَى مِنْ

شَبَّهَوهَا بِالْبَدْرِ وَالْعُصْنِ جَهْلًا
عَلَّ دَهْرِي يُعِيدُ مَا اسْتَفْرَضَ الْبَيْدَ
وَيَعُودُ الزَّمَانُ يَجْمَعُ شَمْلِي
وَتُرِينِي مَنْ قَدَّهَا خُوطَ بَانَ
وَأَرَى مَنْ لَحَاطَهَا أُغْيِنَ الرِّيدَ
وَلَعَمْرِي لَقَدْ رَشَفْتُ زَمَانًا
هِيَ أَسْنَى وَجْهًا وَأَحْسَنُ قَدًا
سَنَ فَشَرَطُ الْقُرُوضِ أَنْ تُسْتَرَدًّا
وَأَرَى فِي جَوَانِبِ الْحَيِّ سَعْدِي
وَمَنْ الْخَدَّ جُلْنَارًا وَوَرْدًا
سَمَ وَلَكِنَّهَا تَصِيدُ الْأَسَدَا
مَنْ جَنَى رِيْقَهَا سَلَفًا وَشُهْدَا

وقال أيضاً: [من الطويل]

لئن أَصْبَحْتَ عَنِّي سُلَيْمِي غَنِيَّةً
لئن أَصْبَحْتَ عَنِّي سُلَيْمِي غَنِيَّةً
وَإِنْ قَطَعْتَ حَبْلِي وَصَلْتَ جِبَالَهَا
عَسَى يَعْقِبُ اللَّهُ أَصْطَبَارِي رَاحَةً
فَإِنِّي إِلَيْهَا مَا حَيْثُ فَقِيرُ
وَكُنْتُ صَبُورًا وَالْمُحِبُّ صَبُورُ
فَقَدْ قِيلَ عَقَبَى الصَّابِرِينَ جُورُ

وقال أيضاً، وقد رحل إلى حمص رسولا إلى الملك المجاهد أسد الدين أبي الحارث
شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي صاحبها في العشر الأول من جمادى سنة ثلاث
وعشرين وستمائة، يتشوق إلى إخوته وأهل بالس: [من البسيط]

تُنْمِي إِلَيْكُمْ صَبَابَاتِي إِذَا قَرُبْتُ
فَلَا بَعْدَتْكُمْ وَلَا شَطَّ الْمَزَارُ بَكُمْ
أَنْتُمْ نُجُومُ سَمَا قَلْبِي وَشَمْسُ ضُحَى
خِيَامُكُمْ وَدَنْتُ مَنْ دَارُكُمْ دَارِي
وَلَا خَلْتُ مِنْكُمْ أَبْكَارُ أَفْكَارِي
فِيهِ وَفِي ظُلْمَةِ الْأَحْشَاءِ أَقْمَارِي

ثم عاد مرة ثانية في العشر ٦ب/ الأخيرة من الشهر المذكور، فكتب إليهم أيضاً بهذه

الآيات: [من الوافر]

تُرَى يَقْضَى لَنَا مَنْ بَعْدُ بَعْدُ
وَتَجْمَعُنَا الدِّيارُ كَمَا عَهْدُنَا
وَنُصْبِحُ لَا يُرَوِّعُنَا لَيْلِينَ
بِأَحْبَابِي لِقَاءُ وَاجْتِمَاعُ
وَأَسْرَارُ لَدَيْنَا لَا تُذَاعُ
عَنِ الْأَحْبَابِ مَا عَشْنَا وَدَاعُ

وقال أيضاً وقد وصله كتاب ولد أخيه وَخَتَنَهُ الْقَاضِي شَهَابُ الدِّينِ مِنْ بَالَسٍ يَطْلُبُ مِنْهُ

أَنْ يَعْمَلَ لَهُ عَلَى وَزْنِ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي مِنَ الثَّلَاثَةِ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْفَذَهَا إِلَيْهِمْ مِنْ حَمَصَ:

أَنْتُمْ نُجُومُ سَمَا قَلْبِي وَشَمْسُ ضُحَى
فِيهِ وَفِي ظُلْمِ الْأَحْشَاءِ أَقْمَارِي

فعمل هذه الآيات: [من البسيط]

يَهْلُ مِنْ دَيْمَةٍ وَطَفَاءَ مَعْطَارٍ
 دَارًا وَلَا أَنْتُمْ فِي الدَّهْرِ زَوَّارٍ
 وَزَادَ مَقْدَارُهُ عَنْ كُلِّ مَقْدَارٍ
 مِنَ اللَّقَاءِ وَلَا قَضِيَتْ أَوْطَارِي^(١)
 دِيَارُكُمْ أَهْلَاتِ حُبِّ مُخْتَارٍ
 وَجَدْتُكُمْ جَدِي وَتَذَكَّرْتُكُمْ كَارِي
 عَلَيْكُمْ الشَّمْسُ مِنْ يُسْرِ وَإِسَارٍ
 جُودًا يَغْمُ مُقِيمَ الْحَيِّ وَالسَّارِي
 يَقْرِي الضُّيُوفَ وَيَرْعَى حُرْمَةَ الْجَارِ
 يَسْعَى إِلَيْهِ بِقَلْبِ الضَّيْعَمِ الضَّارِي
 مُذْكَانَ مِنْ عُمَرِهِ لَمْ يُسْخَطِ الْبَارِي
 يَسُودُ فِي مَهْدِهِ عَارٍ مِنَ الْعَارِ

فَلَا يُرَى إِلَّا فَتَى مَقْتُونُهُ
 إِنَّكَ مَعَ فَرَطِ الْجَمَالِ دُونُهُ^(٢)
 تَسْبِي الْعُقُولِ مِنْهُمْ فُتُونُهُ
 وَيَا الْكَرَى قَدْ مَلَأْتَ جُفُونُهُ
 عَالَتْ فُؤَادِي مَا جَنَتْ عُيُونُهُ

وَأَنْتَ دُونَ الْأَنَامِ مَحْبُوبِي
 عَنْ وَجْهِكَ الْيُوسُفِيُّ مَحْجُوبِ
 وَخَانَ دَهْرٌ فَأَنْتَ مَطْلُوبِي
 مِنْ غَيْرِ عَتَبٍ وَغَيْرِ تَشْرِيبِ

/١٧/ سَقَى بِلَادَكُمْ مُنْعَجْرٌ غَدَقُ
 طَالَ أَشْتِيَاقِي لَكُونِي لَمْ أَزُرْ لَكُمْ
 شَوْقٌ تَجَاوَزَ حَدَّ الْوَصْفِ أَيْسَرُهُ
 مَضَى زَمَانِي وَمَا أَذْرَكْتُ مَالِكْتِي
 أَحْبَبُّكُمْ يَا بَنِي عَجَلَانَ لَا بَرَحَتْ
 مَا شَوْقُكُمْ مِثْلَ أَشْوَاقِي وَلَا بَكُمُ
 فَلَا خَلَوْتُمْ مَدَى الْأَيَّامِ مَا طَلَعَتْ
 وَحْيِي يَا رَبَّ عَبْدَ اللَّهِ إِنْ لَهُ
 وَحْيِي وَالِدَهُ الْقَاضِي وَزَيْدَ فَتَى
 وَفِي الْوَعَى تَحْذَرُ الْأَقْرَانُ صَوْلَتُهُ
 قَوَامُ صَوَامٍ مُصَدِّقُ حَلِيفُ تَقَى
 فَالشَّيْخُ مِنْكُمْ وَمِنْ شَبَابِكُمْ أَبَدًا

وقال أيضاً من أبيات: [من الرجز]

/٧ب/ كُلُّ الْوَرَى قَدْ فُتِنُوا بِحُبِّهِ
 فَضَّلَ بِالْحُسْنِ فَقُلْ ...
 فِيهِ فُتُونٌ لِلْأَنَامِ جَمَّةُ
 أَيْبَتْ طُؤُلُ اللَّيْلِ لَا أَنْامُهُ
 أَسْهَرُ فِيهِ وَيَنَامُ وَادِعَا

وقال أيضاً: [من المنسرح]

كَمْ مِنْ حَيْنٍ إِلَيْكَ مَجْلُوبِ
 إِنْ كَانَ وَجْهِي وَلَيْسَ ذَا عَجَبٍ
 فَأَنْتَ دُخْرِي إِنْ تَزَلْ بِي قَدَمٌ
 فَأَبْسَطْ لِي الْعُذْرَ عَشْتُ فِي رَعْدِ

(١) المألثة: الرسالة .

(٢) موضع النقط بياض في الأصل .

وَعَيَّرَ مَا تَبْتَغِي بِمَنْسُوبٍ
مَا سَقَى الرَّوْضُ بِالشَّائِبِ
طَاهَا وَيَاسِينَ فِي الْمَحَارِبِ

وقال أيضاً: [من مجزوء الرمل]

زَائِرٌ جَدَّدَ وَجْهِي
سَ بَاعَ طَافَ وَقَدْ
لَمْ يَخُنْ مُذْ كَانَ عَهْدِي
فِي فَمِي مَنْ غَيْرِ دُرْدِي
قَالَ لِي: دُونَكَ خَدِّي
لِلرُّدَيْنِي فَقَدِّي
لَيْسَ لِلْعُشَّاقِ عِنْدِي
فَهْوَ فِيهِ غَيْرُ مَجْدِي
مُنْتَهَى غَايَةِ رُشْدِي
نَافِذًا عَيْنُ التَّعْدِي

لَسْتُ إِلَى غَيْرِ سُودَّدَ أَبَدًا
عَمَادَ دَيْنِ الْإِلَهِ عَشْ رُغْدًا
وَأَسْلَمَ وَدُمَ لِلزَّمَانِ مَا فُرِئْتُ

/ ١٨ / زَارَنِي مَنْ غَيْرِ وَعَدَ
يُخْجِلُ الْغَضْنَ إِذَا مَا
بِأَبِي أَفْدِيهِ وَافَ
رَيْقُهُ الْخَمْرَةَ طَعْمًا
وَإِذَا مَا رُمْتُ نُقْلًا
وَأِنْ أُخْتَرْتُ عَنْ أَقْصَا
وَسَوَى هَذَا فَكَلًا
يَا عَذُولِي خَلِّ عَذْلِي
إِنَّ غِيِّي فِي هَوَاهُ
عَدَّ إِنْ حَاوَلْتُ سُلُوحًا

وقال أيضاً: [من مجزوء الكامل]

فِي مَنْ لَثُوبِ الْحُسْنِ لَابَسْ
غَلَبَ الضَّرَّاءُ غَمَّ وَالْقَنَاعَسْ
رِيَّانُ لَا يَنْفَكُ مَائِسْ
سَ وَحِينَ يُضْبَحُ فِي الْفَوَارِسْ
إِلَّا وَأَشْرَقَتْ الْحَنَادَسْ
لَكِنْ عَلَى الْعُشَّاقِ عَابَسْ
وَصُدُودُهُ جَدَّوَاتُ قَابَسْ
فِي خَلْوَةٍ وَاللَّيْلُ دَامَسْ
وَرَفَدَتْ بِالْإِلْمَامِ آنَسْ
قَ فَلَيْتَنِي لَا كُنْتُ غَاطَسْ
بَ سُلَاقَةٍ وَالْجَفْنُ نَاعَسْ

خَلَعَ الْعَذَارُ أَخُو الْوَسَاوِسْ
ظَبْيِي يَصِيدُ بَطْرِفَهُ
رَشَّاءُ كُفْضِنِ أَرَاكَةَ
/ ٨ ب / فِي اللَّيْلِ يَخْرُجُ فِي الْعَرُوسِ
مَا لَاحَ فِي غَسَقِ الدُّجَى
طَلَّقَ الْمُحَيَّا بِاسْمِ
فِي الْقَلْبِ مَنْ سَطَوَاتِهِ
كَمْ زَارَنِي مُتَحَفِّيًا
عَانَقْتُ غُضْنَ قَوَامِهِ
وَعَطَسْتُ فِي بَخْرِ الْعَنَّا
وَرَشَفْتُ مِنْ خَمْرِ الرُّضَا

رُفْلَسْتُ مِنْ عَوْدٍ بَايَسْ
 تَلُكَ الْمَنَازِلُ وَالْمَجَالِسُ
 حَسَّادِنَا فِيهَا الْمَعَاطِسُ
 يَشْنَا سَجَايَاهُ النَّفَائِسُ
 غُلِبُ الْأُسُودُ لَهُ فَرَائِسُ
 نَ عَلَى مَعَالِيهِ حَبَائِسُ
 سٌ وَيَذُرُ تَمَّ فِي الْمَجَالِسُ
 نَ فَلَا تَرَاهُ الدَّهْرُ عَابِسُ
 تَقَاعَسُ الصَّيْدُ الْأَشَاوِسُ
 هُ وَنَمَّ قَرِيرُ الْعَيْنِ حَارِسُ
 ثَوَاقٍ مِنْ كَلَفٍ أُمَارِسُ
 لِمَلِيكُهَا وَأَحَبُّ بَالِسُ
 فَهُمْ بِوَحْشَتِهَا أَوَانِسُ
 مُغْدَوْدُقُ السُّحْبِ الرُّوَاجِسُ

إِنْ كَانَ قَدْ شَطَّ الْمَزَا
 وَتَعَوْدُ تَجْمَعُ يَتَنَّا
 مَرْعُومَةٌ بِالْوَصْلِ مِنْ
 إِرْغَامِ نُورِ الدِّينِ مَنْ
 رَسْلَانِ شَاهِ غَضُنْفَرِ
 حَازَ الْمَكَارِمَ فَاغْتَدِي
 / ١٧ / لَيْتُ إِذَا حَمِي الْوُطَيْ
 مُتَهَلَّلًا لِلْمُعْتَفِي
 فَلَجُودِهِ وَلَبَّاسِهِ
 عَشَّ آمَنَّا فَلَكَ الْإِلْد
 أَمْسَيْتُ لَلْأَشْوَاقِ وَالْأ
 فَأَحَبُّ قَلْعَةٍ جَعْبَرِ
 لِأَخِي وَةٍ سَكُنُوا بِهَِا
 لَا زَالَ يَمْرُغُ مَرَجَهَا

وقال أيضاً: [من السريع]

فَلْيَخْلَعْ الْعُشَّاقُ فِيهِ الْعَذَارُ
 وَأَقْلَعْ السُّلُوَانُ وَالْإِصْطَبَارُ
 عَلَيْهِ مَعَ فَرْطِ انْخِلَاعٍ وَقَارُ
 لَوْنًا كَمَا يَتَسَبَّبُ الْجَلَنَارُ
 فَهَلْ تُرَى مِنْ جَلَدٍ يُسْتَعَارُ
 كَمْ حَيْدَ عَنْهُ وَكَمْ ازْوَارُ
 لَا يَشْتَكِي شَارِبَهَا مِنْ خُمَارُ

زَادَ جَمَالًا حِينَ دَارَ الْعَذَارُ
 وَزِدْتُ وَجْدًا وَعَرَامَابَهُ
 مَهْفَهُ الْقَامَةِ مِيَّاسَهَا
 يَتَسَبَّبُ الْوَرْدُ إِلَى خَدِّهِ
 فَقَدْتُ صَبْرِي مُذْنَاتُ دَارِهِ
 / ٩ب / قُولُوا لَهُ: يَرْحَمُ ذَا لَوْعَةٍ
 رِيْقَتُهُ الْفَرْقُفُ لَكِنَّهَا

وقال أيضاً: [من الخفيف]

بَرْقَاقٍ يَبِضُ مَوَاضِي الْحَدِّ
 عِنْدَهُ سَطْوَةُ الْهَزْبِ الْوَرْدِ
 بِي وَلَا وَالْفُؤَادُ مَلِيكَ نَجْدِ

حَجَبُوهَا وَمَا الْحَجَابُ بِمُجْدِي
 وَبَسْمُرِ الْقَنَاءِ وَكُلِّ كَمِي
 لَا يَفِيدُ الْحَجَابُ إِذْ أَنْتَ فِي قَلْدِ

أُتْرَىٰ عَنْدَكَ إِلَيَّ غَرَامٌ
وَحَيْنٌ مُّبْرَحٌ وَاشْتِيَاقٌ
بَلْ لَعَمْرِي لَقَدْ ثَنَّاكَ التَّنَائِي
كَمْ تَمَالَوْا عَلَى الْمَلَامَةِ لَوْ
يَنْسُبُونِي جَهْلًا إِلَى الْعِي فِي الْحُد

وقال أيضاً ابتداء قصيدة: [من الخفيف]

مَا بَكُمْ مِنْ صَبَابَتِي وَأَكْتَابِي
/ ١١٠ / وَأَتْرَكُوا اللَّوْمَ عَذْلِي فَهُوَ لَا يَجْدُ
أَنَا مُغْرَى بِحُبِّ مَيَّاسَةِ الْأَعْدِ
تُخْجِلُ الْبَدْرَ إِنْ تَرَأَتْ بَلِيلُ
إِنْ تَكُنْ عَامَلَتْ دُنُوبِي وَوَدِّي
وَأَنَا السَّامِعُ الْمُطِيعُ وَهَلْ يَعْدُ
لَيْسَ فِيهَا عَتَبٌ سِوَى أَنَّهَا الدَّهْدُ

وقال أيضاً: [من الخفيف]

إِنْ يَصُدُّوكَ بِي عَنِ الْإِجْتِمَاعِ
وَعَرَامِي ذَاكَ الْغَرَامُ وَشَوْقِي
لَسْتُ أَنْسَاكَ بِالْبَعَادِ وَهَيْهَا
لَيْسَ عِنْدِي إِلَّا الْأَسَى وَدُمُوعُ
وَسَقَامٌ عَسَى يَرْقُ لَهُ الدَّهْدُ
وَعَسَاهُ يَجُودُ لِي مِنْكَ بِالْوَصْدِ
وَتَعُودُ الدِّيَارُ تَجْمَعُ شَمْلِي
/ ١٠١ / وَأَرَانِي مُعَانِقًا لِلتَّلَاقِي
رَاشِفًا مِنْ رُضَابِ فَيْكِ سُلَافًا
هَذِهِ الْحُلُ لَيْسَ مَا تَطْبُخُ النَّا
أَنْتَ بَدْرُ الدُّجَى وَوَجْهُكَ فِينَا
عَشْتِ لَا تَرْتَقِي إِلَيْكَ الْمَنَايَا

سَالِبٌ لِلْكَرَى كَمَا لَكَ عِنْدِي
لَا وَلَا وَجَدُكَ يُقَارِبُ وَجَدِي
عَنْ وَدَادِي وَقَدْ تَنَاسَيْتَ عَهْدِي
مُتَصَدِّقًا لِلَّوْمِ بِئْسَ التَّصَدِّي
بٌ وَغِيِّي فِي حُبِّ مِثْلِكَ رُشْدِي

فَاقْصِرُوا مِنْ مَلَامَتِي مِثْلَ مَا بِي
بِ نَفْعًا لَكُمْ وَخَلُّوا عَتَابِي
طَافَ تَخْتَالُ فِي ثِيَابِ التَّصَابِي
بِابْتِسَامٍ عَنْ الثَّنَايَا الْعَذَابِ
وَوَصَالِي بِالصَّدِّ وَالْإِجْتِنَابِ
صَيِّ مُحِبُّ أَوْامِرِ الْأَحْبَابِ
رَعْنِ الْعَيْنِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ

فَوُدَادِي لَدَيْكَ غَيْرُ مُضَاعٍ
وَنَزَاعِي كَمَا عَهَدْتَ نَزَاعِي
تَ سُلُوبِي وَمَالَهُ مِنْ دَوَاعِي
سَحَّهَا مُفْلَعٌ عَنِ الْإِفْلَاحِ
رُ وَوَجَدْتُ جُنَّةً أَضْلَاعِي
لِلْ وَأَحْظَى بِهِ وَبِالْإِرْتِجَاعِ
بِكَ يَا مُنْتَبِي وَبِالْأَطْمَاعِ
مِنْكَ قَدْ الْقَضِيْبُ لَا لِلْوَدَاعِ
سَلْسِيْلًا يَشْفِي مَنْ الْأَوْجَاعِ
رُ وَقَدْ مَأْ أَحْلَهَا الْأَوْزَاعِي
هُوَ شَمْسُ النَّهَارِ ذَاتُ الشَّعَاعِ
وَبِخَطْبِ مِنَ الرَّدَى لَا تُرَاعِي

وقال أيضاً: [من الخفيف]

وَأَلْتِي بِي قَدْ صَيَّرْتَهُ نَصِييَ
فِي ذِمَامِ الْغَرَامِ حَبَّ الْقُلُوبِ
يَتَلَالَا وَرَيْقُهُمَا لِلضَّرِيْبِ
وَهِيَ شَمْسُ النَّهَارِ عِنْدَ الْغُرُوبِ
غُضْنُ بَأْنٍ مُرَكَّبًا فِي كَثِيبِ
يَا لِقَوْمِي مَنْ كَاشَحَ أَوْ رَقِيبِ
سَتْ رِيَاخٍ مِنْ شَمَالٍ لَا جَنُوبِ
نَ لِيَالِي وَصَالِنَا أَنْ تَوْوَبِي
عَنْ قَرِيبٍ بِالْحَاجِبِ الْمُحْجُوبِ

مَنْ مُجِيرِي مَنْ الْغَرَامِ الَّذِي بِي
ظَبِيَّةُ الْأَنْسِ لَا الْكَوَانِسِ تَرَعَى
تَغْرُهُمَا لَأُقَاحَ بَلْ لَلَالِي
فَهِيَ بَذْرُ الظَّلَامِ عِنْدَ التَّجَلِّيِ
إِنْ تَنَنَّتْ يَهْزُ مَنْ لِيَنْ قَدْ
لَسْتُ أَخْلُو إِذَا تَرَاءَتْ لِعَيْنِي
يَعْتَرِينِي الْحَيْنُ نَحْوُكَ إِنْ هَبَّ
يَا لِيَالِي الْوَصَالِ أَوْبِي فَقَدْ
/ ١١١ / وَتَعُودُ الدِّيَارُ تَجْمَعُ شَمْلِي

وقال أيضاً: [من الطويل]

عَسَى طَيْفُهُمَا فِي آخِرِ اللَّيْلِ يَطْرُقُ
وَفَرَطُ صَبَابَاتِ خَبَاهَا التَّفَرُّقُ
وَقَلَّ شَبَابِي إِلَى الْتَشَوُّقِ
أَخَافُ أَنْتَهَاكَ السَّرَفِيَّةَ وَأَفْرَقُ
عَلَى الرُّغْمِ مَنِي عَبْرَةٍ تَتَرَفَّرِقُ
فَلَا يَنْفَعُ الْكَتْمَانُ وَالْحَالُ تَنْطِقُ
وَقَدْ جَزْتُ سَبْعِينَ مِنَ الْعُمَرِ أَعْشَقُ
وَرَبَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَتَيْنِ وَأَصْدُقُ

لَعَلَّكَ جَفَنَ الْعَيْنِ لِلنَّوْمِ تَسْرُقُ
وَأَشْكُو إِلَيْهِ مَا أُجِنُّ مِنَ الْجَوَى
مُهَفِّهَةً الْأَعْطَافِ أَفْنَى تَجَلُّدِي
وَأُضْعَبُ مَا أَلْقَاهُ فِي الْحُبِّ أَنَّنِي
إِذَا رُمْتُ كَتَمَانَ الْغَرَامِ سَعَتْ بِهِ
وَنَمَّ بِهِ سَقَمِي وَفَرَطُ صَبَابَتِي
فَإِنْ قُلْتُ لَا وَاللَّهِ لَسْتُ بَعَاشِقُ
يَقُلُّ مِنْ لِسَانِ الْحَالِ يَكْذِبُ قَائِلٌ

وقوله: [من السريع]

فَكَمَلِي إِحْسَانَكَ بِالْعَنَاقِ
فَعِنْدَهُ فَرَطُ جَوَى وَأَشْيَاقِ
وَأَنْتَهُمَا مِنْ حُرْقٍ فِي السِّيَاقِ
يَضُوعُ كَالْمَنْدَلِ عَذْبُ الْمَذَاقِ
قَلْبُكَ يَا لَمِيَاءُ مِمَّا أَلَاقِ

مُنِيْتُ بِالْوَصْلِ وَعَفْتُ الْفِرَاقِ
وَسَامَحِي الصَّبَّ وَلَا تَبْخَلِي
بِقُبْلَةٍ تَحْيَا بِهِ هَارُوحُهُ
/ ١١١ / أَوْ رَشَفَ رَيْقِ رَاقٍ تَرَوِيْقُهُ
مَاذَا عَلَى قَوْمِكَ لَوْرَقٍ لِي

هَلْ سَمِتَ إِلَّا قُبْلَةً سَنَهَا
إِنْ يَغْضَبُوا مِنْهَا وَإِنْ يَعْتَبُوا

وقال : [من الطويل]

أَتَتَا خِيُولَ بِالْإِشَارَةِ تَسْبِقُ
وَكَانَ بِنَانَحُو الْبَشِيرِ تَشْوِقُ

وقوله من أول أبيات : [من الخفيف]

عَاوَدَ الْقَلْبَ وَجَدُهُ وَالْخُفُوقُ
وَتَرَاءَتْ لِلْعَيْنِ أَعْلَامُ سَلْعِ
وَبِرَأْسِ الْجَرَعَاءِ بَانَ فَرِيقُ
أَذْكَرْتَهُ الْأَحْبَابَ فَارْتِاحَ شَوْقًا
وَكَذَا كُلُّ مُغْرَمِ الْقَلْبِ يَشْتَا
/ ١٢ / غَاةٌ لِلْقَضِيبِ مِنْهَا التَّشْيِ
رِيقُهَا لِلْمُحَبِّ فِي آخِرِ اللَّيْلِ
أَتَا سَكْرَانٌ حُبَّهَا لَيْتَ أَنِّي
لَا يُرْجِي الْعَذُولُ مِنِّي سُلُوءًا

وقال : [من الوافر]

سَلَاهَا لَمْ تَجْنَبِ الْوَصَالَ
وَأَظْهَرْتَ التَّجَنُّبَ لَا لِحُزْمِ
فِيَا شَبَّهِ الْقَضِيبِ إِذَا تَشَنَّتْ
حَكَيْتَ لَنَا الْغَزَالَ حِينَ تَبْدُو
هَوَاكَ هُدًى وَكُلُّ هُدًى سِوَاهُ
لَقَدْ حَلَلْتَ إِبْعَادِي وَهَجَرِي
فَكُنْتَ كَمَنْ أَحَلَّ دَمًا حَرَامًا

مَشَايِخُ الْعُشَّاقِ عِنْدَ التَّلَاقِ
فَالْقَوْمُ حَقًّا مَا لَهُمْ مِنْ خَلَاقِ

وَأَنْتَ إِلَى شَأْوِ الْمَعَالِي أَسْبَقُ
رَقِيقُ الْحَوَاشِي حِينَ طَالَ التَّفَرُّقُ

حِينَ لَاحَتْ مِنَ الْغُيُورِ الْبُرُوقُ
وَبَدَا حَاجِرٌ وَلَا حَ الْعَقِيقُ
وَتَوَارَى بِالْأَبْرِيقَيْنِ فَرِيقُ
وَحِينًا مِنْهُ الْفُؤَادُ الْمَشْوُوقُ
قُ وَمَنْ لَا يَشْوِقُهُ الْمَعْشُوقُ
وَلَطَبِي الْفَلَاةَ جِيدٌ وَمُوقُ
لِلْمُدَامِ وَتَغَرُّهَا الرَّاوُوقُ
دَائِمُ السُّكْرِ فِي الْهَوَى لَا أَفِيقُ
مَا إِلَى الْقَلْبِ لِلْسُلُوءِ طَرِيقُ

وَأَثَرَتِ الْقَطِيعَةَ وَالْمَالَ لَا
أَهْجَرَ أَرَانَا أَرَادَتْ أَمْ دَلَا لَا
تُحَاكِيهِ قَوَامًا وَأَعْتَدَا لَا
وَأَشْبَهَتْ الْغَزَالَ وَالْغَزَا لَا
فَلَا أَعْتَدُهُ إِلَّا ضَلَالَا لَا
وَحَرَّمْتَ التَّدَانِي وَالْوَصَالَ لَا
وَحَرَّمْتَ مَنْ جَهَّالَتِهِ الْحَلَالَ لَا

وقال أيضًا وقد وصله كتاب من / ١٢ ب / أخيه جمال الدين أبي الحسين في المحرم

سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وفيه أبيات شعر فكتب إليه أبو سعد هذه الأبيات

في الوزن والروي وهي : [من الوافر]

وَبَاتَ مُعَانَقًا سَحْرِيَّ وَنَحْرِيَّ
قَلِيلُهُمَا يَقْلُ لَدَيْهِ صَبْرِيَّ
فَلَيْسَ أَعْدَهُ مِنْ بَعْضِ عُمْرِيَّ
بِفُرْقَتِكُمْ وَشَهْرُ بَعْدَ شَهْرٍ
كَمَا أَنَّ الصَّبَابَةَ حَشَوُ صَدْرِيَّ
وَفَرَطَ مَحَبَّتِي يَأَلَيْتَ شِعْرِيَّ
يَجُودُ وَيَجْمَعُ شَمْلِي عَلَّ دَهْرِيَّ
وَيُسْفِرُ بِالتَّلَاقِي وَجْهَ بَشْرِيَّ
إِذَا أَشْتَمَلْتَ عَلَيْنَا الدَّارُ مَثْرِيَّ
مَرَادِي تَسْتَدِيمُ دَوَامَ شُكْرِيَّ
جُعِلَتْ فِدَاكَ عَنْ زَيْدٍ وَعَمْرٍو
عَشِيَّةَ جَمْعِ شَمْلِكُمْ بِنَصْرٍ
وَفِي غَيْرِ مُلْتَحَفٍ بَعْدَرٍ
لَهُ نَفْسٌ وَلَا سَمَحَتْ بِهِجْرٍ
سَلَامًا لَا يَزُولُ بِمُسْتَمِرٍّ

لَثَمْتُ كِتَابَكَ الْمَحْبُوبَ عَشْرًا
قَبْلَ غَلِيلٍ وَجَدٍ وَاشْتِيَاقٍ
إِذَا مَا مَرَّ يَوْمٌ لَا أَرَاكُمْ
فَكَيْفَ إِذَا انْقَضَى شَهْرٌ وَشَهْرٌ
وَقَدْ مَلَأَ الْأَسَى وَالشُّوقُ قَلْبِي
فَمَا عُدْرِي إِلَى إِخْلَاصِ وَدِّي
هِيَ الْأَقْدَارُ لَا تَجْرِي بِحُكْمِي
فَتُورِقُ بِالذُّنُوقِ غُصُونُ وَصَلِي
/ ١١٣ / وَعُدَّ مَنْ بِالشَّبَابِ يَعُودُ حَتْمًا
فَعَنْ كَثَبٍ تَبْلُغُنِي اللَّيَالِي
وَأَسْتَغْنِي أَخِي إِذَا التَّقِينَا
كَمَا تُغْنُونَ عَنْ قَاصٍ وَدَانٍ
أَخِي وَدُّ مُحِبٍّ غَيْرَ جَافٍ
وَلَا وَاللَّهِ مَا جَنَحْتَ بَصَدٍّ
عَلَيْكُمْ أَخَوَتِي مِنِّي سَلَامٌ

وله أشعار كثيرة في الأزجال والدوبيت وقوله في الدوبيت : [من الدوبيت]

وَالْحُبُّ دَلِيلُهُ عَلَى الْوَجْهِ يُلُوحُ
قَدْ ضَرَبَ بِي الْكِتْمَانُ فِي ضَرِّهِ يُوحُ

كَمْ يَأْمُرُ بِالْكِتْمَانِ فِي زِيِّ نَصُوحُ
بَسِّي بَسِّي أُرِيدُ يَا صَاحِبُ أُبُوحُ

وقال أيضاً في المعنى : [من الدوبيت]

فِي الْجَلُوءَةِ تَارَةً وَفِي الْخَلَوَاتِ
لَوْلَا حَذْرِي لَكُنْتُ مِنْ حَاجَاتِي

/ ١٣ ب / كَانَتْ بِكُمْ تَلْدُ لِي أَوْقَاتِي
يَا مُشْبِهَةَ الْهَلَالِ يَا مَوْلَاتِي

[٨٥٦]

نصر بن أبي النجاة، أبو الفتح الأحمي.

من أهل الديار المصرية.

كان فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي - رضي الله عنه - عالماً فاضلاً شاعراً جيداً مطبوعاً في الشعر، يمدح ويسترفد الكبراء والأعيان بقوله؛ نحوياً أديباً يحفظ كثيراً من الكتب الأدبية من جملتها كتاب «المفصل» لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، وكتاب «المقامات» لأبي محمد القاسم بن علي الحريري؛ وغير ذلك من الكتب والأشعار مع أخذه بأوفر نصيب من الأدب وعلم العربية.

أقام بدمشق زمناً طويلاً ثم خرج منها ونزل الموصل فسكنها ثم عاد إلى دمشق فاستوطن الإقامة بها في المدرسة الأمينية وسكنها برهة من الزمان. ثم انتقل إلى بيت المقدس - حمى الله حوزته - ولم يزل بها مقيماً إلى ١٤ / أن توفي - رحمه الله تعالى - .

أنشدني من شعره الشيخ أبو محمد عبد العزيز بن عمر بن مقبل بن الفقاعي الموصلية بها في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة بمنزله - رحمه الله تعالى - قال: أنشدني أبو الفتح نصر بن أبي النجاة الأحميمي لنفسه في ربيع الآخر سنة أربع عشرة وستمائة بالموصل يمدح معين الدين أبا علي الحسن ابن شيخ الشيوخ بمصر: [من الرمل]

هَاجِعَ الْمُقْلَةَ هَبْ جَفْنِي الْوَسْنَ	فَغَرَامِي سِرُّهُ فِيكَ عَلَنُ
وَسَوَى حُبِّكَ فِي قَلْبِي مَا	حَلَّ وَاللهُ وَلَا فِيهِ سَكَنُ
أَنْتَ يَا صَارَفَ وَقْتِي شُغْلًا	عَوْضٌ لِي عَنْ خَلِيلٍ وَسَكَنُ
لَا نَقُولِي لَكَ عَتَبًا مِثْلَمَا	لَنْتَ أَعْطَا فَا وَلَمْ سَا وَبَدَنُ
وَجَزَانِي بَعْدَ لَيْتٍ وَعَسَى	مَنْكَ يَا مُسْقَمَ جِسْمِي لَمْ وَلَنْ
أَحْلَالَ لَكَ تَجْفُو مُغْرَمًا	بَهُوَاهُ وَجَوَاهُ مُرْتَهَنُ
وَيُدَارِيكَ وَلَا تَسَامُ مَنْ	جَوْرَ صَدِّ وَإِثَارَاتِ الْفَتَنِ
سَيْفُ أَجْفَانِكَ مَا أَقْتَلُهُ	أُتْرَى أَسْتَلَّ شَبَاهُ دُوَيَزَنُ
/ ١٤ ب / عَقْدُ أَيْمَانِكَ كَمْ تَنْقُضُهُ	وَتَلَا شِيْهُ بَضْعُفٍ وَوَهْنُ
وَعَذُولٍ فِيكَ أَزْرَيْتَ بِهِ	فَانْتَشَى مُغْضَبَ قَلْبٍ مُمْتَهَنُ
قَالُوا: تَجْفُوهُ وَتَغْتَرِبُ بِهِ	وَهُوَ يُغْرِي بِكَ فِي الْحُبِّ الْمُحَنُ
قُلْتُ أَهْوَاهُ وَأَهْوَاهُ وَلَا	يَلْجُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُتَحَنُ

وَلَوْ أَنِّي مُودَعٌ طَيِّ كَفَنُ
لَمُعِينِ الدِّينِ ذِي الْمَجْدِ حَسَنُ
بِالْأَيَادِي فَرَضَ الْبَذْلُ وَسَنُ
فَرَوَى الرِّفْعَةَ فِيهِ عَن وَعَن
وَأَبَوَهُ وَأَخُوهُ مَن وَمَن
سُبُلِ الْخَيْرِ طَرِيقًا وَسَنُنُ
لَا تُسَاوِي دَارَ عَدْنٍ بَعْدَنُ
عِلْمُ وَالْحِلْمُ وَقَلْبُ الدِّينِ
الَّذِي يُنَبِّتُ غُبْرَاءَ الدَّمْنِ
حَسَنُ يَوْصَفُ إِلَّا بِحَسَنُ
يَنْطَلُوي فِيهِ عَلَى خُبَثِ دَرْنُ
لَا يُرَى فِيهِ عُيُوسٌ بَعْضُنُ
نُورُهُ خَرَّ سَجُودًا لِلدَّقْنِ^(١)
تُوجِبُ الدَّمَّ كَمَا دَمَ الزَّمَنُ
قَرَفِي مَهْدُ عُلَاهُ وَاسْتَكْنُ
حَاكِيًا مَلْبَسُهَا عَصَبُ الْيَمْنِ
بَاعْثَاتُ كُلِّ صَوْتٍ مَن فَنَنُ
هَاجَ لِلْقَلْبِ حَيْنًا وَشَجَنُ
وَبَهَاءُ وَذِكَاءُ وَفَطْنُ
وَالْقَ أَعْدَاءُكَ مِنْهُ بَجْنُنُ
طَرَفُهُ الشَّقُوقُ إِلَى نَحْوِ وَطْنُ

الْعَذَابُ الْعَذْبُ أَلْتَذُّبُهُ
وَأَمْتَدَا حَيٍّ وَوَلَائِي مُخْلَصًا
الْجَوَادُ الْبَاسِطُ الْكَفُّ الَّذِي
وَأَسْتَوَى فَوْقَ عُلَاهُ جَالِسًا
فَهُوَ مَن أَصْبَحَ يَعْلُو شَرْفًا
وَالَّذِي أَوْضَحَ لِلْسَالِكِ فِي
لَا يُسَاوِيهِ مُسَاوٍ مَثَلَمَا
الْحَيَاءُ الْمَخَضُ وَالْعَفَّةُ وَالْ
وَالسَّخَاءُ الْهَامِرُ الْهَامِي النَّدَى
طَابَ أَصْلًا وَزَكَافَرْعًا وَهَلْ
/ ١٥ / كَأَيْتُهُ طَاهِرُ الْجَيْبِ فَمَا
وَجْهَهُ أَنْوَرُ مَن شَمْسِ الضُّحَى
لَوْرَاهُ يُوْحِي يَبْدُو سَاطِعًا
أَوْ أَتَى فِي زَمَنٍ صُحْبَتُهُ
يَا مُعِينُ الدِّينِ يَا أَشْرَفَ مَن
مَا الرُّبَى ضَا حَكَّةُ أَزْهَارُهَا
مُطَرِّبَاتُ بِالْغَنَاءِ أَطْيَارُهَا
كَلَّمَا مَرَّ بِسَمْعِي سَامِعُ
مَثَلُ أَوْصَافِكَ بُلَا وَنَهَى
فَالْتَزَمَ سَعْدَكَ يُرْجَى ثَابِتًا
وَأَبَقَ مَا حَنَّ غَرِيبٌ وَثَنَى

وقال أيضًا في الفلك أبي القاسم عبد الرحمن بن هبة الله بن المسيري / ١٥ ب /

المصري حين خلع عليه ببغداد الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو جعفر المنصور بن محمد بن أحمد - رضي الله عنه - وجاء إلى دمشق ولازم التخرُّق بدروبها

(١) يوح : من أسماء الشمس .

والخلعة عليه والإعلام خلفه : [من المنسرح]

جَاءَ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ مُخْتَسِبِ الْ
وَقَالَ : هَذَا الَّذِي أَتَيْتَ بِهِ
تَمْشِي بِأَعْلَامِكَ الْمَشُومَةِ فِي السُّ
مَا عَاَزَكَ الْيَوْمَ غَيْرُ ذِبْدَبَةٍ
يَضْرِبُ مِنْ حَوْلِكَ الصَّغَارُ بِهَا
وَأَنْتَ تَذَرِي بَأَنَّنِي رَجُلٌ
وَلَا أَعْشُ السُّلْطَانَ فِي عَمَلٍ
فَالْجَحْشُ وَالْقَنْبَرِيسُ قَدْ حَضَرَا

بَلَدَةٍ فِي خُفْيَةٍ إِلَى الْفَلَكِ
يَلْزَمُنِي مِنْهُ غَايَةُ الدَّرَكِ
وَقَوْلِي وَلَا غَايَانِ فِي السَّكِّ
وَتَعْتَدِي ضَحْكَةً مِنَ الضَّحْكِ
وَضَحْكُهُمْ نَصْفُهُ عَلَى الْمَلِكِ
أَخَذُ أَمْرِي بِالْأَدِينِ وَالنُّسْكِ
وَذَاكَ مِنْ شَرِّ مَا رَوَيْ وَحُكِي
وَدَرَّتِي فِي يَدِي وَأَنْتَ ذَكِي

[٨٥٧]

أبو نصر بن اللَّعْبَةِ الْهُمَامِي.

والهُمَامِيَّةُ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى وَاسِطٍ^(١).

أنشدني الأمير شرف الدين أبو حفص عمر بن أسعد بن عمار الموصلي بها، قال :
أنشدني إبراهيم بن يوسف الحراني، قال : أنشدني أبو نصر بن اللَّعْبَةِ الْهُمَامِي لنفسه : [من
الطويل]

كَتَبْتُ وَمَالِي مِنْ خَلِيلٍ أَوْدُهُ
نُرْتَحِنِي رِيَاءُهُ إِنْ هَبَّتِ الصَّبَا
سَوَى صَاحِبٍ يَخْتَارُ مَضْرَمَقَامَهُ
وَيُذَكِّرُنِي لَمْعُ الْبُرُوقِ أَبْتِسَامَهُ

وأنشدني، قال : أنشدني إبراهيم، قال : أنشدني أبو نصر الْهُمَامِي لنفسه :

[من البسيط]

يَا مَنْ يُكَلِّفُنِي مَا لَيْسَ فِي سَعَتِي
تَخَافُ مِنْكَ الرَّدَى نَفْسِي فَوَاعَجَبَا
وَمُخْلِفي لَشَقَائِي فِيهِ مَا وَعَدَا
أَنْتَ الْمَخُوفُ قَفِيمًا تَحْمِلُ الْعُدَا
فَمَا لِحَدِيدِكَ دُونِي تَلْبَسُ الزَّرْدَا
لِحَاطِ عَيْنَيْكَ تُصْمِنِي بِأَسْهُمَهَا

١٦/ب/ (٢).

(١) انظر : معجم البلدان/ مادة (الهمامية).

(٢) هذه الصفحة بكاملها بياض في الأصل.

ذكر من اسمه نصر الله

[٨٥٨]

نصرُ الله بنُ أسعدَ بن نصر الله بن عامر بن أبي البركات بن المجلي، أبو الفتح البلدي^(١).

تفقه على مذهب الإمام الشافعي - رضي الله عنه - بالموصل، وتأدب ثم صار إلى صاحب كمال الدين أبي الكرم محمد بن علي بن مهاجر الموصل يكتب له الإنشاء، وصحبه إلى أن مات.

شاهدته بحلب مرة واحدة؛ وهو شاب أسمر، قد نزل بعارضيه الشيب. وسألته عن ولادته، فقال: ولدت ببلد في سنة خمس وتسعين وخمسمائة.

وأنشدني لنفسه من قصيدة يمدح بها الملك الناصر داود بن عيسى بن أبي بكر بن أيوب: [من الطويل]

إِلَيْكَ قَطَعْنَا الْيَدَا ابْنَ الْمُعْظَمِ	عَلَى كُلِّ حَرْفٍ كَالْحَنِيَّةِ مُرْزَمِ
وَحُضْنَا بِلَادًا طَالَ بِالْمَاءِ عَهْدُهَا	وَلَمَّا تَطَاهَا غَيْرُ عَادٍ وَجَرُّهُمْ
عَلَيْهَا فُتِيَ كَالْقَسِيِّ مِنَ السُّرَى	نَشَاوَى مِنَ الْإِدْلَاجِ مِثْلُ الْمُعَمِّمِ
إِلَى الْمَلِكِ دَاوُدَ بْنَ عِيْسَى الَّذِي غَدَتْ	مَحَبَّتُهُ قَرْضًا عَلَى كُلِّ مُسْلِمِ

١٧ب/ وهي قصيدة طويلة، ولم ينشدني منها غير ما أوردته؛ لأنه لم يكن في الوقت سعة لأعلق عنه شيئاً سواها.

وقال يرثي المعين أبا القاسم علي بن صاحب كمال الدين محمد بن علي بن مهاجر وقد استشهد على أيدي التتار الملاعين - خذلهم الله تعالى - بسنجار:

[من الطويل]

لَعَلَّ عَصِيَّ الدَّمْعِ يَوْمًا يُسَاعِدُ لِيَرْتَاحَ مَحْزُونٌ وَيُسَعِدَ وَاجِدُ

(١) في هامش الأصل: «وفاته سنة ست وخمسين وستمائة».

وَهَبْ أَنْ عَاصِيَهُ أَجَابَ مُسَاعِدًا
وَهَبْ أَنْ عَيْنِي عَاوَدَ الْغُمُضُ جَفَنَهَا
تَرَجَّ وَلَكِنَّ الْفَتَى لَيْسَ مُدْرِكًا
أَبَا قَاسِمٍ إِنِّي عَلَيْكَ مُوَلِّهُ
أَبَيْتُ عَلَى جَمْرٍ تَضَمَّنَهُ الْحَشَا
/ ١١٨ / وَلَمْ لَا وَقَدْ كُنْتُ الْمُعِينُ عَلَى الرَّدَى
سَمَوْتُ إِلَى الْعَلِيَاءِ حَتَّى بَلَغَتْهَا
وَلَمْ تَرْضَ فِي الدُّنْيَا مَقَامًا فَحَزَّتْهَا
وَلَمْ تَرْضَ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ خَوَادِمًا
وَيَوْمَ قَتَلَ التُّرْكُ حَامِيَتَ دُونَنَا
وَذُدَّتْ عَنِ الْإِسْلَامِ بِالْبَيْضِ وَالطُّبَا
وَأَمْسَيْتَ مُحَمَّدَ السَّجَايَا مَمْدَحًا
فَمَا أَنَا بِالنَّاسِيكَ فِي الْقُرْبِ وَالنَّوَى
فَكُفَّ مَلَامِي لَا تَمِي عَنْ مُفْجَعٍ
وَلَا تَطْلُبِ السَّلْوَانَ مِنْهُ وَخَلِّهِ

ومنها:

سَقَى جَدَثًا أَصْحَى بِسُنْجَارِ كَعْبَةٍ
وَرَوَاكَ مِنْ كَفِّ الْوَزِيرِ غَمَائِمُ
سَحَائِبُ تَحْدُوهَا إِلَيْهِ الرِّوَاعِدُ
إِذَا ضَنْتِ الْأَنْوَاءُ هُنَّ مَوَارِدُ
وهي أكثر من هذا.

[٨٥٩]

١٨٨ب/ نصرُ الله بن علي بن نصر الله بن عبد القاهر بن
المجلى، أبو الفتح بن أبي الحسن الموصلي، المعروف بابن
السَّمين^(١).

كان فقيهاً حنفياً حافظاً للقرآن الكريم. درس فقه الإمام أبي حنيفة - رضي الله

عنه - بالمدرسة البرسقية بالموصل ، جوار باب المشرعة على دجلة .

سألته عن ولادته ، فقال : ولدت في ثامن رمضان سنة سبع وثمانين وخمسائة ، وذكر أنه ممن يجتمع نسبه بنسب الأمير شرف الدولة أبي المكارم مسلم بن قريش العقيلي . وكان رجلاً شديد صفرة اللون مائلاً إلى السمرة .

اجتمعت به غير مرة وسألته إنشاد شيء من شعره فأنشدني كثيراً منه ، إلا أنه لم يكن في ذلك الوقت فسحة مجال لأعلقه عنه ؛ ثم توجهت إلى البلاد الشامية ، وخبرت أنه توفي - رحمه الله تعالى - .

ومما أنشدني لنفسه وظفرت به في بعض التعليقات قوله : [من الطويل]

١٩٩/ سَلَامٌ وَإِنْ لَمْ يَشْفِ حَرّاً أَوْ أَمِي	تَحْيَهُ مُشْتَقاً وَرَجْعُ سَلَامٍ
سَلَامٌ كَمَا مَرَّ النَّسِيمُ بِشَرْكُمُ	يَضُوعُ بِوَجْدِي نَاهِضٌ وَغَرَامِي
عَلَى عَيْشَةٍ وَلَّتْ بِكُمْ فَكَأَنَّهَا	بَعَيْنِي وَإِنْ طَالَتْ حَدِيثُ مَنْامٍ
أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْفِرَاقَ فَكَمْ رَمَى	صَحِيحَ فُؤَادٍ بَعْدَكُمْ بِسَقَامٍ
وَأَعْطَشَ لَيْلَ الْوَصْلِ بَعْدَ أَبِيضَا ضِهِ	وَأَيَّامُنَا مُحْفُوفَةً بِظَلَامٍ

[٨٦٠]

نصرُ الله بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن أبي
الفرج بن الحسن بن عليٍّ ، أبو البركات الأنصاري ، المعروف
بأبن الحنبلي .

من أهل دمشق وأشهر بيت بها . الشيخُ الفقيه الأديبُ .

فقيه محسوب مع الفقهاء ، وشاعر معدود من جملة الشعراء ، جيد المقاصد ، حسنُ
المصادر والموارد . سافر إلى بلاد اليمن واتصل بخدمة الملك العزيز أبي الفوارس
طغتكين بن أيوب بن شاذي - سلطان اليمن - واختصَّ به ، واكتسب منه مالاً طائلاً ورزقاً
واسعاً ؛ ثم عاد إلى دمشق ، وتوفي بها قبل سنة عشر وستمائة .

ومن شعره فيه يمدحه سنة / ١٩٩ ب / ثمان وثمانين وخمسائة : [من الوافر]
سَقَى بَرْدِي وَوَادِيَهَا سَحَابُ مُلِئْتُ الْقَطْرِ هَطَّالُ رَبَّابُ

بَغِيْثٌ لَا يَغِبُّ لَهُ أَنْسَكَابُ
جَوَاسِقُ كُلِّ مَا فِيهَا عُجَابُ
وَإِخْوَانٌ بِهِمْ طَابَتْ وَطَأَبُوا

وَرَوَى النَّيِّرَيْنِ فَبِتْ لَهَا
إِلَى الشَّرَفِ الْمُئِنِّفِ فَمَا حَوَتْهُ
مَعَاهِدُ لَدَّتِي وَمَقَرُّ أَنْسِي

ومنها:

يَطِيرُ لَهَا كَمَا طَارَتْ عُقَابُ
رَشَافِي مِثْلَهُ عَذْبُ الْعَذَابُ
وَمَنْ أَرْدَفَهُ عَنَّا أَنْجَذَابُ
فَرِيقَتُهُ لَنَا عَنْهَا مَنَابُ
يُطَارِحُهُ مِنَ الْوَجْدِ الْعِتَابُ

يَكَادُ الْقَلْبُ مِنْ فَرَطِ أَشْتِيَاقِ
فَكَمْ مِنْ لَيْلَةٍ نَادَمْتُ فِيهَا
لَهُ مَنْ خَصَرَهُ فِينَا أَنْعَطَافُ
أَرَى مَا أَعْوَزْتَنَا الرَّاحُ يَوْمًا
خَلَوْتُ بِهِ وَلَا أَرَبُ سِوَى مَا

ومنها:

كُرومٌ لَنَا بِهَا خُودٌ كَعَابُ
بَهَا وَبِرَاحَهَا وَهُوَ الْغُرَابُ
وَيُرْفَعُ بِالْحَوَاجِبِ لِي الْحَجَابُ
إِلَى أَنْ شَابَ وَأَنْتَقَلَ الْخَضَابُ
وَلَمْ نَلْمَمْ بِمَا تَحْوِي الثِّيابُ
عَزِيزَ الْمَلِكِ أَطْلَعَهُ الْإِيَابُ
إِذَا مَا ضَنَّ بِالْغَيْثِ السَّحَابُ
يَهْوُونَ بِهِ إِذَا فَعَلَ الصَّوَابُ
وَهَلْ لِلْبَدْرِ فِي الظُّلَمِ احْتِجَابُ
عَلَيْهِ لَا يَعْيَبُ وَلَا يُعَابُ
عَدَا تُرَبِّ السُّهَى وَهُمُ التُّرَابُ
وَتَعْنُو حِينَ يَرْتَفِعُ الْحَجَابُ
تَقَاصَرَ عَنْ إحَاطَتِهَا الْحَسَابُ
لِرَاجِيهِ وَعِرضٍ لَا يَهَابُ

وَكَعْبَةٌ لَذَّةٌ تَجْلُو عَجُوزَ الْ
بَلِيلِ عَادَ كَالْبَازِي لَوْنًا
/ ١٢٠ / تَغَازِلُنِي عُيُونُ الْعَيْنِ فِيهِ
قَصَرْتُ عَلَى الْغَنَامِ طَالَ مِنْهُ
غَنِينًا بِالْغَنَاءِ عَنِ الْغَوَانِي
وَأَسْفَرَ صُبْحَنَا يَحْكِي مُحْيَا الْ
هُوَ الْمَلِكُ الْجَوَادُ بِمَا حَوَاهُ
جَمِيلُ الذِّكْرِ دُورَ أَيْ سَدِيدِ
يَدُلُّ عَلَيْهِ فِي الْجُلَى سَنَاهُ
وَأَرْوَعُ لَا يَخَافُ هُجُومَ خُطْبِ
إِذَا مَا عَدَدُوا الْأَمْلَاقَ طُرًّا
تَخَرُّ الصَّيْدُ مِنْ رَهَبِ لَدِيهِ
مَآثِرُ لَوْ أَرَدَتْ لَهَا حَسَابًا
فَدَاؤُكَ كُلِّ ذِي عَرَضٍ مُهَيَّبِ

وهي قصيدة طويلة وهذا القدر منها كاف .

[٨٦١]

نصرُ الله بن محمد بن بابا، أبو الفتح بن أبي بكر الأسعدي.

من أهل ديار بكر.

كان شاعراً متوسعاً في القوافي، قوي النفس، طويل الباع في نظم القريض صاحب قدرة على إنشائه، سمى نفسه «مادح الرحمن» لأنه استفرغ جميع شعره في الله - عز وجل - والثناء عليه والتوحيد له سبحانه وتعالى. ولم يتعرض لمدح أحد من العالم البتة، وديوان أشعاره كبير الحجم.

أقام بالبلاد الشامية زماناً طويلاً، وكتب الناس كثيراً من شعره، ورووه عنه، وسمع الحيص بيص الشاعر^(١)، ونزل دمشق وكتب عنه من شعره العماد أبو حامد محمد بن محمد بن حامد الكاتب الأصفهاني، وأثبت ذكره في كتابه «ذيل الخريدة وسيل الجريدة» وأورد له أبياتاً في التوحيد والزهد والاعتبار، وغير ذلك.

أنشدني الشيخ الخطيب أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر بن إسماعيل القرطبي ثم الدمشقي بها - رحمه الله تعالى - من / ١٢٢ / لفظه - وذكر لي أن جميع ديوان شعره، سمعته عليه، قال: أنشدني أبو الفتح - مادح الرحمن - لنفسه، من قصيدة أولها في التوحيد لله - عز وجل -: [من الكامل]

وَعَلَا بِمَجْدٍ بَعْدَ كُلِّ مُمَجَّدٍ	عَزَّ تَوْحِيدَ قَبْلِ كُلِّ مُوَحَّدٍ
لَمَّا يَلِدُ أَحَدًا وَلَمَّا يُوَلِّدُ	وَدَوَامَ مَوْلَى لَا يَدُومُ بَقَاؤُهُ
وَعَطَاؤُهُ سَهْلٌ قَرِيبُ الْمَوْرَدِ	مَلِكٌ مَحَامِدُهُ بَعِيدُ نَيْلُهَا
أَيَحِيطُ مَا يَنْفَى بِمَا لَمْ يَنْفَدِ	تَقْنَى الصِّفَاتِ وَلَا تُحِيطُ بِوَصْفِهِ
وَيَعُودُ عَنْهُ بِحَيْرَةٍ وَتَلَدُّ	وَيَكُلُّ فَهْمُ الْعَقْلِ عَنْ إِدْرَاكِهِ
فَاضْرَعْ إِلَيْهِ بِذَلَّةٍ وَتَعَبُدْ	رَبَّ كَرِيمٍ مَا يُخَيِّبُ سَائِلًا
وَارْغَبْ إِلَيْهِ وَزِدْهُ حَمْدًا تَزِدُّ	وَاطْلُبْ عَظِيمًا مِنْ عَظِيمِ جَلَالِهِ

(١) وهو سعد بن محمد بن سعد بن الصفي التميمي، شاعر مشهور، من أهل بغداد كان يلقب بأبي الفوارس، توفي سنة ٥٧٤هـ.

وَانْظُرْ إِلَى أَكْوَانِهِ مِنْ فَوْقَنَا
وَنَرَانَهَا بِكَوَاكِبٍ كَمَوَاكِبِ
إِنَّ الصَّنَائِعَ بَدْوُهَا مِنْ صَانِعٍ
وَبَوَسَعَهَا يُؤْمِي إِلَى فَهْمِ الْوَرَى
/ ٢٢ ب / وَبَقَهْرَ صَانِعِهَا تَذَلُّ وَلُطْفِهِ
وَطُلُوعِهَا سَتًا مُقَابِلَ سِتَّةٍ
وَبَشْمِهَا وَهَلَالِهَا فِي عَرْضِهَا
وَبَرِّيْسِيهَا الْمُشْتَرِي وَعُطَارِدِ
وَبَحْمَرَةِ الْمَرِيخِ فِي أَكْنَافِهَا
وَبَشْعَرِيَّيْهَا جَنْبَتِي جُوزَائِهَا
وَبِمَا تَجْمَعُ فِي الثُّرَيَّا عِبْرَةٌ
وَبِأَنْجُمِهَا فِي فَيْحِهَا كَمَارِقِ
وَبِفَجْرِهَا الْمُؤَفِّي عَلَى أَكْنَافِهَا
حَكْمٌ تَذَلُّ عَلَى حَكِيمٍ قَادِرٍ
تُزْرِي بِبَطْلِيمُوسَ فِي أَحْكَامِهِ
إِنْ قَالَ عَقْلٌ أَوَّلٌ وَجَدَتْ بِهِ
كُلُّ بَدَا مِنْ غَيْرِهِ بَضْرُورَةٌ
إِذْ كُلُّ عَقْلٍ فَاعِلٌ عَنْ قُوَّةٍ
/ ٢١ أ / لَوْ صَحَّ ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ أَفْلَاكُهَا
أَوْ قَالَ مِنْ غَرْبِ تَسِيرِ نُجُومِهَا
أَوْ مَا تَرَاهَا طُلُعًا مِنْ شَرْقِهَا
أَوْ قَالَ مُجْتَمَعِ الْكَوَاكِبِ مُحَدَّثِ
فَقَدْ اجْتَمَعْنَ وَمَا أَثَرْنَ تَغْيِيرًا

وَقِيَامِهِنَّ وَمَادُومَنَ بِأَعْمَدِ
يَهْدِي بِهَا الرَّحْمَانُ لُبَّ الْمُهْتَدِي
إِذْ كُلُّ تَشْيِيدٍ فَعَالٌ مُشِيدٌ
أَنَّ التَّوَسُّعَ مِنْ وَفَى الْمَوْعِدِ
بِيَدَيْهِ إِتْقَانٌ بِهَا وَتَأْيِيدُ
وَسَعَا فُهَا عَنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدِ
مَا يَنْ مُنْحَدِرَ بِهَا أَوْ مُصْعَدِ
وَكَيْسِرِهَا زَحَلٍ عَقِيدِ الْأَسْعَدِ
وَبِيَاضِ زَهْرَتِهَا الْبَهِيِّ الْمُوقَدِ
وَبِجَدِهَا وَسُهَيْلِهَا وَالْفَرْقِيدِ
مَنْ شَبَّهَ عَنْقُودَ وَحَقَّةَ عَسْجَدِ^(١)
تُرْدِي بِشَهَبِ النَّارِ كُلَّ مُمَرِّدِ
كَالْوَجْهِ يَطْلُعُ مِنْ بَجَادِ أَسْوَدِ
وَقَنَادِلُ تَطْفِي بِيَوْمِ الْمَوْعِدِ
وَمَقَالَهُ بِالظَّنِّ لَا عَنْ مُسْنَدِ
نَفْسٍ وَأَفْلَاكُ بِغَيْرِ تَقْصُدِ
فَالْعَقْلُ يَدْفَعُ ذَلِكَ الظَّنَّ الرَّدِي
عَقْلًا وَنَفْسًا بِالدَّوَامِ السَّرْمَدِ
مَعْلُومَةٌ كَلَّا وَلَمْ تَتَعَدَّدِ
فَالْحُسْنُ يَقْطَعُ حَدْسَ ذَلِكَ الْمُلْحَدِ
وَتَغْيِبُ فِي حِمَا وَتَأْطِ حَرَمَدِ^(٢)
رِيحًا تُعَفِّي أَثَرُ كُلِّ مُوْطَدِ
كَأَنَّهَا حَرَكُنَ طَائِقَةٍ غَرَقَدِ

(١) الحققة: الوعاء.

(٢) التأط: الوحل الفاسد. الحرمد: المتغير اللون والرائحة.

هِيَ هَات بَلْ بِإِرَادَةِ مَنْ قَادِرٍ مَا فِي الْوُجُودِ وَفَعَلَ مَلِكٌ مُوْجِدٍ
فِيمَا أَتَانَا عَنْ نَبِيِّ صَادِقٍ وَكِتَابٍ وَحْيٍ بِالْبَيَانِ مُؤَيَّدٍ
وهي قصيدة طويلة ، وفيما ذكرنا منها فيه كفاية وغنى .

وقال في مناجاته ودعائه لله - جل جلاله وتقدست أسماؤه : [من مجزوء الكامل]

مَوْلَايَ رَبِّي خَالِقِي مَلَكِي مُجِيرِي يَا مُعِينِي
يَا مَنْ لَطَائِفُ بَرِّهِ تَشْفِي الْفُؤَادَ مِنَ الشُّجُونِ
/ ٢١ب / لَوْلَاكَ تَعَطَّفُ بِي قُلُوبُ بُ الْخَلْقِ بِي لَمْ يَقْبَلُونِي
فَارْحَمْ وَجْدَ لِي بِالرِّضَا وَالنَّصْرَ فِي دُنْيَا وَدِينِ
فَلَأَنْتَ أَهْلٌ لِلْعَطَاءِ وَلَسْتَ بِالْمَلِكِ الضَّيْنِ
إِنِّي أَرَى حُسْنَكَ لِي يَارَبِّ فِي كُلِّ الْفُتُونِ
وَأَرَى يَقِينِي فِي عِلَاكَ جَمِيعَ مَا أَخْشَى يَقِينِي

وقال أيضاً ، وقد أشار عليه إنسان بمدح بعض الملوك والوزراء ، ورغبه فيما لديهم

فأنشد : [من الكامل]

يَا مَالَكِي أَعْجَزَتْ شُكْرِي بِالَّذِي أَوْلَيْتَنِي فِي عَوْدِ أُمْرِي وَالْبَدِي
وَتَفَيْدَنِي إِنْ شِئْتَ رِزْقًا وَاسِعًا تُغْنِي يَدِي عَنْ أَنْ تُمَدَّ إِلَى يَدِ
أَنْتَ الَّذِي وَقَفْتَنِي وَمَنْحَتَنِي وَجَعَلْتَنِي بِشَاءِ مَجْدِكَ أَرْتَدِي
وَفَتَحْتَ لِي مَنْ وَصَفَ عَزْمَكَ مَشْرَبًا فِي وَرْدِهِ فَكْرِي يَرْوَحُ وَيَغْتَدِي
إِنْ حَارَ فَهَمِّي فَهُوَ مَعْدُورٌ وَمَنْ يَحْوِي الْقَدِيمَ بِهِالِكَ مُتَجَدِّدِ
/ ٢٣أ / صَمَدٌ إِذَا طَرَتِ الْهُمُومُ بِخَاطِرِي دَاوَيْتُهَا بِمَدِيحِهِ الْمَتَمَجِّدِ
وَلَعَلَّ رَحْمَتَهُ وَمَا أَيْسَرَهَا تُرْدِي الرِّوَاءِعَ عَنْ فُؤَادِي الْمُكْمَدِ
وَيَصُونُ مَاءَ الْوَجْهِ عَنْ إِهْرَاقِهِ وَيُعِيدُ لِي فَيْنَانَ عَيْشِ أَرْغَدِ
فَيَدَاهُ أَوْسَعُ مَنَحَةٍ مِنْ غَيْرِهَا وَجَدَاهُ أَنْفَعُ نَجْعَةٍ لِلْمُجْتَدِي
قَالَ : ائْتَدِخْ غَيْرَ إِلَهِهِ مُنَاصِحُ فَرَشَدْتُ حِينَ عَصَيْتُ قَوْلَ الْمُرْشَدِ
أَرُومُ غَيْرَكَ يَا إِلَهِي مَا دَحَا لِلْخَلْقِ قُضْ فَمَيَّ إِذَا بِالْجَلْمَدِ
فَلَكُمْ لَطْفَتِ بَضْعَفِ عَبْدِكَ مُنَّةٌ أَجْهَدُ نَهَا شُكْرِي وَلَمَّا تَجْهَدِ

ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الرَّسُولِ إِلَى الْوَرَى طَرّاً وَخَيْرِ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدٍ
«صلى الله عليه وسلم».

وقال وقد خذله بعض أصدقائه، ففرّ إلى الله تعالى: [من الخفيف]

يَا إِلَهِي عَيْدُكَ الْبَائِسُ الْأَضَعُ
غَيْرَ أَنِّي تَخَذْتُ وَجْهَكَ يَا مَوْ
[وَمُقَرَّبَذْنِبُهُ لَيْسَ بِالْجَا
/ ٢٣ب / لَمْ أَجِدْ لِي مِنَ الْأَنَامِ مُجِيراً
فَأَنَا الْيَوْمَ جَارٌ مِّنْ لَّيْسَ فِي الْأَرْضِ
يَا إِلَهِي وَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ سَا
إِنْ أَكُنْ مُذْنِبًا هَجُومًا فَمَا زِلْ
أَوْ أَكُنْ قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَقَدْ مَأْ
فَاعْفُ عَنِّي فَأَنْتَ أَرْحَمُ لِي مَدِّ
كَيْفَ مَا تُصَرِّفُ الْحَوَادِثُ عَنِّي
مَالِكُ الْمَالِكِينَ مَوْلَى إِذَا مَا
وَصَلَاةُ الْإِلَهِ تَتَرَى عَلَى أَحَدٍ

وقال أيضاً على وزن قصيدة عدي بن زيد التي أولها^(٢):

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعِيرُ بِالْدهْرِ
..... ر

فعارضها بقوله: [من الخفيف]

/ ٢٤أ / دَعْ خُدَاعاً يُغْرِيكَ فِيهِ الْغُرُورُ
فَمَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَخَيْرُ الْ
أَيُّ عَيْشٍ يَلْذُ لِلْمَرْءِ وَالْآ
وَقِيَامٌ مِّنْ بَعْدِهِ وَحِسَابٌ
وَتَفَكَّرْ فِيمَا إِلَيْهِ تَصِيرُ
فَقُوزُ خَيْرُهُ هُوَ الْمَحَلُّ النَّصِيرُ
خَرُّ قَبْرٍ وَمُنْكَرٌ وَنَكِيرُ
وَصِرَاطٌ وَجَنَّةٌ وَسَعِيرُ

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) البيت في ديوانه ١٩٩ وفيه:

إِنَّ قَوْمًا قَدْ هَدُّوا بِجَحِيمٍ
لَجْدِيرٌ أَنْ يَهْجُرُوا الْعُمَضَ وَاللَّدَّ
أَجْمِيلٌ لِعَاقِلٍ أَنْ يُبْلَقِيَ اللَّذَّ
أَفْنَسَى مَا قَدْ جَنَاهُ وَقَدْ أَحْ
أَفِرْضَى بِأَنْ يَعِيشَ يَعِيشَ الْأَ
أَوْ مَا شَاهَدَ الَّذِي أَمْسَكَ الْمَا
بَيْنَمَا هُمْ يُقْبَلُونَ تُعْزُونَ الـ
مَالِ عَنْ مَالِكَ جَذِمَةُ كَرَهَا
وَكَذَا الْفَرْقَدَانِ سَوْفَ يُرَوَّعْنَ
هَكَذَا الدَّهْرُ لَا يُدِيمُ نَعِيمًا
٢٤ب/ أَيْنَ كَسْرَى وَتَبَعَ وَبَنُو الْأَصْفَرِ
أَيْنَ عَمَلًاقٍ وَالْأَلَى مِنْ بَنِي عَا
أَيْنَ فَرَعُونَ أَيْنَ هَامَانَ ذُو الصَّرِ
كَمْ رَحَى لِلْمُنُونِ دَارَتْ عَلَى دَا
ثُمَّ ثَنَّتْ بِأَلِ جَفْنَةٍ فَالْجَفْ
وَكَذَا مَارَبٌ خَلَاءَ مِنَ الْأَزْ
ثُمَّ عَادَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَثُمُودُ
وَمُلُوكُ مَنْ بَعْدَهُمْ عَمَرُوا الْأَرْضَ
طَحْطَحَ الْمَوْتُ عَزَّهُمْ فَتَوُوا فِي
لَمْ تُدَافِعْ جُنُودُهُمْ نَكْبَةً الـ
سَرَحَ الدُّودُ فِي الْعَرَانِينَ مِنْهُمْ
هَذِهِ [شَيْمَةٌ] الزَّمَانِ فَمَا يَبْ
لَيْسَ يَبْقَى سِوَى إِلَهِ عَظِيمٍ
مَلِكٌ ثَابِتٌ الْوَاحِي إِذَا مَا
١٢٥/ كَانَ قَبْلَ الْأَكْوَانِ مَوْلَى رَحِيمًا
لَا شَرِيكَ لَهُ تَعَالَى وَلَا ضِدُّ

وَيَوْمَ أَهْوَأَ لَهُ تَسْتَطِيرُ
ةً وَالْأَمْنُ فَالْحَيَاةُ غُرُورُ
هُ يَوْمَ الْجَزَاءِ وَهُوَ فَقِيرُ
صِي عَلَيْهِ النَّقِيرُ وَالْقَطْمِيرُ
ثَنَ مَغْزَاهُ مِنْكَحٍ وَشَعِيرُ
ءَ وَأَوْقَاتُهُ مَضَتْ تَبْذِيرُ
يَبِضْ أَفْضَتْ إِلَى التُّرَابِ الثُّغُورُ
لَاخْتِيَارُ وَهُوَ الشَّجِيرُ السَّمِيرُ
بَيِّنَ إِذِ السَّمَاءُ تُمُورُ
إِنَّمَا الْعَاقِلُ الْعَمُولُ الصَّبُورُ
أَيْنَ الثُّعْمَانُ أَيْنَ السَّيْدِيرُ
دَوَائِنَ الزَّبَاءِ أَيْنَ قَصِيرُ
حَ وَأَيْنَ الْأَنْهَارُ أَيْنَ السُّتُورُ
رَأَوْكُمْ قِصْرَ رَمْتَهُ الْقُصُورُ
نَهْ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلَاءُ بُورُ
دَخْرَابُ يَنْفِي عَلَيْهِ الْمُورُ
لَا أَفْشَعَرَتْ بَعْدَ الْهَالِكِ الدُّورُ
فَأَيْنَ الْعِمَارُ وَالْمَعْمُورُ
قَعْرَ غُبْرَاءَ وَالْجُدُودُ عُثُورُ
دَهْرٌ وَلَا جَزْوَها الْعَشِيرُ الْعَشِيرُ
مُذْ حَوْتُهُمْ صَفَائِحُ وَقُبُورُ
قَفَى عَلَيْهِ مُؤَمَّرٌ وَوَزِيرُ
مَا تَحْطَى إِلَى حَمَاهُ الدُّهُورُ
زَلَّ بِالْمَالِكِ الْعَظِيمِ السَّرِيرُ
وَهُوَ بَعْدَ الْأَبَادِ حَيٌّ قَدِيرُ
نَدِيدٌ وَلَا شَيْئُهُ نَظِيرُ

مُحْسَنٌ بِالْمُسِيءِ إِنْ تَابَ قَهَّاءُ
أَحَدٌ يَسْتَلِدُّ ذَكَرَاهُ دُؤَالُ
مَلِكٌ كُلَّمَا تَعَمَّدَتْ مَذْحِيهِ
لَا تُدَانِي الْأَوْهَامُ تَكْيِيفَ عَلِيًّا
أَخَذَ بِالْيَدَيْنِ مِنْ عَشْرَةِ الدَّهْرِ
صَمَدٌ أَرْتَجِيهِ يَقْرَجُ كَرَبِي
مَاجِدٌ تَذْهَشُ الْخَوَاطِرُ فِيهِ
يَعْلَمُ الْوَهْمُ إِنْ تَحَرَّكَ فِي الْفَهْرِ
يَتَّقِيهِ الْوُجُودُ جَمْعًا وَمَنْ فِيهِ
لَا كَمَنْ تَسْلُبُ الْحَوَادِثُ عَلَيْهِ
وَاحِدٌ مَاجِدٌ جَوَادٌ كَرِيمٌ
أَوَّلَ آخِرٍ مُعِينٌ مُبِينٌ
٢٥ب/ قَابِضٌ بَاسِطٌ رَوْوْفٌ عَطُوفٌ
يَعْجِزُ الْعَقْلُ عَنْ دِرَاكِ تَعَالِيهِ
عَلِمَهُ مُنْذَرٌ لِمَا ذَرَفَ فِي الْبِ
عَزَّ ذُو الطُّوْلِ عَنْ حَيَازِ مَقَالِ
وَأَنْشَتِ حَيْرَةٌ وَتَاهَتْ فَمَا تُحِ
مَنْ هُوَ الدَّهْنُ عِنْدَ نَعْتِ عَظِيمِ
فَالزَّمَنْ مَذْحَهُ وَإِنْ مَسَّكَ الدُّ
قُلْ وَلَا بَأْسَ إِنْ تَأَخَّرَ وَعُدْ
فَلَهُ نَفْحَةٌ يُفَكُّ لَهَا الْعَا
فَكَأَنِّي بِجَائِزَاتِكَ قَدْ جُنْتُ
وَأَتُّدُ وَبِكَ وَالْثَمِ الْأَرْضُ دُلًّا
ذَلِكَ اللَّهُ ذُو الْمَعَارِجِ وَالطُّوِ
وَصَلَاةُ الْإِلَهِ تَتَرَى عَلَى أَحَدٍ

«صلى الله عليه وسلم».

رُ لَذِي الْكِبَرِيَاءِ فَهُوَ الْكَبِيرُ
سَبٌّ وَتَبْيِضٌ مِنْ ثَنَاهُ السُّطُورُ
أَحْسَابًا يَحَارُ فِيهِ الضَّمِيرُ
هُ فَكَيْفَ التَّمَثِيلُ وَالتَّصْوِيرُ
رِيْدَاهُ الْمَبْسُوطَتَانِ تَمِيرُ
فَقُوَادِي مَمَّا يُبْلَاقِي كَسِيرُ
وَتَظَلُّ الْأَفْكَارُ حَيْرَى تَدُورُ
مِمَّا تَنْطَوِي عَلَيْهِ الصُّدُورُ
وَيَعْيَى عَنْ وَصْفِهِ التَّفَكِيرُ
فَيَقْيَى وَهُوَ الْمُهَانَ الْحَقِيرُ
مُحْسَنٌ مُنْعَمٌ سَمِيعٌ بَصِيرُ
قَادِرٌ قَاهِرٌ مُجِيبٌ مُجِيرُ
عَالَمٌ حَاكِمٌ عَقُودٌ عَقُورُ
هُ كَمَا ضَاعَ فِي عُلاهِ الْخَيْرُ
رُ وَمَا غَمَضَتْ عَلَيْهِ الْبُحُورُ
فَلَجَوْلِ الْأَفْكَارِ فِيهِ قُصُورُ
صَيِّ ثَنَاءً وَبَيَانًا فِيهَا الْمُثُورُ
خَوْفٌ بِأَسَائِهِ الْعِبَالِ تَسِيرُ
لُ فَمَا دَامَ شَدَّةً وَحُبُورُ
فَمَتَاعُ الدُّنْيَا حَقِيرٌ يَسِيرُ
نِي حُنُوءًا وَيُطْلِقُ الْمَاسُورُ
نَنْ مِنَ اللَّهِ وَالسُّرُورُ بَشِيرُ
أَقْتَدِرِي بِمَنْ بِمَذْحِ تَشِيرُ
لِ الَّذِي لَمْ تُضْعَ لَدَيْهِ الْأَجُورُ
مَدَامَا بَشَرَ الصَّبَاحُ الْمُنِيرُ

وقال أيضاً: [من الطويل]

١٢٦/ إِذَا أَنَا لَمْ أُخْلِصْ لِرَبِّي فَصَائِدِي
أَرَى الْعَيَّ تَعْظِمُنِي سَوَاهُ وَلَا أَرَى
فَصَيَّرْتُ تَعْظِمُنِي وَذُلِّي بِوَجْهِهِ
أَرْجِيهِ فِي الدُّنْيَا مُعِينِي وَنَاصِرِي
جَعَلْتُ غَرَامِي فِي مَدْيَحِ جَلَالِهِ . . .
وَوَظَلَّ فَمَيَّ لَمَّا تَلَكَّوْتُ ثَنَاءَهُ
وَحَارَبَهُ فَهَمِي فَأُرْعِدَ خَاطِرِي
وَأَدْعَنَ عَجْزًا عَنْ دِرَاكِ نُعْوَتِهِ
وَكَيْفَ يَجُوزُ الْوَصْفُ مَجْدَ مُعْظَمِ
وَكَانَ وَلَا كَوْنٌ تَبَارَكَ مَجْدُهُ
وَلَمَّا انْتَهَى مِنْ وَصْفِ مَدْحِهِ خَاطِرِي
رَأَى أَنَّهُ لَمَّا أَرْتَضَاهُ لَمَدَحِهِ
تَغَفَّرَ شُكْرًا إِذْ حَمَاهُ إِلَهُهُ
عَلَامٌ أَمَا يَكْفِي مَوَارِدُ جُودِهِ
إِبْلَى وَصَلَاةُ اللَّهِ مَا ذَرَّ شَارِقُ
«صلى الله عليه وسلم»^(٢).

فَمَنْ يَخْلُصُ قَلْبِي لَهُ أَبَدًا قَصْدًا
لَعَيْرُ ثَنَائِي فِيهِ نُجْحًا وَلَا رُشْدًا
وَحَمْدِي وَمَدْحِي عِنْدَ مَوْلَايَ لِي عَهْدًا
وَفِي الْحَشْرِ أَرْجُو أَنْ يُؤْتِنِي الْخُلْدًا
فَلَمْ أَنْعَتْ لُبْنَى وَلَا سَعْدَى^(١)
يَضُوعٌ وَلَا دَانِيَتْ مُسْكَاءٌ وَلَا نَدَا
فَكَلَّ وَلَا يُحْصِي لَأَوْصَافِهِ عَدَا
وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُ أَنْ يَبْلُغَ الْجَهْدَا
وَلَا حَدٌّ مَنْ الْأَوْهُ جَازَتْ الْحَدَا
قَدِيمًا كَرِيمًا مَاجِدًا صَمَدًا فَرْدًا
وَطَرَبَ فِي أَوْصَافِهِ وَضَعَ الْخَدَا
حَوَى الطَّائِرَ الْمَيْمُونُ وَالطَّائِرَ السَّعْدَا
فَلَمْ يَلْبَسِ الْمَخْلُوقُ مَدْحًا وَلَا مَجْدًا
لَمَنْ يَتَغَيَّ الْإِرْفَادُ يَجْعَلُهَا وَرْدًا
عَلَى أَحْمَدِ الْمُخْتَارِ اتَّعَبَهَا وَخَدَا

[٨٦٢]

٢٦/ب/ نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد
الشيباني، أبو الفتح بن أبي الكرم الوزير الكاتب الممشي،
المعروف بابن الأثير^(٣).

(١) موضع النقاط بياض في الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٣) ترجم المؤلف لأخيه (المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم) في الجزء السادس برقم ٦٠٨، ولابن أخته (يوسف بن سعد بن الحسين) في الجزء العاشر برقم ٩٦٩.

ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/٣٤ - ٣٩. وفيه وفاته: «سنة سبع وثلاثين وستمائة». وفيات =

هو وأخواه أبو السعادات المبارك، وأبو الحسن علي^(١) أبناء محمد الأثير، كُلُّ منهم كان فاضلاً إماماً في العلم كثير الجاه والحرمة. وكان أصلهم من باعِثَنا من أعمال الجزيرة العُمريّة^(٢).

وأبو الفتح استظهر القرآن العزيز، وشدا طرفاً من الأدب وعلم العربية وسمع الحديث النبوي على أخيه أبي السعادات. وأخذ معرفة الحساب على الإمام أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان الأنصاري الجزري، وجالس الشيخ أبا الحرم مكّي بن ريان النحوي المقرئ الماكسي بالموصل، وقرأ عليه شيئاً. وحفظ من أشعار الجاهلية والعربية وأشعار المحدثين والأحاديث النبوية والأمثال والسّير صدرأ وافرأ. وعانى فن الترسل وصرف همته إليه طول عمره فبرز فيه تبرز المُفلقين حتى أعجز المتقدمين وسلك فيه طريقة لم يسلكها أحد قبله. وكان ربّ البلاغة وناظم شذورها، العارف بنوعي منظومها ومثورها.

قد ألقى إليه البيان فاضل زمامه، وبلغ في الكتابة أقصى مرامه، وملك أعتتها

= الأعيان ٣٨٩/٥ - ٣٩٧ رقم ٧٦٣. رسائل ابن الأثير ٩١ - ٩٣، ٩٦ - ٧. ذيل الروضتين ١٦٩. الحوادث الجامعة ١٣٦. العبر للذهبي ١٥٦/٥. بغية الوعاة ٣١٥/٢. طبقات الأسنوي/ الورقة ٢٤ - ٢٥. نثر الجمان ٢/ الورقة ١١٧ - ١١٨. شذرات الذهب ١٨٧/٥ - ١٨٨. البدر السافر: الورقة ٢٠٥. مرآة الزمان ٩٧/٤ - ١٠٠. روضات الجنات ٦٥٨. التكملة للمنزري ٥٣٥/٣ رقم ٢٩٣٧. تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني ٤ - ٦. تاريخ الخميس ٤١٥/٢. روضات الجنات ٤٥٨. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٥٣ - ٣٥٥ قم ٥١٠. ذيل مرآة الزمان ٦٤/١. دول الإسلام ١٤٣٢. المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٢٣٨ - ٢٣٩ رقم ١٨٤. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٤٤١. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٦٤. النجوم الزاهرة ٣١٨/٦. العسجد المسبوك ٤٩٦/٢. ديوان الإسلام ١٦٥/١ - ١٦٦ رقم ٢٤٥. مفتاح السعادة ٢٢١/١ - ٢٢٢. الأعلام ٣١/٨. سير أعلام النبلاء ٧٢/٢٣ - ٧٣ رقم ٥٢.

وللدكتور زغلول سلام دراسة عنه، مط نهضة مصر - القاهرة، وفيه إشارة إلى مصادر أخرى. وللدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد ترجمة مفصلة في مقدمة تحقيق كتابه «الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمثور» ص ٣ - ٤٠. ومقدمة كتاب «كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاظم» تحقيق د. نوري حمودي القيسي وجماعة. ومقدمة كتاب «رسائل ابن الأثير» تحقيق د. نوري القيسي وجماعته.

(١) علي بن محمد عز الدين، انظر: الوافي ١٣٦/٢٢.

(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (باعِثَنا).

وحازها، وعرف حقيقتها ومجازها. به خُتم ديوان الإنشاء وإليه انتهت صناعة الترسل؛ فهو شيخ الكتاب ورئيسهم، وإمام البلغاء ونفيسهم، وبقية الزمان في وقته، ونقاد الشعر ومعرفة جيده من رديئه، وصحيحه من سقيمه.

اشتهرت بين الناس فضائله وسارت في الآفاق رسائله، وصنّف مصنفات جميلة مفيدة جيدة في علمي المعاني والبيان، وأنشأ رسائل أودعها أبكار معان مخترعة أفرد لهن منها كتاباً؛ وسيأتي ذكر مصنفاته في موضعها من الكتاب - إن شاء الله تعالى -.

وفارق الجزيرة مسقط رأسه في رجب سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وقدم / ٢٨ب / الموصل. وأقام بها في خدمة الأمير مجاهد الدين أبي منصور قايماز بن عبد الله الزيني - رضي الله عنه - وربما كان يكتب له الإنشاء.

ثم سافر إلى الشام في ربيع الأول سنة سبع وثمانين وخمسمائة، فوصله القاضي الفاضل أبو علي عبد الرحيم بن علي البيساني بخدمة السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب - رحمه الله تعالى - في جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين - وأقام عنده إلى شوال من السنة.

ثم طلبه ولده الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن علي فخيرّه الملك الناصر بين المقام في خدمته وبين المضي إلى ولده، وقال له: إذا اتصلت بولدي فالذي قرره لك باق عليك. فاتصل بالملك الأفضل في شوال من السنة المذكورة، فتولّى وزارته وكتابته، وعلّق به جميع أموره؛ فلما توفي الملك الناصر استقلّ بوزارة ممالكه جميعها، فجمع بين تدبيري السيف والقلم.

وكانت إليه الوزارة وكتابة الإنشاء / ٢٧أ / فلم يزل معه على تصرفات أموره، إلى أن انتزع الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب دمشق من الأفضل، فأخرج الملك العادل أبا الفتح منهما في صندوق مقفل عليه خوفاً من العامة لئلا يهلكوه [لما] في نفوسهم من ظلمه وحماقته وما عاملهم به من قبيح الفعال؛ لأنه كان - لما تولّى عليهم - غير محمود الطريقة، ولا مرضي السيرة.

وأقام بسميساط فاستأذن الملك الأفضل في الانصراف إلى وطنه فأذن له فانفصل عنه في ذي القعدة سنة سبع وستمائة.

ثم سافر إلى حلب فلم يلتفت إليه صاحبها، فامتد إلى سنجار فمكث بها مدة، ثم جاء إلى الموصل وإلى إربل وأقام بها قليلاً، وعاد عنها إلى سنجار فاستقرّ قراره بها برهة من الزمان.

ثم استدعاه بدر الدين أبو الفضائل لؤلؤ بن عبد الله - صاحب الموصل - سنة ثمانى عشرة وستمائة ليكتب له الإنشاء في ديوانه، فقدمها ونزل بالرباط المنسوب إليهم الذي أحدثه / ٢٧ب / أخوه أبو السعادات، ورتب له جاريًا ورزقًا. وصار رأس الكتاب ومنشئ الدولة. وأنفذه عدة مرات رسولا إلى الديوان العزيز؛ فكان يكرم ويبجل وينظر بعين الاحترام.

وكان مدة مقامه بالموصل مشتغلاً بالتصنيف، وجماعة من الناس يختلفون إليه ويقتبسون من فوائده، إلا أنه كان كثير الحماقة متناقض الأحوال، متهوراً في أموره، سفيه اللسان جهاً لمن يخاطبه ولو كان ملكاً أو سلطاناً، ممقوتاً إلى الناس، شرس الأخلاق، سريع الغضب، متكبراً في نفسه، ذا عجب عظيم، وصلف زائد يتجاوز فيهما الحد، قليل المبالاة بالخلق لا يرى في العالم إلا نفسه، فيبخس الناس حقوقهم، ويحطهم من أقدارهم، ويرمقهم بعين الإهمال. ومما يستدل على رقاوته وتهوره أن القاضي الفاضل هو الذي رفعه وقدمه في الدولة الناصرية الصلاحية.

وكان بليغ عصره فضلاً وفهماً وترسلاً، وأوحد زمانه جاهاً وعلماً ودينًا، وبه يضرب المثل / ٢٩أ / في الكتابة وصناعة الإنشاء، يحطه عن منزلته وينقصه من مرتبته فكان إذا أجرى ذكره في بعض مصنفاته، يقول: حدثني عبد الرحيم بن علي البيساني، وقال عبد الرحيم لم يزد على ذلك شيئاً. فانظر إلى هذا الجهل والحمق من هذا الرجل فما كان يستحق منه أن يوفيه حقّه من العلم والحرمة أن يكنّيه فضلاً عن أن يذكره بلقبه، وأيضاً من حيث أنه كان السبب في تقديمه وإيصاله.

وكان على ما أعطي من الإقتدار في الترسل والبراعة لم يكن صاحب بديهة وارتجال في الإنشاء والكتابة. وكان بطيء القريحة، جامد الخاطر، بل إنه كان جيد الروية، صحيح الفكرة.

وإذا رام إنشاء كتاب يتهياً له، ويشرع في عمله، ثم يغلق حينئذ عليه باب داره،

ولم يمكن أحداً من الوصول إليه، ويتخلّى بنفسه، ويديم الفكر ويكتب ثم يخرق ما يكتبه ويعاود النظر فيه زماناً طويلاً، فإذا تمّ له الغرض من المعنى المطلوب اعتبره / ٢٩ب / أيضاً، وأنفذه فيكون ارتفاع الكتاب في مدة يوم وليلة أو أكثر، فيأتي كأحسن شيء يوضع ويضع.

شاهدته مراراً لا أحصيها كثرة، وحضرت مجلسه أيام كان أخوه أبو الحسن حياً. وكان شيخاً طويلاً، بهي المنظر، حسن الهيئة واللباس، نقي الشيبة، نظيف الثياب، عليه أبهة ذوي الرئاسة والجلالة.

وكنت أعين من زعارة أخلاقه ونزاقته، وضيق عطنه ما يبغض به نفسه إلى كل من يسمع به، فكيف من يراه ويحادثه! وربما كنت أسأله عن معنى بيت شعر أو تاريخ وفاة بعض الفضلاء فيجيبني من غير انزعاج ولا غضب بأحسن جواب. وكان في بعض الأوقات يستدعي مني الكلام، ويسألني عن الأمر الذي سمت نفسي إلى عمله وألزمته به، فأذكر له ذلك فيستحسنه ويقول لي: ما قصرت، فأدعوه له.

واستجزته فأجازني جميع مُصنّفاته ورواياته وما يدخل تحت الإجازة، وكتب ذلك لي بخط يده في صدر / ١٣٠ / إجازتي. وسألته عن ولادته، فقال: ولدت يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة بالجزيرة العمرية؛ وخُبرت أنه انحدر إلى مدينة السلام في رسالة عن صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله، فتوفي بها يوم الإثنين سلخ ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وستمائة. ودفن بالجانب الغربي بمشهد الإمام موسى بن جعفر - عليه السلام - رحمه الله تعالى.

ومن تصانيفه كتاب «الوشي المرقوم في حلّ المنظوم»، وكتاب «الرسالة المخترعة في المعاني المبتدعة» وكتاب «التوصل إلى علم التّرسُّل» وكتاب «المثل السائر فيما يحتاج إليه الكاتب والشاعر»، وكتاب «الاستدراك» وهو مما استدركه على الشيخ أبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي في رسالته التي ترجمها: بـ «الرسالة السعدية في المآخذ الكنديّة من المعاني الطائية»، / ٣٠ب / وكتاب ديوان رسائله في نحو عشر مجلدات، وغير ذلك من المصنّفات.

وكان قصير النفس في عمل الشعر لا طائل له في نظمه يعمل منه البيت والبيتين أو الثلاثة، لم تكن بتلك القوة، ولا من رائق الشعر وجيده.

ومما اشتهر من شعره، قوله وقد فارق الموصل متوجهاً إلى الشام، وانفصل عن خدمة الأمير مجاهد الدين قايماز بن عبد الله الزيني، وذلك في سنة سبع وثمانين وخمسمائة في ربيعها الأول عند حصار الجزيرة أتابك مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر، وأنفذها فقرأت على الأمير مجاهد الدين - رحمه الله تعالى - وقالها في اقتضاء الحال: [من المنسرح]

يَا رَاكِبًا يَقْطَعُ الْفَلَاةَ وَلَا	يَلْفُتُّهُ عَنْ مُرَادِهِ سَاءُ
عُجْ بِمَحَلِّ النَّدَى وَمَنْ عَمَّتِ الْآ	فَاقَ مَنْ جُودَ كَفِّهِ دِيمُ
إِنْ ذُكِرَتْ فِي الدَّجَى مَنَاقِبُهُ الـ	غُرُثَاتُ مَنْ وَصَفَهَا الظُّلُمُ
مُجَاهِدِ الدِّينِ مَنْ بِهِ انْحَسَرَتْ	عَنِ الْبَرَائِيَا الْآفَاتُ وَالنِّقَمُ
/ ١٣١ / وَقُلْ لَهُ أَيْنَ خِدْمَتِي لَكَ يَا مَوْلَايَ	أَيْنَ الْحُقُوقُ وَالذُّمَمُ
أَيْنَ الَّذِي شَاعَ عَنْكَ مَنْ	حَفِظَكَ الْوُدَّ [و] أَيْنَ الْعُهُودُ وَالْعُصَمُ
أَيْنَ الْمَوَاعِيدُ بِالْعَطَاءِ وَيَا	لِإِحْسَانِ أَيْنَ السَّمَاخُ وَالْكَرَمُ
تِلْكَ أَحَادِيثُ اللَّيْلِ ذَابَتْ مَعَ الشِّدِّ	مَسْ وَذَلِكَ الْمِثْقَالُ مُنْقَصَمُ
نَسِيتَ مَا كَانَ فِي الرِّبَاطِ مِنَ الْآ	يَمَانِ أَمْ غَالِ عَهْدَهَا الْقَدَمُ
شَاطِرْتَنِي الْمُلْكُ بِالْوَعْدِ وَإِذْ	أَنْتَ وَلَا صَاحِبٌ وَلَا حَشَمُ
فَحَيْثُ عَادَتْ دُنْيَاكَ عُدْتَ عَنِ الـ	وَعْدِ وَمَا هَكَذَا جَرَى الْقَسَمُ

ومما ضمنه كتابه الملقب بالمثل السائر، قوله: [من مجزوء الرجز]

ثَلَاثَةٌ تَنْفِي التَّحَرَّحَ	كَأْسٌ وَكُؤُوبٌ وَقَدْ حُ
مَا ذُبِحَ الزُّقُ بِهَا	إِلَّا وَلِلَّهِمْ ذَبْحُ

وهذا أنموذج من رسائله ما كتبه إلى الأصدقاء جواباً وابتداءً من مصر والشام / ٣١ ب/ وغيرهما من البلاد بعد سفره من الموصل^(١)، فمن ذلك كتاب كتبه عن بعض

(١) لم أجد في هذه الرسائل سوى واحدة في رسائل ابن الأثير، تحقيق المقدسي. وقد أشرت إليها في =

أصدقائه جواباً عن كتابه وهو :

«وصل كتابُ فلان، جعل الله أقلامه للبيان طليعة، وللبنان وشيعة، وللإحسان شريعة. ولا زالت تروض نبض حكمها صفحة القرطاس، وتدير بها على الخواطر ما تديره الحمى في الكأس، وتخرج منها شراباً مختلفاً ألونه فيه شفاء للناس؛ فتأنق لي حتى حسبته روضةً فمددت يدي لاقتطاف زهرها، وارتشاف ثمرها، وأعطيت النفس ما شاءت من حظ سمعها وبصرها. ثم إنني عدت على نفسي منبهاً، ورجعت في التشبيه الذي كنت مشبهاً، وقلت: أين حوكُ الدِّيم من حوكِ القلم؟ وأين زهر الروض الذي يمضي أوانه وتحول ألوانه، من زهر اللفظ الذي تبقى أفوافه، ويترفع عن منال / ١٣٢ / الأيدي قاطفه: [من الكامل]

تُنْسَى الرِّيَاضُ وَمَا يُرَوِّضُ فِكْرَهُ أَبْدَأُ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي يُذَكِّرُ

ولمّا وقفت عليه، أهدى إلي أرج طيب، وجلا علي وجه حبيب، وزارني على أنس مزاره في حُسنٍ غريب، فقلت: أهلاً بمن عمّر مجلسي من زور هنائه، وألبسني ثوباً من سناه وسنائه. ثم حيّته تحية التعظيم، وصافحته مصافحة التسليم، وجلستُ منه مجلس التعلم، وأجلسته مجلس التعليم: [من البسيط]

لَا يُسْتَقَى مِنْ جَفِيرِ الْكُتُبِ رَوْقُهُ [كلاً] وَلَمْ تُسْتَقَى مِنْ بَحْرِ الْكُتُبِ

ومما وجدته منه أنّه ألقى بين جوارحي جسدًا، وخصّ منها عينًا وقلبًا ويداً، فلليد منه على العين بفضّ ختمه، وللعين منه على القلب بنقل مسطوره إلى فهمه.

ولقد أقدم مرسله عليّ بمقدمه، وارانني وجهه الكريم في مرآة قلمه، وفي نجوى الكتب على بعد الدار، تمثيل لروية الأبصار،

فليشف بها / ٣٢ب / غُلَّتِي، وليستدم بها خَلَّتِي، وليعلم أن في انقطاعها
واتصالها فراقاً من غير فراق، ولقاءً من غير تلاق: [من الطويل]

وَكَمْ مِنْ فِرَاقٍ وَاجْتِمَاعٍ عَلَى النَّوَى يُرَجِّهِمَا هَجْرُ الْكِتَابِ وَوَصْلُهُ

وأنا أرجو دوام الاجتماع بكتابه، إلى أن يقدر الله الاجتماع بإيابه - إن شاء الله تعالى - .

ومن ذلك كتاب كتبه عن نفسه إلى بعض أصدقائه جواباً عن كتابه:

«تألق برق من جانب المجلس السامي، حاطه الله بروحه وأمينه،
وحباه بسعادتي دنياه ودينه، وأتاه بما يقترحه من المطلب قبل حينه،
وجعل خليقة المكارم من خلقه وطينتها من طينه. فرفعت طرفي إلى
لوامع أنواره، وبسطت يدي إلى مواقع اقطاره، وقلت: هذا بشير
الرحمة، ورائد النعمة؛ وهو برق تُرجى عقائقه، ولا تخشى صواعقه.

ومن صفاته أنه يضيء على صفحات / ١٣٣ / الأفهام، ويتوضّع من
السنة الأفلام، ويبشّر بقوت الأرواح قوت الأجسام. وذلك هو الكتاب
الكريم الذي يأتي بخصب الآمال كما أتى أخوه بخصب الأمحال. غير أن
هذا يُشامُ بعيون القلوب، ويجود ما حلّت من عقدة مزنه يد الجنوب.

ولمّا تأمّلته أخذت بسنة الخبر، في الصلاة عند نزل المطر. وليست
الصلاة إلاّ الدعاء لمن أرسله، وبسط سحابه واسبله. ثم تناولته فكنّت
أول من حمل غماماً بيده، وآواه إلى مورده وعلى ربه منه، فإنّه لا يزال له
شائماً، وإليه حائماً. فلينعم المجلس بتصريف مخايله، وليسق به
الخواطر فإنّها من خمائله ورأيه اسمى - إن شاء الله تعالى - .

ومن كتاب كتبه عن نفسه إلى بعض أصدقائه جواباً عن كتابه:

/٣٣ب/ «تَضَوَّعَتْ نَفْحَةٌ مِنْ تَلْقَاءِ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ؛ رَعَى اللهُ عَهْدَهُ وَسَقَاهُ، وَصَانَ وَدَّهَ وَوَفَاهُ، وَيَسَّرَ لِي إِلقاءَ الْعَصَا بِلِقَائِهِ. فَعَطَّرَتِ الطَّرِيقَ الَّتِي سَايَرْتُهَا، وَالرَّيْحَ الَّتِي جَاوَرْتُهَا، وَأَتَتْ فَأَفْرَشْتُهَا خَدَّيْ، وَضَمَمْتُ عَلَيْهِ وَدَّيْ، وَجَعَلْتُهَا رَدْعًا لَجَنَبِي، وَلَطِيمَةً لِرَدْنِي، وَسَخَابًا^(١) لِعَقْدِي. وَعَلِمْتُ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِنَفْحَةٍ طَيِّبٍ، وَلَكِنَّهَا كِتَابٌ حَبِيبٌ، فَإِنْ مَنَاشَقَ الْأَرْوَاحَ غَيْرَ مَنَاشِقِ الْأَجْسَامِ، وَلَا يَسْتَوِي عَرْفُ الطَّيِّبِ وَعَرْفُ الْأَقْلَامِ.

ثم مددت يدي إلى الكتاب، بعد أن صافحت يد موصله كما صافحت عبقة مندله، وقلتُ: أهلاً بمن أدنى من الحبيب مزاراً، وأهدى لعيني قرّة ولقلبي قراراً، ولو أنصفت لقلت: أهلاً بمن سرى في الأسرار، وجرى من الأبصار مجرى الأنوار، وجمع لي برويته بين الأوطان والأوطار. ومع هذا القول فإني لم أؤد حقّ الترحيب بمن أسعف بالطلاب، وطلع على الآمال المُمَحِّلَة طُلُوعَ السحاب.

وإذا كان هذا الحامل الكتاب، فما ظنك بالكتاب؟! ولما وقفت عليه، أحدث لي نشوة /٣٤أ/ طرب، ونشوة أرب. فغتنّني هذه بترجيع مثنائها، وأعتنّني هذه بمعسول أمانيتها؛ وعند ذلك أخذت في خلع العذار، وسكرت من غير معاقرة عُقَار. وإنّ من البيان لخمراً يُسكر من غير تحرّيم!، وليست بذات لغو ولا تأثيم؛ فهي من سُلّاف الألباب، لا سُلّاف الأعناب، ومن بنات الخواطر، لا بنات الدساكر. ولا يجلبها من معدنها، ويرخصها على غلاء ثمنها إلّا البيان الفلاني الذي يستخرجها ويخرّجها، ويصرفها ويمزجها.

وَإِنِّي لِأَجْدُ لَخْمَرَةٍ أَلْفَاظُهُ طَعْمًا زَائِدًا عَلَى الطَّعْمِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لَطِيبُ الْعَصْرِ وَلَا عَتَقُ الْكَرَمِ: [من الكامل]

(١) السخاب: قلادة من قرنفل ونحوه.

شَيْءٌ بِهِ يَسْبِي الْعُقُولَ سِوَى الَّذِي يُدْعَى الْجَمَالَ وَلَسْتُ أُدْرِى مَا هُوَ ؟

وقد أعدت الجواب ولم أستعر له نظماً ملفّقاً، ولا جلبت إليه حسناً منمّقاً. بل أخرجته على رسله، وغنيت بصقال حسنه عن صقله، فجاء كما تراه غير ممشوط ولا مخطوط؛ فهو يرفل في أثواب بذلته، وقد حوى الجمال بجملته. والحسن ما وَشَّتَهُ يدُ التصوير، لا ما حشته يدُ التزوير.

وقد منح الله لسانی من ذلك ما حسده عليه / ٣٤ب / الروض الموشح، والسّمط المرصّع، والقمر وهو ابن عشر وأربع. فَخُذْ ما أدّته إليك حقيقة النظر، ودع ما نقلته أحاديث الخبر، ووازن بين حسن البداوة والحضر. واعلم أنّ هذا السيل من غير ذلك المطر؛ فما كَلَّ من قال بماش في أثري، ولا رام عن وتري، ولا آخذ في وردي وصدري، فإن النبوة غير الكهانة، ولا يستوي الحق والباطل في المكانة: [من البسيط]

وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْمِخْلَبِ السَّبْعُ

ولا أستثني من هذا القول أحداً سوى المجلس، فإنه في الفضل شقيقي، كما أنه في الودّ صديقي؛ فنحن رضيعا بيان، وإن لم نكن رضيعي لبنان، وتوأما وداد، وإن لم نكن توأمي ميلاد؛ فكلانا يقتدح من زناد صاحبه، ويأخذ بما يأخذه من مذهب. وحسبي فضلاً أن أحذو على مثاله ولو وقرت قلمي وقاره، وأسبلت على كلمي أستاره، لأكبرت أن ألقاه بهذا القول، وعلمت أنه أوتي عليّ بسطةً في الطول؛ لكنني أردت أن أستعير من فضله ما أتجمل به في محضري، وأمّوه به يوم مفخري؛ وإلاّ فالسما نائية على المتناول، وأين الثريا من / ٣٥أ / يد المتناول. فليصفح عما قلته، وليسمح بما ترشحت له وما نلت، ورأيه أسمى، إن شاء الله تعالى.

ومن كتاب كتبه عن نفسه إلى بعض الأصدقاء ابتداءً: [من الكامل]
 وَأَقَمْتُ فِي قَلْبِي وَشَخْصُكَ سَائِرٌ لَا تَبْعُدَنَّ مِنْ ظَاعِنٍ وَمُقِيمٍ
 أصدرتُ هذا الكتاب إلى مجلس فلان الدين، أعلاه الله وأسماءه،
 وصان من غير الليالي والأيام حماه، وأبعد في اكتساب العلياء مرماه، ولا
 جعله في العمل لآخرته ممن يستوي يوماه؛ عن قلب مأنوس بلقائه،
 وطرف مستوحش لفراقه. فهذا مروع بإظلامه، وذاك ممتع بإشراقه. غير
 أن لقاء القلوب لقاء غيب تمثله خواطر الأفكار، وتتناجى به من وراء
 الأستار. وذلك أخو الطيف الملم في المنام، الذي يموه بلقاء الأرواح
 على لقاء الأجسام. وما تمثله بنقع حرّ الأشواق / ٣٥ب / الظماء، ولكنه
 تعلقة المتيّم بالصعيد عن عدم الماء، ولئن أقمت بعده في دار وطن، وفي
 أهل وسكن؛ فليس الأنس بكثرة الناس، بل بيهجة الإيناس، وإذا لم تكن
 سكان القلوب سكان الديار، فلا فرق بينهما وإن كانت أهلة وبين القفار:
 [من الطويل]

وَمَا حَاجِرٌ إِلَّا بَلِيلِي وَأَهْلِيهَا إِذَا لَمْ تَكُنْ لَيْلِي فَلَا كَانَ حَاجِرٌ
 فمن جفت على النوى شؤنه، والتقت على البين جفونه، فإن عهده
 ذميم، وودّه سقيم. وأرى المنازل وهي جماد أرعى منه ذماماً، وأخلق
 بالمحافظة ليالي وأياما. ألا ترى أنها لا ترضى في غرامها إلا سقامها، ولا
 تقنع في وفائها إلا بعفة . . . ؛ فتباً لشوقي إن رقت عنه قساوة الأحجار،
 وزادت بإثرها على ما عنده من الآثار.

وإنّي لأخجل من هذا القول، وقد وجدت على البعد مصطبراً، ولم
 يذهب إلى الفراق سمعاً ولا بصراً، لكن يقوم عُذري في ذلك بأمل اللقاء،
 الذي يمدّ غرس الحياة بالأسقاء، ولا يمسك ذماء النفس كالأمانى
 ومواهبها، والآمال ومطالبها.

وأنا أرجو / ٣٦أ / أن يتاح لأيام الاجتماع يوم معادها، وتردّ أرواحها
 إلى أجسادها، لأخاصم أيام الفراق إلى ربّها، وأخذ منها

بذنبها، وأجزى سيئات الأشواق، بأعمالها وأعطىها كتابها بشمالها :

[من الطويل]

وَمَا أَنَا مِنْ أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا كَأَحْسَنِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ بِأَيْسِ

وقد علم أنه ليس للشوق زاد في أيام البعاد، إلا ما تهديه إليه اليد عن
الفؤاد، وذلك هو الكتب التي في نجواها لقاء لمن شطت محلته، وفي
قطرات أقلامها ري لمن اضطرت غلته، فليجمع شملي بشملنا إلى أن
يقدر الله جمع الشمل بأهلها، وليعلم أنها هدية تحل محل مرسلها،
وتطوق الأعناق بمئة موصلها. والله لا يخلي من خبره إلا بنظره، ولا من
كتبه إلا بقربه، إن شاء الله تعالى. . . والسلام.

ومن ذلك كتاب كتبه إلى بعض الإخوان جواباً :

/ ٣٦ب / «وصل كتاب حضرة سيدنا؛ لا زالت أقلامه متنقلة من منبت
أجم، إلى منبت حكم، ومن استسقاء قطر، إلى استسقاء بحر، ومن
مجاورة ليث غاب، إلى مجاورة ليث خطاب. فأطرب إذا غرب، وأزهر
إذا أسفر؛ فعلمت أن من البلاغة ألعاناً، ومن الكلام ورداً وريحاناً.

ولقد غدوت من حسنه البديع في فصل ربيع، فكلما شاققتني سطورهُ
قلت روض سنح، وكلما غتتني الفاظه قلت حَمَام صدح، وكلما سقتني
معانيه قلت غدير طفح. فما أدري ما أصف، ولا عندما أقف؛ غير أنني
وجدته قد حوى أسرار البيان جزالة ولطفاً، وعرف منها ما لم يألف البلغاء
له عرفاً وأنسى ما تقدم من أساليها فعصف بها عصفاً، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ
الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾^(١).

وما أقول إلا أنه الآية الموسوية التي أتت تقلب الأعيان، وتنقل العصا
إلى صورة الثعبان، فلمثله تسجد سحرة الكلام، وتؤمن بآية

قلمه التي تلقفت آيات الأقلام . وها أنا قد / ٣٧ / سجدت له ، وإن لم أكن ساحراً بقلمي ، لكنني زدتُ به غراماً ، فسجدت له إعظاماً . وقد يسجد لحكمة البيان كما يسجد لحكم القرآن ؛ ومما أعتدُّه لنفسي فخاراً ، واتخذهُ لفضلي مناراً ، أني إذا فاتتني مُضاهاة مكانها فلم يفتني العلم بمزية إحسانها ، والعلم بالفضيلة فضيلة ، ومن لم ينل زهر الخميعة كفاهُ نظرُ الخميعة .

وقد أصدرت كتابي هذا جواباً عن إصدار كتابه ، لا جواباً عن فصل خطابه ؛ فإن موازنة المداد بالمداد أيسرُ من موازنة الفؤاد بالفؤاد . وليس من أعمل يداً كمن أعمل فكراً ، ومعادن القلوب كمعادن الأرض ، تخرج تبراً وصُفراً . فليرض مني بما عندي ، ولا يكلفني فوق وجدي ، فما كُلُّ هاتفة ورقاء ، ولا كل ناظرة زرقاء : [من البسيط]

وإنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ عَاقِبَتَهُ مَأْكُلٌ مَاشِيَةً بِالرَّحْلِ شِمْلًا

ومن ألقى سلاحه فقد استسلم ، ونصف العلم قول لا أعلم .

إن شاء سيدنا أن يجعل لساني خطيباً ، وخاطري قليلاً ، فليتحفني / ٣٧ ب / بفضله كأسه ، ولمدني بشيء من أفواف قلمه وقرطاسه . . والسلام إن شاء الله تعالى .

كتاب كتبه إلى الملك المحسن يمين الدين أبي العباس أحمد بن يوسف بن أيوب يهتته بالحج ، وأرسله إليه عند عودته إلى دمشق . وهذا الكتاب جواب عن كتاب ورد منه :

«ورد الكتاب الكريم عن مجلس مولا [نا] الملك المحسن ، قرنه الله بأصحاب اليمين ، ورفعهُ إلى المقام الأمين ، وجعله ممن صدق يقينه ، وثقلت موازينه . وعلت يده وكلمته ودينه . ولا زال مستمسكاً في إخلاص عمله بالسبب الأقوى ، آخذاً بأدب الذين آمنوا وتناجوا بالبرِّ والتقوى . فتأرجحت أنفاسُ نجد من عنوانه ، وجاءت بخزاماه وحودانه وحرَّكت / ٣٨ / إلى تلك الأرض كُلَّ عزم فاتر ، وأذكرتُ

بالأذان الذي يأتونه رجالاً وعلى كَلِّ ضامر، فتناوله المملوك بعد أن بدأ بالتطهير، واتخذ يومه عيداً فأعلن فيه بالتكبير. ثم فضّه فوجد آثار المناسك بادية في أوله، ممزوجة بآثار مرسله؛ فهذه يستمدّ منها بركة المطاف والأركان، وهذه يستمدّ منها سجية الفضل والإحسان. وكلاهما مأمول من مثل مولانا الذي أفاض الطاف عباداته كما أفاد الطاف إفاداته.

ولقد فخر هذا العام بحجّه على ما قبله، وازدان بفضله حتى حسدت الأعوام فضله، فلو كان ذا نطق لنشر أفواف كلمه، وخطب بالثناء على مولانا ومقدمه، وعرف أهل الموقف أنّهم في خفارة ذمّه، وأنّهم غفر لهم ببركات قدمه.

وما يقول المملوك أنّه أدرك بالحجّ فضيلة لم يدركها سوى أنّه سلك طريقاً لم يسلكها، ولكنه أدّى فرضاً وزاد عليه بنوافل برّه فأوجب فرضاً. فكلّ أيامه أيام حجّ في طهارة يده ولسانه وقلبه، وتعظيم حرّمات الله التي / ٣٨ب / هي خير له عند ربّه.

ومذ سار مولانا عن دمشق اضحت عارية اللباس خالية من الناس، واجدة من الوحشة بقدر ما وجده الحرّم من الإيناس. وأمّا الآن فقد راجعتها بشاشتها، وردّت إليها حُشاشتها. فلها الهناء بالمولى الذي تتزّل من بلدها منزلة الروح من جسدها، ويحلّ من قطافها محلّ الرؤوس من أبدانها: [من الخفيف]

إِنَّمَا النَّاسُ حَيْثُ أَنْتَ وَمَا النَّاسُ سِوَاكَ فِي مَوْضِعٍ مِنْكَ خَالِي

وأما المملوك فإنّ المولى جمع عليه فراقين، وأثار له اشتياقين؛ فأحدهما بُعدُه عما يتوقّعه من خبره، وما جعل الله له من قلبين فيحمل من الفراق والأشواق لوعة خطبين. ولما ورد عليه الكتاب الكريم أعاد عهد أنسه، وأمسك ببقية نفسه، ومحا بحُسنِ يومه إساءة أمسه؛ فما يدري أضيفه مسطورة أم رحمة منشورة، لكنه تحقّق منها معنى

النشأة وارتجاعها، بما أعادته من الحياة الزاهية بانقطاعها.

/٣٩/ والمملوك يسأل أن يتعهد المولى بأمثالها، ويعتدُّ بها من عطايه وأفضالها، فإنها في هبات قلمه، أرغب منه في هبات نعمه، وللآراء العالية مزيد العلو إن شاء الله تعالى».

وله كتاب كتبه إلى الملك الأفضل أبي الحسن علي بن يوسف بن أيوب - رضي الله عنه - يتضمن التهنية بمولود:

«أصدر هذه الخدمة إلى الجنب الشريف وقد جاءت البشري بفرع نما من نجره، ولؤلؤة خرجت من بحره، فعبت الأسماع بهذا الخبر الأريج، واهتزت له الآمال وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، واستدل الناس بطيب الأصل على طيب الثمر، وتفرسوا فيه ما تفرسوا في الهلال من القمر، ولو نطق يوم مولده بلسان، أو كان ذا روح وجثمان؛ لافتخر على الأيام الأولى، /٣٩ب/ والآخرة، وبرز في أثواب زينته الفاخرة: [من الخفيف]

وَإِذَا مَا الْآيَّامُ أَصْبَحْنَ خُرْسًا كُظُمًا فِي الْفَخَّارِ قَامَ خَطِيئًا

ولئن سبقته أيام جعلت عيداً للصيام، ونحر الأنعام، فهذا اليوم عيد لنحر العدا، وإبقاء سنة البأس والندى.

والله يجري مولانا على عادة فضله، وينمي فرع الكريم حتى يستظل بظله، ويمضي الأمور بعقده وحله، ولولا إشفاق المملوك من التلفظ بكلمة تنقل على لسانه، لدعا له بخلافة ملك مولانا ووراثته سلطانه. لكنه يدعو لمولانا وله بالخلود، وأن لا يملك العدو ولا يرث سوى ميراث الحسود - إن شاء الله تعالى».

فصل من كتاب في هذا المعنى:

«المملوك يهنئ مولانا بالجوهرية التي خرجت من معدنه، والبارقة التي تالأت من خلال مزنه؛ ولقد تشوقت تيجان الملك إلى /٤٠/

زمنها واقترابه ، وظمئت رياض الآمال إلى صوب سحابها وانسكابه» .

فصل من كتاب في هذا المعنى :

« كتبت هذه الخدمة وقد جاءت البشرية بطلعة هلال سفرت ، ومخيلة سحاب ظهرت ، ويرجو أن يصير هذا الهلال بدرًا كاملاً ، وهذا السحاب غمامًا هاطلاً . ولقد اهتز السيف والقلم جذلاً بمولده ، وتفاخرأ في سبق إلى منال يده ، وبشرت منه المكارم بكالثها ، والعيون والقلوب بمالثها» .

وله أيضاً فصل من كتاب في هذا المعنى :

« المملوك يهنئ مولانا بالشبل الخارج من عرينه ، والعصب المنتضى في يمينه . ولقد اهتزت أسرة الملك لارتقابه ، ومدت الجياد عيونها إلى وقت ركابه ، ورجع له جيش العدو قبل أوان غزوه واقترابه» .

/ ٤٠٤ ب/ وهذه رسالة أنشأها حين توفي الإمام الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين أبو نصر محمد بن أحمد ، وبويع ولده الإمام المستنصر بالله أبو جعفر المنصور بالخلافة - رضوان الله عليهما^(١) - :

« ما ليليل والنهار لا يعتذران وقد عظم حادثهما ، وما للشمس والقمر لا يخسفان وقد فقد ثالثهما : [من الطويل]

فَيَا وَحْشَةَ الدُّنْيَا وَكَانَتْ أُنَيْسَةً وَوَحْدَةً مَنْ فِيهَا الْمَضَرَعُ وَاحِدٌ

وذلك الواحد هو سيّدنا ومولانا الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين ، الذي كانت ولايته رحمة للعالم ، واختير من أرومة النبي الذي هو سيّد بني آدم . فذمته موصولة بذمته ، وهو شقيقه في اسمه وخليفته في أمته ؛ ولقد وقف على السنن فأتى بالحسن ، وحمدت صحبة الأيام في زمنه فلم يشك أحد من / ٤١١ أ/ الزمن .

(١) ذلك في أول شعبان سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وكان بين موتهما تسعة أشهر .

ومما عظم الرزءُ به أنَّه أتى عقيب رُزء وصل فجعهُ بفجعه، وكان يُستهوَلُ أحدهما وهو وتر فبدل الوتر فيه بشفعه. فيا ويح الإسلام فجع أولاً بناصره، وفجع الآن بظاهره، وقرب الوقت بينهما حتى كاد يعثرُ أوله بآخره. فلم تفق النفوس من بُرحائها إلا وافت ما طوى مضضها على مضض، ووقع ذلك منها موضع نكسة عطفت على مرض؛ ونكأ القرح بالقرح أوجع، وذهاب فرع العلياء بعد أصله ذهاب بالعلياء أجمع.

وكلا هذين الحادئين؛ رمى الناس بسهم عائر^(١)، ليس عليه من صابر، وما كان الله ليسوء دينه بمصائب خليفتين، ولا يجلو ظلمته بصباح سافر. وقد جاء بسيّدنا ومولانا المستنصر بالله أمير المؤمنين، فأرضى به كل قلب سخط ولم يرض، وقيل هذا بدل الكل من الكل لا بدل البعض من البعض. وكان الناس على خطر من انتقاض أمرهم فأتى لهم إبرام ذلك النقض، ونُسي ما تقدّم من البرح ودُمِلَ / ٤١ ب/ ما أعضل من القرح، ولئن كثر الأسف على ليلتين مضتا برامة فقد أسلت عنهما ليلة السفح، والعبد قائم بهذا المقام، وقلبه متقسم للعزاء شطراً [و] للهناء شطراً. فإذا نطق بهذا أسبل دمعاً وإذا نطق بهذا أبدى ثغراً، وهو نائب عن مُرسله في أخذ البيعة التي يد الله فوق يدها، والسابق إلى يومها أفضل من المتأخر إلى غدها، وهي التي تجلّت بإثبات حسنتها أقلام السّفرة، وجعلها الله معدودة في بيعة العقبة وبيعة الشجرة. ولها يصح قول القائل:

[من البسيط]

وَبَيْعَةٍ مِنْ قُلُوبٍ غَيْرِ شَارِدَةٍ مَا كَانَ فِي عُودِهَا ضَعْفٌ وَلَا خَوَرٌ
لَوْ أَنَّهَا لِعَتِيقٍ لَمْ يَمُتْ حَسِيراً سَعْدٌ وَلَا قَال: كَانَتْ قَلْتَةً عُمَرُ

وكذلك فإنَّ العبد ينهي طاعةً مرسلّة، التي جعل يومه فيها كأمسه،

وزادها في مباني الإسلام فهو مبنيُّ بها على ستّة لا على خمسة . وقد اتخذها معقلاً يكنُّ في ذراه، وفي الآخرة عتاداً صالحاً يسره أن يراه»^(١).

/ ٤٢٢ / رسالة أخرى من إنشائه حين توفي الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبو العباس أحمد بن الحسن، وبويع بالخلافة للإمام الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين أبي نصر محمد - رضي الله عنهما - وذلك في سنة اثنتين وعشرين وستمائة :

«العبدُ يقدّم عذره قبل قوله ، فإنَّ هذا المقام مقام مهابة لا تجدُ الخواطرُ فيه سَبْحاً ، وإذا بلغ البليغُ جهده كان قُصاراه أن يسأل صفحاً : [من الكامل]

إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَالْمُحْسِنُونَ إِذَا لَدَيْكَ قَلِيلُ

عبد الديوان العزيز النبوي لؤلؤ يعزي نفسه والمسلمين كافة ، بفقد من الإسلام له فاقد ، ومن لم يشك الموحدة بمُصابه / ٤٢٢ ب / إلا إلى واحد سيدنا ومولانا الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، الذي التقت الأرض منه على محي ثراها ، ومُمسك عراها ، وباري سنة العدل والإحسان بها كما أن الله براها ؛ فأَي سحاب نضب عنها فيض مواهبه ، وأي جبل خفت جنوبها لزوال مناكبه ، لكن تلافى الله ذلك بقيام ولي عهده من بعده ، والذي انتضاه على طول ترقب من غمده سيدنا ومولانا الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين ، فعطفت هذه النُعمى على تلك البُوسى ، وآست من كلمها الذي لولاها لما كان يوسى :

[من الطويل]

وَفِي الْحَيِّ بِالْمَيِّتِ الَّذِي غَيَّبَ الثَّرَى فَلَا أَنْتَ مَغْبُونٌ وَلَا الدَّهْرُ غَابِنٌ

وما من أحد إلا وقد استبدل عزاءه بهنائه ، ورأى عمود الإسلام قائماً بعد هدم بنائه ، وعلم أن الدهر أذنب ثم اعتذر وقال : هذه

الشمس طالعة إن غيَّب القمر، واشتبه لديه رتقُ هذا الفتق برتق أبي بكر بعمر. وقد حضرَ العبد نائباً عن مرسله في إعطاء صفقته بيمينه، وثمرة قلبه أخذاً بقوله تعالى: ﴿إِنْ / ٤٣ /﴾ الذين يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ^(١) ولو حضرَ هذه البيعة سعد لرأى مطَّلَعها سعداً، ولم يجد من الدخول فيها بدءاً، ولما غمَّ في قطيفته غمّاً، ونأى عن دار قومه بعداً. فهي أخت بيعة الرضوان، وأمَّ الشرائط المشروطة في عقود الإيمان، والمركب الذي النجاة بين صهوته وعنانه، ومظنة النجاة ما بين صهوة وعنانه، وللسابق في مثل هذا المقام فضيلة سبقه، كما أنَّ للصادق مزية صدقه، وكلاهما مجموع لمرسل العبد في الفوز، بقصب المضمار والانفراد بخالص الإضممار، والذي إعلانه كإساراه، وقليلاً ما يستوي حالنا الإعلان والإسرار، ولئن غابَ عنه الحضور بنفسه فهو في عداد من حضر، والتعويل إنما هو على صدق النية الذي أثرها هو الأثر.

قال النبي ﷺ في بعض غزواته: «إِنَّ وراءكم قوماً بالمدينة ما سرتهم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلَّا كانوا معكم»^(٢). فليعوِّل الديوان العزيز من سعيه على القويِّ الأمين، وغنائه على المعقل الحصين، وليضنَّ به وإنما يضمن بالضنين... والسلام».

[٨٦٣]

٤٣/ب/ نصر الله بن المظفر بن أبي طالب بن حمزة بن علي بن الحسين أبو الفتح بن أبي العز بن الصفار الشيباني المعروف بابن شقيشة^(٣).

(١) سورة الفتح، الآية ١٠.

(٢) صحيح البخاري ١٣٦/٥، ط دار الفكر، بيروت ١٤٠١. مسند أحمد بن حنبل ٣/١٠٣ و٣٤١، ط دار صادر، بيروت. فقه السنة للسيد السابق ٢/٦٣٥، ط دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣) في هامش الأصل: «توفي نجيب الدين ابن شقيشة المذكور يوم الإثنين ودفن يوم الثلاثاء بعد الظهر بجنب الكهف بقاسيون في سابع جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وستمائة».

من أهل دمشق .

كانت له عناية بسماع الحديث النبوي، وسمع منه الكثير بنفسه، ولقي مشايخه ورجاله الذين كانوا يقدون إلى دمشق من الغرباء وأهلها . واستفاد منهم، واستكثر من الشيوخ حتى بلغت مشيخته ألف شيخ، وحصل من الفوائد شيئاً عظيماً . ولم يدخل دمشق طالب حديث أو شاعر أو أديب إلا ويجتهد في قضاء حوائجه، ويتعصب له تعصباً تاماً، ويثني على فضله عند الناس .

وهو مشكور الطريقة ببلده، فجزاه الله عن مروءته الخير ولمن كان فيه مروءة . وعنده فقه وأدب مقل من قول الشعر .

أنشدني لنفسه بدمشق في سنة تسع وثلاثين وستمائة : [من الطويل]

خَفَّ اللَّهُ فِي صَبٍّ سَلَبَتْ رُقَادَهُ وَأَتَبَلَّتْ بِالْيَيْنِ الْمُشْتِ فُؤَادَهُ
/ ٤٤ / وَوَأَفَيْتَهُ مُلْقَى عَلَى فُرْشِ الضَّنَى أَسِيرَ غَرَامٍ لَا يَفُكُّ قِيَادَهُ
يَرَى الْقُرْبَ فَرَضًا مِنْكَ يَا أَحْسَنَ الْوَرَى وَأَنْتَ تَرَى فَرَضًا عَلَيْكَ بَعَادَهُ

وأنشدني أيضاً لنفسه في غلام جميل الصورة حلاوي : [من السريع]

قُلْ لِلْحَلَاوِيِّ عَلَى الَّذِي تَحَارُّ الْبَابُ الْوَرَى فِيهِ
إِنَّ الَّذِي نَأْخُذُ مِنْ كَفِّهِ هُوَ الَّذِي نَجْنِيهِ مِنْ فِيهِ

[٨٦٤]

نَصْرُ اللَّهِ بْنِ نَصْرِ اللَّهِ، بْنِ نَصْرِ اللَّهِ، أَبُو الْفَتْوحِ الْهَيْتِيُّ^(١) .

=

ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/٣٩ - ٤٠ . وفيه: «ولد سنة نيّف وثمانين وخمسمائة، وتوفي سنة ستة وخمسين وستمائة». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ - ٦٦٠) ص ٣٠٠ - ٣٠٢ رقم ٣٣٥ . فوات الوفيات ٤/ ١٨٥ رقم ٥٤٣ . شذرات الذهب ٥/ ٢٨٥ . ميزان الاعتدال ٤/ ٢٥٤ رقم ٩٠٥٤ . البداية والنهاية ١٣/ ٢١٨ - ٢١٧ عيون التاريخ ٢٠/ ٢٠٥ - ٢٠٦ . لسان الميزان (ط بيروت) ٧/ ١٩٢ رقم ٨٨٧٦ . عقود الجمان للزركشي ٣٣٥ . عقد الجمان ١/ ١٩٣ - ١٩٤ . ذيل الروضتين ٢٠١ . العبر ٥/ ٢٣٦ - ٢٣٧ . تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٣٩ . ذيل التقييد للفاسي ٢/ ٢٩٥ - ٢٩٦ رقم ١٦٦٣ . الدارس ١/ ٨٠ - ٨١ . المعين في طبقات المحدثين ٢٠٩ رقم ٢١٩١ . الإعلام بوفيات الأعلام ٢٧٤ . الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٥٣ .

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٧ - ٨ وفيه: «نصر الله بن نصر الله بن سلامة بن سالم، أبو الفتح الهيتي، معين الدين بن أبي المعالي الشافعي . تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ - ٦٤٠) =

من الشعراء العراقيين .

دخل بلاد الشام وامتدح ملوكها، وذوي اليسار منهم، واسترفدهم بأشعاره وكبر وأسن، ولم يترك قول الشعر، وانقطع بأخرة إلى صاحب حماة الملك المنصور أبي المعالي محمد بن عمر بن شهنشاه بن أيوب، وبها توفي [في الخامس عشر من شوال سنة سبع وثلاثين وستمائة^(١)].

وكان عنده تهوس وخفة يدل على ذلك ما أخبرني من أثق به، أنه كان إذا امتدح رجلاً بقصيدة يُعنون على رأسها المملوك نصر الله بن نصر الله بن نصر الله الهيتي؛ ثم يخالف / ٤٤٤ب/ الاسم ويكتب على قصيدة أخرى المملوك أبو الفتوح بن أبي الفتوح بن أبي الفتوح، ومرة المملوك نصر الله بن أبي الفتوح بن نصر الله، وتارة أبو الفتوح بن نصر الله بن أبي الفتوح الهيتي .

وكان يتعاطى الفصاحة في مقولاته وإنشائه، صاحب منظوم ومنثور. يذهب في إنشائهما مذهب أبي الفتح البلطي . وكان يصنع أبياتاً من الشعر جميعها معجمة . وقصيدة خالية من الإعجام؛ وغير ذلك من هذه الفنون ما تركه أولى من تدوينه . وكانت ولادته بهيت في عاشر محرم سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

أنشدني الشيخ الأجل العدل السعيد بهاء الدين أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن سعيد بن يحيى بن الخشاب بحلب من لفظه - رضي الله عنه - قال : أنشدني أبو الفتوح نصر الله بن نصر الله بن نصر الله الهيتي لنفسه بحلب يمدح الملك الظاهر غياث الدين أبا المظفر غازي بن يوسف بن أيوب بن شاذي - رحمه الله تعالى - : [من الخفيف]

/ ٤٥٤أ/ ضَحَكُ الْبَرْقِ إِذْ بَكَى الْإِبْرِيْقُ ثُمَّ جَادَ السَّحَابُ وَالرَّأْوُوقُ
وَتَغَنَّتْ وَرُقُ الْحَمَائِمِ حَتَّى أَطْرَبَ الْبَانَ بَيْنَهَا التَّصْفِيْقُ
كُلُّ وَرَقَاءٍ فِي الْأَصَائِلِ يُخْفِي هَاعَنِ النَّاطِرِينَ غُصْنُ وَرِيْقُ

= ص ٣٥٥ رقم ٥١١ . التكملة للمندري ٣/ ٥٤٥ رقم ٢٩٥٣، وفيه : «نصر الله بن نصر الله بن سلامة بن سالم الهيتي المولد، المصري الوفاة، الشافعي، الشاعر المنعوت بالمعين . توفي بالقاهرة في ليلة الخامس عشر من شوال ودفن من الغد» .
(١) ما بين المعقوفين من هامش الأصل .

يَا خَلِيلِي نَادِمَانِي فَقَدْ طَا
وَأَضْرَبَ لِي صَوْتًا عَلَى الْعُودِ وَالنَّارِ
سَالِكًا مَذْهَبَ الْقَدِيمِ فَإِنِّي
وَأَسْقِيَانِي صَرْفًا فَإِنَّ مَزَاجِي
مَا شَفَائِي مِنَ الْهَيَْامِ وَلَا بَرِّ
وَإِذَا مَا مَرَضْتُ لَيْسَ يُدَاوِي
مَا مُرَادِي إِلَّا الْمُدَامُ وَلَا أَحَدٌ
فَهِيَ شَمْسٌ مُنِيرَةٌ وَمِنْ الْآ
لِي مِنْهَا مَدَى الزَّمَانِ صُبُوحٌ
وَلَهَا فِي قِمِّ النَّدِيمِ غُرُوبٌ
فَأَسْقِنِيهَا مَنْ كَفَّ أَعْيَدَ يَحْكِي
/ ٤٥٤ ب/ بَابِلِي اللَّحَاطُ مَنْ جَفَنَهُ الْفَا
فِي رِيَاضٍ كَأَنَّهَُا حُلُلُ الدِّدِ
مَا تَرَى الْأَرْضَ كَالنَّمَارِقِ تُزْهَى
وَعَلَيْهَا أَثْوَابُ نُورٍ كَسَاهَا
وَرُبَاهَا قَدْ طُرِزَتْ بِرُقُومٍ
قَدْ تَنَافَى فِي الشَّبْهِ لَوْنًا وَرِيحًا
يُشْبِهُ الْيَاسْمِينَ لَوْنٌ مُحَبَّبٌ
وَتَرَى النَّرْجِسَ الْمُضَاعَفَ يَحْكِي
وَكَأَنَّ الشَّقِيقَ رَايَاتٍ غَازِي
مَلِكٌ بِأَبِهِ بَكْفٌ رَجَاءُ الـ
يَطْلُبُونَ الْأَرْزَاقَ بِالْقَضْدِ كَالْحُدِ
جَعَلُوا حَارِمًا لَهُمْ ذَاتَ عِرْقٍ
فَتَوَالَى غَيْثُ الْغِيَاثِ عَلَيْهِمْ
هَمُّهُ أَنْ يُفَرِّقَ الْمَالَ فِي الْآ
/ ٤٦٤ أ/ فَهُوَ الرَّازِقُ الَّذِي عَمَرَ الْحُلْدَ

بَ مُدَامِي وَرَأْنَهُ التَّزْوِيقُ
ي طَرُوبًا يَلْذُلِي وَيَرْوُقُ
مَنْ مَبَادِي الْحَنَانِ مَخْلُوقُ
لَاخْتِلَافِ الْمَزَاجِ لَيْسَ يُطِيقُ
دُغْلِيلِي إِلَّا السُّلَافُ الرَّحِيقُ
فَرَطُ دَائِي إِلَّا الشَّرَابُ الْعَتِيقُ
سَدُّ إِلَّا دَا سَكْرَةً لَا يُفِيقُ
يَاتِ شَمْسٌ يَضْمُهَُا إِبْرِيْقُ
كَمَلْتُ لَدَّتِي بِهِ وَعَبَّوْقُ
وَمِنْ الْكَأْسِ وَالْبَزَالِ شُرُوقُ
ذَابِلُ الرُّمَحِ قَدُّهُ الْمَمْشُوقُ
تَرَعَضِبُ مَاضِي الشَّبَاةِ رَقِيقُ
بَاجٍ قَدْ حَاكَهَا الْحَيَا وَالْبُرُوقُ
بِنُقُوشٍ كَأَنَّهَُا تَزْوِيقُ
فِي مُتُونِ الرِّيَاضِ زَهْرٌ أَنْيَقُ
نَسْجُهَا مَنْ يَدُ الْغُيُومِ صَفِيقُ
فَهُوَ نَوْرُ زَاهٍ وَمَسْكَ فَيِيقُ
نَاحِلُ الْجِسْمِ رَاعَهُ التَّفْرِيقُ
حَدَقًا لَا يَضُرُّهَا التَّحْدِيقُ
أَوْ دَمًا مِنْ سُيُوفِهِ مَدْفُوقُ
خَلَقَ عِلْمًا بِجُودِهِ مَطْرُوقُ
جَجَّاجٌ إِذَا بَابُ غَيْرِهِ مَرْتُوقُ
وَبَسَاتِينِ عَمَّ عِنْدِي الْعَقِيقُ
بُنْضَارٍ فِيهِ الْبُرُوقُ بِرِيْقُ
فَاقُ وَالْجَمْعُ ذَلِكَ التَّفْرِيقُ
قَقْ فَكُلُّ مَنْ كَفَّهِ مَرَزُوقُ

قَقَمَنْ رَامَ شَاوَهُ مَسْبُوقُ
 بِالْمَعَالِي وَالْمَكْرُمَاتِ خَلِيقُ
 لَ وَإِصْصَالُ جُودِهِ مَرْمُوقُ
 صَافُ وَالْجُودُ لِلْمُلُوكِ سَبُوقُ
 وَإِلَى فَعْلٍ كُلِّ خَيْرٍ طَرِيقُ
 لَ جَوَادُ وَبِالرَّعَايَا رَفِيقُ
 وَسَوَاهُ سَكْرَانُ لَا يَسْتَفِيقُ
 بَبْ إِذَا أَعْلَظَ الْمُسِيءُ رَقِيقُ
 يُلْ رَحْبُ الدَّرَاعِ بَرُّ شَفِيقُ
 لُ طُهُورُ فِي الْمَكْرُمَاتِ عَرِيقُ
 هُ فُرُوعُ نَضِيرَةٍ وَعَرُوقُ
 دُونَهُ فِي عَلَوِّهِ الْعِيقُ^(١)
 بَاءَ دَامَتْ تَحْلُولُهُ وَتَرُوقُ
 دَيْنَ بَيْنَ الْمُلُوكِ وَهُوَ يَفُوقُ
 وَاحٌ تَبَقَّى الْجُسُومُ لَوْلَا الزُّهُوقُ
 هَهَا فَكُلُّ مِنْهَا إِلَيْهِ مَشُوقُ
 إِلَيْهِ كَأَنَّهُ مَعَشُوقُ
 قَ إِلَيْهِ لَكِنَّهَا لَا تُطِيقُ
 قَالُ: هَذَا بَغْيُهُ لَا تَلِيقُ
 ذُقْ يَغْنُو وَيُذْعَنُ الْمُنْطِيقُ
 يَنْ صَدَقًا فَذَكَرُهُ تَصَدِّيقُ
 هَ وَآيَاتُ فَعْلِهِ صَدِّيقُ
 وَاسْتَعَارَاتُ وَصْفِهِ تَحْقِيقُ
 وَسِيَّحُوِي الْبِلَادَ وَهُوَ حَقِيقُ

وَهُوَ السَّابِقُ الَّذِي أُخْرَزَ السَّبُّ
 وَهُوَ مَلِكُ دُونَ الْخَلَائِقِ جَمْعًا
 وَهُوَ بَيْنَ الْمُلُوكِ بِالْعَدْلِ وَالْقَضِ
 وَهُوَ فِي الْحِلْمِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْإِنْدِ
 وَلَهُ مَسَلِكٌ إِلَى كُلِّ بَرٍّ^١
 مُسْتَقِيمُ الْمَسْعَى عَلَى مَنْهَجِ الْعَدِ
 يَحْذَرُ اللَّهَ فِي الرَّعِيَّةِ سِرًّا
 مُحْسِنٌ مُجْمَلٌ رَوْفٌ لَهُ قَدْ
 وَاسِعُ الصَّدْرِ ضَيْقُ الْعُذْرِ عَفٌّ الذِّ
 مَلِكٌ فِي ذُرَى الْفَخَارِ لَهُ أَصْدُ
 خَيْرٌ أَصْلٌ لَخَيْرِ مَلِكٍ زَكَتْ مِنْهُ
 سُودَدٌ تَالِدٌ وَمَجْدٌ طَرِيفٌ
 طَالَ فَوْقَ الْعُلَا كَقُلْعَتِهِ الشَّهْدُ
 / ٤٦٦ ب/ هِيَ بَيْنَ الْقِلَاعِ مِثْلُ غِيَاثِ الدِّ
 وَهِيَ كَالْجِسْمِ وَهُوَ رُوحٌ وَبِالْأَرْ
 أَوْحَشَتْهَا أَعْطَفَهُ مُذْنَأَى عِنْدَ
 إِنْ خَلَتْ مِنْهُ لَا خَلَتْ فَهِيَ تَشْتَاقُ
 لَوْ تُطِيقُ الْمَسِيرَ سَارَتْ مِنَ الشُّو
 فَكَأَنَّ الْإِلَهَ لَمَّا دَحَاَهَا
 مَدَحُهَا يُعْجِزُ الْخَوَاطِرَ فَالْحَا
 فَهُوَ مِثْلُ ابْتِكَارِ مَدْحِ غِيَاثِ الدِّ
 مُعْجَزَاتُ الْمَدِيحِ قَدْ جُمِعَتْ فِيهِ
 كُلُّ وَصْفٍ فِيمَنْ سَوَاهُ مَجَازُ
 وَرِثَ الْمُلُوكَ عَنْ أَبِيهِ تَلِيدًا

رَفَمْنَهَا فِي كُلِّ أَرْضٍ قَرِيْقُ
وَفَسِيحُ الْفَضَاءِ عَنْهَا يَضِيْقُ
وَلَهَا مِنْ دَمِ الْأَعَادِي خَلْقُوقُ
ضُضٌ وَلَا مَانِعٌ وَلَا مَنْجِنِيْقُ
هَرَقَهُرَأُ وَتُسْتَفَادُ الْحُقُوقُ
لَيْسَ يَعْصِيهِ فِي الْوَرَى مَخْلُوقُ
فَضْلٌ حَتَّى حُتَّتْ إِلَيْكَ النُّوْقُ
لِدَوَى النَّظْمِ فِي ظَلَالِكَ سُوقُ
قَدْ كَسَاهَا التَّجْنِيسُ وَالتَّطْبِيقُ
رُبُّ يَهْنِيْكَ فِيهِ وَالتَّوْفِيقُ
عَلَّ فِيهِ مَا يَقْتَضِي الشَّرِيْقُ
كَ وَكُلُّ إِذَا عَقَوْتُ عَتِيقُ
وَلَهَا مِنْ سَطَايِدِكَ خُفُوقُ

وَيَبْتُ الْجِيُوشَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْ
بِأَسْوَدٍ عَلَى الْعَقَارِبِ تُضْحِي
تَرْدُ الْحَرْبِ ثُمَّ تَصْدُرُ عَنْهَا
/ ٤٧أ / ثُمَّ تَعْلُو بِيضَ الْمَعَاقِلِ بِالْيَدِ
وَيَحُوزُ الْمَمَالِكُ الْمَلِكُ الظَّا
وَتَرَى الْمُلُوكَ بَعْدَهَا يُوسُفِيَا
يَا مَلِيكَ الْأَفَاقِ أُحْيَيْتَ أَهْلَ الدِّ
وَشَرَيْتَ الْقَرِيضَ غَالًا فَقَامَتْ
فَاسْتَمِعْ مِنْهُمْ غَرَائِبَ شَعْرِ
وَتَهَنَّ الْأَقْبَالِ فِي الْعِيدِ فَالْنَصْدُ
وَأَبْتَهَجَ بِالشَّرِيْقِ فَالْغَدْبُ مَنْ يَفْ
وَأَجْعَلِ النَّحْرَ فِيهِ نَحْرَ أَعَادِي
فَقُلُوبُ الْأَعْدَاءِ تَرْجُفُ خَوْفًا

وأنشدني الشيخ العدل الأمين أبو عبد الله محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن النصيبي
بحلب - رحمه الله تعالى - قال: أنشدني / ٤٧ب / أبو الفتوح نصر الله بن نصر الله بن نصر

وَدَمْعِي وَوَجْدِي مُطْلَقٌ وَمُقَيَّدُ
وَتَوْبُ نُحُولِي بِالْجَمَالِ مُجَدَّدُ
وَفِيهِ مَعَ الْمَعْنَى الْجَلِيَّ تَعَبُّدُ
مَعَ الْبُعْدِ مَحْمُولٌ لَمَا كُنْتُ أَجْهَدُ
لَكَانَ إِذَا مَا قَابَلَ الرَّبْعَ يُسْعَدُ
مَعَ الصُّورَةِ الْحَسَنَاءِ مَعْنَى مُجَرَّدُ
فَوَافِي خِيَالًا وَالْعَوَاذِلُ هُجْدُ
بِهِ غُلَّةُ الصَّبِّ الْمُتَيِّمِ تَبْرُدُ
وَهَا أَنَا مِنْ بَعْدِ النَّوَى أَتَجَلَّدُ
وَقَلْبُكَ يَا خَنْسَاءَ صَخْرٌ وَجَلْمَدُ

الله الهيتي لنفسه مبدأ قصيدة: [من الطويل]
حَدِيثُ غَرَامِي مُسْتَفِيضٌ وَمُسْنَدُ
وَحَبِّي قَدِيمٌ وَالتَّجَمُّلُ مُحَدَّثُ
وَلِي خَبَرٌ يَرُوْنَهُ شَأْنِي مُسْلَسَلًا
فَلَوْ أَنَّ مَوْضُوعَ الْأَسَى بِحُشَاشَتِي
وَلَوْ أَنَّ سَعْدًا بِالْمَنَازِلِ طَالَعُ
سَمِيرِي مِنَ السَّمَرَاءِ طَيِّفٌ كَأَنَّهُ
أَلَمٌ خِيَالًا وَاللَّوَائِمُ غُفْلُ
فَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَيِّبِ فَقُرْبُهُ
وَقَدْ كُنْتُ جَلْدًا قَبْلَ طَارِقَةِ النَّوَى
فَصَبْرِي جَمِيلٌ وَاشْتِيَاقِي كَثِيرُ

وَرَاتِبٌ وَجَدِي فِي الْبَوَاقِي مُخَلَّدٌ
لَذَلِكَ أَنْفَاسِي جَوَى تَتَصَعَّدُ
تَحَقَّقْتَ أَنَّ الْجَمْعَ يَسْبِيهِ مُفْرَدٌ
وَحَدُّ كَمَا شَاءَ الْجَمَالُ مُورَدٌ
عَلَى عَامِلٍ لَوْلَا التَّقَى كَانَ يُعْبَدُ
أَقْلٌ هَلَالًا بِالْخُطَى يَتَأَوَّدُ
وَلِلْحَفَايِ الطَّرْفُ مِنْهَا مُحَدَّدٌ
مُقَابَلَةٌ بِالْعُودِ وَالْعُودُ أَحْمَدُ
بِهِ الرِّيقُ شَهْدٌ وَالْأَرَاكَةُ تَشْهَدُ
بِهِ غَيْرُهُ وَهُوَ الْجَمَانُ الْمُنْصَدُ
وَمَا الْقَائِمُ الْمَهْدِيُّ إِلَّا مُحَمَّدٌ

وَجَارِي دُمُوعِي فِي الْمَاقِي مُوْطَفٌ
/٤٨/ وَتَصْفِيرُ جِسْمِي مِنْهُ تَقْطِيرُ أَدْمَعِي
بِنَفْسِي شَمْسٌ لَوْ رَأَى النَّاسُ حُسْنَهَا
لَهَا وَجَنَّةٌ كَالْوَرْدِ حَمْرَاءُ مِنْ دَمِي
وَفِي الْخَدِّ خَالٌ مُشْرِفٌ تَحْتَ نَاطِرٍ
لَهَا الْقَدُّ غُضُنٌ مَاسٌ فِي دُعْصِ رَمْلَةٍ
وَلِلشَّافِعِي الرَّدْفُ مِنْهَا مُثْقَلٌ
فَلَوْ جَبَرْتَ مَنْ كَسَرَ قَلْبِي بَوَاضِلَهَا
لَقَبَلْتُ ثَغْرًا كَالْأَلِي مُنْظَمًا
فَمَا الْخَاسِرُ الْمَغْبُورُ إِلَّا مَنْ اشْتَرَى
وَمَا الْقَاعِدُ الْمُفْتُونُ إِلَّا أَخُو الْهَوَى

وأنشدني أيضاً من لفظه، قال: أنشدني نصر الله بن أبي الفتوح بن نصر الله الهيتي

لنفسه: [من الوافر]

فَصَرْتُ فِدَاءَ نَرْجِسِهِ الْجَنِيِّ
يُظْمِنُنِي بِالْأَرِيْقِ شَدِيدِي
وَلَا يَصْفُو لَائِي هَوَى غَزِي
مُصُونٌ سِرُّهُ شَكْلُ زَكِي
وَيَعْقِلُ عَنْ مُطِيعِ هَوَى وَفِي

/٤٨ب/ عَصَانِي طَائِعُ الطَّرْفِ الْعَصِي
لَا مُتَحَنِّنَ صَبْرِي عَنْ شَتِيَّتِ
فَلَا يَسْقِي وَيُشْقِي حِينَ يَجْفُو
سَيِّدُكُمْ خُلَّةٌ لَأَخٍ وَدُودِ
فَكَمْ يَقْضِي وَيُظْلِمُ وَهُوَ لَاهٍ

وأنشدني أيضاً، قال: أنشدني نصر الله الهيتي قوله في الغزل: [من الطويل]

جَنِي شَقِيْقٌ يَقْتَضِيهِ ضِيَاءُ
وَكُلُّ غَزَالٍ عَزَّ فَهُوَ رَخَاءُ
أَخْصُكَ حَتَّى فَالسُّلَافُ شَفَاءُ
يُلَازِمُهَا إِذْ صَارَ مِنْهُ سَمَاءُ
وَلَا عَيٍّ فِيمَا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ

غَزَالٌ لَهُ خَالٌ شَذَاهُ أَظْنُهُ
خَلَوْتُ بِهِ صُبْحًا وَزَادَ تَعَرُّضًا
جَثَا ضَاحِكًا يَسْقِي سُلَافًا فَقَالَ لِي:
وَأَشْهَرُ شَمْسًا مِنْ مُدَامٍ وَضَوْوَهَا
أَيُظْلِمُنِي وَالْكَامِلُ الْمَلِكُ عَاطِفٌ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من الكامل]

٤٩/ مَا بَيْنَ رَامَةٍ فَالْعُدَيْبِ فَحَاجِرٍ أَسَدٌ تَقْنَصُهَا أَكْفٌ جَاذِرٍ
وَمَنْ الْعَجَائِبِ أَنَّ أَسَادَ الشَّرَى تَعْنُو لِسَرْبٍ فِي الْفَلَاةِ نَوَافِرٍ
لَا تَخْدَعَنَّكَ بِالْوُعُودِ فَطَالَمَا أَخْلَفْنَ إِخْلَافَ الْمُلُوكِ الْغَادِرِ
إِنَّ الظُّبَاءَ وَإِنَّ تَقَادِمَ عَهْدِهَا وَأَتَتْ بِحُسْنِ بَوَاطِنِ وَظَوَاهِرِ
لَتَمُجُّ أَرْيَاءً مِنْ نِيُوبِ أَسَاوِدٍ وَتَسْلُ تَبْرًا مِنْ جُفُونِ مَحَاجِرِ^(١)

[٨٦٥]

نَصْرُ اللَّهِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِيِّ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ
يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ، أَبُو الْفَتْحِ بْنِ أَبِي الْعَزِّ الْكَاتِبِ الرَّسَائِلِيِّ،
الْمَعْرُوفُ بِابْنِ بُصَاقَةٍ وَبِزَاقَةٍ وَبِصَاقَةٍ كُلُّ يُقَالُ، الْغَفَارِيُّ
الْكَنَانِيُّ^(٢).

ولد بقوص^(٣) تقريباً في سنة ثمانين وخمسائة^(٤)، ونشأ بمصر واستظهر القرآن
العزیز، واشتغل بالأدب على جماعة من الأدباء بمصر والشام، وقرأ على الشيخ العالم أبي
اليمان زيد بن الحسن بن زيد الكندي. وخدم في دولة الملك المعظم شرف الدين عيسى بن
أبي بكر بن أيوب - صاحب دمشق - وبعده لولده الملك الناصر داود كاتب الإنشاء / ٤٩٩ ب/
وتقدم عندهما، وارتفع شأنه، وعلت منزلته.

ورأيت من يثني على فضله وصناعته في الكتابة وقوانينها، ويقول: هو أكتب أهل
زمانه بلا مدافع، وأعرفهم بالقواعد الإنشائية، وأجودهم ترسلًا، وأحسنهم عبارة،

(١) الآري: العسل.

(٢) ترجمة في: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٤١ - ٤٩، وفيه: «نصر الله بن هبة الله بن أبي محمد بن عبد الباقي... توفي
سنة خمسين وستمائة بدمشق». تاريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ - ٦٥٠) ص ٤٥٦ - ٤٥٧ رقم ٦١٨. الطالع
السعيد ٦٧٦. الجواهر المضية ١٩٩/ ٢ وفيه: «ابن رصافة». وفي ٣٩٢/ ٢ «ابن بصانة». شذرات الذهب
٥/ ٢٥٢. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٨٤ وفيه: «ابن قصافة». السلوك ج ١ ق ٢/ ٣٨٥. الفوائد الجلية في الفرائد
الناصرية لداود بن عيسى الأيوبي ٩٦ - ٩٨. بدائع البداية ٢٧١ رقم ٣٠٧. عيون التواريخ ٢٠/ ٧٠ - ٧١.
المغرب في حلى المغرب ٢٩٩ - ٣٠٠. البداية والنهاية ١٣/ ١٨٤ وفيه: «ابن صاقعة». حسن المحاضرة
١/ ٢٤٣. الأعلام ٨/ ٣١.

(٣) قوص: مدينة كبيرة عظيمة واسعة هي قسبة صعيد مصر. انظر: معجم البلدان/ مادة (قوص).

(٤) في هامش الأصل: «ولد سنة تسع وسبعين وخمسائة».

وأطولهم باعاً، وله ديوان شعر ورسائل .

شاهدته بظاهر مدينة حلب المحروسة، بمقام الخليل إبراهيم - صلوات الله عليه - يوم الخميس الثالث عشر من ذي الحجة سنة سبع وأربعين وستمائة، وعلقت عنه قطعاً من شعره، ولم يكن في الوقت سعة لأكتب من ترسله وأثبتته في هذا المجموع .

ورأيتُه شيخاً لطيفاً كيساً فيه دماثة وبشاشة؛ ثم سافر إلى دمشق، ولم يزل مقيماً بها إلى أن توفي يوم الجمعة ثامن جمادى الآخرة سنة خمسين وستمائة - رحمه الله تعالى - .

ومما أنشدني لنفسه إملاءً من لفظه: [من الطويل]

وَحَقِّكُمْ لَمْ يُلْهِنِي بَعْدُ بَعْدُكُمْ	ظُهُورُ مَذَاكْ أَوْ صُدُورُ مَجَالِسِ
/ ٥٠ / وَلَا رَاقِنِي فِي النَّاسِ إِحْسَانُ مُحْسِنِ	وَلَا أَنْسَتْ رُوحِي بِوُدِّ مُؤَانِسِ
رَمَانِي زَمَانِي الْقَطُّ عَنْ قَوْسِ غَدْرِهِ	بَسْهَمِ فِرَاقِ مُطْلَقَا غَيْرِ حَالِسِ
وَعُوْضْتُ عَنْ يَوْمِي الْمُنِيرِ بِقُرْبِكُمْ	بَلِيلِ مِنَ الْبُعْدِ الْمُبَرِّحِ دَامِسِ
فَأُضْحَى عَدُوِّي عِنْدَ ذَلِكَ رَاحِمِي	وَكَانَ صَدِيقِي قَبْلَ ذَلِكَ مُنَافِسِي
سَأَصْبِرُ حَتَّى يُحْدِثَ اللَّهُ لُطْفَهُ	عَلَى رُغْمِ آتَافٍ وَذُلِّ مَعَاطَسِ
فَمَا أَنَا مِمَّنْ يَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَنَا	عَلَى خَيْرِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ بِأَيْسِ

وأنشدني أيضاً لنفسه ما كتبه إلى بعض الملوك: ^(١) [من الخفيف]

لَوْ شَرَحْتُ الَّذِي وَجَدْتُ مِنَ الْوَجْدِ	عَلَيْكُمْ أُمْلَلْتُكُمْ وَمَلَلْتُ
فَلَهَذَا خَفَّفْتُ عَنْكُمْ وَأَقْصَرْتُ	تُ وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُطِيلَ أَطْلَلْتُ
غَيْرَ أَنَّ الْعَيْدَ تَحْمِلُ عَنْ قُلْدِ	بِ الْمَوَالِي وَهَكَذَا قَدْ فَعَلْتُ

وأنشدني لنفسه أيضاً، وفيه لزوم السين: [من الكامل]

يَا مَنْ عَدَا مِنْ كُلِّ عَارِ عَارِيَا	وَمِنْ الْمُرُوءَةِ وَالْفُتُوَّةِ كَاسِيَا
/ ٥٠ ب / وَرَأَيْتُهُ فِي الْعِلْمِ بَحْرًا زَاخِرًا	وَوَجَدْتُهُ فِي الْحِلْمِ طَوْدًا رَاسِيَا
عَجَبِي لِمِثْلِكَ كَيْفَ يَنْسَى ذَاكِرًا	وَأَعْجَبَ لِمِثْلِي كَيْفَ يَذْكُرُ نَاسِيَا

بَعْدَ الْمَدَى وَرَزَقْتُ قَلْبًا لَيْنًا يَشْكُو [الضنى] وَرَزَقْتُ قَلْبًا قَاسِيَا
هَبْنِي أَسَاتُ كَمَا ظَنَنْتَ فَكُنْ لَجُرْ حَإِسَاءَ تَنِي بِجَمِيلِ صَفْحِكَ آسِيَا
فَقَدْ أَفْتَقَدْتُ مِنَ الْمَعَارِفِ كُلَّهُمْ فَعَسَاكَ تُصْبِحُ لِلْفَقِيرِ مُوَاسِيَا
وَأُنشدني أيضاً لنفسه يتغزل : [من المنسرح]

مَا لَكَ فِي الْخَلْقِ عَاشِقٌ مِثْلِي فَكَيْفَ تَخْتَارُ فِي الْهَوَى قَتْلِي
إِنْ أَتُكَّرْتَ مُقْلَتَاكَ سَفَكَ دَمِي فَلِي بِخَدَيْكَ شَاهِدَا عَدْلٍ
لَكِنِّي غَيْرُ طَالِبٍ قَوْدًا مِنْكَ وَلَا رَاغِبًا إِلَى عَقْلِ (١)
وَلَا لِيَوْمِ الْحَسَابِ أَذْخَرُهُ بَلْ أَنْتَ مِنْهُ فِي أَوْسَعِ الْحَلِّ
يَا فَارِعَ الْقَلْبِ عُدْ عَلَى دَنْفٍ فَوَادُهُ فِي هَوَاكَ فِي شُغْلِ
وَعَدْتَنِي أَنْ تَزُورَنِي فَعَسَى تُقْصِرُ عَمَّا أَطْلَلْتَ مِنْ مَطْلٍ
مَرَارَةَ الْهَجْرِ دُقْتُهَا فَمَتَى تُذَيِّقُنِي مِنْ حَلَاوَةِ الْوَصْلِ
/ ١٥١ / يَا عَاذَلِي فِي هَوَاهُ دَعْ عَاذَلِي فَلَسْتُ أَصْغِي فِيهِ إِلَى الْعَدْلِ
أُمِرْتُ بِالصَّبْرِ عَنْ تَذْكَرِهِ مَنْ لِي بَأَنْ أَسْتَطِيعَهُ مَنْ لِي
لَكِنْ هَوَاهُ عَطَى عَلَى بَصْرِي وَمَسْمَعِي وَالْفُؤَادُ فِي خَبْلِ

وَأُنشدني لنفسه لغزاً في الإبرة : [من الطويل]

وَعَارِيَّةٌ لَا تَشْتَكِي الْبَرْدَ فِي الشِّتَا عَلَى أَنَّهَا مِنْهُوْكَةُ الْجِسْمِ بِالْبَرْدِ
تَرَائِبُهَا مَصْفُورَةٌ غَيْرَ أَنَّهَا مِنَ الْعُورِ لَا الْحُورِ الْحَسَانَ مِنَ الْخُلْدِ
إِذَا زَالَ عَنْهَا سُمْهَا زَالَ نَفْعُهَا وَحَالَ دَوَاتِ السُّمِّ فِي ذَلِكَ بِالضِّدِّ
تَصَدَّتْ لَجْمَعِ الشَّمْلِ بَعْدَ شَتَاتِهِ وَلَا حَظِيَّتْ فِيهِ بِأَجْرٍ وَلَا حَدِّ
إِذَا كَسِيَتْ ثَوْبًا كَسْتَهُ لَغِيرَهَا بَلَا مَنَّةَ مِنْهَا عَلَيْهِ وَلَا كَدِّ
أَنْزَهُ طَرْفِي فِي سَنِيٍّ مَلَابَسِ تَجُودُ بِهَا مَنْ غَيْرِ وَعَدُ وَلَا قُصْدِ
تَفَضَّلَ فَقَدْ أَوْضَحْتُ بَعْضَ أُمُورِهَا بِتَكْمِلَةِ الْإِيضَاحِ يَا مَعْدِنَ الرِّفْدِ

وَأُنشدني أيضاً لنفسه لغزاً في المشط : [من الطويل]

٥١ب/ وَأَصْفَرَ ذِي وَجْهَيْنِ بِالنَّارِ مَا أَكْتَوَى
وَلَا شَكَّ فِيهِ الصَّيْرَفِيُّ فَحَكَّهُ
يُلَوِّحُ لَهُ نَشْرًا وَلَكِنَّهُ يُرَى
يَعَضُّ بِأَسْنَانٍ وَلَيْسَ لَهُ فَمٌ
يُخْلَصُ بَيْنَ الْأَهْلِ مَهْمَا تَشَاجَرُوا
بَعْدَهُ أَمِيَالٌ يَعْدُ مَسِيرُهُ
رَأَى الزُّهْدَ رَأْيًا فَاغْتَدَى مُتَخَلِّلًا
فُبِحَ بِاسْمِهِ إِنِّي عُيْتُ بِكُتْمِهِ

وَأُنشدني أيضًا لنفسه في الساعات المدبرة بالماء : [من الطويل]

وَمُخْبِرَةَ بِالْعِلْمِ وَهِيَ جَهْوَلَةٌ
إِذَا رُوِيََتْ بَاحَتْ بِمَكْنُونِ سِرِّهَا
تَضْجُ وَتَشْكُو الرَّجْمَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
٥٢/ وَتُبْدِي أُنَيْنًا مُشْعِرًا بَتَائِلُ
وَيُفْهَمُ عَنْهَا مَا تَقُولُ وَإِنَّهَا
بِمَا أَخْبَرَتْ عَنْ عِلْمِهِ لَيْسَ تَعْلَمُ
وَأَنْ ظُمْتُ فَالسِّرُّ مِنْهَا يَكْتُمُ
وَلَكِنَّهَا مَرْجُومَةٌ لَيْسَ تُرْحَمُ
وَلَيْسَ بِهَا ضَرٌّ وَلَا تَتَأَلَّمُ
لِعَجْمَاءَ لَا تُوْحِي وَلَا تَتَكَلَّمُ

وكتب إلى الشيخ العلامة سيف الدين أبي الحسن علي بن علي الآمدي، يشفع إليه
في عماد الدين السلماسي، في أن يقرئه شيئًا من كتبه وهو «رموز الكنوز». وكان قد تحدث
معه في ذلك مشافهة: [من البسيط]

يَا سَيِّدًا جَمَّلَ اللَّهُ الزَّمَانَ بِهِ
الْعَبْدُ يَذْكُرُ مَوْلَاهُ بِمَا سَبَقَتْ
وَمِثْلُ مَوْلَايَ مَنْ جَاءَتْ مَوَاهِبُهُ
فَأَصْفَ مِنْ بَحْرِكَ الْفَيَاضَ مَوْرَدَهُ
وَأَجْعَلَ لَهُ نَسَبًا يَذْلِي إِلَيْكَ بِهِ
٥٢ب/ وَلَا تَكِلْهُ إِلَيَّ كَتَبَ تَنْبِيْهُ

(١) ما بين القوسين صدر بيت لأبي تمام، وعجزه:

«في حده الحد بين الجد واللعب»=

وأنشدني لنفسه لُغزاً في القلم : [من الطويل]

وَمَا نَاقِصٌ بِالنَّقْصِ صَارَ مُذَكَّرًا وَكَانَ لَهُ التَّائِيْتُ وَهُوَ مُتَمِّمٌ
عَجِبْتُ لَهُ يَزْدَادُ فَضْلًا بِنَقْصِهِ فَيُصْبِحُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ يَتْرَجِمُ
وَيَفْهَمُ مَا يُوحَى إِلَيْهِ مُسَارِعًا فَيُعْرَبُ عَنْهُ وَهُوَ أَطْرَشُ أَبْكَمُ
وَيَسْعَى إِذَا اسْتَسْعَيْتَهُ وَهُوَ مُطَرِّقٌ لَغَيْرِ حَيَاءٍ لَابَسٍّ وَهُوَ مُحْرَمُ
شَعَارِ بَنِي الْعَبَّاسِ أَضْحَى شِعَارُهُ وَلَيْسَ لَهُ... خُرَاسَانَ مُسْلِمُ
صَمُوتٌ إِذَا أَمْسَى سَلِيمًا لِسَانُهُ نَطُوقٌ إِذَا أَجْرَرَتْهُ مُتَكَلِّمُ
وَأَلَكْنُ مَهْمًا حُطَّ عَنْهُ لثَامُهُ وَلَكِنْ فَصِيحٌ عِنْدَمَا يَتَلَثَّمُ
تَرَى بِاقْلًا مِنْهُ إِذَا كَانَ حَاسِرًا وَتَنْظُرُ قَسًا مِنْهُ وَهُوَ مُعَمَّمُ
وَأِنْ عَبْتَهُ بِالْجَهْلِ فَالْمُ بَأَنَّهُ مَعَ الْجَهْلِ... بِشَرْبِ الْمَاءِ أَعْلَمُ^(١)
تَحَلَّلْتُ فِي إِظْهَارِهِ وَهُوَ مُضْمَرٌ وَحُمْتُ عَلَى إِيْضَاحِهِ وَهُوَ مُهْمُ
فَلَمْ أَبْدِهِ بِالذِّكْرِ إِلَّا مُصَحَّفًا لِعِلْمِي وَإِنْ لَمْ أَبْدِ أَنَّكَ نَفْهَمُ

٥٣/ وكتب إليه بعض أصدقائه من الشام . وكان أبو الفتح قد سافر إلى البلاد العراقية ، وأقام ببغداد وانقطعت أخباره بها يتشوقه ويحثه على المجيء إلى البلاد الشامية بهذه الأبيات : [من الطويل]

وَذِي عَزَمَاتٍ لَا تَكُلُ سَيْوْفُهُ وَإِنْ صَارَ لَا يَخْشَى الرَّدَى فِي الْمَنَازِلِ
وَأِنْ لَاحَ بَرْقٌ مِنْ بَرِيقِ سَيْوْفِهِ فَمَنْ بَعْدَهُ رَعْدٌ كَثِيرُ الزَّلَازِلِ
وَقَالَ وَقَدْ طَالَتْ عَلَيْهِ سُنُونُهُ وَمَا عَاشَ إِلَّا بِالْعَوَالِي الْعَوَامِلِ
﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ عَاجِلًا وَعَايِنْتَنَّا بَيْنَ الْقَنَا وَالْقَنَابِلِ^(٢)
فَلَأْنِي أَثِيرُ الْحَرْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَأُظْهِرُ فَعْلِي فِي الْعِدَا وَالْعَوَاذِلِ

فأجابه أبو الفتح بهذه الأبيات على الوزن والقافية : [من الطويل]

٥٣ب/ أَتَانِي كِتَابُ مَنْكَ يَا دَا الْفَضَائِلِ فَلَيْسَ لَهُ فِي حَوْزَهَا مِنْ مُمَائِلِ
فَشَبَّهْتُهِ لَفْظًا وَخَطًّا تَسْمُحًا بِسِمِطِ اللَّالِي أَوْ بِرَوْضِ الْخَمَائِلِ

= انظر : ديوانه ١٤ .

(١) موضع النقاط بياض في الأصل .

(٢) سورة النصر ، الآية ١ ، القنابل : الطوائف من الناس والخيول .

وَقَبَّلْتُهُ بَلْ كَدْتُ أَمْحُو سُطُورَهُ
وَقَفْتُ عَلَى الْمَعْنَى الَّذِي قَدَّرَ مَزَّتَهُ
وَأَفْسَمُ يَا مَوْلَايَ لَوْ كُنْتُ قَادِرًا
وَبِالرَّغْمِ مِنِّي أَنْ يُسَلَّمَ بَعْضُنَا
لَفَرَطُ أَشْتِيَاقِي بِالْذُّمُّوعِ الْهَوَامِلِ
وَقُوفَ الْمَعْنَى فِي الرَّسُومِ الْمَوَائِلِ
عَلَى السَّعْيِ لَمْ أَفْنَعْ بِخَطِّ أَنْامِلِي
عَلَى بَعْضِنَا بِالْكَتَبِ أَوْ بِالرَّسَائِلِ

وله في كتاب إلى الملك المعظم شرف الدين عيسى بن أبي بكر بن أيوب - صاحب دمشق - وقد غاب عن القدس: [من السريع]

يَا مَلِكًا مَازَالَ إِنْْعَامُهُ
غَبَّتَ عَنِ الْقُدْسِ فَأَوْحَشْتَهُ
وَكَيْفَ لَا تُوَحِّشُ أَرْجَاءَهُ
فِي النَّاسِ مَعْقُولًا وَمَحْسُوسًا
وَأَنْ غَدَا بِأَسْمِكَ مَأْنُوسًا
وَأَنْتَ رُوحُ الْقُدْسِ يَا عَيْسَى

ومن كلامه المنشور قوله:

/ ١٥٤ / «قَتِلُ الْجَفُونَ الْفَوَاتِرَ، فِي سَبِيلِ حُبِّهِ، كَقَتِيلِ السِّيُوفِ الْبَوَاتِرِ فِي سَبِيلِ رَبِّهِ؛
إِلَّا أَنَّ هَذَا يُغَسَّلُ بِدَمُوعِهِ، وَهَذَا يُزَمَّلُ بِنَجِيْعِهِ، وَهَذَا فِي حَالِ حَيَاتِهِ مَيِّتٌ يَرْمَقُ، وَهَذَا فِي
حَالِ مَمَاتِهِ حَيٌّ يَرْزَقُ».

[٨٦٦]

نصر الله بن يوسف بن أبي الفتح الكِنَانِي، أبو الفتح .
من أهل الديار المصرية .

وقع إلى إربل من بلاد الشام متصرفاً على عهد مليكها العبد الفقير إلى الله تعالى أبي سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين - رحمه الله تعالى - واستوطنها إلى أن مات بها في ذي الحجة سنة سبع عشرة وستمائة . وكان يكتب خطاً حسناً، وينظم شعراً مطبوعاً .

أنشدني الوزير صاحب شرف الدين أبو البركات المبارك بن أحمد بن المبارك ابن موهوب المستوفي الإربلي بها - رضي الله عنه - في سنة خمس وعشرين وستمائة، قال: أنشدني أبو الفتح نصر الله بن يوسف بن أبي الفتح الكِنَانِي المصري لنفسه:

[من الكامل]

/ ٥٤٥ / مَا هَذِهِ الْبِدْعُ الَّتِي قَدْ أُحْدِثَتْ خُصَّتْ بِهَا دُونَ الْوَرَى الْكُتَابُ

قَامَتْ قِيَامَتُهُمْ وَلَمْ يَكُ وَقْتَهَا وَأَتَاهُمْ قَبْلَ الْحَسَابِ عَذَابُ
مَا كَانَ ذَا إِلَّا تَوَهُّمَ مَا سَعَى بِالنُّصْحِ وَهُوَ بِنُصْحِهِ كَذَابُ
«مَا فَاتَهُمْ فِي كُلِّ مَا وَعِدُوا بِهِ فِي الْحَشْرِ إِلَّا رَاحِمٌ وَهَّابُ»

هذا البيت لأبي الفتح ابن التعاويذي البغدادى مضمّن^(١).

وأنشدني أيضاً، قال: أنشدني نصر الله بن يوسف لنفسه: [من الكامل]
كَمْ ذَا أَعْلَلُ بِالْمُنَى قَلْبِي حَسْبِي أَبْنُ يَمَكُ فِي الْوَرَى حَسْبِي
مَا بَعْدَهُ لِلْمُرْتَجِي أَمَلٌ وَقَفَ الرَّجَاءُ بِيَابِهِ الرَّحْبُ

وحدثني الأمير الكبير العالم ركن الدين أبو شجاع أحمد بن قرطايا بن عبد الله الإربلي - أسعده الله - من لفظه وحفظه بإربل، قال: كان / ١٥٥ / لأبي الفتح نصر الله بن يوسف بن أبي الفتح الكنانى صديق يهودي، فضمن من إنسان غريماً ببدنه، فهرب ذلك المكفول إلى بعض البلاد، فطُوب اليهودي به وبإحضاره، فعمل اليهودي محضراً؛ إن الغريم قد سكن في بلد رجل خارجي ولا يمكنه الوصول إليه، ولا يقدر على إحضاره، وطلب من أبي الفتح ومن جماعة آخر أن يضعوا خطوطهم بذلك، فوضعوا. فبلغ الديوان العزيز قصتهم فاعتقل أبو الفتح بهذا السبب. وكان بين [فخر الدين أبي الفضل أحمد خواندزه]^(٢) - ولد الوزير مؤيد الدين أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم القمي - وبين أبي الفتح معرفة؛ فكتب إليه بهذه / ٥٥ ب / الأبيات، وأنشدنيها الأمير ركن الدين عن قائلها أبي الفتح: [من الطويل]

أَمْوَلَايَ فَخَرِ الدِّينَ حُلْمُكَ وَاسِعُ وَعَدْلُكَ مَبْسُوطٌ وَمَا زِلْتَ تُنْصَفُ
أَبْنُ لِي يَا أَبْنَ الْأَكْرَمِينَ قَضِيَّتِي فَقَدْ أَشْكَلْتُ وَالْأَمْرُ عِنْدَكَ يُعْرَفُ
أَبَيْتٌ وَقَدْ وَكَلْتُ بِي وَالَّذِي جَنَى يَنَامُ قَرِيرَ الْعَيْنِ لَا يَتَكَلَّفُ
وَمَا يَتَنَبَّأُ إِلَّا يَسِيرُ مَوْدَّةً إِذَا أَزْدَحَمَتْ بَيْنَ الْمَوَدَّاتِ تَضَعُفُ
فَقَدْ ذَكَّرْتَنِي لَيْلَتِي يَيْتَ شَاعِرُ شَكَا فِيهِ مَنْ يَشْكُو الصَّدِيقَ وَيَعْطَفُ
«وَمَا ضَرَّنِي إِلَّا الَّذِينَ عَرَفْتَهُمْ جَزَى اللَّهُ خَيْرًا كُلَّ مَنْ لَسْتُ أَعْرِفُ»

هذا البيت مضمّن.

(١) البيت في ديوانه ص ٤٨.

(٢) ما بين المعقوفين من هامش الأصل.

ذكر مفاريد الأسماء في هذا الحرف

[٨٦٧]

ناصحُ بنُ سعدِ بنِ ظَفَرٍ، أبو الشرفِ الكاتبُ المنشئُ الأديبُ
الكاواني.

وكاوان قرية من قرى جرباذقان^(١).

كان يكتب الإنشاء لطغرل بن أرسلان السلجقي - صاحب عراق العجم وبلاد
أذربيجان وغيرها - وكان الغاية في علم الآداب وفنونها، حائزاً فضيلتي المنظوم والمنثور
بالعربية والفارسية، علامة زمانه، وواحد وقته في الفضائل، بلاغةً وتقدماً وتبريزاً وفهماً؛
وديوان أشعاره ورسائله موجودان صاراً إليّ، وعلقتُ منهما ما هو غرض كتابي هذا من النظم
والنثر.

أنشدني القاضي شمس الدين أبو حامد محمد بن أحمد بن أبي بكر الفقيه الشافعي
الجرباذقاني بالموصل بالمدرسة البدرية المطلة على دجلة من لفظه وحفظه، قال: أنشدني
أبو الشرف ناصح بن سعد بن / ٥٦ ب / ظفر الكاتب المنشئ الأديب الكاواني لنفسه: [من
الكامل]

قُلْ لِلْعُدَيْبِ إِذَا رَأَيْتَ الضَّالَّا يَهْتَزُّ مِنْ مَرِّ النَّسِيمِ شَمَالًا
رَوَّاكَ مِنْ مَاءِ الْعَمَامِ سُلَافُهُ وَسَقَاكَ نَوَاءَ الْمِرْزَمِينَ سَجَالًا

ومنها في المديح ووصف المعسكر:

جُنَّ عَلَى جُنٍّ إِذَا أَرْتَهَجَ الْوَعْيُ نَحْوَ الْعَدُوِّ يَارِزُ الْأَبْطَالَ
شَوْسُ إِذَا رَكِبُوا الْيَوْمَ كَرِيهَةً تَرَكُوا دِيَارَ عَدُوِّهِمْ أَطْلَالَ

وأنشدني أيضاً، قال: أنشدني أبو الشرف الكاواني قوله من قصيدة مبدؤها:

[من الوافر]

(١) جرباذقان: بلدة قرية من همدان، بينها وبين الكرج وأصبهان، كبيرة مشهورة. انظر: معجم البلدان/ مادة
(جرباذقان).

جِيُوشُ الْحُبِّ تَغْزُونِي سَرَايَا
وَعَابَتْ يَوْمَ بَانُوا شَمْسُ عَيْشِي
رَمْتَنَا مِنْ لَوَاحِظَهَا بِسْهَمِ
سَرَى بِحُمُولِهَا رَكْبٌ هَوَاهُمْ
أَلَا يَا حَادِي الْأَظْهَانِ مَهْلًا
١٥٧/ لَعَلِّي أَشْتَفِي مِنْهَا بِلَحْظِ
فَتْلِكَ ضِعَائِنُ رَحَلْتُ وَلَكِنْ
تَقَرَّقْنَا وَقَلْبِي فِي أَنْصَادِ
أَشَارَتْ لِلْوَدَاعِ بِكُسْرِ جَفْنِ
وَهَزَّتْ لِلتَّشْيِي رُمُوحٌ قَدْ
وَمَدَّتْ وَالرَّقِيبُ عَلَى تَنَاءِ
دُهِشْتُ تَحِيرًا وَدَعَوْتُ سِرًّا

وَتَجْعَلُ مُهْجَتِي بَعْضَ السَّبَايَا
وَقَدْ مَا كَانَ طَلَعْتُهَا مُنَايَا
فَصَارَ ظُهُورُنَا مِثْلَ الْحَنَايَا
يَمَانِي فَرَأَقَهُمْ هَوَايَا
بِهِنَّ هَنِيهَةً وَقَفَ الْمَطَايَا
يَسُوعُ مَا شَرَقْتُ بِهِ شَجَايَا
هَوَى قَلْبِي حَمَلْنَ عَلَى الْحَوَايَا
لَدَى الْجَرَعَاءِ مَا بَيْنَ الشُّطَايَا
لَهُ وَقَعَ الْمَنَاصِلُ فِي حَشَايَا
قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ لَهُ دَرَايَا
يَدَا عُضَّتْ بِأَطْرَافِ الشَّيَايَا
أَلَا يَا رَبَّنَا أَحْفَظْهَا أَلَايَا

وأنشدني أيضاً، قال: أنشدني أبو الشرف لنفسه: [من مجزوء الرجز]

هَبِّ نَسِيمُ الصَّبَا
يَقْتُقُ نُورَ الرُّبَى
يَا صَاحِبِي أَشْرَبَا
كَأَسَا تُعِيدُ الصَّبَا
بَعْدَ دَوَاعِي الْهَرَمِ

عَرَدَ فَوْقَ الْأَرَاكِ
حَمَامَةُ الْإِيكَ هَاكِ
مِنْ يَدِ سَاقِ سَقَاكِ
رَاحًا تُرِيكَ السَّمََاكِ
تَحْتَ مَوَاطِي الْقَدَمِ

نَمْنَمَ نَوَى السَّحَابِ
فَوْقَ مُتُونِ الْهَضَابِ
وَشَيْءًا كَلَوْنَ الثِّيَابِ
وَكُنَّ صَحْنُ التُّرَابِ
تَذَكُّرَةً مِنْ إِرَمِ

الْغَيْثُ مَمَّ سَـرَى يَمْنَحُ وَجْهَ الثَّـرَى
سَيْلًا حَكَّيْ إِنْ جَـرَى كَفَّ إِمَامِ الْوَرَى
فَصَدْرُ صُدُورِ الْعَجَمِ

مُهَذَّبُ الدِّيْنِ مَنْ قَلَّدَ أَهْلَ الزَّمَنِ
بِالْجُودِ طُوقَ الْمَنَنِ هُنَّتِ يَا أَبْنَ الْحَسَنِ
إِنَّكَ مَوْلَى الْأَمَمِ

قَدْ شَاعَ فِي الْعَالَمِ أَنْ أَبَا الْقَاسِمِ
أُرْبَى عَلَى حَاتِمِ بِالْكَرَمِ الدَّائِمِ
لَا زَالَ طُودَ الْكَرَمِ

وقال أيضاً، وهو مما نقلته من ديوان شعره: [من الطويل]

أَيَا فَرَحَتِي عُشِّي وَنُورِي كَرِيمَتِي وَيَا مُقْلَتِي عَيْنِي وَيَا قَلْدَتِي كَبْدِي
لَقَدْ زِدْتُ مَا يَوْمَ الْفِرَاقِ كَأَبْتِي وَأَجْرِي تَمَادَمَعِي عَلَى سَحْتَتِي خَدِّي
وَأَرْتَمَا فِي الْقَلْبِ نَارَ صَبَابَةٍ يَضِيقُ بِهَا صَدْرِي وَيَعْلُو بِهَا وَجْدِي^(١)
«فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُبَيِّنَ لَيْلَةً» وَبَيْتُكُمَا بَيْتِي وَمَغْنَاكُمَا عُنْدِي
وَهَلْ يَنْظُرُنِي الدَّهْرُ حَتَّى أَرَاكُمَا وَأَصْبَحَ مِنْ بُعْدِ الدِّيَارِ عَلَى بُعْدِ

/٥٨/ وقال أيضاً: [من البسيط]

يَا رَبَّةَ الْخَدْرِ إِنْ تَنْسُونِ صَاحِبَكُمْ فَنَحْنُ وَاللَّهِ لَا نَنْسَاكُمْ أَبَدًا
وَلَوْ رَأَيْتُمْ غَدَاةَ الْجَزَعِ إِذْ رَقَلْتُ بِنَا الْمَطْيِ إِلَى نَادِيكُمْ بَدَدًا
حَيْثُ التَّقِينَا إِلَى بَطْحَائِكُمْ عَرْضًا وَلَمْ نَجِدْكُمْ مِنْ أَحْبَابِنَا أَحَدًا
فَيَا لَهَا عَبَرَاتٍ أُذِرْفَتْ صَبِيًّا وَيَا لَهَا زَفَرَاتٍ أُرْسِلَتْ صَعْدًا

وقال أيضاً: [من البسيط]

يَا جِيرَتِي بِالْعُدَيْبِ الْعَذْبِ مَوْرِدُهُمْ
إِذَا تَسَمَّتُ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ أَحَدًا
لَا جَدَدَ اللَّهِ فِي الْأَيَّامِ يَوْمَ غَدٍ

وقوله: [من الطويل]

أَقُولُ لَوْرَقَائِيْنِ فِي جُنْحِ لَيْلَةٍ
خُذَا بِنَصِيبِ الْعَيْشِ مَا دُمْتُمَا مَعًا
فَإِنَّ مَسَرَّاتِ الْقُلُوبِ عَلَى الْفَتَى

وقال أيضاً: [من الطويل]

٥٨ب/ نَسِيمُ الصَّبَا إِنْ جُنْتُ أَرْضَ أُحْبَتِي
بَحِيْثُ قُلُوبِ الْعَاشِقِيْنَ تَزَاحَمَتْ
فَقُلْ لِفَتَاةِ التَّيْمِ إِنْ فَتَاكُمُ
عَلَى شَاطِئِ الْوَادِي بِمُنْعَرِجِ اللَّوَى

وقال أيضاً: [من البسيط]

مَنْ ذَا الَّذِي بِكَ مَشْغُوفٌ مِنَ النَّاسِ
وَمَنْ تَجَرَّعَ كَأْسًا فِي هَوَاكَ فَلَمْ
وَمَنْ شَفَقَهُ أَحَادِيثُ الْمُنَى عَلَلًا
جَالَتْ لِحَاظُكَ يَوْمَ الْبَيْنِ فِي جِلْدِي
يَا طُرَّةَ الشَّيْخِ بِالْخُلُصَاءِ شَوْهَهَا
أَهْدَى النَّعَامَى وَكَانَ الْبَيْنُ يُوحِشُنِي
أَغِيضُ مِنْ زَفَرَاتٍ كُلَّمَا نَسَمْتُ

وقال أيضاً: [من الكامل]

كَثُرَتْ هُمُومِي فِي الْهَوَى وَتَمَادَتْ
٥٩أ/ وَاشْتَدَّ بِي بَرْحُ السَّقَامِ فَمَا
أَعْطَيْتُهُ لِيْنَ الْمَقَادِ وَلَمْ أَكُنْ

لَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِنْكُمْ آخِرَ الْأَبَدِ
فَقَدْ سَفَكْتُ دَمِي فِي هَجْرِكُمْ بِيَدِي
إِنْ لَمْ أُسَرِّ بَلْقِيَاكُمْ غَدَاةَ غَدٍ

تُؤَوِّحَانِ فَوْقَ الْبَانَ تَصْطَحَبَانِ
وَلَا تَأْمَنَانِ مِنْ أَعْيُنِ الْحَدَثَانِ
قَوَاضٍ وَسَاعَاتِ السُّرُورِ قَوَانِي

سَقَطَ اللَّوَى حُوشِيَتْ طُرُقَ الْمَهَالِكِ
فَضَاقَ عَلَى الْغَادِيْنَ نَهْجُ الْمَسَالِكِ
يَقُولُ: وَحَقُّ الْوَدْيَا ابْنَةُ مَالِكِ
تَرَكْتُ فُؤَادِي فَاطْلِيْهِ هُنَالِكَ

نَجَا وَرَأْسُكَ مِنْ عَيْنَيْكَ بِالرَّاسِ
يَغْتَصُّ بَعْدَ التَّدَاذِ الْكَاسَ بِالْكَاسِ
لَمْ يَنْصَرِفْ مِنْ كَلَا خَدَيْكَ بِالْيَاسِ
مَا لَمْ يَجُلْ فِي كَلِيْبِ سَيْفِ جَسَّاسِ
يَدُ الصَّبَا طَالَ فِي ذِكْرَاكَ وَسُوَاسِي
رِيَاكَ لِيْ فَأَعَادَتْ بَعْضَ إِيْتَاْسِي
حَذَارَ أَنْ يَتَأَذَى حُرُّ أَنْفَاسِي

وَرَضِيْتُ كَفِّي فِي الْفِرَاقِ وَسَادَتِي
أَعْطَيْ [لَهُ] لَوْلَاهُ لِيْنَ مَقَادَتِي

هَجَرُوا وَلَمْ أَجْرَعْ كُؤُوسَ فَرَاقِهِمْ
يَا سَادَتِي كَمْ تَهْجُرُونَ مُتِمًّا
إِنِّي وَحَقُّ اللَّهِ مَوْلَى فِكْكُمْ
لَوْ كَانَ يُسْعَفُ فِي الزَّمَانِ إِرَادَتِي
قَادَ الْغَرَامَ بِنَفْسِهِ فَأَنْقَادَتْ
عَطْفًا عَلَى مَوْلَاكُمْ يَا سَادَتِي

وقال أيضاً: [من الرمل]

إِنْ أَحْبَابِي يَوْمَ أَفْتَرُقُوا
أَصْبَحَ الْعُمَرُ قَصِيرًا بِهِمْ
بِالْحَمَى لَمْ يَعْرِفُوا وَجْهَ الصَّوَابِ
ضَيَعُوهُ يَبْنِ عَتَبٍ وَعَتَابِ

وقال أيضاً: [من الكامل]

وَبِمُهِجَّتِي مَنْ جَاءَنِي مُتَعَبًا
وَالْدَمْعُ فِي خَدَيْهِ يُنْظَمُ عَقْدُهُ
يَشْكُو النَّوَى مُغْرُورِقَ الْأَجْفَانِ
كَالطَّلِّ فَوْقَ شَقَائِقِ النَّعْمَانِ

وله أيضاً: [من البسيط]

إِنِّي لَمُهْدٍ عَلَى أَيْدِي الصَّبَا سَحَرًا
وَكَا مِنْ طُولِ لَيْلِي فِي مَرَاصِدِهَا
مَنْ التَّحَايَا كَأَنْفَاسِ الرِّيحَيْنِ
لَعَلَّهَا بِنَسِيمٍ مِنْكَ تَشْفِينِي

/ ٥٩٥ / وقال في مهذب الدين أبي القاسم بن الحسن وقد آب من غيبته:

[من السريع]

أَهْلًا بِهِذَا الْقَمَرِ الْقَادِمِ
قَرَّتْ عُيُونُ النَّاسِ مِنْ مَقْدَمِ الصَّ
مَوْلَى الْمَوَالِي السَّيِّدِ الْمُرْتَجَى
مَنْ يَدُهُ عِنْدَ احْتِبَاسِ النَّدَى
وَبَأْسُهُ عِنْدَ احْتِدَامِ الْوَعَى
وَوَجْهُهُ عِنْدَ ارْتِكَامِ الدُّجَى
وَجُودُهُ ظِلٌّ بِلَا مَنَّةِ
وَعَدْلُهُ بَيْنَ الْوَرَى حَارِسٌ
لَوْ لَمْ يُلَاحِظْنِي إِقْبَالُهُ
أَكْرَمَ قَدْرِي حِينَ صَادَفْتُهُ
وَهَزَّ عَطْفَ الْفَضْلِ لَمَارَأَى
وَمَرْحَبًا بِالْمَطَرِ السَّاجِمِ
ذُرَّ الْكَيْسِ الْعَادِلِ الْعَالِمِ
مُهَذَّبِ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ
تَخَلَّفَ صَوْبَ الْمَطَرِ الدَّائِمِ
يَهْشِمُ أَنْفَ الْأَسَدِ الْهَاشِمِ
يَكْفِي ضِيَاءَ الْكَوْكَبِ النَّاجِمِ
يَسْعَى إِلَى الْقَاعِدِ وَالْقَائِمِ
وَكُلِّ بِالْيَقْظَانِ وَالنَّائِمِ
كُنْتُ صَرِيْعَ الزَّمَنِ الْعَارِمِ
تَكْرَمَةَ الْمُخْدُومِ لِلْخَادِمِ
لَفْظِي يَجْرِي دُرُّ النَّاطِمِ

/ ٦٠ / جَرُّبَاذَقَانُ الْيَوْمَ مُذْ حَلَّهَا
جَنَّةُ خُلْدٍ فِي بَسَاتِينِهَا
طَارَ عَقَابُ الْعَدْلِ فِي جَوِّهِ
يَا سَيِّدًا فِي بَحْرِ إِحْسَانِهِ
يَقْذِفُ لِلْوَافِدِ دُرًّا وَلَا
لَيْسَ أَعْتَصَمَ امِي بِكَ إِلَّا [لَمَّا]
صَاحَبَكَ الْإِقْبَالُ مَا صِيحَّةُ

وقال في غلام معذر: [من الكامل]

كَتَبَ الْجَمَالَ عَلَى صَحِيفَةِ خَدِّهِ
خَطُّ يَرُوقُ الْمُقْلَتَيْنِ كَأَنَّهُ

وقوله في وصف الخمر: [من المتقارب]

إِذَا مَا مَزَجْتَ بِمَاءِ الْغَمَامِ
/ ٦٠ ب / فَسُقْهَا إِلَيَّ فَلَيْسَتْ حَرَامًا

وقال أيضاً: [من المنسرح]

قَدْ طَالَ سُقْمِي وَمَلَّ عُوَادِي
فَقَائِلٌ قَدْ خَبَتْ بِوَائِرِهِ
وَكُلُّهُمْ عَارِفٌ بِمَرْتَبَتِي
لَا بَأْسَ أَقْضِي حَقُّوقَهُمْ كَمَلًا

وقوله أيضاً: [من الوافر]

سَقَى أَطْلَالَ عَزَّةَ بَاكَرَاتٍ
فَتَمَّ رَوَاجِحُ الْأَكْفَالِ رُودٌ
إِذَا نَشِرَتْ دَوَائِبُهُنَّ غَابَتْ

وقال وقد جاءه كتاب: [من الوافر]

أَبْلَجُ مَثَلِ الذِّكْرِ الصَّارِمِ
يَسْمُ ثَغْرِ الزَّهْرِ الْبَاسِمِ
يَفْقَأُ عَيْنَ الْحَدَا الظَّالِمِ
مَاءٌ يُرَوِّي كِبَدَ الْهَائِمِ
يَخْشَى عَلَيْهِ خَطَرَ الْعَائِمِ
أَعْلَمُ مَا غَيْرُكَ مِنْ عَاصِمِ
تُسْمَعُ لِلصَّادِحِ وَالْبَاغِمِ

خَطُّا فَلَقَبَهُ الْوُشَاةُ عَذَارَا
خَطُّ ابْنِ مَقْلَةٍ يُونِقُ الْأَبْصَارَا

مُدَامًا مُفَرِّقَةً لِلْهُمُومِ
عَلَى ابْنِ الْكَرَامِ بَنَاتُ الْكُرُومِ

وَأَكْثَرَ الْقَوْلِ فِي حُسَّادِي
وَقَائِلٌ لَهْفَ زَيْنَةِ النَّادِي
بَيْنَهُمْ فِي رُؤُوسِ أَشْهَادِ
إِنْ كَانَ فِي الْأَرْضِ بَاقِيًا زَادِي

مَنْ الْأَنْوَاءَ تَضَحَكَ ثُمَّ تَبْكِي
خَلَعْتُ لِأَجْلِهِنَّ ثِيَابَ نُسْكِي
أَيَاةُ الشَّمْسِ تَحْتَ خِتَامِ مِنْكَ^(١)

يَجِدُّ رِيحَهُ لِلرُّوحِ نَشْرًا
تَضَوُّعٌ يَمَلَأُ الْآفَاقَ عَطْرًا
رِيَاضًا أَطْلَعَتْ زَهْرًا وَزَهْرًا
لَا لِيْءٌ فُصِّلَتْ نَظْمًا وَنَثْرًا
وَوَفَيْنَا لَهَا حَمْدًا وَشُكْرًا

قُلْتُ: ضِيَاءُ النَّجْمِ فِي غَاسِقِ
يَقْضُرُ عَنْهُ نَظْرُ الْفَاسِقِ

إِذَا قُلْتُ مَدْحًا كُنْتُ فِي الْقَوْلِ كَاذِبًا
دَوَائِبَ أَسْرَابِ الْمَهَا وَالتَّرَائِبَا
مَنْ النَّاسِ أَوْ يُحْصِي لِعَرْضِ مَعَابَا
هَٰذِي مَا هَٰذِي دَهْرًا فَأَصْبَحَ تَائِبَا

بَزَهْرَةِ آدَابِي رِيَاضُ الْمَشَاهِدِ
وَلَا سَمِعْتُ أَذْنِي غِنَاءَ الْمَحَامِدِ

وَلَا مِحْنَةً أَنْ يَشْتَكِيَ الرَّجُلُ الْفَقْرَ
هِيَ الْعُرْبَةُ الْعُظْمَى هِيَ الْمِحْنَةُ الْكُبْرَى

لَوْ كُنْتُ تَذْرِي مَوَاضِعَ النِّعَمِ
لَأَحْوَلُ الْجُودِ أَعْوَرَ الْكَرَمِ

نَشَرْتُ كِتَابَكُمْ فَوَجَدْتُ نَشْرًا
وَلَمَّا أَنْ فَضَضْتُ لَهُ خَتَامًا
/ ٦١ / وَحَاكَ بَنَانُ شَمْسِ الدِّينِ فِيهِ
وَأَدْرَجَ ضَمْنَهَا لَفْظًا وَمَعْنَى
فَأَوْلَيْنَا بِهَا بُشْرَى وَبُشْرًا

وقال في غلام معذر: [من السريع]
قَالُوا: بَدَأَ فِي خَدِّهِ خُضْرَةٌ
الآن أَخْتَصُّ بِهِ إِذْ غَدَا

وقال: [من الطويل]
وَقَالُوا: هَجَرْتَ الشَّعْرَ؟ قُلْتُ: لِأَنِّي
وَيَقْبُحُ بِي بَعْدَ الْمَشِيبِ تَذْكَرِي
وَلَيْسَ بَذِي هُجْرِي نَالَ لِسَانُهُ
فَأَوْلَى بِحَالِي أَنْ يُقَالَ: شُويعِرُ

وقال: [من الطويل]
أَقْبَلُ ضَيْمًا بَعْدَ مَا طَابَ فِي الْوَرَى
/ ٦١ ب / إِذَا لَا رَأَتْ عَيْنِي وَجُوهَ مَارِي

وقال: [من الكامل]
لَا تَحْسَبُوا هَجَرَ الْمَسَاكِينِ غُرْبَةً
فَإِنَّ أَفْتِقَادَ الْمَرْءِ أَقْرَانَ عَصْرِهِ

وقوله يمدح: [من المنسرح]
يَا حَاتِمَ الْعَصْرِ فِي سَمَاحَتِهِ
إِنَّكَ فِيمَا تُنِيلُ فِي نَعَمِ

وقال: [من الوافر]

وَحَافِدُهُ وَيُعْجِبُنِي عَلِيٌّ^(١)
كَمَا يُغَرِّى بِمَوْلَاهُ الْوَلِيِّ
فَإِنِّي النَّاصِبِيُّ الرَّافِضِيُّ

أَحَبُّ الْأَبْطَحِيِّ وَصَاحِبِيهِ
وَلَكِنِّي بِحُبِّ آلِ مُغَرِّى
فَإِنْ يَكُ نَاصِبِي رَافِضِيًّا

وقال : [من الوافر]

فَقَدْ . . . تَرَجَمَ الْيَمِينِي^(٢)
زَفَقْتُ بِهِ إِلَى غَيْرِ الْقَمِينِ
وَوَا أَسْفِي عَلَى الدَّرِّ الثَّمِينِ

يَمِينِي أَحْرَمْتُ شَلَّتْ يَمِينِي
قَمِينٌ أَنْ أَلَامَ عَلَى عَذَارِي
/ ١٦٢ / فَوَا أَسْفِي عَلَى زُهِرِ اللَّالِي

وقال : [من البسيط]

فَالدَّهْرُ يُمَثِّلُ فِي الدُّنْيَا بِأَمْثَلِهَا
فَصَارَ يَجْعَلُ أَعْلَاهَا كَأَسْفَلِهَا

قُلْ لِلْكَرَامِ وَقَيْتُمْ صَرْفَ دَهْرِكُمْ
وَكُنَّ يَجْعَلُ عَلَيْهَا كَسَافِلَهَا

وقال : [من الرمل]

سَحَرَتْ غُثَّهَا قَلْبًا مُعْنَى
كَحَزِينٍ وَهِيَ لَا تُضْمِرُ حُزْنَآ
خَضَلَ الْجَفْنِ وَلَا تُخْضِلُ جَفْنَآ
حَنَّةً جَاوَبَهَا أَوْرَقُ حَنَّا
إِنَّهَا هَاجَتْ فُوَادًا مُطْمَئِنَّا
كَلَّمَا أَفْلَقَهُ الْوَجْدُ أَرْزَنَّا

رُبَّ وَرَقَاءَ عَلَى الْإِيكَ تَغْنَى
طَارَحْتَنِي بَعْدَ هَذِهِ شَجْوَهَا
مَا بُكَاهَا كَبْكَائِي إِنْ نِي
كَلَّمَا حَنَّتْ عَلَى أَيْكَتِهَا
لَا عَفَا الرَّحْمَانُ عَنْهَا مَا جَنَّتْ
إِنَّ لِلْعَاشِقِ قَلْبًا مُسْتَهَامًا

وقال : [من البسيط]

وَأَكْتَفِي كُلَّ مَكْرُوهٍ بِهِ نَزَلَا
فَلَمْ أَجِدْ مِثْلَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلَا
أَوْفَاهُمْ ذِمَّةً أَزْكَاهُمْ عَمَلَا
جُودًا وَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَمَالِهِ أَمَلَا
فَزَادَهُ اللَّهُ إِكْرَامًا بِمَا فَعَلَا

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ ذَاكَ الْعَارِضَ الْهَطَلَا
فَقَدْ بَلَّوْتُ بِهِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهِمْ
/ ١٦٢ ب / أَعْلَاهُمْ هِمَّةً أَسْنَاهُمْ خَطَرًا
مَا زَارَهُ زَائِرٌ إِلَّا وَأَوْسَعَهُ
لَمَّا نَزَلَتْ دَرَاهُ الرَّحْبِ أَكْرَمَنِي

(١) الحافظ : ولد الولد .

(٢) موضع النقاط بياض في الأصل .

وهذه نُبذُ من كلامه المشثور، نقلتها من ديوان رسائله، فمن ذلك ما كتبه إلى قاضي
القضاة ركن الدين صاعد: [من الوافر]

جَنَابُكَ لِلوَرَىٰ أَعْلَىٰ جَنَابِ وَبَابُكَ لِلْمُؤَمِّلِ خَيْرُ بَابِ
أَتَيْتُ ذُرَاكَ يَا مَوْلَايَ عَمْدًا لَأَنِّي لَيْسَ غَيْرُكَ فِي حَسَابِي
وَأَنِّي إِنْ كَبَزَنَدُ اللَّيَالِي عَلَيَّ فَإِنَّ زُنْدَكَ غَيْرُ كَابِي
وَإِنَّ جَنَابَ أَرْضِي إِنْ بَبَابِي فَإِنَّ جَنَابَ عَزَّكَ غَيْرُ نَابِي
وَمَا فَعَلْتُ صُرُوفُ الدَّهْرِ مَهْمَا تَخَفُ إِلَيْكَ إِخْفَافَ الرُّكَّابِ

خادمُ مولانا - أدام الله ظلَّهُ - بالباب متشرفاً؛ بلثم التراب، ومقيماً
مراسيم الشئاء، ولوازم الدعاء، منهاياً / ٦٣ / إلى الرأي العالي - أعلاه
الله - أنه طالما كانت تناجيه نفسه بالاستسعاد بخدمة هذه السُّدة العلية،
والانحصار في خادمي هذه الحضرة الزكية؛ لكنه كَلَّمَا أقامه الأمل، أقعده
الكسل، وإذا حركته الدواعي الشائقة، قيدته الأسباب العائقة، فحرمه عن
البحر الطامي، والغيث الهامي، ما كان يعتكف عليه من ثمد ركي،
ويمتريه من ضرع بكِّي، ويحترثه من زرع غير زكي، حتى أزعجه عند
تراكم الفتن المائرة، ونغصه عليه المحن الثائرة التي صيرت الضياع نُهْزَةً
الضياع، والأملك نُهْبَةً الهلاك، والأموال عرضة الزوال.

وصار الكلام في الرؤوس، ووقع الخطبُ في النفوس، ترك ما ملك
سدى، ونفض عما جمع يداً، ونجا بحشاشة نفسه وولده، واحتضن أفلاذ
كبدِه؛ موثلاً إلى الباب الرفيع، الذي هو كعبةُ الزُّوَار، ووجهةُ الأحرار،
يتبوأُ ظلالَ نعمه، ويرتدي أذيالَ كرمه. قدر / ٦٣ ب / ما تُفْنَأُ قُدُورُ
الأقدار، وریشما يؤوُلُ الأمرُ إلى الفرار، فَإِنَّ مِنَ المولى - حرس الله ظلَّهُ -
عليه بسؤله، واسعفه بمأموْلَه. كانت يداً واقعة في نصابها، ومَنَّةٌ مفرغةٌ
في مصابها، مشكورة إلى آخر العمر، موفورة الحمد مدى الدهر، والرأي
أعلى وأجل.

ومما كتبه إلى بعض الصدور :

«نحنُ - أطل الله بقاء فلان - في زمن الحرُّ في أهله غريب ، في قومه قريب . لاسيما غربتان هما كربتان ؛ غربةُ الفضل والبعد عن الوطن والأهل ، والمجلس العالي - أدام الله علاه - وإن كان من آدابه بين ندامى وجلاس ، ومن خدامه بين مراغ ومواس ، لكنه إذا هدرت حمامة فضله لم يطارحها هديل ، وإذا غرّدت صنّاجة طبعه لم يعاونها رسيل ، فإن أراد أن يضمَّ إلى خفيف أوزانه ثقيلاً ، وإلى علا شأنه عقيلاً ، / ٦٤ / لزمته مساءً صباحاً ، وخدمته كما تخدم الأجسام الأرواح ، ولي في ذلك الشرف الأعلى ، والسعادة العظمى ، وللرأي مزيد العلو والرفعة : [من المنسرح]

لَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْكَ لِي بَدَلًا إِنَّكَ مِنْ كُلِّ فَائِتٍ بَدَلٌ
وَلَا عَرَانِي بِمَهْجَةٍ ظَلُّ بِهَا يُرَاعَى وَيُجْبَرُ الْخَلْلُ
لَا يُوحِشُ الْجَوْ فَقْدُ كَوْكِبِهِ مَا دَامَتِ الشَّمْسُ فِيهِ تَشْتَعِلُ

وكتب جواب رقعة وصلت إليه من عند بعض الكبراء :

«وصلت اللمعة الفلانية ؛ كالروض رَفَحَ واشيه ، فرق حواشيه ، والحزن صبَّ غودايه ، صبغ واديه ، مُغْتَرَفًا من اليم الخضم نُطْقَهُ ، ومُخْتَرَفًا من سحوق الفضل لطفه ، فتدرع الخادم بها حبرَ الفخر ، وتدرّع بيمنها إلى ما يتمنّاه ، على الدهر غير واقف في جوابها موقف المُبَاراة ، ولا ذاهباً / ٦٤ ب / بنفسه في حلبة المُبَاهَاة .

بيد أنه علّق تميمةً على نحرها ، حين ضاق ذرعه عن مهرها ، وهو أبدأ رهين برّها ، رافلٌ في حُلل فخرها ، والرأي العالي في إرخاء السترة السّاترة ، على هذه التحفة الظاهرة ، على الداعي لأيامه ، المنخرط في سلك خدامه أعلى .

وقال فيه هذا الدوبيت :

قَدْ أَخْصَبَ مِنْ فَضْلِكَ وَادِي الشَّرَفِ وَازْدَادَ هَوَاكَ فِي فُؤَادِ الشَّرَفِ

نَادَى بِلِسَانِهِ مُنَادِي الشَّرَفِ يَارَبِّ أَطْلُ عُمَرَ عَمَادِ الشَّرَفِ

ومما كتبه إلى مهذب الدين أبي القاسم:

«خادم مولانا حرس الله ظلالة، وأدام إقباله - يقبلُ تُرابِ الخدمة،
ويُقيمُ صالح الدعوة، ويحمدُ الله - تعالى - على ما سنَى له من جميل
الهمم، ووالى إليه من جزيل النعيم، ويتضرعُ / ٦٥أ / إليه في إمهاء طول
العمر، إلى أن يَمُنَّ عليه بالمشول بين يدي الصدر، مقبلاً أنامله التي هي
مفاتيح الأرزاق، ومتأملاً شمائله التي هي مصابيح الكرم على الإطلاق؛
ومطفئاً بقلياه ناراً تلهب بين الضلوع، ووجداً تنسكب به سوافح الدموع،
فقد طالما يقيمه الشوق ويقعده، ويزعجه الأمل ويكمدّه، وهو عما يريدُ
ممنوع، وبما يتمناه مفجوع، وإنه على ما به من ارتياح باب الأمانة، في
الاستسعاد بتلك الطلعة البهية. يواظب على عقد كلل الدعاء حول مخيم
ناديه، ويداوم على نسج حُلل الشناء مقطوعة على قدر معاليه، فأحسن
الخدمة موقعاً ما تشبه الأقلام، وتعيه الأيام، وتداوله الألسنة، وتتناقله
الأزمنة؛ فيكون حياةً بعد الحياة، ووقتاً بحسب انقضاء الأوقات، ويعرف
إلى الناس أن سوق الأدب بعد رائجته، ولجة الكرم وعلو الهمم هائجة
مائجة. مادام مولانا - أعز الله أنصاره - في مسند الإقبال، ومنصب
الجلال، عامراً رُبَّع / ٦٥ب / الآداب، وآخذاً بضبيع الكتابة والكتاب،
يؤتى من كل صوب، ويقصد من كل أوب؛ لتوضع منه الممادح
موضعها، وتقع عنه المحامد موقعها فيجلب إلى حضرته العلية بضاعات
النظم فيغالي في استيامها، وتحمل إليه بلاغات الشر فيهز عطفه
لاغتنامها، ضاحكاً في وجه الوافد ثناياه، ومتهللاً بطلوع الزائر محياه:

[من الكامل]

كَذَبَ ابْنُ فَاعِلَةٍ يَقُولُ بِجَهْلِهِ مَاتَ الْكَرَامُ وَأَنْتَ حَيٌّ تُرَزَقُ

وإلى الله تعالى الرغبة في إطالة بقاء الكرام بإطالة بقائه، وإدالة أهل الفضل بدوام دولته وعلائه، ما جاء بالماء سحب، وعاد إلى السماء شهاب، إنه ولي الإجابة، ولما عرّف الخادم أن الهمة العلية ترتاح لمطالعة الآداب، وتعتلق من فنون العلم بأقوى الأسباب، عضّ إبهامه أسفاً على ما كان عنده من أعلاق الكتب. أتى الدهر على طارفها وتليدها، وغارت الأيام على ما كان من عتيدها.

/٦٦/ حتى لم يبق إلا الرّج القليل، الذي لو خدم تلك الحضرة العالية، بجميع أعدادها كان كالنملة حملت إلى سليمان رجل^(١) جرادها، لكنه رأى الضنة بالموجود أشدّ الضنن، وسخاء الرجل بما ملك من أسدّ السنن، فخدم الحضرة أعلاها الله بهذه المجلدات، وهي كذا وكذا، فالعالي العالي في إسبال ذيل العفو على ما يتجاسر به الخادم، ويرتكبه من الاسترسال إلى ما يليق بالخدم إلا إلى ذوي الكرم، قرين العلو والرفعة.

وكتب إلى بعض الأفاضل جواباً عن كتاب وردّ عليه منه :

«سلام الله - تعالى - وهو خير ما يُعلّق على هودج الرياح، ويفتق بنسيمه نوافج الأرواح، ويحيى به محياً الأحباب، ويضمّن هداياه طيّ الكتاب، على فلان ولازالت مجامر أنفاسه تفعّم المنافس، وترغم المنافس. وجواهر ألفاظه /٦٦ب/ تعمّر المجالس، وتغمر المجالس، ورياض الأدب بأزاهير نطقه مونة، وحياض الكرم بنمير خلقه متدفقة، ما طرّ شارب فرع، ودرّ حالب ضرع، وورق بالماء سحب، وأشرق في السماء شهاب، وفرّق بالصباح غراب، ورق للصباح جلاب بمحمد وعترته.

وبعدُ: فقد وصل كتابه الذي كان بُرجًا يُطلعُ نيريّ النظم والشعر، ودُرَجًا يجمع جوهري الخُطب والشعر، كلا علقِيَّه ثمين، وكلتا يديه يمين، وكلاهما بالثناء قَمِين، إِنَّ أَغْتَرَسْتَ فَرَنْدٌ وَعَرَارٌ، وَإِنْ اقْتُبَسْتَ فَمَرْخٌ وَعَفَارٌ، سَعْدَانِ كِلَاهُمَا فِي الْمِرَاعِي سَعْدَانِ وَوَرْدَانِ، هُمَا لِلصَّادِي صَدَاوَانِ وَعَيْنَانِ تَجْرِيَانِ كَدَجَلَةٍ وَالْفِرَاتِ، وَقَيْتَانِ يُغْنِيَانِ بِمَا يُحْيِي الْأَمْوَاتِ، وَيَجْمَعُ بَيْنَ الْعِظَامِ وَالرُّفَاتِ. لَمْ أَرَقَطْ مِثْلَهُ فَظًّا جُلُّهُ فَوَائِدُ، بَلْ كُلُّهُ فَرَائِدُ. حُرُوفُهُ ظُرُوفُ الطَّرْفِ، وَسُطُورُهُ جَلَاءُ الطَّرْفِ وَصَلِيٍّ^(١) الْعَرَفِ كَالْعَقْلِ كُلُّهُ / ٦٧ / نُورٌ وَالْعِلْمُ لَا يَحِلُّهُ زُورٌ فَتَاةٌ لَهَا صَبَاحُهَا، وَمَشْكَاءُ فِيهَا نُورٌ مَصْبَاحُهَا. يَرْتَكِضُ فِيهِ بَحْرٌ نَشِيطٌ فِي بَحْرِ بَسِيطٍ، وَنَثْرٌ يَعْتَرِضُ مِنْهُ نُورٌ عَرِيزٌ فِي رَوْضٍ أَرِيزٍ؛ فَيَا لَهُ مِنْ سَفَرٍ سَافِرٍ، مِنْ بَحْرِ الْأَدَبِ وَبِرِّهِ، وَأَسْفَرٍ عَنْ شَمْسِ الْكَرَمِ وَبِدْرِهِ، وَصَرَصَرٍ فِيهَا بَازٌ يَبِيزُ فِي الْعَيُوقِ، وَيَفْرُخُ بَيْضَ الْأَنْوَقِ، بَلْ حَاكِهِ بَحْرٌ مِنَ الْبَحَارِ، وَحَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ، وَصَدْرٌ مِنَ الْمَصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ، يَغْتَرِفُ مِنْ بَحْرِ أَسْخَى مِنْ حَاتِمٍ، وَابَائِي^(٢) مِنْ حَنِيفِ الْحَنَاتِمِ، وَيَنْطِقُ بِلِسَانٍ أَجْرَى مِنَ السَّيْلِ تَحْتَ اللَّيْلِ، وَأَمْضَى مِنَ التَّرْكِ فَوْقَ الْخَيْلِ، وَأَحْلَى مِنَ الْخَمْرَةِ بَزَالٍ، وَأَصْلَى مِنَ الْجَمْرِ فِي الْأَشْتَعَالِ:

[من الكامل]

وَحَدِيثُهَا كَالرَّغْدِ يَسْمَعُهُ رَاعِي سِنَّينَ تَتَابَعَتْ جَدْبَا
فِيصِيخُ مُسْتَمِعًا لِدَرَّتِهِ وَيَقُولُ مِنْ طَرَبٍ هَيَّارِبَا

وكان موقعه مني موقع عود الولد النَّدْبِ، بعد الغيبة، والجود إلى البلد الجَدْبِ عَقِيبَ الْخَبِيَةِ، وَحَلَّ مَحَلَّ النُّورِ فِي الْأَحْدَاقِ، / ٦٧ ب / وَالشَّهَدِ فِي الْأَشْدَاقِ، وَالنُّومُ فِي الْأَمَاقِ، وَالْوَصْلُ إِثْرَ الْفِرَاقِ.

(١) الصلي: مدق الطيب.

(٢) كذا في الأصل.

بَيْدَ أَنِّي لَمَّا هُزِزْتُ بِخَطَابِهِ فِي قَرْنِ جَوَابِهِ، كَدْتُ أَتَخَذُ اللَّيْلَ جَمَلًا،
وَالْبَاطِلَ دَعْلًا، وَأَسْتَرُ تَحْتَ الظَّلَامِ، وَأُلَوِّذُ إِلَى الْإِنْهَزَامِ، وَقُلْتُ: يَا فُلَانُ
هَذَا أَجَلَ مِنَ الْحَرَشِ، وَابْنَ الْوَبْلِ مِنَ الرَّشِّ؟ لَا تَتَعَرَّضْ لَارْتِجَالِهِ فَلَسْتُ
مِنْ رِجَالِهِ، تَبَيَّنَ رَوِيدًا مَا أَمَامَهُ مِنْ هِنْدٍ هُوَ سَاطُ بِأَسْوَاطٍ، سَابِقُ بِأَشْوَاطٍ،
وَأَنْتَ عَاطٍ بِغَيْرِ أَنْوَاطٍ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِحْتِيَاظِ. [من البسيط]

فَأَبْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لَزَفِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيسِ
ثُمَّ تَجَلَّدَتْ بَعْدَ مَا تَبَلَّدَتْ وَصَرْتُ: [من الوافر]

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاءً مِنَ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَنْ تُرَاعِي
وَلَا زِلْتُ أَقْتُلُ فِي ذُرُوتِهَا وَغَارِبِهَا كَالْمُرَاعِي حَتَّى أَسْمَحَ قُرُونُهَا^(١) بَعْدَ
مَا جَمَحَ حُرُونُهَا؛ وَلَآنَ قِيَادُهَا بَعْدَ مَا بَانَ عِنَادُهَا، وَقَالَتْ: الْآنَ وَقَدْ
غَشَانِي الضَّنَى، فَقُلْتُ: [من المنسرح]

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْبُكَاءِ عَابِسَةً

لكن الفحل يحمي / ١٦٨ / شَوْلُهُ مَعْقُولًا، وَالْمَرْءُ يَحْمِلُ سَيْفَهُ وَإِنْ لَمْ
يَكُنْ مَصْقُولًا؛ إِذْ لَا كُلَّ بَحْرِ مَوَاجٍ، وَلَا كُلَّ غَيْمٍ ثَجَّاجٍ، وَلَا كُلَّ طَرَفٍ
هَمْلَاجٍ، وَلَا كُلَّ خَطِيبٍ سَرَّاجٍ. إِنْ لَمْ تَجِدْ لِي صَافِيَةً مَمْزُوجَةً، وَإِنْ لَمْ
تَسْلُكِي فَمَخْلُوجَةً، لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا مَالِكٌ، وَالسَّخِيَّ بِمَالِكَ هَذَا.

ثُمَّ يَا مَوْلَايَ! كَيْفَ أَنْتَ وَحَالُكَ؟ وَفِي أَيِّ رُبْعٍ مَجَالُكَ. سَمِعْتُ أَنَّكَ
تَنْظُرُ فِي أَمْرِ الْقَضَاءِ، فَهَلْ بَعِينَ الرِّضَاءِ، وَتَزَكِّي فَهَلْ تَجِدُ مِنْ يَزْكِي مِنْ
غَيْرِ أَنْ تَلْكَ، وَأَنْتَ فِي أَشْغَرِ بَلَدٍ، وَقَوْمٍ مَا زَكَ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ.

(١) أَسْمَحُ قُرُونُهَا: ذَلَّتْ نَفْسُهُ.

أما أنا فعندي الجلوس في بيت المجوس، بل القعود في حُشِّ اليهود،
 بل لبوس أثواب المحن بالجلوس على أبواب الشحن، أهون من الإغضاء
 على فضائح القضاء، والهجوع على الجوع، أو القناعة بالقنوع، أو
 الزراعة بالدموع خير من ضرور الرُشا وإن هي ثروب، وكثباً فالذرة في
 نحر الأمة ضائعة، والحرّة لا تأكل بثدييها وإن هي جائعة؛ لاسيما حيث
 درهم الوقاحة أزوج من دينار الفصاحة، وهرأش الوكلاء أرجح وأنجح
 من قماش / ٦٨ب / الفضلاء والكلاب جيع، والضّيع إلى ضياع،
 وسحاب الحق خُلب، وغلب الباطل غلب، وتدمى الأنداء بأنامل
 الحلب، والمحب يشقى بكل حَوْل قُلب، وسوق العالم إلى الكساد،
 وأساس الأمر على الفساد، وأملّك المسلمين على المزاد، وأموال
 اليتامى نهب، وحقوق الأيامى سلب، والحمير تمتعر، والجحيم تستعر:
 [من الخفيف]

فِي قُضَاةٍ مِنَ الصَّوَابِ قُضَاةٌ وَعُدُولٍ عَنِ الصَّلَاحِ عُدُولٌ
 فوقاك الله شرّ ذلك اليوم، وضُرّ ذلك القوم، وجعل لك مخرجاً من
 حيث لا تحتسب، وسافك إلى ما يرضيه فيما تكتسب، وأعاذنا وإياك من
 القرار مع الأشرار، وضَمّ الأزارار على الأوزار، وكشف الإزار عن
 العوار، وجعلنا من الأتقياء الأبرار بمحمد النبي وآله الأخيار».
 ورسائله كثيرة، والذي أوردنا منها فيه كفاية وغنى.

[٨٦٨]

ناهضُ بنُ إدريسِ الواداشيُّ.

ينسب إلى واداش من أعمال غرناطة.

كان شاعر فطّره، أشعر من ذكر في عصره، يقول في السيد أبي يحيى:

[من الطويل]

أَلَا حَبَّذَا الْقَصْرُ الَّذِي أَرْتَفَعَتْ بِهِ عَلَى الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْحَجَارَةِ أَقْوَاسُ
 هُوَ الْمَصْنَعُ الْأَعْلَى الَّذِي أَنْفَ الثَّرَى وَرَفَعَهُ عَنْ لُثْمِهِ الْمَجْدُ وَالْبَاسُ

فَأَرْكَبَ مَتْنِ النَّهْرِ عَزَّاءَ وَرَفْعَةً وَفِي مَوْضِعِ الْأَقْدَامِ لَا يُوجَدُ الرَّاسُ
فَلَا زَالَ مَعْمُورَ الْجَنَابِ وَبَابُهُ يَغْضُ وَحَافِي أَفْقِهِ الدَّهْرُ أَعْرَاسُ

[٨٦٩]

نبأ بن أبي غانم بن حسين بن عبد السيد، أبو المعالي، المعروف
بابن الزعفراني اليهودي.

من أهل حلب، ومن أربابها المتصرفين في الأعمال السلطانية. وقد خدم مُتَصَرِّفًا في
ديوان حلب سنين متعددة. وكان أعرف أهل ملته بالتصرف وعلم القوانين الديوانية، ورُسُوم
القواعد الحُسبانية، والإطلاع على عوامضها.

وكانت وفاته في يوم الإثنين خامس رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة. وكان مولده
في سنة تسع وسبعين / ٦٩٩ ب / وخمسمائة.

وكان حسن الخط، شاعرًا متوسط القول، نظم أشعارًا كثيرة في فنون متعددة. وكانت
به لُكْنَةٌ في لسانه؛ وإذا أراد أن يُعَبِّرَ عن ما في ضميره عجز ولم يستطع إداء ما فيه، وله
أرجوزة طيبة سماها «تذكرة اللبيب وتبصرة الطبيب»، وعمل أرجوزة نحوية لقبها «سُنَن
الإعراب في سُنَن الأعراب». وامتدح الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب
- رحمه الله تعالى -.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد المولى الحلبي بها الكاتب المنشئ
من لفظه، قال: أنشدني أبو المعالي نبأ بن أبي غانم بن حسين بن عبد السيد ابن الزعفراني
لنفسه: [من الخفيف]

رَقَّ قَلْبُ الْعَدُوِّ مِمَّا أَقَاسِي وَرَرَى لِي وَأَنْتَ قَلْبُكَ قَاسِي
يَا بَدِيعَ الصِّفَاتِ غَيْرُ بَدِيع هَلْ تُجَازِي مَوَدَّتِي أَوْ تُوَاسِي
مَا عَلَيَّ مَنْ تَمَلَّكَ النَّاسَ رَقًّا لَوْرَعِي فِي الْهَوَى قُلُوبَ النَّاسِ
رَشًّا لَوْرَاهُ يُوسُفُ أَضْحَى لَهْجًا بِالْغَرَامِ وَالْوَسْوَاسِ
/ ١٧٠ / لَا تَقْسُ حُسْنَهُ إِلَى يُوسُفِ الْحُسْنِ مَنْ يَمِينًا مَا بَيْنَهُمْ مَنْ قِيَاسِ
حَبَّذَا حَبَّذَا زَمَانٌ تَقْضَى فِي هَوَى نَجَلٍ قَيْصَرِ الْبَانِيَّاسِ
بِلِحَاطٍ كَأَنَّهَا أُسْدُ غَابِ خَدَرَتْ فِي جَفُونِ طَبِي كَنَاسِ

وَخَذَّكَالْوَرْدَ بَيْنَ الْأَسْحَابِ
وَتَغَرَّ حَكِي حَبَابِ الْكَاسِ
فِي هَوَاهُ فَلَيْتَ لِي مِنْهُ آسِي
وَشَقَائِي وَصَحَّتِي وَأَتَكَّاسِي
فَزْتُ فِي خَلَوَتِي بِهِ وَاخْتِلَاسِي

وَجِينِ كَالصُّبْحِ تَحْتَ دُجَى الشَّعْرِ
وَرُضَابِ كَأَنَّهُ نُظْفُ الرَّا
نَاحِلِ الْخَضِرِ قَدْ حَكِي بِنُحُولِي
هُوَ نَارِي وَجَتِّي وَنَعِيمِي
لَوْ تَهَيَّأَ أَنْ يَيْتَ نَدِيمِي

وقال أيضاً يستدعي صديقاً له : [من البسيط]

وَمُطَرَفَ الدَّجْنِ قَدْ غَشَى سَنَى الْأَفْقِ
صَفَرَاءَ كَالشَّمْسِ أَوْ حَمَرَاءَ كَالشَّفَقِ
سَاهُ وَسَاقِيهِ مِثْلُ الشَّادِنِ الْخَرَقِ
تَحْدِيقَ نَرْجَسِهِ مَعْنَى مَنْ الْحَدَقِ
مَرُّ السِّنِّينِ فَمَا أَبْقَى سَوَى رَمَقِ
يُذَكِّي لَطْفِي النَّارَ تَشْرُ الْمَنْدَلِ الْعَبَقِ
وَحَلَّتْهَا نَارَ عَيْسَى لَيْلَةَ الصَّدَقِ

أَمَا تَرَى الْيَوْمَ بَادِي الطَّلِّ وَالدَّمَقِ
فَقُمْ بِنَا نَجْتَلِيهَا فِي زُجَاجَتِهَا
فَنَحْنُ فِي مَجْلَسِ زَاهٍ وَعَبْهَرُهُ
مَحْمَرُ نَارِنَجِهِ يَحْكِي الْخُدُودَ وَفِي
/ ٧٠ ب / وَفَهْوَةٌ عَتَقَتْ حَتَّى أَضْرَبَهَا
يُذَكِّي لَهَا الْمَاءَ نُشْرًا بِالْمَزَاجِ كَمَا
فَخَلَّتْ كَفِّي خَضِيئًا حِينَ لَا مَسَهَا

وقال في المعنى : [من الوافر]

فَإِنَّ الْعَيْشَ شُرْبُ الْخَنْدَرِيسِ
تَدُومُ بِهِمَا مَسَرَّاتُ النُّفُوسِ

بَعِيشِكَ قُمْ إِلَى حَثِّ الْكُؤُوسِ
وَلَا تُطْعِ اللَّوَا حِي فِي مُدَامِ

وقوله في يوم ثلج يحث على الشرب : [من مجزوء الكامل]

وَأَسْتَجِلْ كَاسَاتِ الْعُقَارِ
يَدْعُو إِلَى خَلْعِ الْعَذَارِ
— لَهُ لَطَشُهُ ذَاتُ أَفْتَرَارِ^(١)
وَالْجَوُّ مَبِيَّضُ الْأَزَارِ
كَالنُّورِ أَسْرَعَ فِي انْتِشَارِ
فِي شُرْبِهَا عَيْنُ الْوَقَارِ

قُمْ وَافْتَرِعْ بِكَرِ الطَّلَا
فَالْيَوْمُ يَوْمٌ أَبْيَضُ
وَمَبَّاسُ الْإِطْرَابِ فِيهِ
وَالثَّلْجُ قَدْ غَطَّى الرُّبَى
وَتَحَالَّاهُ مُتَسَاقِطًا
فَذَرِ الْوَقَارَ فَتَرْكُهُ

١٧١/ لَا عَيْشَ إِلَّا فِي اجْتِمَاعِ عِ الشَّمْلِ بِالكَّاسِ الْمُدَارِ

وقال يستدعي صديقاً في زمن الربيع إلى روضة: [من الكامل]

يَا صَاحِ قُمْ وَاسْتَجِلْ بِكُرْمِ مَدَامَةٍ
وَاجْمَعْ بِهَا شَمْلَ السُّرُورِ فَيَوْمُنَا
وَالرَّوْضِ قَدْ رَقَمَ الرَّبِيعُ بَسَاطَةً
وَمُدِيرُهَا قَمَرٌ مُنِيرٌ قَدْ زَهَتْ
وَكَأَنَّ طَيْبَ مَذَاقِهَا مِنْ رِيْقِهِ

وقال في مثله: [من الوافر]

بَعِيشُكَ قُمْ لِنَسْتَجْلِي الْعُقَارَا
وَصَلِّ عَجَلًا فَيَوْمُكَ يَوْمٌ ثُلَجٍ
كَأَنَّ سَقُوطَهُ نَوَارٌ دَوْحٍ

وقال في المعنى: [من الوافر]

لِمَثَلِ الْيَوْمِ تُدَخِّرُ الْعُقَارَا
١٤٢/ وَبَادِرُ الْمَسَرَّةِ غَيْرَ وَا
فَدُونُكَ شُرْبَ كَاسَاتِ تُدَارُ

وقال أيضاً: [من الوافر]

أَدْرِيَا صَاحِبِي كَاسَ الْمُدَامِ
وَلَا تَحْبَسْ كُؤُوسَكَ عَنْ مَشُوقِ
فَقْمِ وَاسْتَجْلِهَا فِي يَوْمِ ثُلَجٍ
إِذَا نَثَرَ اللَّجَيْنَ الْجَوُّ بَادِرُ
إِذَا مُزِجْتَ تَرَى شَمْسًا عَلَيْهَا

وقال يصف الخلاف: [من الوافر]

وَزَائِرَةٌ لَهَا أَرْجٌ ذَكِيٌّ
تُبَشِّرُ بِالرَّبْرِيعِ وَقَدْ تَرَاهَا
لَهَا وَبَرٌّ عَلَى جِسْمِ ضَيْلٍ
تَزُورُكَ بُرْهَةً فِي كُلِّ عَامِ
تَهَادِي عِنْدَ كَاسَاتِ الْمُدَامِ
بِلَا لَحْمٍ يُحَسُّ وَلَا عِظَامِ

وقال أيضاً مما عمله بأسعد: [من الطويل]

بَعِيشُكَ صَفٌّ لِي غَيْرَ وَإِنْ فَيَوْمَنَا
 /١٧٢/ وَمَجْلِسُنَا زَاهٍ أُنِيقُ وَخَمْرُنَا
 وَنُدْمَانُنَا أَخْوَانُ صَدَقَ كَانَهُمْ
 وَقَدْ حَرَكَ الشَّادِي الْمَثَانِي وَقَدْ شَدَا
 وَطَافَ بِشَمْسِ الرَّاحِ سَاقُ مُتْرَكٍ
 فَإِنْ زُرْتَنَا تَمَّ السُّرُورُ وَإِنْ تَغَبَّ
 كَبِهَجَّتْهُ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَالْقَصْفَ
 عَتِيقٌ كَلَوْنُ التَّبْرِ فِي غَايَةِ اللَّطْفِ
 نُجُومُ سَمَاءٍ قَدْ جَبَلْنَ عَلَى الظَّرْفِ
 فَمَنْ طَرَبَ يُخَيِّمُ النَّفُوسَ وَمَنْ عَزَفَ
 كَبَدَرَ الدُّجَى حُسْنًا يَجْلُ عَنْ الْوَصْفِ
 يَعُدُّ صَفْوُهُ هَذَا الْعَيْشَ رَنْقًا بِلا خُلْفِ

ومما عمله في صدر كتاب: [من البسيط]

يَا أَبْعَدَ اللَّهُ أَيَّامَ الْبِعَادِ لَقَدْ
 يُحَارِبُ الشَّوْقُ قَلْبِي ثُمَّ يَنْجِدُهُ
 يَا شَوْقُ حَسْبُكَ مَا أَبْقَيْتَ لِي جَلْدًا
 جُرْعَتْ مِنْهَا كُؤُوسُ الْعَلَقِمِ الصَّبْرِ
 جَيْشُ الْأَسَى وَكَمِينُ الْهَمِّ وَالْفَكْرِ
 وَيَا حَيْنُ لَقَدْ أَفْضَيْتَ مُصْطَبِرِي

وقال عتباً في صدر كتاب: [من الطويل]

أَخْلَايَ غِبْنَا عَنْكُمْ فَنَسِيْتُمْ
 وَأَشْبَهْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ فِي الْوَفَا
 وَكَمْ رُمْتُ مَذْقَ الْوُدِّ غَيْظًا عَلَيْكُمْ
 /٧٢٧/ أَمَا وَصَفَاءُ الْوُدِّ لَا حُلْتَ عَنْكُمْ
 مَوَدَّتَنَا مَا هَكَذَا سُنَّةُ الْوُدِّ
 فَمُنْذُ افْتَرَقْنَا مَا أَقَمْتُمْ عَلَى عَهْدِ
 فَلَمْ أَرَ عَنْ صَدَقِ الْمَوَدَّةِ مِنْ بُدٍّ
 وَلَا خُتْنِكُمْ مَا عِشْتُ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ

وقال أيضاً يستهدي نبيذاً: [من مجزوء الكامل]

دَهَبَ الشَّبَابُ فَلَسْتُ أَطُ
 وَالشَّيْخُ لَا يُلْهِمُهُ عَنْ
 وَالرَّاحُ أَنْفَعُ لِلْمَشَا
 تَغْنَى بِضَوْءِ الْكَأْسِ إِنْ
 وَتُرِيكَ تَبْرَأَ فِي لَجِي
 فَعَسَاكَ تُحْيِيَنِي بِهَا
 مَعَ فِي مُرَاجَعَةِ الشَّبَابِ
 عَصَرَ الشَّبَابِ سَوَى الشَّبَابِ
 يَخُ فِي الشِّتَاءِ مِنَ الْجَبَابِ
 مُزَجَّتْ بَلِيلَ عَنْ شَهَابِ
 نَ تَحْتَ دُرٍّ مِنْ حَبَابِ
 فَتُمِيتَ هَمِّي وَأَكْتَبَابِي

وقال أيضاً: [من المجتث]

مَالَهُمْ يَوْمَ دَوَاءٍ
 كَمْ قَدْ نَقَتَ مِنْ هُمُومٍ
 سَوَى كُؤُوسِ الْمُدَامِ
 وَكَمْ شَفَتَ مِنْ سَقَامِ

إِنْ حَرَّمُوا هَا فَشَرِبَ الدِّمَاءَ غَيْرُ حَرَامٍ

وله يستهدي نبيذاً: [من الكامل]

١٧٣/ خَلَّتِ الدَّنَانُ مِنَ الْمُدَامِ فَلَا تَسْلُ
كَانَتْ بِهَا أَفْرَاحُهُ مَوْصُولَةً
كَانَتْ مَجَالِسُ أَنْسِهِ مَأْهُولَةً
كَانَتْ تُضِيءُ بِهَا الْكُؤُوسُ فَأُصْبَحَتْ
قَدْ مَسَّهُ ظَمًا فَهَلْ مِنْ نَاقِعٍ

ومما عمله في المعنى: [من الكامل]

لَوْ كَانَ أَصْحَبَ بَعْدَ طُولِ شِمَاسِ
عَزَّ الْمُدَامُ وَكَانَ أَكْرَمَ صَاحِبِ
يَقْضِي بِجَمْعِ الشَّمْلِ بَعْدَ شَتَاتِهِ
لِلَّهِ مَا أَحْلَى مَجَالِسَ لَهْوِنَا
خَلَّتِ الدَّنَانُ وَكُنَّ مِنْهُ أَوَاهِلًا
إِنَّ الرِّضِيعَ يَنَالُ عِنْدَ فُطَامِهِ أَلْمًا

وله في المعنى: [من البسيط]

١٧٣ب/ هَلَّا صَرَفْتَ بِصَرْفِ الرَّاحِ يَا صَاحِ
قَدْ أَعْوَزْتَهُ وَهَلْ عَيْشٌ لِمُكْتَتَبِ
دَنَائِهِ خَاوِيَاتُ كَالصُّدُورِ نَائُ
لَوْ نَابَ عَنْهَا دَمٌ أَجْرِيْتُ مِنْ شَعْفِ

ومما عمله في صدر كتاب: [من الطويل]

وَأَنْ يَشْتَفِي قَلْبِي مِنَ الْبُعْدِ بِالْقُرْبِ
لَشَوْقِي بِإِنْفَادِ الرِّسَائِلِ وَالْكَتَبِ
سَأْهَدِي تَحِيَّاتِي إِلَيْكَ مَعَ الرِّكْبِ
كَمَا حَنَّ ظَمَانٌ إِلَيَّ الْبَارِدِ الْعَذْبِ

وقال أيضاً: [من الخفيف]

لَا وَلَا أَنَّهُ أَتَمُّ الْمَلَا حِ
خَفَايَا خَفِيَّةُ الْإِيضَا حِ
وَمَلِيحٍ فِي عَيْنِهِ كَالْقَبَا حِ

مَا تَعَشَّقْتُهُ لِإِفْرَاطِ حُسْنِ
إِنَّمَا لِلْقُلُوبِ فِي الْحُبِّ أَسْرَارُ
كَمْ قَبِيحٍ عِنْدَ الْمُحِبِّ مَلِيحُ

/١٧٤/ وقال أيضاً: [من الطويل]

تَجَلَّى وَحَظِّي مَا تَجَلَّتْ عِيَاهُ
وَلَا لَيْلُهُ الدَّاجِي تَضِيءُ كَوَاكِبُهُ
... فِيهِ بَشَارُ تَطَالِبُهُ
فَمَا تَنْقُضِي أَهْوَالَهُ وَعَجَائِبُهُ

خَلِيلِي مَا بَالِي أَرَى كُلَّ غَيْهَبٍ
فَلَا صَبْغُهُ الْمُسَوْدُ يُرْجَى نُصُولُهُ
تَوَالَّتْ عَلَى قَلْبِي هُمُومُ كَانَهَا
فَيَا أَبْعَدَ اللَّهُ الزَّمَانَ وَجَوْرَهُ

وقال في غلام جميل بوجهه كلف: [من الكامل]

كَلَفٌ، فَقُلْتُ: كَذَلِكَ الْبَدْرُ
لِلْحُسْنِ فِي وَجَنَاتِهِ أَثَرُ
أَسُ الْعِذَارِ أَفِيَمَ لِي الْعِذْرُ

قَالُوا: كَلَفْتُ بِحُبِّ مَنْ فِي وَجْهِهِ
لَوْ لَمْ يَحْزُ كُلُّ الْمَلَا حَةِ مَا بَدَأَ
وَعُذِلْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ فِيهِ فَقَدْ بَدَأَ

وله معاتبة: [من الكامل]

سَفَهَا وَأَرْغَبُ فِي مَحَبَّةِ قَالِي
يَزْدَادُ فَرَطُ تَبَرُّمٍ وَمَلَالِ
وَالْتَرَكُ يُرْخِصُ كُلَّ شَيْءٍ غَالِي

مَا لِي أَمِيلُ إِلَى حِفَاطِ مُضِيِّ
صَعَبَ الْمَرَّاسِ وَكُلَّمَا لَاطَفْتُهُ
وَعَلَا عَلَيَّ فَهَانَ عِنْدِي تَرْكُهُ

/٧٤ب/ وقال على وزنين وقافيتين:

مُعْجَبًا بَدَلَالَهُ
بَعْدُ طَوْلَ مَلَالِهِ
خَاضِعًا لَجَلَالِهِ
مِثٌّ فِي جَرِيَالِهِ
بَلْ خَلَوْتُ بِخَالِهِ
عَزَّيْلُ مَثَالِهِ
مَعَ تَلَطُّفِ حَالِهِ
مُذْ سَخَابِ بَوَصَالِهِ

لَمْ أَنْسَهُ مُذْ زَارَنِي
جَذْلًا لَنْ سَهَّلَهُ الرِّضَا
فِي لَيْلَةٍ نَامَتْ بِهَا الرُّ
قَبْلْتُ مِنْهُ مُقْبَلًا
وَرَتَعْتُ فِي وَجَنَاتِهِ
وَجَنَيْتُ رُْمَانَ النُّهُو
وَحَلَلْتُ عَقْدَ نَطَاقِهِ
لِللَّهِ مِنْهَا لَيْلَكَةَ
مُتَخَلِّسًا مِنْ غَيْرِ وَعَدِ
فَأَتَى عَلَى غَرَضِي وَقَصْدِي
قَبَاءُ لَا سْتَيْقَاطَ وَجَدِي
يَقْتَرُّ عَنْ بَرْدٍ وَشَهْدِ
مَا بَيْنَ رِيحَانٍ وَوَرْدِ
دُمُوءًا مِنْ غَضٍّ قَدِّ
بِيَدِي فِي هَزْلِ وَجَدِّ
طَلَعْتُ بِهَا أَفْئَارُ سَعْدِي

لَوْ سَأَمَنِي فِي مِثْلِهَا بِذَلِكَ الْحَيَاةَ لَهَانَ عِنْدِي فِي بَدِيعِ جَمَالِهِ
أَوْ بَيْعَ مِنْهَا سَاعَةً لَشَرِيتُهَا بِالْعُمُرِ وَحْدِي فَائِزًا بِكَمَالِهِ
سَمَحَ الزَّمَانُ بِوَصْلِهِ مِنْ بَعْدِ إِغْرَاضٍ وَصَدٍّ وَامْتِنَاعِ خِيَالِهِ
وَسَخَابِمَا عَجَزَتْ قُوَى شُكْرِي لَهُ وَقُوَادِّ حَمْدِي فِي جَمِيلِ ضَلَالِهِ

/ ١٧٥ / وقال متغزلًا : [من الكامل]

يَا مَنْ حَيَاةُ الْمُسْتَهَامِ وَمَوْتُهُ بِيَدَيْهِ فِي حَالِي رِضَاهُ وَسُخْطُهُ
مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَنْبِي مُتَقَلِّبًا يَصُبُّو إِلَيَّ خَفِضَ الْمُحِبِّ وَحَطُّهُ
أَسْهَرْتَنِي وَرَقَدْتَ ثُمَّ شَغَلْتَنِي وَخَلَوْتَ مِنْ كَمَدِ الْغَرَامِ وَقَرْطُهُ
أَمِنَ الْمُرُوءَةُ أَنْ أَفِي لَكَ فِي الْهَوَى وَتَخُونَنِي فِي عَهْدِ الْوَفَاءِ وَشَرْطُهُ
لَوْ فَتَشُوا قَلْبِي رَأَوْكَ بِهِ وَقَدْ كَتَبَ الْغَرَامُ هَوَاكَ فِيهِ بِخَطِّهِ
أَفْدِيكَ مِنْ رَشَاءٍ تَعَزَّزَ إِذْ غَدَا يُعْزِي إِلَيَّ مُوسَى الْكَلِيمِ وَسَبْطُهُ
وَمُهَفِّهٌ كَتَبَ الْعِدَارُ بِخَدِّهِ سَطْرًا يَرُوقُوكَ شَكْلُهُ مَعَ نَقْطِهِ
لَا غُرُوَ إِنْ حَازَ الْجَمَالَ فَيُوسِفُ مِنْ قَوْمِهِ وَأَبُوهُ وَالِدُ رَهْطِهِ
لَمْ أَنْسَ إِذْ صَلَّى لَدَى مُحْرَابِهِ مُتَطِيلَسًا قَدْ طَاحَ جَانِبُ مَرْطِهِ
وَدَعَا بِيَسْطِ ذِرَاعِهِ فَكَأْتَمًا قَبَضَ الْقُلُوبَ بِأَسْرِهَا فِي بَسْطِهِ

وقال أيضًا : [من الوافر]

إِذَا مَا كَانَ هَجْرُكَ لِي جَحِيمًا وَصَدُّكَ جَنَّةَ فَعَالَامَ تَجْفُو
فَصَلَّنِي مُنْعِمًا لِيَزُولَ هَمِّي فَعَيْشِي بَعْدَ بَعْدِكَ لَيْسَ يَصْفُو

/ ٧٥ ب / وقال في المعنى : [من المتقارب]

إِذَا كَانَ وَصْلُكَ لِي جَنَّةً فَهَجْرُكَ لَا شَكَّ نَارُ الْجَحِيمِ
فَصَلَّنِي وَلَا تَبْخَلْنِ بِالْوَصَالِ عَلَى مُغْرَمٍ بِكَ نَضْوٍ سَقِيمِ
وَدَعُ عَنْكَ ذَا السُّخْطِ وَأَبِغِ الرِّضَا فَإِنَّ الرِّضَا مِنْ خِلَالِ الْكَرِيمِ

وقوله في اللقاء : [من الطويل]

لَعَيْنِي مَتَى فَازَتْ بِرُؤْيَاكَ قُرَّةً وَقَلْبِي سُرُورٌ مُقَرِّطٌ وَحُبُّورٌ
فَيَا حَبَّذَا ذَاكَ اللَّقَاءُ فَإِنِّي عَلَيْهِ لِرَبِّي حَامِدٌ وَشُكُورٌ

وقال أيضاً: [من الخفيف]

وَجَفَا السُّقْمُ حِينَ صَدَّ الْحَبِيبُ
فَحَالِي بَيْنَ الْأَنَامِ عَجِيبُ
فِي هَوَاهُ يُسْتَعَذَّبُ التَّعْذِيبُ
أَبْدَانُ حَوَاهُ تَمِيلُ الْقُلُوبُ
نَاضِرٌ تَحْتَهُ يَمُوجُ الْكَيْبُ
وَهُوَ فِي حُسْنِهِ الْبَدِيعُ غَرِيبُ
هُوَ فِي الْقَلْبِ حَاضِرٌ مَا يَغِيبُ
لَسَمْعِي مَعَ ذِكْرِهِ التَّائِيبُ
مَرَّ ذِكْرُ الْحَبِيبِ فِيهِ يَطِيبُ

بَعْدَ الْخَلِّ وَالرَّقِيبُ قَرِيبُ
وَجَفَانِي الْكَرَى وَوَاصلني الشَّوْقُ
بِأَبِي شَادَنْ غَرِيرٌ نَضِيرُ
أَهْيَفُ مُتَرَفٌ ظَرِيفٌ لَطِيفُ
بَذَرْتُمْ يَنْبِرُ فَوْقَ قَضِيبُ
قَاطِنٌ فِي الْفَوَادِ لَمْ يَنَأ عَنْهُ
/١٧٦/ غَابَ فِي سَفَرَةِ الصَّدُودِ وَلَكِنْ
أَنْبُونِي عَلَى هَوَاهُ، فَقَدْ لَذَّ
طَابَ فِيهِ عَتَبِي وَكُلُّ حَدِيثِ

وقال: [من المجتث]

خَفُضًا فَقَدْ ضَاقَ ذُرْعِي
بَعْدَ اتِّحَادِ وَجَمْعِ
بَغْيِرٍ عَزْلٍ وَشَرْعِ
وَعَنْ مَلَالٍ وَمَنْعِ
طَبَاعُهُمْ غَيْرُ طَبْعِي
مَنْ نَاطِرِي وَسَمْعِي
وَبَانَ نُجْحِي وَنَجْعِي
لَهُ ضَرِي وَنَفْعِي

بَدَّلْتُ بِالْهَجْرِ رَفْعِي
وَصَرْتُ تُعْرِضُ عَنِّي
قَضَيْتُ بِالْغَدْرِ ظُلْمًا
صَدَدْتُ نَفْسِي عَنْ دَلَالِ
وَمَلَّتْ نَحْوُ أُنَاسِ
وَأَنْتَ أَكْرَمُ عُنْدِي
إِنْ زُرْتَنِي تَمَّ أَنْسِي
فَقِي يَدِيكَ بِأَمْرٍ إِلَّا

وقال: [من الوافر]

كَحِيلِ الطَّرْفِ مُعْتَدِلِ الْقَوَامِ
مَنْ الْخَدَّيْنِ مَنْ غَيْرِ احْتِشَامِ
فَرَا جَعْنِي بَضْمٌ وَالتَّزَامِ
بَهَا وَمُنَادَمِي بَذَرُ التَّمَامِ
مُدَامٌ فِي مُدَامٍ فِي مُدَامِ

سَقَانِي الرَّاحِ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ
/٧٦ب/ وَحَيَانِي مُحْيَاهُ بَوْرَدِ
وَقَبْلَ رَاحَتِي فَلْتُمْتُ فَاهُ
فَيَا لَكَ لَيْلَةً أَمْسَى أَنْسِي
فَمَنْ يَدِهِ وَمُقْلَتِهِ وَفِيهِ

وقال : [من الوافر]

أَتَانِي زَائِرًا بَعْدَ أَزُورَارٍ
وَقَدْ نَامَتْ عِيُونُ مُرَاقِبِيهِ
وَأَقْبَلَ ثُمَّ قَابَلَنِي بِوَجْهِهِ
يُرْنَحُ عَطْفَةَ الْمَيَّاسِ سُكْرُ الصِّ
فَقُمْتُ لِأَجْلِهِ وَسَجَدْتُ شُكْرًا
وَبَتُّ بِهِ قَرِيرَ الْعَيْنِ أَجْلُو
وَبَاتَ مُنَادِمِي فَحَظِيْتُ مِنْهُ
سَقَانِي رَاحَ رَيْقَتِهِ وَحَيَّا
فِيَا لَكَ لَيْلَةً فِي الدَّهْرِ جَاءَتْ

/ ١٧٧ / وقال : [من الطويل]

أَخْلَايَ طَابَ الْعَيْشُ لَمَّا حَضَرْتُمْ
وَهَبَّ نَسِيمٌ عَاطِرٌ مِنْ دِيَارِكُمْ
وَمَا طَابَ هَذَا الطَّيِّبُ إِلَّا لِأَنَّهُ
فَلَلَهُ مِنْكُمْ مَا أَصَحَّ وَقَاكُمْ
سَقَى اللَّهُ أَيَّامًا مَضَتْ بِاجْتِمَاعِنَا

وقال : [من الخفيف]

أَرْجَ الْجَوَّ بِالنَّسِيمِ الْمَهْدِي
مَرَّ فِي حَيْهَاتِ النَّسِيمِ سُحَيْرًا
فَاعْتَرَتْنِي لَطِيئُهُ هَزَّةُ السُّكْرِ
وَأَهْجَ النَّسِيمِ لِلْقَلْبِ شَوْقًا
يَا خَلِيلِي عَرَضًا بِحَدِيثِي
وَأَذْكُرَانِي لَهَا فَإِنْ سَأَلْتَ عَنِّي
وَأَسْعِدَانِي عَلَى هَوَايَ فَإِنِّي
/ ٧٧ ب / فَقَفَا لِي حِيَالُ جَوْشَنَ مَا يَدُ

نَفَحَاتِ الْعَبِيرِ مِنْ نَشْرِ هُنْدٍ
فَحَبَّتْهُ بِشَّوَرٍ مِنْكَ وَنَدَّ
رَ عَلَى أَنَّنِي نَزِيفُ الْوَجْدِ
وَهِيَامًا وَلَوْعَةٌ ذَاتَ وَقْدِ
عِنْدَهَا عَلَيْهِ يُفِيدُ وَيُجِدِي
سَيِّ قَفُولًا : قَتِيلُ هَجْرٍ وَصَدِّ
فِي جِهَادٍ مَعَ الْغَرَامِ وَجَهْدِ
مِنْ قَبَابِ الْأَحْبَابِ مِنْ كُلِّ بُدِّ

فَعَسَاهُمْ أَنْ يَسْمَحُوا لِي بِرَدِّ
ف سَلَاةٍ بِمَنْ تَبَدَّلَ بَعْدِي
مِنْ تَلَاعِ الْحَمَى وَأَعْلَامِ نَجْدِ
ق مَاءِ الْعُدَيْبِ أَعْدَبُ مِنْ رِيٍّ
خَلَسًا وَالصَّبَا قَشِيبُ الْبُرْدِ
لَمْ يُرَوِّعْ فِيهِ الْأَمَانِي بِيُعْدِ

وَأَنْشِدَا لِي قَلْبِي الَّذِي ضَاعَ مِنِّي
وَإِذَا عَجِثْتُمَا عَلَيَّ سَاكِنِ الْخَيْدِ
حَبْدًا سَفَحَ جَوْشَنُ فَهُوَ أَزْهَى
وَقُويُّقُ فَمَاؤُهُ الْعَدْبُ مِنْ رِيٍّ
يَا رَعَى اللَّهُ عَصْرَ لَهُوَ تَقْضَى
وَرَمَانًا مَضَى بِنِيلِ الْأَمَانِي

وقال : [من الخفيف]

أَبْدَأْ مِنْكَ أَهْلُ لَيْسَ يَخْلُو
فَمُنَايَ وَبُغْيَتِي مِنْكَ وَضَلُ
لَكَ فِي كُلِّ حَالَةٍ لَا يَمَلُ
وَهُوَ مُرٌّ فِي مَذْهَبِ الْحُبِّ حُلُ
كَ وَقَتْلُ الْبَرِيِّ فِي الشَّرْعِ بَسْلُ (١)
مُسْتَحِيلُ بِأَنْتَنِي لَكَ أَسْلُو
لُ وَمَالِي سِوَاكَ فِي النَّاسِ شُغْلُ

لَكَ فِي الْقَلْبِ مَنْزِلٌ وَمَحَلُ
يَا مُنَى النَّفْسِ إِنْ مُنِيتُ بِهِ جَرُ
أَمِنْ الْعَدْلُ أَنْ تَمَلَّ مُحِبًّا
حَاشَ لِلَّهِ أَنْ تُحَرِّمَ وَضَلِي
أَوْ تُبَيِّحَنَ قَتْلَتِي بِتَجَافِي
لَا تَكُنِّي إِلَيَّ السُّلُوفَ هَذَا
/ ١٧٨ / أَنْتَ لَاهِ عَنِّي بَغِيرِي مَشْغُو

وقال : [من الكامل]

أَجْدَانُهُمْ قَدَبَادُهُمْ قَفْرُ
قُبْرُوا وَقَدَوَا فَاهُهُمُ الدَّهْرُ
بَعْدَ الْقُصُورِ فُعُزُّ زَا الْأَمْرِ
سَعَةُ الْفَضَاءِ بَضِيقُهُ الْقَبْرِ
عَزَّ الْعَزَاءُ وَأَعْوَزَ الصَّبْرُ

يَا وَيْحَ مَنْ أَضْحَتْ مَنَازِلُهُمْ
تَرَكُّوْا أَحْبَتَهُمْ وَأَهْلَهُمْ
وَاسْتَبَدُّوْا بِالْتُّرْبِ مَنْزِلَةً
كَمْ حَازَ مَنْ ضَاقَتْ لَهُمَّتُهُ
وَالْهَفَ نَفْسِي بَعْدَ فَقْدِهِمْ

وقال في ذم الزمان وأهله : [من البسيط]

وَرَامَ عَكْسَ الَّذِي اخْتَارَهُ الْقَدَرُ
كَيْ لَا يَرَى نَقْصَ حَالِي فِي الْوَرَى بَشْرُ

لَمَّا تَنَوَّعَ دَهْرِي فِي مُعَانِدَتِي
حَجَبْتُ نَفْسِي عَنْ بَدْوٍ وَعَنْ حَضَرٍ

أَبْدَى الْعَدَا لِي عُيُوبًا لَسْتُ أَعْرِفُهَا
«إِذَا مَحَاسِنِي اللَّاتِي أَدُلُّ بِهَا
وَرُبَّمَا عَيْبَ مَعَ إِشْرَاقِهِ الْقَمَرُ
صَارَتْ ذُنُوبًا فَقُلْ لِي كَيْفَ اعْتَذِرُ»
هذا البيت مضمن .

٧٨ب/ وقال في مثله : [من الخفيف]

قَاتَلَ اللَّهُ ذَا الزَّمَانِ فَمَا يَسُ
كَلَّمَارُمْتُ مِنْ زَمَانِي إِسْعَا
يَا لِقَوْمِي ! كَيْفَ أَحْتِيَالِي وَقَدْ صَا
يَنْفُقُ الْجَاهِلُونَ فِيهِ مَعَ الْجَهْ
لَيْتَ شَعْرِي تُرَى أَبْلَغُ فِيهِ
وله في مطرب : [من الوافر]

وَمَعْسُورُ الشَّمَائِلِ وَالتَّنْثِي
إِذَا غَنَّى تَرَنَّنَحَ سَامِعُوهُ
وَمَاجُوبًا بِالسُّرُورِ فَدَبَّ فِيهِمْ
وَقَدْ سَحَرَ الْعُقُولَ فَلَسْتُ أَذْرِي

وقال في الغزل : [من الوافر]

بِنَفْسِي مِنْ بَنِي الْأَثَرِ أَكْ طَبِي
/ ١٧٩ / أَغْنُ مُهْمَهْفُ أَحْوَى غَرِيرُ
كَحِيلِ الْمُقْلَتَيْنِ يَكَادُ يَقْرِي
كَأَنَّ جَبِينَهُ قَمَرٌ مُنِيرُ
إِذَا دَبَّ الْحَيَاءُ بَوَجْتِيَّهِ
وَيَبْسُمُ ثَغْرَهُ عَنْ أَفْحْوَانِ
ثَقِيلِ الرَّدْفِ ذُو خَصْرِ نَحِيلِ

وقال : [من الطويل]

وَلَمَّا بَدَا سَطَرُ الْعَذَارِ بِخَدِّهِ
وَكُنْتُ بِهِ صَبَّ الْفُؤَادِ فَرَادْنِي

وَحَاوَلْتُ أَنْ أَسْلُوهُ زِدْتُ تَتِيمًا
هُوَى لُبْسُهُ ثَوْبَ الْمَلَا حَةِ مُعَلَّمَا

بِدِيَا جَتِي خَدَيْهِ وَشَيْئاً مُنْمَماً

وَقَدَرَقَمْتُ أَيْدِي النَّصَارَةِ وَالصَّبَا

وقال في الإستعطاف : [من الطويل]

أَبَى اللَّهُ لِي فِي الْحُبِّ أَنْ أَتَغَيَّرَا
عَلَيَّ مِنَ الْهَجْرِ الْمُبْرَحِ مَا جَرَى
إِذَا كُنْتُ تَبْغِي أَنْ يَمُوتَ مُحَسَّرَا
جَحِيماً وَقَدْ أَجْرَيْتَ لِلدَّمْعِ أَبْحَرَا
وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنْ تَصْدَّ وَتَهْجُرَا
وَذِي الْحُسْنِ أَنْ يُؤْلِيَ قَبِيحاً وَيَغْدُرَا
رَأَيْتُ الْوَفَا بِالْحَرِّ أُخْرَى وَأَجْدُرَا
وَأَرْضِي بِمَا تَرْضَى مِنَ الْهَجْرِ مُجْبَرَا

أَتَحَسَّبُ قَلْبِي عَنْ مَلَالٍ تَصَبَّرَا
فَوَاللَّهِ لَا أَسْلُوكُ عُمْرِي وَلَوْ جَرَى
٧٩ب/ دَعِ الصَّبَّ يَفْضِي نَحْبَهُ فَيْكَ حَسْرَةً
يَمِينًا لَقَدْ أَضْرَمْتَ فِي الْقَلْبِ بِالْجَفَا
ثَنِي وَذَكَ الْوَأَشِي فَأَصْبَحْتَ هَاجِرَا
أَيَجْمَلُ بِالْوَجْهِ الْجَمِيلِ إِسَاءَةً
بَعِيشُكَ شَمَّ رَعِي الْوَفَاءَ فَإِنِّي
تَجَافَيْتُ حَتَّى صِرْتُ أَغْضِي عَلَى الْجَفَا

وقال في الاستدعاء إلى مجلس الشراب : [من البسيط]

وَالْيَوْمَ ظَلَّ بِجَمْعِ الشَّمْلِ مُخْتَفِلاً
وَجْهَ الْقَضَاءِ وَدَمَعَ الْغَيْثُ قَدْ هَطَلَا
لَهُ الْآبَارِيقُ حَتَّى أَنْشَأَتْ جَذَلَا
وَلَا تُطْعُ مَنْ لَحَا فِيهَا وَمَنْ عَذَلَا
مَطْلٍ وَصَلْنَا سَرِيْعاً وَاحْذَرِ الْكَسَلَا

فُمْ لِلصَّبُوحِ فَحَبْلُ اللَّهِ وَقَدْ وَصَلَا
أَمَا تَرَى الْغَيْمَ قَدْ وَارَتْ مَطَارِفُهُ
مَا إِنْ بَكَى الْغَيْثُ إِلَّا فَهَفَهَتْ طَرَبَا
فَبَادَرَ الرَّاحَ لَا تَبْغِي بِهِ أَبَدَلَا
فَصَلِّ صَبُوحَكَ عَمْدًا بِالْعُبُوقِ بَلَا

وله في تغير الصديق : [من الطويل]

حُقُوقَ مَوْدَّاتِي وَلَا يَتَغَيَّرُ
صَفَوْتُ لَهُ فِي مَذْهَبِ الْحُبِّ يَكْدُرُ
وَكُلَّ جَمِيلٍ زَلَّ لَهُ لَيْسَ تُعْفَرُ

٨٠أ/ وَقَدْ كَانَ ظَنِّي أَنَّهُ لَا يُضِيعُ لِي
فَمِيلَهُ الْوَأَشِي فَأَصْبَحَ كَلَمَا
يَرَى كُلَّ إِنْسَانٍ لَدَيْهِ إِسَاءَةً

وقال في نهر قويق : [من الكامل]

عَبَرَاتُ عَيْنٍ جَفْنُهَا مَقْرُوحُ
مِنْهَا وَيَقَى وَحَلُّهَا وَتَرُوحُ

مَابَالُ نَهْرِكُمْ فُؤَيْقُ كَأَنَّهُ
يَظْمَأُ فَتَغْشَاهُ الْمُدُودُ فَيَرْتَوِي

وقال في لبس الفرو : [من المتقارب]

عِيُونُ الزُّجَاةِ لِلْبُسِّ الْفَرَا

إِذَا مَا أَتَى الْقُرْقُرَتْ بِهِ

وَمَنْ كَانَ فِيهِ بِلَا فِرْوَةٍ فَرَى جِلْدَهُ الْبَرْدُ مَعَ مَنْ فَرَى

ومما [عمله] وسيره إلى من يعز عليه مكانه : [من الطويل]

تُرَى مُقْلَتِي تَحْطِي بِأَيْسَرِ نَظْرَةٍ إِلَيْكَ بِمَا تَجْلُو الْقَدَى عَنْ جُفُونِهَا
/ ٨٠ ب / وَهَلْ يَشْفِي مَنْ لَاعَجَ الشَّوْقُ وَالْأَسَى فَوَادِي بَقْرَبِ الدَّارِ بَعْدَ شَطُونِهَا
تَحْنُ إِلَيْكَ النَّفْسُ طَبْعًا وَكَلَمًا أَنْسَتْ التَّدَانِي زَادَ فَرَطُ حَنِينِهَا
وَأَصْعَبُ مَا تَلْقَى الْعِطَاشُ مِنَ الظَّمَا إِذَا مُنِعَتْ وَالْمَاءُ نُصِبَ عِيُونِهَا

وقال في لقاء الأحاب : [من الكامل]

يَا حَبَاذَا يَوْمُ اللَّقَاءِ فَإِنَّهُ يَوْمٌ تَكَامَلَتِ الْمَسَرَّةُ فِيهِ
عَانَقْتُ مَنْ أَهْوَاهُ عِنْدَ لِقَائِهِ فِيهِ وَفُزْتُ بِقُبْلَةٍ فِي فِيهِ

وقال في غلام مليح الصورة اسمه خليل : [من مجزوء الكامل]

مَا شَفَرَةُ السَّيْفِ الصَّقِيلِ أَمْضَى مِنَ الطَّرْفِ الْكَحِيلِ
كَلًّا وَلَا لِلرُّمَحِ حُسْداً مَنْ تَرْنُجَ الْقَدِّ النَّبِيلِ
وَمُهَفَّهَ عِبَلِ الْبُرُودِ دَفْ مُحَقَّرِ الْخَضِرِ النَّحِيلِ
حُلُو الْمَرَّاشِفِ وَالْمَعَا طَفِ وَالْمُقَبَّلِ وَالْقَبُولِ
مُسْتَعَرِبٍ مِنْ أُسْرَةِ الْآ تَرَاكَ مُعْتَزِّ الْقَبِيلِ
/ ٨١ أ / هَارَوْتُ فِي لَحْظَاتِهِ بِالسَّحَرِ يَلْعَبُ بِالْعُقُولِ
سَفَكْتُ دَمِي فَمَسِيلُهُ فِي صَفْحَةِ الْخَدِّ الْأَسِيلِ
كَمْ مِنْ أَسِيرٍ فِي هَوَا هَلُمُّنِي فِيهِ وَكَمْ قَتِيلِ
حَازَ الْجَمَالَ فَلَيْتَ يَشُدَّ فَعُوهُ بِإِيْلَاءِ الْجَمِيلِ
أَوَّلِيَّتَهُ بِالْوَصْلِ جَادَ لِمُغْرَمِ بَادِي النُّحُولِ
عَلَيَّ أَعْلَى رُضَابِهِ فَبَرَشْفِهِ بُرْءُ الْعَلِيلِ
أَشْكُوهُ شَكْوَى خَضِرِهِ الـ مَضْنَى مِنَ الرَّدْفِ الثَّقِيلِ
يَا عَاذِلِي فِيهِ أَتَنَبَّ أَسْرَفَتْ فِي قَالٍ وَقِيلِ
كَمْ قَدْ أَطْعَمْتُ الْحَبَّ فِي هُوَ وَكَمْ عَصَيْتُ بِهِ عَدُولِي
مَا يُوسِفُ فِي حُسْنِهِ تَاللَّهِ أَحْسَنَ مِنْ خَلِيلِ

إِنْ كُنْتُ أَسْأَلُ وَجِبَّهُ لَا نَلْتُ يَوْمًا مِنْهُ سُؤْلِي

وقال في استعطاف : [من الكامل]

يَا مُوَلَّعًا بِالصَّدِّ عَنَّا
/ ٨١ ب / هَلَّا رَفَقْتَ بِمُسْتَهَا
حَمَلْتَهُ مَـا لَا يُطِي
وَوَعَدْتَهُ وَصَلًا فَمَلَّتْ
أَمِنَ الْمُرُوءَةَ أَنْ يَفِي
يَسْخُـو بِمُهْجَتِهِ وَيَبْ
وَارْحَمَتَاهُ لِمَغْرَمٍ

وله في الشيب : [من البسيط]

لَهْفِي عَلَى زَمَنٍ وَلَّتْ نَضَارَتُهُ
كَأَنْتِ بُدُورٌ سُرُورِي فِيهِ مُشْرِقَةٌ
وَمُذْ تَجَلَّى نَهَارُ الشَّيْبِ عَوَّضَنِي

وقال فيه أيضاً : [من الخفيف]

رَاعَنِي الشَّيْبُ حَيْثُ حَلَّ بِفُودٍ
لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ وَيَا لَيْتَهُ أُسْتَبَ

وله فيمن أهدي إلى محبوبه سفر جلاً : [من مجزوء الخفيف]

/ ٨٢ أ / كَيْفَ يَهْدِي إِلَى الْحَبِيبِ
أَتُرَى مُذْ رَأَى أَسْمَاهُ
سَقَرٌ أَوَّلَ أَسْمَاهُ

وقال : [من الخفيف]

أَذْكَرَ الْمَوْتِ حَيْثُ تُمَكِّنُكَ الْحُدُ
وَتَحَامِي الْخَطَايَا
مَا يَفِي لَأَمْتِي نَعِيمٌ حَقِيرٌ
إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ غُرُورٌ
وَوَهْ وَاحِدَرٌ عَذَابُ حَرِّ الْجَحِيمِ
لَيْسَ تَخْفَى عَلَى السَّمِيعِ الْعَلِيمِ
بَشَقَاءَ بَعْدَ الْمَمَاتِ عَظِيمِ
فَارْغَبِ الْآنَ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ

أَيَّ خَيْرٍ وَلَذَّةٍ تُكْسِبُ الْإِنِّ سَمَ وَتُقْضِي إِلَى الْعَذَابِ الْأَلِيمِ

وقال في الزهد ما كتبه على مقبرة لبعض أصدقائه : [من البسيط]

دُنْيَاكَ فَايْنَةً فَاَعْمَلْ لِآخِرَةٍ تَبْقَى فَيَوْمُكَ هَذَا مُنْذَرُ بَعْدِ
فَلَا بَقَاءَ لِمَا يَفْنَى مُرْكَبُهُ وَلَا فَنَاءَ لِمَا يَبْقَى عَلَى أَحَدِ
/ ٨٢ب / كَمْ قَصَّرَ الْأَجَلَ الْمُحْتَوَمُ مِنْ أَمَلِ سِيرُهُ لَمْ يَنْلِ فِي أَطْوَلِ الْمُدَدِ

وقال في الزهد والاستغفار : [من الوافر]

إِلَهِي قَدْ تَكَاثَرَتِ الذُّنُوبُ وَقَدْ أَسْرَفْتُ فِي خَطَايَ وَجُرْمِي
فَوَيْلِي مَنْ لَقَاكَ وَمَنْ وَقُوفِي وَوَاخْزَنِي الطَّوِيلَ فَلَا مَقَرَّ
أَذْقَنِي بَرْدَ عَفْوِكَ قَبْلَ أَصْلِي إِلَهِي نَجِّنِي وَقْنِي عَذَابِ الـ
إِلَهِي قَدْ دَعَوْتُكَ فَاغْفُ عَنِّي إِلَهِي فِيكَ قَدْ أَحْسَنْتُ ظَنِّي
إِلَهِي عَفْوُكَ الْمَرْجُو فَاَرْحَمْ إِلَهِي حَوْضُ مَنِّكَ مُسْتَفِضُّ
إِلَهِي إِنْ أَسَأْتُ فَلِي اِعْتَصَامُ / ٨٣أ / إِلَهِي إِنْ تَبَاعَدَنِي الْخَطَايَا
إِلَهِي قَلَّ فِي الدُّنْيَا نَصِيئِي إِلَهِي ضَاقَ بِي أَمْرِي وَلَكِنْ
إِلَهِي قَدْ تَزَايَدَ دَاءُ قَلْبِي إِلَهِي حَاقَ بِي حُزْنِي وَبُئِي
إِلَهِي عَظُمَ عَفْوُكَ بِالْبَرَايَا إِلَهِي قَدْ خَجَلْتُ مِنَ الْمَعَاصِي
إِلَهِي مَا أَقُولُ وَكُلَّ يَوْمٍ إِلَهِي لَيْسَ يَعْزُبُ عَنْكَ أَمْرُ

وَقَلَّ لَشَقَوَاتِي الْعَمَلُ الْمُثِيبُ وَأَنْتَ عَلَيَّ مُطْلَعُ رَقِيبُ
لَدَيْكَ وَلَيْسَ غَيْرُكَ لِي حَيِّبُ لَنَا مِمَّا قَضَيْتَ وَلَا هَرُوبُ
بَحَرٍ لَطْفِي وَيُحَرِّقُنِي اللَّهَيْبُ جَحِيمِ وَتُبْ عَلَيَّ عَبْدٌ يَتُوبُ
بَلُطْفِكَ يَا سَمِيعُ وَيَا مُجِيبُ وَحُسْنُ الظَّنِّ عِنْدَكَ لَا يَخِيبُ
مُسِيئًا فَاتَهُ الرَّأْيُ الْمُصِيبُ عَلَيْهِ كُلُّ ظَمَانَ يَلُوبُ
بِتَوْحِيدِ إِلَيْكَ بِهِ أَنْيَبُ فَحَسْبِي عَفْوُكَ الدَّانِي الْقَرِيبُ
فَهَلْ مِنْ حُسْنِ صُنْعِكَ لِي نَصِيبُ رَجَائِي مِنْكَ غُفْرَانُ رَحِيبُ
وَلَيْسَ سِوَى رِضَاكَ لَهُ طَيْبُ وَحَقَّ الرَّعْبُ بَلَّ وَجَبَّ الْوَجِيبُ
رَوْوُفُ إِنْ تَعَاظَمْتَ الذُّنُوبُ وَلَا عَجَبُ إِذَا خَجَلَ الْمُرِيبُ
يُمْرِي زَيْدُ لِي ذَنْبٌ وَحُوبُ وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ وَلَا يَغِيبُ

عَوِيلِي لَيْسَ يَرُدُّعُهُ الْمَشِيبُ
مَنْ الدُّنْيَا وَتَتَّصِلُ الْكُرُوبُ
بِمَا جَنَّتِ النَّوَاطِرُ وَالْقُلُوبُ
إِذَا حَضَرَ الْمُطَالِبُ وَالطَّلِيبُ

فَوَيْلِي مَنْ شَقَاوَةٌ ذِي ضَلَالٍ
فَوَيْلِي يَوْمَ تَنْقَطِعُ الْوَاحِي
وَوَيْلِي يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي
وَلَا يَجِدِي سِوَى الْعَمَلِ الْمُزَكِّي

وقال : [من البسيط]

وَلِلرُّضَابِكِ رُضْتُ الْهَمَّ وَالْفَكْرَ
فَمَذْهَجَرْتُ لَذِيذُ النَّوْمِ قَدْ هَجَرَا
وَدَارُهُ الْقَلْبُ أُنَى غَابٍ أَوْ حَضَرَا
بِالْغَدْرِ غَادَرْتَهُ بَيْنَ الْوَرَى سَمَرَا
يَعُودُنِي إِنْ حُرِمْتُ الْوَصْلَ طَيْفُ كَرَى
عَنْكُمْ وَلَا رَامَ طَرْفِي غَيْرُكُمْ نَظَرَا
وَكَيْفَ ذَاكَ وَكُنْتُ السَّمْعَ وَالْبَصْرَا
وَلَّى ضِيَاعًا فَلَمْ أَسْمَعْ لَهُ خَبَرَا
طَلَّقَ الْعَنَانَ وَطَرَفُ الصَّبْرِ قَدْ عَثَرَا
غَدَا بِحَرِّ زَفِيرِي قَطْرُهُ شَرَرَا
مَا دَارَ فِي خَاطِرِي يَوْمًا وَلَا خَطَرَا
إِنَّ الْكَرِيمَ الَّذِي يَعْفُو إِذَا قَدَرَا

٨٣ب/ لِلصَّبْرِ عَنْكَ اجْتَرَعْتُ الصَّابَ وَالصَّبْرَا
أَمَائِلَ الْعُطْفِ عَطْفًا لَا تَرُمُ مَلَأَا
أَنَازَحَ الدَّارِ وَالْأَحْشَاءِ مَسْكُنُهُ
وَيَا مُنَى النَّفْسِ هَلْ تَحْنُو عَلَى ذَنْفٍ
نَاشِدْتُكَ اللَّهُ عَذِّ جَفْنِي الْهَجُوعَ عَسَى
أَمَّا وَحُبِّكَ قَلْبِي مَا ابْتَغَى بَدَلَا
مُذْ غَبَتَ مَا رَأَى لِي مَرَأَى وَمُسْتَمَعَ
أُسْتَوْدِعُ اللَّهَ قَلْبًا بَعْدَ بَعْدِكُمْ
جَرَى بِي الشُّوقُ فِي مَيْدَانِ حُبِّكُمْ
وَاسْتَعْبَرْتُ عَبْرَاتِي لِلْفِرَاقِ دَمًا
يَا هَاجِرِي عُدْ إِلَيَّ وَصَلِي فَهَجْرُكَ لِي
هَاقِدٌ قَدَرْتُ عَلَى هَجْرِي فَصَلِّ كَرَمًا

وقال : [من الكامل]

مَا كَانَ فِي عِدَّةِ الْوَصَالِ بِمُخْلَفٍ
وَجَفَا وَجَاهَرَبَ الصُّدُودَ الْمُتَلَفَ
جَانِ عَلَى الْخَلِّ الْوَفِيِّ الْمُنْصَفَ
لَا طَفْتُهُ يَجْفُو وَلَمْ يَتَلَطَّفَ
يَجْفُو فَلَمْ يَخْنَنَ وَلَمْ يَتَعَطَّفَ
عَنْ قَرْطِ بَلْبَالِي وَطُولِ تَأْسُفِي
أَفَمَا يَرْقُ لَوَالِهِ مُتَلَهِّفَ
فَاطَاعَ سُلْطَانَ الْغَرَامِ الْمُجْحِفَ

لَوْ كَانَ يَسْمَحُ بِالتَّوَاضُّلِ أَوْ يَفِي
٨٤أ/ مَذَقَ الْوَدَادَ وَخَانَ عَهْدَ مُحِبِّهِ
وَاهَالَهُ مَنْ غَادَرَ مُتَحَيِّفَ
أَبْدًا يَمِيلُ إِلَى الْمَلَالِ فَكُلَّمَا
أَشْكُو قَسَاوَتَهُ إِلَيْهِ لَعَلَّهُ
وَأَبُثُّهُ وَلَهْيِي فَيُعْرِضُ لَأَهْيَا
لِلَّهِ مَا أَفْسَاهُ قَلْبًا فِي الْهَوَى
حَكَمَ الْغَرَامَ عَلَى الْمُحِبِّ بِجَوْرِهِ

وَأَبْتَزَهُ سُلُوَانَهُ فَلَوْ أَبْتَغَى
 جَهْلًا تَقُولُ عَوَاذِلِي دَعِ حَبَّهُ
 أَنِّي وَرُؤْيِيَّتُهُ أَلَذُّ إِلَيَّ مِنْ
 رَشَاءٍ مِنَ الْأَسْبَاطِ قَدْ فَاقَ الْوَرَى
 كَدُمِي الْكَنَائِسَ بَلْ كَطْبِي كَنَاسَةً
 ظَامِي النَّطَاقِ يَكَادُ يُرْجِعُ لِي الصَّبَا
 يَا صَاحِ دَاوُ بَذْكِرِهِ دَاءُ الْهَوَى
 / ٨٤ب / وَأَنْقَعَ بَرِيقَتَهُ الْغَلِيلَ فَرَشَفُهَا
 إِنِّي لِيُطْرِبُنِي الْمَلَامُ بِذِكْرِهِ

ومما كتبه إلى الملك العزيز غياث الدين أبي المظفر محمد بن غازي بن يوسف بن

أيوب - رحمه الله تعالى -: [من الكامل]

بِاللَّهِ يَا رِيحَ الشَّمَالِ تَحْمَلِي
 وَصَفِي لَهُ مَا قَدْ لَقِيتُ مِنَ الْعَدَا
 وَهَالِكُ مَنْ أَخْنَى عَلَيْهِ زَمَانُهُ
 وَسَقَاهُ نَكْتُ الْمُعْتَدِينَ وَسَعِيَّهُمْ
 يَا مَالِكَ الشَّهْبَاءِ يَا مَنْ جُودُهُ
 يَا طُودَ حِلْمٍ رَاسِخًا هَضْبَاتُهُ
 يَا دَوْحَةَ النَّعْمِ الَّتِي كُلُّ الْوَرَى
 يَا ابْنَ الَّذِي آيَاتُ سِيرَةِ عَدْلِهِ
 / ١٨٥ / يَا ابْنَ الَّذِي بَيْنَ الْأَنَامِ صِفَاتُهُ
 يَا ابْنَ الَّذِي أَسْدَى إِلَيَّ صَنَائِعًا
 يَا ابْنَ الَّذِي مَازَلْتُ تَحْتَ ظِلَالِهِ
 لَهْفِي عَلَى زَمَنِ مَضَى فِي ظِلِّهِ
 فَلَا بَكِيْنَ عَلَى زَمَانِ سَعَادَةٍ
 لَهْفِي عَلَيْهِ فَلَوْ يَدُومُ صَفَاؤُهُ
 أَنِّي أَضَامُ وَأَنْتَ دُخْرِي فِي الدُّنَى

قَصَصِي إِلَى الْمَلِكِ الْعَزِيزِ الْمُجْمَلِ
 وَسَلِّيَهُ كَشَفَ قَضِيَّتِي وَتَرَسَّلِي
 وَكَسَاهُ بَعْدَ الْعَزِّ ثُوبَ تَذَلُّلِ
 كَأْسًا مَذَاقَتْهَا كَطْعَمِ الْخَنْظَلِ
 دُخْرُ الْفَتَى الْعَافِي وَكَنْزُ الْمُرْمَلِ
 تَسْمُو عَلَى هَامِ السَّمَاءِ الْأَعَزَلِ
 يَتَقَيَّأُونَ بِظِلِّهَا الْمُسْتَكْمَلِ
 تُتْلَى كَايَاتِ الْكِتَابِ الْمُنْزَلِ
 عَطْرِيَّةُ النَّفَحَاتِ مِثْلُ الْمُنْدَلِ
 جَلَّتْ فَلَمْ تُخْصَرْ وَلَمْ تُثْقَلْ
 فِي نِعْمَةٍ جَلْبَابُهَا لَمْ يَسْمُلْ
 لَوْ دَامَ لَمْ أُمَقِّتْ وَلَمْ أُسْتَبَدَلْ
 كَانَتْ بِهِ فَمَضَتْ وَلَمْ تُسْتَقْبَلْ
 مَا كُنْتُ عَنْ نَيْلِ الْمُرَادِ بِمَعَزَلِ
 أَوْ أَنْ أَهَانَ وَفِي حِمَاكَ تَقِيلِي

أَضْحَىٰ وَظَلُّكَ سَابِغٌ وَيَمْسُنِي
 أَيْجُوزُ أَنْ آتِي إِلَيْكَ مُجَمَّلاً
 وَتَرُوحَ غِلْمَانِي وَأَرْجِعْ خَائِباً
 وَأَبِيعَ مَوْجُودِي وَأَرْحَلْ عَنْكُمْ
 فَلَقَدْ حُرِمْتُ لَدَيْكَ مَا أَمَلْتُهُ
 إِنْ كَانَ حَظِّي نَاقِصاً مِنْكُمْ كَمَا
 أَوْ كُنْتُ عِنْدَكُمْ مُضَاعَافاً مُهْمَلاً
 / ٨٥ ب / فَعَسَاكَ تَسْمَحُ لِي بِرَدِّ أَخِيذَتِي
 أَنْ أَرَا حِلَّ فَإِذَا سُئِلْتُ عَنْ الَّذِي
 مَاذَا أَقُولُ لَهُمْ أَيْجُمِّلُ بِي سَوَى
 فَلَا تُنِينَ عَلَيَّ الَّذِي تُؤَلِّهِ مِنْ

ظَمًا وَجُودُكَ كَالْغِيُوثِ الْهُطَلِ
 وَأَعُودَ عَنْكَ بِحَالَةٍ لَمْ تَجْمُلْ
 مِنْكُمْ وَكَانَ عَلَيَّ نَدَاكَ مُعُولِي
 صَفَرَ الْيَدَيْنِ مُشْتَتَاً عَنْ مَنْزِلِي
 دُونَ الْأَنَامِ وَأَنْتَ خَيْرُ مُؤَمِّلِ
 شَاءَ الْعَدَا وَبَعُوا فَكَيْفَ تَحِيلِي
 نَسِياً فَعِنْدَ سَوَاكُمْ لَمْ أَهْمَلِ
 كَرَمًا بِرُغَمِ النَّكَثِ الْمُتَقَوْلِ
 لَا قِيْتُ فِي حَلَبٍ وَمَا قَدْتُمْ لِي
 حُسْنَ الثَّنَاءِ إِذَا حَضَرْتُ بِمَحْفَلِ
 فَعِلِ الْجَمِيلِ سُلْتُ أَوْ لَمْ أُسْئَلِ

[٨٧٠]

نِهَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ نِهَانَ بْنِ بَهَّاجِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ
 عَلِيٍّ، أَبُو الْيَقْظَانَ الْإِرْبَلِيَّ.

أخبرني أنه ولد سحرة يوم الإثنين عاشر محرّم سنة ثمان وثمانين وخمسائة. وأصله
 من الدور^(١)، من أبناء التجار المياسير بإربل، وأكبر بيت بها في الثروة وكثرة المال والعقار.

وهو رجل حسن الدّعاة، طيب الخلق ذو كياسة ودماثة، ونظم أشعاراً كثيرة، له في
 عملها بديهة حاضرة، ولما تغلب التتار على إربل في سنة أربع وثلاثين وستمائة، سافر إلى
 مدينة السلام، وخدم لبعض أمرائها متصرفاً؛ وهو بها مقيم. ورأيت به في سنة تسع وثلاثين
 وستمائة، وتركته حياً.

أنشدني لنفسه بإربل / ٨٦ / في سنة خمس وعشرين وستمائة، يمدح مالکها الفقير
 إلى الله تعالى أبا سعيد كوكبوري بن عليّ بن بكتكين - رحمه الله تعالى - ويهنيه

بعافية من مرض ألمَّ به : [من البسيط]

يَا مَالِكًا فَاقْ أَهْلَ الْأَرْضِ قَاطِبَةً
وَمَنْ لَهُ الْمُلْكُ إِرْثًا عَنْ أَبِي قَابٍ
حَاشَاكَ مِنْ عَارِضٍ يُطْرَأُ عَلَيْكَ وَمَنْ
وَيَا مَلِيكًا وَكُلَّ النَّاسِ يَرْهَبُهُ
بَحْرُ الْعَطَايَا وَبَذَرُ يُسْتَضَاءُ بِهِ
لَكَ الْهِنَاءُ بَأَنْ عُوِفْتَ يَا مَلِكًا
تَقْدِيكَ كُلَّ مُلُوكِ الْأَرْضِ قَاطِبَةً
عَلَى الْخُصُوصِ أَنَا أَفْدِيكَ مُجْتَهِدًا
خُذْهَا مَقَالَةً صَدَقَ لَا يُمَازِجُهَا
وَعَشْ عَلَى رُغْمٍ مَنْ يَشْنَاكَ فِي دَعَا
يَسْعَى بِأَمْرِكَ صَرَفَ الدَّهْرُ مُمْتَلًا

٨٦ب/ ونقلت من خطه شعره، ما كتبه إلى الأمير الكبير العالم الأصفهسلار ركن

الدين أبي شجاع أحمد بن قرطايا بن عبد الله الإربلي - أسعده الله تعالى - (١):

[من الوافر]

أَرْكَنَ الدِّينِ يَا مَوْلَايَ يَا مَنْ
رَحَلْتَ فَكُنْتَ أَدْعُو كُلَّ يَوْمٍ
أَصْلُهَا الْكَلَاءَةُ، وَهُوَ خَطَأٌ.

وَأَبْتَ فَرَادَنِي فَرَحًا بَأْنِي
وَمَنْ حُسْنُ الثَّنَاءِ بِكُلِّ مَغْنَى
وَبِي شَوْقٌ إِلَيْكَ وَفَرَطٌ وَجَدَ
وَمَا أَنَا مَنْ يُغَيِّرُهُ أَحْتِشَامٌ
وَلَا كُنْتُ الْوَضِيعَ فَرَقَعْتَنِي
فَأَنْتَ رَأَيْتَنِي وَسَمِعْتَ أَيْضًا
رَأَيْتَكَ بِالْإِحَاطَةِ وَالرَّعَايَةِ
أَقَمْتَ لِمَجْدِكَ الْمَحْرُوسَ رَايَةَ
تَجَاوَزَ وَصْفُهُ حَدَّ النَّهَائِيَةِ
وَلَا أَنَا مَنْ تُبْطِرُهُ الْوِلَايَةِ
وَلَا يَاتُ أَتْنِي بِالْعَنَائِيَةِ
بِحَالِي فِي الْبِدَايَةِ وَالنَّهَائِيَةِ

٨٧ / وَلَوْ أُعْطِيتُ مُلْكَ الْأَرْضِ طُرّاً
وَمَا أَتَا طَامِعٌ فِي أَرْمَغان
وَلَكِنْ أَنْتَ مَنْ مَلَلٌ وَهَجَرٌ
وَمَا نَعِي التَّأْلَمُ عَنْ وُصُولِي
إِلَى مَنْ أَشْتَكِي دَهْرِي وَمَاذَا
فَلَا بَرَحْتَ سَعُودَكَ فِي أَبْدَاءِ
أَرَانِي فِي الزَّرَاعَةِ وَالتَّنَايَةِ
وَمَنْ يُهْدِي إِلَى سُبُلِ الْهَدَايَةِ
مَدَى الْأَيَّامِ تَعْمَلُ لِي حَمَايَةِ
وَبِي مَرَضٌ تَعْدِي كَمَلْ غَايَةِ
تُرَى يُجْدِي التَّأْلَمُ وَالشُّكَايَةِ
وَأَنْتَ مِنَ الْجَوَادِثِ فِي وَقَايَةِ

[٨٧١]

نَجْمُ بْنُ يَوْسَفَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ نَجْمَ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَبْدِ
الْوَّاحِدِ بْنِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ عَلِيٍّ [بْنِ] الْحَسَنِ، أَبُو الْعَلَاءِ بْنِ
الْحَنْبَلِيِّ.

من أهل دمشق ومن بيت مشهور بها.

شاهدته بإربل شاباً جميلاً وسيماً، يتعلق بخدمة الملكة ربيعة خاتون بنت أيوب بن
شاذي، ويتصرف لها في أملاكها المختصة بها بإربل. وله شعر يسير فيه ضعف، وربما أخذ
لشاعر نصف بيت من الشعر، فيبني عليه أبياتاً قريبة.

ومما أنشدني لنفسه ما كتبه إلى بعض الوجوه الرؤساء وأملأه علي من لفظه وحفظه:

[من الطويل]

٨٧ ب / أَمْوَلَايَ عَزَّ الدِّينَ يَا مَنْ بَجُودِهِ
وَفَاقَ عَلَى أَهْلِ الزَّمَانِ بَعْلَمَهُ
إِلَيْكَ أَشْتِيَاقِي لَا يَزَالُ مَبْرَحاً
فَهَلْ تَجْمَعُ الْأَيَّامُ شَمْلِي وَشَمْلَكُمْ
فَتَجْمَعُ مِنْهُ مَا تَفَرَّقَ أَوَّلاً
عَلَيْكَ سَلَامِي مَا شَدَا فَوْقَ أَيْكَةِ
بَنَى الْمَجْدَ مِنْ دُونِ الْبَرَايَا وَشَيْدَا
فَأَصْبَحَ فِي جَمْعِ الْفَضَائِلِ أَوْحَدَا
عَظِيماً عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ مُجَدِّدَا
عَلَى رُغْمِ أَنْفِ الْحَوَاسِدِ وَالْعَدَا
وَأَصْبَحَ مَنْ بَعْدَ التَّدَانِي مُبَدِّدَا
حَمَامٌ وَمَا لَاحَ الصَّبَاحُ وَمَا بَدَا

ومن شعره أيضاً ما كتبه إلى عم أبيه الناصح أبي الفرج عبد الرحمن بن نجم بن عبد

الوهاب الواعظ بن الحنبلي: [من البسيط]

هَبِّ النَّسِيمُ فَأَهْدِي نَشْرُكُمُ سَحَرَا
لِلصَّبِّ حَقّاً وَسَيْفُ الصُّبْحِ مَا شَهَرَا

سَرَى عَلَى الرُّوضِ رَقْرَاقًا فَتَاهُ بِهِ
أَهَاجَ لِلصَّبِّ أَشْوَاقًا مُبَرِّحَةً
إِنْ تُنْكِرُوا فَرُطَ وَجَدِي فِي مَحَبَّتِكُمْ
/ ١٨٨ / يَا نَاصِحَ الدِّينِ يَا بَحْرَ الْعُلُومِ وَمَنْ
لَوْ لَا نَدَاكَ وَأَنْوَارُ خُصِّصْتَ بِهَا
أُحْيَيْتَ بَيْتًا لَنَا فِي كُلِّ مَا وَطَنَ
لَوْ لَاكَ مَا جَلَّقَ تَاهَتْ عَلَى بَلَدٍ
وَأَصْبَحَ الرُّوضُ مِنْ أَنْفَاسِهِ عَطْرًا
فَبَانَ لِلخَلْقِ مَا أَخْفَى وَمَا سَتَرَ
فَسَائِلُوا طَيْفَكُمْ عَنِّي إِذَا حَضَرَ
رَبِّي لَهُ قُبْلٌ أَنْ يُيَدِيهِ قَدْ غَفَرَ
مَا كَانَ مَذْهَبُنَا فِي الْأَفْقِ قَدْ ظَهَرَ
بِالْجُودِ وَالْعِلْمِ مَنْ عَادَاكَ قَدْ كَفَرَ
وَمُبْصِرٌ لَشُعَاعِ الشَّمْسِ مَا نَكِرَا

[٨٧٢]

نَدَى بْنُ عَبْدِ الْغَنِيِّ بْنِ عَلِيٍّ الْمَصْرِيِّ^(١).

أنشدني الصاحبُ الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه
الحنفي بحلب - أيده الله تعالى - قال: أنشدني أبو عبد الله محمد بن يوسف بن الخضر

(١) ترجمته في: التكملة للمنزدي ١٣٨/٢ - ١٣٩ رقم ١٠٣٠ وفيه: «ندى بن عبد الغني بن علي بن عبد الوهاب
الأنصاري الحنفي المنعوت بالرَضِيِّ، الشيخ الفقيه، أبو الجود، توفي بالقاهرة في الحادي والعشرين من شعبان
سنة أربع وستمائة، ودفن بمقبرة الحنفية المعروفة بهم بسفح المُقَطَّم.

تفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة - رضي الله عنه - وتقدم فيه، ورحل إلى الإسكندرية فسمع بها من الحافظ
أبي طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني، وأبي الضياء بدر بن محمد بن عبد الرحمن بن منصور الحضرمي، وأبي
المفضل عبد المجيد بن الحسين بن دليل وغيرهم. وسمع بمكة - شرفها الله تعالى - من المتتجب أبي الحسن
علي بن الحسن الريحاني المكي. وسمع بمصر من أبي عبد الله محمد بن علي الرحبي، وأبي الحسن علي بن
هبة الله بن عبد الصمد الكاملي، وأبي عمرو عثمان بن فرج بن سعيد العبدي، وأبي الطاهر اسماعيل بن قاسم
الزيات. وأبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن الحسين السبي، وشيخ الشيوخ أبي القاسم عبد الرحيم بن أبي
البركات بن أبي سعد الصوفي، والعلامة أبي محمد عبد الله بن بري النحوي، وأبي الغنائم المسلم بن مكي،
وخلف بن علان القيسي، وأبي محمد عبد الله بن سعد الله البجلي، وأبي الحسن علي بن أحمد الحديثي، وأبي
القاسم هبة الله بن علي الكاتب، والزوجين أبي الحسن علي بن إبراهيم بن نجا، وفاطمة بنت سعد الخير، وأبي
عبد الله محمد بن حمد بن حامد وجماعة كثيرة من أهل البلد والقادمين عليها.

ودرس بمدرسة السيوفيين بالقاهرة مدة، وحدث وجمع.

ترجمته في: تاريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ - ٦١٠) ص ١٦٦ رقم ٢١٩. المشتبه/ الورقة ٦٣. توضيح
المشتبه ٤٠٠/١ وفيه: «ندا» بالألف الممدودة.

الحلبي الفقيه الحنفي، قال: أنشدني ندي بن عبد الغني بن علي بمصر لنفسه:

[من الطويل]

عَلَى أَيِّ وَجْهِ ابْتَغَيْ شُكْرَ فَاضِلٍ جَمِيعَ نَهَائِيَاتِ الْمَكَارِمِ حَائِزُ
إِذَا مَا شَكَرْتُ الْفَضْلَ مِنْهُ يَقُولُ لِي فَضَائِلُ لَمْ أَشْعُرْ بِهَا أَنْتَ عَاجِزُ

[٨٧٣]

نعمه بن يوسف بن بركات أبو الفضل الأنصاري الدمشقي،
المعروف بالباقة.

أنشدني / ٨٨ب / الشيخ أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي الآدمي

بحلب، قال: أنشدني الباقة لنفسه: [من الكامل]

وَمَرِيضَةُ الْأَجْفَانِ تَفْعَلُ فِي الْحَشَا مَا لَيْسَ يَفْعَلُ مِثْلَهُ السَّخَرُ
حَسَنْتَ خَلَاتُفَهَا وَخَلَقْتَهَا فَعَنَّا لِبَهْجَةٍ وَجْهَهَا الْبَدْرُ
عَثَرَ الصَّبَاحُ بَصْدَغٍ لَيْلَتَهَا وَأَتَى عَلَى شَفَقٍ لَهَا الْفَجْرُ

[٨٧٤]

نما بن الخوجستاني.

من أهل دُيُوسَر.

كان فيه أدب، ويقول شعراً صالحاً. وكان معلّم الصبيان بماردين.

أنشدني من شعره الأمير شرف الدين أبو حفص عمر بن أسعد بن عمار الموصلي

بها، وكتبه لي بخط يده - أيده الله تعالى - : [من مجزوء الكامل]

يَا عَبْرَتِي فِيضِي وَيَا نَفْسِي مِنَ الْعَبَرَاتِ فِيظِي^(١)
أُضْحَى الزَّمَانُ مُعَانِدِي وَغَدَا تَصَرُّفُهُ مَغِيظِي
لَوْ قِيلَ مَنْ هَذَا الَّذِي أَعْرَبْتُ عَنْ قَلْبِ حَفِيظِ
مَنْ لَيْسَ بِالنُّكْسِ الدَّنْ سِيٍّ وَلَيْسَ بِالْفَظِّ الْغَلِيظِ

(١) فيضي: من الفيضان، فيظي: تفسر هنا، موتي، من الموت.

مَنْ خَطُّهُ فَوْقَ الْخُطُو ط وَحَظُّهُ تَحْتَ الْحُظُوْظِ

[٨٧٥]

نُوحُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ الدَّمَشْقِيُّ .

كان والده رجلاً يهودياً متصرفاً في خدمة ميمون القصري، فأنعم الله عليه بالإسلام - وكانت ولادة نوح سنة سبع وثمانين وخمسمائة بدمشق، ونشأ وتآدب وخدم في الأعمال الديوانية بحلب، متصرفاً للأمرء.

وكان من أسمح الناس أخلاقاً، وأطيبهم معاشرة، وأطفهم حاشية، وأقدرهم على قول الشعر، وأسرعهم في نظمه بديهة. وكان يقول الشعر طبعاً، ولم يكن خبيراً بصناعته ومعانيه ومعرفته، ولمحت في أشعاره لحنًا واضطراباً، ولم يزل مقيماً بحلب إلى أن توفي بها في سنة خمس وثلاثين وستمائة، ودفن بمقابر الخليل إبراهيم - صلوات الله عليه - في تربة معروفة بناصر الدين أبي بكر بن ميمون القصري - رحمه الله تعالى - .

أنشدني أبو الفوارس جهبل بن محمد بن طاهر بن نصر الله بن جهبل القرظي الكلابي الحلبي بها في رمضان سنة تسع وأربعين وستمائة، قال / ٨٩ب / أنشدني نوح بن أبي الفضل الدمشقي لنفسه، في غلام كان يهواه - يعتريه الصرع - :

[من الطويل]

بَنَفْسِي مَنْ أَضْحَى مِنَ الْجَنِّ خَائِفًا وَقَدْ كَانَ مِنْ رَبِّ الْحَوَادِثِ فِي أَمْنٍ
أَلَمْ يَكْفِ مَا فِي حُبِّهِ مِنْ مُشَارِكٍ مِنَ الْإِنْسِ حَتَّى أَزْدَدَتْ قَوْمًا مِنَ الْجَنِّ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ سُلْطَانَ حُسْنِهِ دَعَاهُمْ فَلَبُّوا خَائِفِينَ مِنَ السَّجْنِ
جُنْتُ بِهِ عَمْدًا وَأَعْدَيْتُهُمْ بِمَا جُنْتُ فَأَصْبَحْنَا شَرِيكِينَ فِي قَنْ

وقال من قصيدة طويلة أولها : [من الكامل]

قَدِمَ الرَّيِّعُ فَقَاحَ طَيْبًا نَشْرُهُ لَمَّا تَارَجَ فِي رِيَاضِ عَطْرُهُ
وَوَشَّتْ عَلَى أَنْهَارِهِ رِيحُ الصَّبَا سَحَرًا فَهَتَّتْكَ بَعْدَ سَتَرِ سِتْرُهُ
عَنَّتْ بِلَابِلُهُ لِرَفْصِ غُصُونِهِ طَرِبًا وَصَفَّقَ بِالتَّدْفُقِ نَهْرُهُ
فَاشْرَبَ عَلَى زَهْرِ الرَّيِّعِ فَإِنَّهُ زَمَنُ يَقُومُ بِهِ لِكُلِّ غُدْرُهُ

فِي وَجَنَةِ الرَّشَاءِ الْمُقَدَّى زَهْرُهُ
 أَسْ وَنَوْرُ الْأَفْحَوَانَةِ تُغْرُهُ
 فِينَا وَلَكِنْ مِنْ رُضَابِ خَمْرِهِ
 وَلِدَانُهُ فِيهَا وَفِيهَا حُورُهُ
 فِي دَهْرِهِ مَا شَاعَ فِينَا ذِكْرُهُ
 أَلَمْ فَيَنْدَبْهُ بِسُخَرِ زَمَرِهِ
 لَيْلٌ وَلَكِنْ مِنْ جَيْنٍ بَذَرُهُ
 يَكْفِي مُحِبَّكَ مِنْ غَرَامِ سُكْرِهِ
 طَوَعَ الْغَرَامِ وَقَدْ عَصَاهُ صَبْرُهُ

لَا حَاجَةَ لِي فِي الرَّيِّعِ وَقَدْ بَدَى
 فَالْوَرْدُ مِنْ وَجَنَاتِهِ وَعَذَارُهُ
 / ١٩٠ / وَالْكَاسُ تُغْرِقُ أَذَارَ مُدَامَةٍ
 فِي مَجْلِسِ جَنَاتِهِ قَدْ زُخِرَتْ
 وَمُلْحَنَ لَوْ كَانَ عَاصِرَ مَعِيدٍ
 مَا زَالَ يُضْرَبُ عُودُهُ فَيَنْتُنُ مِنْ
 يَا أَيُّهَا الرَّشَاءُ الَّذِي فِي شَعْرِهِ
 نَقْصُ كُؤُوسِكَ قَدْ سَكِرَتْ صَبَابَةٌ
 وَأَعْطَفَ عَلَى صَبِّ بِحَبِّكَ لَمْ يَزَلْ

وقال من أخرى: [من الطويل]

وَمَا أَنْتَ مِنْ قَتْلِي بِهِجْرِكَ فِي حَلٍّ
 أَمَّا لَكَ عَنِّي لَا أَمِيلُ إِلَى عَذْلٍ
 أَرَاكَ بِهِ تَرْضَى فِدْعَنِي مِنَ الْوَصْلِ
 عَلَيْكَ عَسَى أَنْ تُكْتَفَى وَفَقَةُ الدُّلِّ
 لِبَنْدِ قَبَاءِ عَادَ صَبْرِي فِي حَلٍّ
 لِحَاطِ لَهَا النُّجْلَاءُ بِالْأَعْيُنِ النُّجْلِ
 كَذَلِكَ بَذَرُ الدِّينِ عَارٍ مِنَ الْمَثَلِ

لِحَاطُكَ أَنْكَى فِي فُؤَادِي مِنَ النَّبْلِ
 وَإِنِّي وَإِنْ وَاشَ إِلَيْكَ بِزُورِهِ
 وَقَدْ لَدَّ لِي الْهَجْرَانُ مِنْكَ لِأَنَّنِي
 وَكُنْ رَاحِمًا لِي مِنْ وَفُوفِي بِذَلَّةٍ
 فَأُقْسِمُ أَنِّي لَوْ رَأَيْتَكَ عَاقِدًا
 وَمُعْتَقِلَ رُمَحِ الْقَوَامِ سَنَانُهُ
 / ٩٠ ب / عَدِمْتُ بِوَجْدِي فِيهِ كُلَّ مُمَاتِلِ

وقال من قصيدة أخرى مبدأها: [من الطويل]

وَهَلْ يَنْفَعُ الْإِنْكَارُ وَالسُّقْمُ شَاهِدُ
 وَإِنْ رُمْتُ قُرْبًا مِنْهُ فَهُوَ مُبَاعِدُ
 وَأَعْجَبُ شَيْءٍ أَنْ يُحِبَّ مُعَانِدُ
 سُودٌ لِأَلْحَاطِ الطَّبَاءِ مَصَايِدُ
 وَمُسْتَأْنَسٌ لَكِنْ عَنِ الصَّبِّ شَارِدُ
 تُطَارِدُنِي أَفَاتُهُ وَأَطَارِدُ
 غَيْبِي وَإِنَّمَا نَاصِحٌ هُوَ حَاسِدُ
 سَافًا وَإِنْ وَاسِيَّتُهُ فَهُوَ جَاحِدُ

أَهْلٌ بَعْدَ إِقْرَارِ الْمَدَامِ جَاحِدُ
 وَبِي رَشَاءٌ إِنْ رُمْتُ وَصَلًا يَصْدُنِي
 يِعَانِدُنِي طَوِيلُ الْمَدَى وَأَحْبُهُ
 تَصِيدُ قَلْبِي بِاللِّحَاطِ وَفِي الْهَوَى الْأُ
 نَقُورٌ وَلَكِنْ ذَاكَ فِي الطَّبِيِّ عَادَةُ
 وَمَا زِلْتُ فِي حَرْبٍ مَعَ الدَّهْرِ تَارَةً
 وَلَمْ أَلْقَ فِيهِ غَيْرَ خَلٍّ مُمَالِقِ
 فَتَى إِنْ مَنَعْتَ الرَّفْدَ عَنْهُ يَسِينِي أَعْتِ

صَبَرْتُ عَلَى حَمْلِ الشَّدَائِدِ مُكْرَهًا وَمِثْلِي مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ الشَّدَائِدُ

وقال أيضاً من قصيدة أخرى: [من الخفيف]

١ / ٩١ / أَسْكَرْتَنَا شَمَائِلَ لَاشْمُوْلٍ رَشَا سَلَّ مِنْ لِحَاطِ سِيُوفَا
مُنْكَرٌ قَتَلْتَنِي وَفِي صَحْنِ خَدَيْهِ شَرْعُهُ لَا يَقَادُ فِي الْحُبِّ صَبٌّ^١
إِنْ بَدَا طَالِعًا فَبَدْرٌ تَبَدَّى رَشَا خَصْرُهُ ضَعِيفٌ وَلَكِنْ
خُنْتُ فِيهِ مِنْ بَعْدِ عَهْدِ عَدُوْلِي لَا يَمَلُّ الْعَرَامُ قَلْبِي لِأَنِّي
يَا زَمَانِي إِنْ كَانَ قَضْدُكَ مِنِّي كَلَّمَا رُمْتُ فِي الْمَعَالِي نُهَوْضًا
قَدْ قَتَلْتُ الزَّمَانَ خُبْرًا إِلَى أَنْ فِيعِزُّ الدَّلِيلُ بَعْدَ انْكَسَارِ
وَلَقَدْ سَقْتُ فِي الْفِيَا فِي قُلُوصًا أَقْطَعُ الْيَدَ بِالْمَسِيرِ لِعَلْمِي
١٩١ ب / مَا تَرَى الْعُودَ إِنْ جَفَا فِيهِ طِيبٌ طَافَ فِينَا بِهَِا الْغَزَالُ الْكَحِيلُ
أَنَا دُونَ الْوَرَى بِهَِا مَقْتُولُ شَهِيدٌ بِهَِا دَمِي الْمَطْلُوعُ
وَلَهُ مِنْ جَمَالٍ وَجْهٌ دَلِيلُ أَوْ تَشَى فَعُضْنُ بَانَ يَمِيلُ
حَمْلُهُ رَذْفُهُ الْكَثِيبُ الْمَهِيلُ وَمَنْ الْحَزْمُ أَنْ يُخَانَ الْعَدُوْلُ
كَارُهُ أَنْ يُقَالَ: قَلْبٌ مَلُوعٌ فِي عَنَادٍ فَإِنَّ قَلْبِي حَمُولُ
رَذْنِي حَاسِدٌ وَضَدُّ جَهُولُ صَحَّ عِنْدِي عَادَاتُهُ التَّبْدِيلُ
وَيُرِيكَ الْعَزِيزَ وَهُوَ دَلِيلُ سِيرْهَا فِي الْفَلَاةِ سَيْرٌ دَمِيلُ
أَنْ قَطَعَ الْفَلَاةَ بَسْعَدٍ وَصُولُ فِي مَقَامٍ أَذَالَهُ التَّبْذِيلُ

وقال أيضاً من قصيدة أولها: [من البسيط]

إِيهِ حَدِيثُكَ عَنْ سَكَّانِ نَعْمَانَ كَرَّرُ عَلَيَّ أَحَادِيثًا تُدْكَرُنِي
نَجْلُ النَّصَارَى إِلَى التَّوْحِيدِ يُرْشِدُنِي فَاعْجَبْ لِمَنْ دِينُهُ التَّوْحِيدُ كَيْفَ عَدَا
دَفِيقُ خَصْرِ فَلَيْسَ الطَّرْفُ يُدْرِكُهُ لَمْ أُنْسَهُ إِذْ أَتَانِي لَا بَسًا حَلَلَ السَّ
يَتَلَوُّ زُبُورًا فَلَوْ دَاوُودُ يَسْمَعُهَا عَدَا يَقْرُبُ قُرْبَانًا، فَقُلْتُ لَهُ:
فَمَنْ حَدِيثُكَ قَدْ هَيَّجَتْ أَشْجَانِي أَمَامَ مَنْ لَمْ يَزَلْ فِي الْقُرْبِ يَنَانِي
لَأَنَّهُ مَالَهُ فِي الْحُسْنِ مِنْ ثَانِي يَضِلُّ لَوْلَا هُدَاهُ حُبُّ نَصْرَانِي
مَنْ رَقَّةٌ قَدْ حَكَى دِينِي وَإِيمَانِي أَوَادَ حَامِلٍ إِنْجِيلٍ وَصَلْبَانِ
مَلْحَنًا، قَالَ: هَذَا بَعْضُ الْحَانِي مَا كُنْتُ بَائِعَ تَقْرِيبٍ بِقُرْبَانِ

وَقَامَ يَسْعَىٰ بِكَاسِ الْخَمْرِ فِي يَدِهِ
فَقُلْتُ: دَعْنِي فَإِنِّي قَدْ سَكَرْتُ هَوًى
والله إن لم تكن لي راحماً وتَدْعُ
/٩٢/ لَا شُكُونَ الَّذِي أَلْقَاهُ مِنْ كَمَدٍ

وقال يمدح الأمير بدر الدين أيدير بن عبد الله الوالي: [من الكامل]

وَبِمِثْلِ صَدِّكَ تَطْهَرُ الْأَسْرَارُ
أَبْدًا وَفِي سَقَمِي لَهُ إِضْمَارُ
فِي عَشْقِهِ بَعْدَارُهُ أَعْدَارُ
وَالْوَصَلَ يَعْقِبُهُ بِهِ أَوْزَارُ
أَبْدًا عَلَيْهِ فِي الْوَرَى أَنْصَارُ
مُذْ شَدَّ فِي وَسْطِ لَهُ زُنَارُ
تَثْلِيثُ أَضْدَادِي بِهِ فَاغَارُ
وَالشَّرْكَ فِي دِينِ الصَّبَابَةِ عَارُ
وَالطَّبِي عَادَتُهُ قَلَى وَنَفَارُ
إِلَّا الْأَمِيرُ وَفِي حَمَاهُ أَجَارُ
مَنْ خَوْفَهُ الْأَعْدَاءُ وَالْكَفَارُ
وَعَلَى الزَّمَانِ جَلَالَةٌ وَوَقَارُ
وَبِمِثْلِ وَصْفِكَ تَحْسُنُ الْأَشْعَارُ
غَيْثٌ عَلَى أَمَانِنَا مَذْرَارُ
بُضْيَاءُ وَجْهِكَ فِي الدُّجَى أَنْوَارُ
طَوَّلَ الزَّمَانَ مَعَ النَّهَارِ نَهَارُ
وَبِمِثْلِ فَعْلِكَ تَحْسُنُ الْأَثَارُ
أَبْدًا بِهَا تُسْتَصْغَرُ الْأَخْبَارُ
بِالْأَذْيَةِ دَائِمًا أَمْطَارُ
لَمَّا قَدِمْتَ فَحُلِّلَ الْإِفْطَارُ

فِي مِثْلِ حُبِّكَ تُهَتِّكُ الْأَسْتَارُ
كَمْ جَهْدَ قَلْبٍ سَاتَرَ أَسَرَ الْهَوَى
يَا عَاذِلِي قَلَّ الْمَلَامُ فَإِنَّ لِي
ظَبِي يَرَى أَنَّ الصُّدُودَ مَثَابَةً
نَجْلُ النَّصَارَى لَيْسَ لِي فِي حُبِّهِ
قَدْ حَلَّ صَبْرِي فِي هَوَاهُ صَبَابَةً
أَبْدًا أَوْحَدُ حُبِّهِ وَارَاهُ فِي
لَا أُرْتَضِي فِي حُبِّهِ بِمِشَارِكِ
ظَبِي نَفُورٌ لَا يَمِيلُ لِعَاشِقٍ
مَا لِي مُجِيرٌ مِنْ عُقُوبَةِ صَدِّهِ
مَوْلَايَ بِدُرِّ الدِّينِ مَنْ دَانَتْ لَهُ
/٩٢ب/ نَدْبُ بِهِ لِلدَّهْرِ أَعْظَمُ رَوْنَقُ
لِلشَّعْرِ فِيكَ طَلَاوَةٌ وَمَلَا حَةٌ
يَا أَيُّهَا الْبَحْرُ الَّذِي فِي كَفِّهِ
لَمَّا قَدِمْتَ اللَّاذِقِيَّةَ أَشْرَقَتْ
نَسَخَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ وَجْهِكَ فِي الدُّجَى
أَثَرَتْ فِي وَجْهِ الزَّمَانِ مَحَاسِنًا
أَخْبَارُ جُودِكَ دَائِمٌ بَيْنَ الْوَرَى
وَالْعَيْثُ أَنْتَ فَمُذْ حَلَلْتَ تَدَافَقَتْ
فَتَهَنَّ صَوْمًا أَنْتَ فِيهِ عِيدُنَا

ومنها يمدح الملك العزيز محمد بن غازي بن يوسف: [من الكامل]

حَصَلْتُ عَلَى مَنْ الْعَزِيزُ مُحَمَّدٌ نَعَمْ فَسُحِبْ نَوَالَهُنَّ غَزَارُ
وَاللَّهُ لَوْلَا أَنْتَ لَمْ يَكُ سَيِّدِي لِلْعَبْدِ عِنْدَ مَلِيكِنَا تَذْكَارُ
فَكَسَوْتَنِي خَلَعَ الْفَخَّارِ تَكْرُمًا عِنْدَ الْمُلُوكِ وَحَبَّ ذَاكَ فَخَارُ
لَا زَالَتِ الْأَفْلاكُ طَوْعَكَ دَائِمًا تَجْرِي بِمَا تَخْتَارُهُ الْأَقْدَارُ



حرف الهاء

ذكر من اسمه هاشم

[٨٧٦]

هاشمُ بنُ حبيب، أبو الوليد، الأديبُ الفقيهُ النحويُّ الخطيبُ
المقرئُ الزاهدُ البيغي.

ينسب إلى بيغوى وهي قلعة حصينة من أعمال غرناطة^(١).

كان أبو الوليد يتولّى خطابتها. وكان رجلاً من خيار عباد الله الصالحين، وأوليائه الأبرار العاملين، قارئاً للقرآن الكريم، كثير التلاوة له، زاهداً متعبداً متفتناً في كل فضل فيها بالعلوم الدينية والأدبية، لا يقعد عن شيء منها، بل يقومُ بها أحسن قيام. وكان قد تصدرَ لقراءتها وإفادتها، والناس يغشونه ويأتون إليه، ويقرأون عليه، ويستفيدون منه، ويأخذون عنه، فتخرج به خلق كثير.

وكان له - مع ذلك - النصيب الوافر، والحظ الوافي في قرض الشعر، وقال منه قصائد مطوّلات، ومقاطع مستحسنات ومات مقتولاً.

/٩٣ب/ استشهد على أيدي الفرنج في سنة اثنتين وعشرين وستمائة - رضي الله

عنه -.

أنشدني الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الأسدي البيغي المقرئ بحلب المحروسة، في سنة ثمان وأربعين وستمائة، قال: أنشدني الشيخ الأستاذ الزاهد أبو الوليد هاشم بن حبيب البيغي لنفسه من قصيدة أولها: [من الكامل]

بَانَ الْخَلِيطُ وَزَوْدُوكَ غَرَامًا فَأَبْتُ جُفُونُكَ أَنْ تَذُوقَ مَنَامًا
وَحَشَوُا فُؤَادَكَ لَوَعَةً لَا تَنْقُضِي وَنَاوَابِصِرِكَ ظَاعِنِينَ ظَلَامًا

ومنها:

نَادَيْتُ ذَارَهُمْ أَدَارُ الْم تَزَلْ أَلْقَى بِهَا الْغَزْلَانِ وَالْأَرَامَا
يَا مَعْهَدَ اللَّذَاتِ يَا مَلْقَى الْمُنَى كُنْتُ الشَّقَاءَ فَقَدْ رَجَعْتَ سَقَامَا
يُكِي حَمَامَ الْإِيكَ طُولَ حَنِينِهِ وَلَرَبُّ مُشْتَاقٍ يَهِيْجُ حَمَامَا
وله أشعار كثيرة، إلا أنني لم يقع إلي شيء منها غير [منا] أثبتته.

[٨٧٧]

هاشم بن عبد السلام بن يوسف بن عمرو بن مندو، أبو الفضل
الإربلي.

أخبرني أنه ولد سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة.

وكان يكتب الطغرة لمليكهها الفقير إلى الله تعالى أبي سعيد كوكبوري بن علي بن
بكتكين - رحمه الله - ونال عنده تمكناً ووجاهة. وكان قبل اتصاله به مُملقاً جداً فحين اتصل
به أثرى وكثرت أمواله، وأقبلت عليه الدنيا، وصار ذا ثروة وافرة، ونعمة واسعة، ولم ينله
في حال خدمته سوء، ولا وصله مكروه، على أن أبا سعيد كوكبوري بن علي كان كثير
المصادرات لأرباب الولايات، ومتصرفي الدواوين. وذلك لقوة جد هاشم وسعادته.

وكان رجلاً عامياً جاهلاً بكل شيء، كثير الغلط في كتبه التي كان يكتبها، قل أن كتب
كتاباً إلا ويظهر فيه لحنٌ وغلط.

وكنت أجتمعُ به بإربل كثيراً، وسافر إلى بغداد حين دخلها التتار - خذلهم الله تعالى -
/ ٩٤ ب/ في سنة أربع وثلاثين وستمائة، ثم لقيته ببغداد في سنة تسع وثلاثين وستمائة؛ وهو
يتصرف لبعض أمرائها. وكان يزعم أنه يعمل الشعر.

أنشدني لنفسه بإربل ما كتبه إلى الوزير جلال الدين أبي الحسن علي بن شماس
الإربلي - رحمه الله تعالى^(١) -: [من البسيط]

شَوْقاً وَإِنْ دَنَّتِ الْأَحْبَابُ وَالْدَارُ وَأَضْلَعُ حَشْوُهَا هَمٌّ وَأَفْكَارُ

وَأَذْمَعُ مُسْتَهْلَاتٌ عَلَيْكَ وَلِيٍّ إِلَيَّ لِقَائِكَ آمَالٌ وَأَوْطَارُ
مَا حِيلَتْنِي يَا عَدُوْلِي لَا تُلِحْ فَقَدْ تَهْتَكْتَ فِيهِ أَعْرَاضُ وَأَسْتَارُ

ومنها:

مَا لِلْعُيُونِ إِذَا مَا أَظْهَرْتَ أَحَدُ غَيْرُ الْوَزِيرِ جَلَالَ الدِّينِ سَتَارُ
مَوْلَى إِذَا أَمَحَلَّتْ أَرْضٌ وَحَلَّ بِهَا رَبْتُكَ كَأَنَّ نَدَى كَفَيْهِ أَمْطَارُ

وأنشدني أيضاً لنفسه ما كتبه إلى الأمير الكبير ركن الدين أبي شجاع / ٩٥ / أحمد بن
قرطايا الإربلي - أسعده الله تعالى^(١) -: [من الكامل]

مَوْلَايَ رُكْنُ الدِّينِ إِنَّ مَطِيَّتِي وَقَفْتُ بِبَابِكَ تَبْتَغِي الْمَقْصُودَا
فَكَشَفْتُ مِنْ خُمَرِ الْقَرِيحَةِ أَبْتَغِي مَدْحًا فَحَلَلْتُ عَقْدَةً وَبُنُودَا
مَا زِلْتُ أَطْلُبُ فِي الرِّجَالِ مُحَمَّدًا أَوْ أَحْمَدًا نُمُضِي إِلَيْهِ الْقُودَا
حَتَّى رَأَيْتُ كِلَيْهِمَا فِي وَاحِدٍ لَمَّا رَأَيْتُكَ أَحْمَدًا مُحْمُودَا

وكتب إليه أبو المجد أسعد بن إبراهيم الإربلي النشابي الكاتب^(٢) يُعَاتِبُهُ:

[من الطويل]

وَكَيْفَ أَحْتِيَالِي فِيكَ إِذْ لَمْ يَكُنْ إِلَيَّ وَدَادُكَ إِلَّا بِالْخُدَاعِ طَرِيقُ
وَلَسْتُ بِخُدَاعٍ وَلَا إِنْ جَرَى عَلَيَّ لِسَانِي قَوْلٌ كَانَ فِيهِ خَلْقُ
وَفِيكَ خَالٌ لَا تَلِيْقُ صِفَاتُهَا وَإِنَّكَ بِالْعَتَبِ الْمُمَضِّ خَلِيقُ
تَوَهُّمٌ مَا تَنْوِيهِ وَالْخُبْتُ وَالرِّيَا بَصْدُكَ أَنْ يَصْفُو لَدَيْكَ صَدِيقُ
فَلَا أَنْتَ مِمَّنْ يَتَّقِي مِنْ مَخَافَةٍ وَلَا مُحْسِنٌ تَزْكُو لَدَيْهِ حُقُوقُ
/ ٩٥ ب / وَلَا لَكَ فِعْلٌ فِي الْمَكَارِمِ يُرْتَجَى وَلَا لَكَ وَجْهٌ بِالْوَفَاءِ طَلِيقُ
وَمَا زِلْتُ أَوْلِيكَ الْوَدَادَ وَأَغْتَدِي فَهَذَا الَّذِي تُبْدِيهِ كَيْفَ يَلِيقُ
وَهَذَا عِتَابِي وَالْعِتَابُ طَرَائِقُ وَقَلْبِي عَلَى مَا أَنْتَ فِيهِ شَفِيقُ
وَمَعْنَى عِتَابِي إِنْ فَهِمْتَ دَقِيقُ

وأنفذها إليه في رجب سنة ثمان وعشرين وستمائة، فكتب هاشم بن عبد السلام

(١) ترجم له المؤلف في الجزء الأول برقم ١٠٢ .

(٢) ترجم له المؤلف في الجزء الأول برقم ١٤٧ .

جوابها على رويها ووزنها بهذه الأبيات : [من الطويل]

رُوَيْدَكَ مَا سَادَ الْكَرَامُ أَوَّلُو النُّهَى
وَلَا أَنَا مَمَّنْ يَجْهَلُ النَّاسُ حَالَتِي
تَعَرَّضْتَ بِي فَاعْدُدْ لِعَرْضِكَ سُتْرَةَ
وَقَدَّرْتَ أَنِّي جَاهِلٌ بِكَ تَغْتَدِي
وَأَوْهَمْتَ أَنَّ النَّاسَ غَرُّ وَجَاهِلٌ
/ ٩٦ / وَلَمْ تَدْرِ أَنِّي حَيَّةٌ لَكَ كَلَمًا
مَتَى أَعْتَلَقْتُ كَفِّي بِوَدِّكَ سَاعَةً
مَتَى عَلِمْتَ مِنْكَ الْمُصَافَاةُ لَأَمْرِي
وَكَمْ غَرَّ مَنْ صَافَاكَ لَمْعُ سَرَابِهِ
إِذَا اسْتَوَتْ الْأَقْدَامُ فَالْحُكْمُ بَاطِلٌ
بِهَجْوٍ وَلَا سَبُّ الرَّجَالِ يَلِيْقُ
وَلَا أَنَا مَمَّنْ لَا يَقَالُ صَدِيقُ
مَنْ الصَّمْتُ وَاحْذَرُ أَنْ تَلُوحَ بِرُوقِ
وَعَرْضُكَ مَنْ لَدَغِ الْهَجَاءِ طَلِيقُ
بِمَا أَنْتَ فِيهِ مَا عَلَيْكَ طَرِيقُ
تَعَرَّضْ وَأَشْ أَوْ يَقُولُ صَدِيقُ
مَنْ الدَّهْرُ أَوْلَى مِنْكَ قَطُّ وَتُوقُ
يَسُودُكَ إِلَّا غَدْرَةٌ وَعَقْفُوقُ
وَكَمْ مِنْ سَرَابٍ غَرَّ مِنْهُ بَرِيقُ
وَلَا شَكَّ أَنَّ الْحَقَّ مِنْكَ زُهْوقُ

[٨٧٨]

هاشم بن محمد بن هاشم بن أحمد بن عبد الواحد بن هاشم،
أبو طاهر بن أبي عبد الرحمن الأسدي.

من أهل حلب وبيت الخطابة والعلم والرواية وأبناء الخطباء أبوه وجدّه وأعمامه. كُتِلَ
كان خطيباً يخطب على منبر حلب.

وأبو طاهر هذا شاب جميل كيس أحمر اللون طويل من الرجال حافظ للقرآن العزيز،
له عناية بقول الشعر، يعمل منه المقطعات. وفيه فضل حسن وأدب جيد إلا أنه مبخوس
الحظ من أبناء زمانه، ولم يزل شاكياً منه ومن صروفه عليه.

أخبرني أنه كان مولده بحلب في العشرين من ذي الحجة سنة إثنين وتسعين / ٩٦ ب/
وخمسماية.

ومما أنشدني لنفسه : [من السريع]

يَا سَادَةَ مَلَكْتُهُمْ مُهَجَّتِي
وَهَلْ لَأَيَّامِي الَّتِي مُذْ حَلَّتْ
أَحْبَابَنَا لَا وَزَمَانَ مَضَى
هَلْ لِي إِلَى وَصْلِكُمْ مِنْ وَصُولِ
بِكُمْ خَلَّتْ مِنْ عَوْدَةٍ بِالْمُلُولِ
بِوَصْلِكُمْ لَا كُنْتُ مِمَّنْ يَحُولُ

بِتُّهُمْ وَخَلَفْتُمْ مُعَنَّاكُمْ يَنْدُبُ مَعْنَاكُمْ وَيَكِي الطُّلُولُ
نَعَمْ وَمَعْنَاكُمْ وَمَاوَاكُمْ قَلْبٌ مُعْنَى كَمْ بِكُمْ لَا يَزُولُ
وَاحْرَبَا جَارُوا وَلَا ذَنْبَ لِي وَعَذَّبُوا قَلْبِي الْمَعْنَى الْحُمُولُ
وَمَا دَرَوْا أَنَّهُمْ مُذْنَاوَا عَنْ نَاطِرِي فِي وَسْطِ قَلْبِي نُزُولُ

ومنها:

يَا مَنْ أَعَارَ الْغُضْنَ قَدْأ إِذَا مَاسَ بِهِ أَذْهَلَ كُلَّ الْعُقُولِ
كَمْ حُرِّمَ الْوَصْلُ كَمَا تَرْجَمُ آلَ حُسْنُ عَلَيَّ خَدَّيْكَ أَنْ لَا وَصُولُ

وأنشدني أيضاً لنفسه يتغزل: [من الخفيف]

يَا بَدِيعَ الْجَمَالِ يَا مَنْ إِذَا [مَا] مَاسَ أُرْزِي بِالذَّابِلِ الْخَطَّارِ
/ ١٩٧ / وَرَدُّ خَدَّيْكَ قَدْ كَسَانِي سَقْمًا إِذْ تَبَدَّى مَنْ تَحْتَ آسِ الْعِذَارِ
فِيكَ مَعْنَى مِنَ الْغَزَالِ وَلَوْ لَا ذَاكَ مَا كُنْتُ مُوَلَّعًا بِالنَّفَارِ

وأنشدني أيضاً لنفسه يمدح السلطان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ركن الإسلام
والمسلمين أبا المظفر يوسف بن محمد بن غازي - أدام الله دولته :-

[من الكامل]

قَسَمًا بِسُحْرِ فَوَاتِرِ الْأَجْفَانِ وَبَغُضِّ بَانَ قَوَامِكَ الْفَتَّانِ
إِنِّي كَتِيبٌ لَا أَفِيقُ مِنَ الْجَوَى مُتَمَلِّمٌ مَنْ خَيْفَةَ الْهَجْرَانِ
مَنْ لِي بَطْنِي قَدْ أَصَابَ مَقَاتِلِي يُسْبِي بِسُحْرِ لِحَاطَةِ الثَّقَلَانِ
هَجْرَانُهُ إِنْ دَامَ مُتٌ بِحُسْرَتِي وَوَصَالُهُ إِنْ عَادَ لِي أُحْيَانِي
مَلِكُ الْقُلُوبِ بِلَحْظِهِ وَبِلَفْظِهِ فَلِذَاكَ قَلْبِي فِي يَدَيْهِ عَانِي

ومنها:

٩٧ب / أَحْبَابُنَا رَحَلُوا وَوَاصَلَ بَعْدَهُمْ وَجَدِي كَمَا جَفَّتِ الْكَرَى أَجْفَانِي
فَرَضُوا عَلَيَّ سُهَادَ عَيْنِي بَعْدَهُمْ فَرَضُوا بِذَاكَ وَلَمْ يَبْنِ خُسْرَانِي
لِلَّهِ رَيْمٌ رُمْتُ مِنْهُ زُورَةٌ فَأَبَى وَأَرَقَ نَاطِرِي وَقَلَانِي
مُذْعَانِيَّتُ عَيْنَايَ وَرَدَّةَ خَدِّهِ الـ قَانِي فَفِي بَحْرِ الْهَوَى الْقَانِي
إِنْ صَدَنِي عَجَلًا وَرَدَّ وَسَائِلِي خَجَلًا وَمِنْ هَجْرَانِهِ أُرْدَانِي

فَلَا ظَفَرَنَ بِكُلِّ مَا أَمَلْتُهُ بِمَدَائِحِي لِلنَّاصِرِ السُّلْطَانِ

وأنشدني فيه أيضاً لنفسه يمدحُه: [من البسيط]

أَلَا أَمُّ الْقُلُوبِ خَانَهُ الْقَدْرُ وَقَدْ غَدَا بِصَلاَحِ الدِّينِ يَنْتَصِرُ
وَمَا لَأَمَالِ هَذَا الصَّبِّ خَائِبَةٌ وَقَلْبُهُ دُونَ كُلِّ النَّاسِ مُنْكَسِرُ
وَجُودُ جُودِكَ قَدْ عَمَّ الْأَتَامَ بَلَا سُؤَالَ [سُؤُولٍ] وَبِالْأَمَالِ قَدْ ظَفَرُوا^(١)
وَقَدْ تَكَرَّرَ مَطْلُوبِي وَإِنَّ لِي النَّدَّ فَنَسَ الْأَيَّتِ حَتَّى يَنْقَدَ الْعُمُرُ
فَمَا لِحَظِّي كَحَظِّي نَاقِصٌ أَكْذَا كُلُّ الْمُحِيزِينَ مَا يُقْضَى لَهُمْ وَطَرُ
حَاشَاكَ تُرْجِعُ أَمَالِي مُخَيِّبَةً وَسَعَرُ شُعْرِي قَدْ سَارَتْ بِهِ السَّيْرُ
/ ٩٨ / أَوْ أَنْ يَرُوحَ حَسُودِي وَهُوَ مُبْتَسِمٌ جَذْلَانُ مَنْ كَوْنُ كَسْرِي لَيْسَ يَنْجَبِرُ
وَأَنْتَ أُنْدَى الْوَرَى كَفَاءً وَأَعْظَمُهُمْ قَدْرًا وَبِالْعُرْفِ وَالْمَعْرُوفِ مُشْتَهَرُ

وأنشدني أيضاً لنفسه من أبيات طويلة يرثي بها والدته - رحمها الله تعالى - :

[من الطويل]

نَعَمْ هَذِهِ يَا صَاحُ أَطْلَالٍ عَزَّة وَآثَارُ مَنْ غَرَّتْ وَصَدَّتْ وَعَزَّتْ
وَمَلْعَبُ أَرَامٍ بِسِحْرِ لِحَاظِهَا رَنْتَ وَرَمْتَ قَلْبَ الْمُعْنَى فَأُصِمْتَ
أَحْبَابَنَا زَادَ أَشْتِيَاقِي وَوَحْشَتِي إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي فُؤَادِي وَمُهْجَتِي
فَمَقْدَارُ شَوْقِي لَا يُحَدُّ إِلَيْكُمْ وَلَا حَسْرَتِي تَفْنَى وَلَا فَيْضُ عِبْرَتِي
وَقَفْتُ عَلَى وَادِي الْغَضَا أَسْأَلُ الرِّضَا فَلَمْ تُشَفِّ رُوحِي بَلْ عَلَى الْهَلْكِ أَشَفْتُ^١
أَمَّا وَلِيَالِ كَدَّرَ الْبَيْنَ صَفْوَهَا وَأَطْنَبَ فِي تَفْرِيقِنَا وَالتَّشْتَّتِ
وَحَمَلْنِي مَا لَا أَطِيقُ وَمَا كَفَى احْتِمَالِي لَهُ حَتَّى يَفْقَدَ أَحِبَّتِي

وأنشدني له أيضاً من قصيدة أولها: [من الكامل]

/ ٩٨ ب / سَهْمُ اللَّحَازِ رَمَى الْفُؤَادَ فَأَغْرَضَا وَأَخْتَارَ رَأِثُهَا الْبِعَادَ فَأَغْرَضَا
فَمَرَّ عَلَى غُصْنٍ تَكَامَلَ وَصْفُهُ فَاتَ الصِّفَاتِ فَكَمْ فُؤَادَ أَمْرَضَا
أَحْبَابَنَا هَلْ عِنْدَكُمْ هَذَا رِضَا أَحْشَاءُ صَبَّ حَشْوُهَا جَمْرُ الْغَضَا

شَوْقًا إِلَيْكُمْ لَوْ تَحَمَّلَ بَعْضُهُ
رَضَوَى لَأَهْوَى صَلْدُهُ وَتَقَوَّضًا
بِتُّمُ فَكُمُ فِي عَبْرَتِي مِنْ عِبْرَةٍ
لَمُتِّمْ يَقْضِي وَنَجْبًا مَا قَضَى
وَنَسِيتُمْ لِمُدَّ لَهُ مَنْ بَعْدَكُمْ
وَلَهُ بَرَاهُ جَوَى تَذْكُرُ مَا مَضَى
صَبَّ يَرَى [أَنَّ] الْوَدَادَ عَلَى النَّوَى
فَرَضًا فَكَيْفَ يَسُرُّكُمْ أَنْ يُرْفَضَا
وَحَيَاتُكُمْ إِنِّي أَرَى هَجْرَانَكُمْ
لَا كَانَ حَادِي الْعَيْسِ كَدَّرَ صَافِيًا
عَيْنَ الرُّضَا إِذْ كَانَ عِنْدَكُمْ رَضَا
وَأَمْرُ حُلُو الْعَيْشِ سَاعَةً قَوَّضَا

وأنشدني لنفسه: [من السريع]

يَهْنِي أَشْتِيَاقًا كُلَّ عَنْ وَصْفِهِ
كُلُّ لِسَانٍ نَاطِقٍ بِالصَّوَابِ
مُثْنٍ عَلَى فَضْلِكَ يَا خَيْرَ مَنْ
قَدْ وَلِيَ الْحُكْمَ وَقَضَّلَ الْخَطَابِ
وأشعاره كثيرة، وفيما كتبنا منها فيه مقنع وغنى.

[٨٧٩]

هاشمُ بنُ يحيى بن سالم بن يوسف بن كامل بن نصار، أبو
المفاخر بن أبي الفضل التنوخي.

من أهل حلب، وممن يقول الشعر بها ويمدح. وكان من الشيعة المغالين في
المذهب.

أخبرني أنه ولد تقديراً في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بحلب، وتوفي بها ليلة يوم
الثلاثاء الثاني عشر من جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وستمائة، ودفن بمشهد الدكة
غربي المدينة.

وكانت له نعمة حسنة، وحال جيّدة، ورزق صالح. وكان مع ذلك يسترفد وينتجع
بأشعاره، ولم يكن شعره بذاك إلا [أَنَّ] معظمه نازل ركيك، خال من المعاني والعيون، وهو
يشتمل على مدائح وغيرها، ويدخل في مجلدين.

لقيته بحلب يوم الإثنين خامس جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وستمائة.
واستنشدته فأنشدني لنفسه يمدح الأمير بدر الدين أبا الفضائل لؤلؤ بن عبد الله صاحب
الموصل: [من الكامل]

٩٩ب/ المَجْدُ أَعْلَى مَا بَنَاهُ الْبَانِي
وَالْعِلْمُ فَخْرُ وَالسَّمَا حُهُ رَفْعُهُ
وَالْجُودُ وَالْإِحْسَانُ خُلَّةُ مَا جَد
وَكَذَا النَّدَى وَالْبَاسُ لَا يَخُونُهُمَا
وَالْعَارَةُ الشَّعْوَاءُ لَا يَقْوَى بِهَا
وَنَدَاوَةُ الْكَفَّيْنِ لَيْسَ يَنَالُهَا
وَالذِّكْرُ بَاقٍ وَالْمَدِيحُ مَدَى الْمَدَى
وَالنَّشْرُ بَيْنَ الْخَافَقَيْنِ عِلَامَةٌ
وَتَرَى الْجَمِيعُ خَصَالَ بَذَرِ الدِّينِ وَالِ
رَبِّ الْفَضَائِلِ مَالِكِ الرِّقِّ الَّذِي
حَامِي حَمَى الْإِسْلَامَ رَافِعَ قَدْرَهُ
مَلِكِ الْمَحَامِدِ كُلِّهَا فَصَفَاتُهُ الـ
لَوْ أَنَّ رَفْعَةَ قَدْرِهِ تَسْمُو بِهِ
وَالْكَفُّ بَحْرُ وَالْمَدَائِحُ سَاحِلُ
١٠٠أ/ مُعْزَى بَنُجَحِ الطَّالِبِينَ وَقَلَّ جَيْشُ
وَبَنَجْدَةِ الْمُسْتَضْرَحِينَ وَبُغْيَةِ الـ
وَمُحَاقِ إِمْلَاقٍ وَيَسْرَةِ مُعْسَرِ
أَسَدُ فَرَاغِصَةٍ إِذَا عَايَنَتْهُ
تَلَقَّاهُ كَاللَّيْثِ الْهَاصُورِ إِذَا تَصَا
آرَاؤُهُ حَفِظَ الْبِلَادَ وَرَأْيُهُ
يَحْنُو عَلَى قُصَّادِهِ وَعَقَاتِهِ
فِي الْأَرْضِ سَبْعَةُ أَبْحَرٍ وَيَمِينُهُ
صَدَقَاتُهُ أَقْصَى الْبِلَادِ مُدَاعَةٌ
يَارَبِّ بِالْيَيْتِ الْعَتِيقِ وَبِالنَّبِ

وَالشُّكْرُ أُحْلَى مَا جَنَاهُ الْجَانِي
وَالْفَضْلُ بَيْنَ يَدَ وَيُنَ لِسَانِ
يَعْتَادُهُمَا فِي السُّرِّ وَالْإِعْلَانِ
إِلَّا الْهَمَامُ الشَّامِخُ التَّجَانِ
فِي الْحَرْبِ إِلَّا فَارَسُ الْفُرْسَانِ
إِلَّا أَمْرُورُ جَمِّ الدُّنَى بِهِوَانِ
... وَالْمَالُ شَيْءٌ فَنَانِي^(١)
تَسْمُو بِصَاحِبِهَا عَلَى كَيَوَانِ
لَدُنِّيَا خَدِينِ الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ
دَهْرِي إِلَيْهِ بَلُطْفُهُ الْجَانِي
وَمُبِيدُ أَعْدَاءِهِ بِحَدِّ سَنَانِ
حُسْنَى وَحَازَ شَجَاعَةَ الشُّجْعَانِ
لَسَمَا عَلَى الْجَوَزَاءِ وَالسَّرَطَانِ
وَبَنَانُهَا مِنْ جُمْلَةِ الْخُلَجَانِ
الْمَارِقِينَ وَفَكَ أَسْبَرَ الْعَانِي
عَافِي وَعَيْنَ إِعَانَةِ الْوَلْهَانِ
وَجَزِيلِ إِطْعَامِ وَمَدِّ خُوَانِ
فِي يَوْمِ مَعْرَكَةٍ وَيَوْمِ طَعَانِ
دَمَتِ الْجَحَافِلُ وَالتَّقَى الْجَمْعَانِ
عَيْنُ السَّدَادِ وَدَهْرُهُ يَوْمَانِ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَلْبِ مَلِكِ حَانِي
فِي كُلِّ أُنْمَلَةٍ لَهَا بِحَرَانِ
وَهُوَ الْبَعِيدُ وَبِرُّهُ مُتَدَانِي
سِي الْمُصْطَفَى وَمُكَلِّمِ الثُّغْبَانِ

وَبِحَرْمَةِ الْحَرَمَيْنِ وَالْمَدْفُونِ فِي
وَبِحَقِّ مَا بَيَّنَّتْ فِي الْأَلْوَحِ وَالَّتِ
وَبِحَقِّ طَاهَا وَالْحَدِيدِ وَهَلْ أَتَى
أَدَمَ الْبَقَاءَ لِمَالِكَ الرِّقِّ الَّذِي
/ ١٠٠ ب / الْمَلِكِ بَذَرَ الدِّينَ خَيْرَ مُؤَمِّلٍ
فَاللَّهُ يُبْقِيهِ وَيَحْرُسُ مُلْكَهُ
لَا زَالَ فِي عِزِّ مُقِيمٍ دَائِمٍ
السُّرْدَابِ وَالْأَسْتَارِ وَالْأَرْكَانِ
وَوَرَاةَ الْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ
وَالطُّورِ وَالْأَعْرَافِ وَالْفُرْقَانِ
مَلَكَتْ أَيْادِيهِ الْحَسَانُ عَنَانِي
لِلْمُعْتَقِينَ وَفَكَ أَسْرَ الْعَانِي
وَيَقِيهِ شَرَّ طَوَارِقِ الْحَدَثَانِ
أَبْدَاءَ عَزِيزِ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ

وَأُنْشِدُنِي لِنَفْسِهِ يَصِفُ الشَّمْعَةَ : [من الطويل]

وَمَقْدُودَةٌ مِثْلُ الْقَضِيبِ جَلِيدَةٌ
وَلَهْذَمَ نُورَكَادَ يَطْعَنُ فِي الدُّجَى
تَبَيَّتْ تَضَاهِي مِنْ شُهُودِي ثَمَانِيَا
نُحُولِي وَضُرِّي وَأَصْفِرَارِي وَوَحْدَتِي
بَقْدَرُ شَيْقٍ كَالرُّدَيْنِيِّ مَقْدُودُ
بَحْدَسَنَانٍ مِنْ سَنَى النَّارِ أَمْلُودُ
بِمَجْلَسِ شَرْبِ عَصِّ بِاللَّهُوِ مَشْهُودُ
وَذُلِّي وَدَمْعِي وَاحْتِرَاقِي وَتَسْهِيدِي

وَأُنْشِدُنِي لِنَفْسِهِ يَصِفُهَا أَيْضًا : [من الطويل]

تُشَابِهُنِي فِيمَا أَعَانِي ضَيْلَةٌ
تَبَيَّتْ تُحَاكِي مِنْ شُهُودِي ثَمَانِيَا
نُحُولِي وَصَبْرِي وَأَصْفِرَارِي وَوَحْدَتِي
تَكَرُّ عَلَى جَيْشِ الدُّجَى بِصَدِيعٍ
وَتَصْنَعُ فِيمَا تَلْتَقِي كَصَنِيعِي
وَضُرِّي وَحَرَقِي وَالْفَنَاءَ وَدُمُوعِي

/ ١٠١ أ / وَأُنْشِدُنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ مِنْ قَصِيدَةِ أُولَها : [من البسيط]

لَوْ لَا فِرَاقُكَ مَا طَلَّ الْغَرَامُ دَمِي
وَلَا حَكَّتْ زَفَرَاتِي فِي تَصْعُدِهَا
وَاهَا لَطِيفُ خِيَالٍ زَارَ ذَا كَمَدٍ
وَعَادَ يَوْسَعُهُ هَجْرًا وَيُوعِدُهُ
يَا دُرَّةَ الْخَذَرِ هَارُوحِي لَدَيْكَ وَجُدْ
أَتَامِلُ وَخُدُودٌ قَدْ نَهَبْنَ دَمِي
وَلَا هَمَّ مِنْ عُيُونِي صَيَّبُ الدِّيمِ
جَمَرَ الْغَضَا حِينَ يَبْدُو زَائِدَ الضَّرَمِ
فَعَاشَ مِنْ بَعْدِ مَا أَشْفَى عَلَى الْعَدَمِ
وَكَيْفَ يَطْرُقُ صَبًّا فَيْكَ لَمْ يَنْمِ
مَآنِي وَقَلْبِي فَقِيمًا شَتَّ فَاحْتَكَمِي
فَمَرَّ شَطْرَيْنِ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْعَنَمِ

ومنها في المديح :

مُجَرِّدُ الْمَالِ جُودًا مِنْ خَزَائِنِهِ
وَمُعَمِّدُ الْبَيْضِ فِي اللَّبَاتِ وَاللَّمَمِ

مُبَدَّدٌ مَا جَنَاهُ الْبَاسُ مِنْ نَعَمٍ وَجَامِعٌ مَا حَوَاهُ النَّاسُ مِنْ كَرَمٍ

وأنشدني أيضاً لنفسه يمدح : [من الرجز]

دَعِ الْمَعْنَى وَالْهَ عَنْ عَنَائِهِ فَحَسْبُهُ مُعَذِّبًا بِدَائِهِ
/ ١٠١ ب / وَخَلَّ عَنْ عَذْلٍ مُحِبِّ هَائِمَ لَا تُسْعِدُ الْبَيْنَ عَلَى بِلَائِهِ
أَصْبَحَ مِنْ فَرَطِ جَوَاهِ وَالْأَسَى يَعْدُ كَأْسَ الْمَوْتِ مِنْ شَقَائِهِ
رَقَّ لَهُ شَامَتُهُ وَرَبَّمَا لَأَنَّ لَهُ الْجَلْمَدُ مَنْ بَكَائِهِ
بَكَى زَمَانًا مَرَّ مِنْ دُمُوعِهِ وَعَادَ يَبْكِي الْيَوْمَ مِنْ دَمَائِهِ
بَاحَ بِمَا كَانَ يَجُنُّ مِنْ جَوَى وَأَظْهَرَ الْمَكْتُومَ مِنْ خَفَائِهِ
لِحُبِّ طَبِي أُغْيَدَ جَبِينُهُ يَكْسِفُ نُورَ الشَّمْسِ فِي ضِيَائِهِ
كَأَنَّهُ يُبْنِ الْأَنَامَ كُوكَبٌ يَسْحَبُ ذَيْلَ اللَّيْلِ مِنْ وَرَائِهِ
فَهَلْ رَأَيْتُمْ بَشَرًا مِنْ قَبْلِهِ يَطْلُعُ بُدْرُ التَّمِّ مِنْ قَبَائِهِ

ومنها في المديح :

سَلَّمَ إِلَى اللَّهِ لِتَضْحَى سَالِمًا فَلَا مَقَرَّ الْيَوْمَ مِنْ قَضَائِهِ
ثُمَّ إِلَى عَلِيِّ الْمَلِكِ الَّذِي قَدْ أَصْبَحَ الْعَالَمُ فِي نِعْمَائِهِ
ذِي الْجُودِ سَيْفَ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَمَنْ لَا يَهْتَدِي النَّجْمُ إِلَى اهْتِدَائِهِ

ومنها يقول :

وَرُتِبَتْهُ عَلَى الْوَرَى سَامِيَةٌ قَدْ فَاقَتْ الْعِوُوقَ فِي سَمَائِهِ
/ ١٠٢ أ / زَرَّ عَلَى الْأَرْضَيْنِ جَبِينُهُ وَقَدْ جَلَّلَهَا الْفَاضِلُ مِنْ رِدَائِهِ

ومنها قوله :

مَنْ ذَا الَّذِي يُدْرِكُ عَدَّ فَضْلِهِ وَيَعْضَ مَا سَطَّرَ مِنْ آلَائِهِ
أَوْ جَمَعَ مَا يَعْرِفُهُ مِنْ بَأْسِهِ وَالْدَّهْرُ قَدْ يَعْجُزُ عَنْ إِحْصَائِهِ
دَعَاؤُهُ لِلْهِجَاءِ فَهُوَ كُفُوُّهَا وَلَسْتُ مُ وَاللَّهِ مِنْ أَكْفَائِهِ
جَلَّ عَنْ الْمَدْحِ فَكُلُّ مَادِحٍ إِخَالَهُ يُطَنَّبُ فِي هَجَائِهِ
جَمَعَ شَمْلَ الْجُودِ مِنْ شَتَائِهِ وَضَمَّ مَا فُرِّقَ مِنْ أَجْزَائِهِ

وأنشدني لنفسه : [من الطويل]

وَلَيْلَةً جُنَّتَا حَانَةَ الْحَيِّ عُصْبَةً
وَبِتْنَا نَرَى أَيْدِي السَّقَاةِ مَشَارِقًا
وَيَعْلُو خُدُودَ الشَّرْبِ بَعْدَ غُرُوبِهَا
فَأَوْجُهُهُمْ تَحْكِي بُدُورًا وَقَدْ بَدَتْ
وَأَغْيَدَ مَمْشُوقِ الْقَوَامِ مُهْمَهْفٌ
يَمِيلُ عَلَى النُّدْمَانِ سُكْرًا وَيَتَشَنَّى
/١٠٢ب/ عَزَالَ كَسْتُهُ الْكَاسُ عُجْبًا وَلَمْ يَزَلْ
وَقُمْنَا رَكْبَنَا بَعْدَ مَرَكُوبِنَا الْمُنَى

وأنشدني لنفسه من قصيدة أولها : [من الطويل]

أَلَمْتُ بِنَا وَاللَّيْلُ مُرْخَى الدَّوَائِبِ هَلَالِيَّةٌ كَالْبَدْرِ يَبِينُ الْكَوَاكِبِ

ومنها في المديح :

فَتَى مَهَرَتْ كَفَّاهُ فِي الْجُودِ وَالنَّدَى
يَبِيتُ أَنْاسٌ فِي الْخُمُولِ وَهَمُّهُ
لَهُ ثُوبٌ فَخْرٍ يَمْلَأُ الْأَرْضَ ظِلُّهُ
يَجْرُ عَلَى ظَهْرِ الْمَجَرَّةِ ذَيْلُهُ
يُحَدِّثُ عَنْ أَخْبَارِهِ بَنَوَادِرِ
يُقْصِرُ عَنْ إِدْرَاكِهَا كُلِّ حَاذِقٍ

وأنشدني لنفسه يصف النار : [من المنسرح]

/١٠٣أ/ كَأَتَمَّا نَارُنَا وَقَدْ بَرَزَتْ
سُلَاقَةً كَالْحَرِيقِ صَافِيَةً
أَوْ قَصَبَاتٍ مِنَ النَّضَارِ وَقَدْ

وأنشدني له فيها أيضًا : [من مخلع البسيط]

مَلْتُ مِنَ الْبَرْدِ نَحْوَ خَدْرٍ
فَارْتَفَعَتْ أَلْسُنُ عَلَيْهَا
وَعُدْتُ فِي حَالَتِي سَرِيعًا
أَضْرَمْتُ مَلَاءَ الْمَكَانِ نَارًا
تَرْفَعُ مِنْ وَقْدِهَا شَرَارًا
لَمَسْتُهَا مَا وَجَدْتُ نَارًا

وَأُنْشِدُنِي لِنَفْسِهِ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْبَرْدِ : [مِنَ السَّرِيعِ]
 وَيَوْمَ قُرِّرَ رِيحُهُ عَاصِفٌ جَارَ عَلَيَّ ضَعْفِي وَإِعْسَارِي
 تَوَدُّ عَيْنُ الشَّمْسِ مِنْ بَرْدِهِ فِي الْأَفْقِ أَنْ تَسْخُنَ بِالنَّارِ
 وَأُنْشِدُنِي لِنَفْسِهِ فِي جَمْعِ مَشَاهِدِ الْأُتَمَةِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ :

[مِنَ الطَّوِيلِ]

١٠٣/ب/ مَشَاهِدُ طُوسٍ وَالْعَرِيِّ وَكُرْبَلَا وَطَيْبَةَ وَالزَّوْرَا إِلَى سُرٍّ مَنْ رَأَى
 إِذَا حَلَّ مِنْهَا زَائِرٌ أَيْ تَرْبَةً تُنَادِيهِ مِنْ أَقْطَارِهَا سُرٍّ مَنْ رَأَى

وَأُنْشِدُنِي لِنَفْسِهِ : [مِنَ الْوَافِرِ]

إِذَا كُشِفَ الْغَطَاءُ عَنِ السَّرِيرِ وَنُودِيَ بِي هَلُمَّ إِلَى السَّرِيرِ
 وَلَا حَتَّ مِنْ مُرَقَّتَي سَطُورٍ بِهِنَّ نَحَاقَةُ الدَّنَفِ الضَّرِيرِ
 وَسَاقَتْنِي عَلَى مَهَلٍ رَجَالٍ وَكَانَ بَقْعَرٌ مُظْلَمَةٌ مَصِيرِي
 فَعَفَّوْا ثُمَّ عَفَّوْا ثُمَّ عَفَّوْا وَإِحْسَانًا إِلَى يَوْمِ الْمَصِيرِ



ذكر من اسمه هبة الله

[٨٨٠]

هبةُ الله بن إبراهيم بن محمد بن الحسين بن محمد بن
إسماعيل بن جعفر الكندي، المعروف بابن مراجل.
من أهل حماة وأشهر بيت بها في الأصالة، يُكنى أبا القاسم.

كان يتصرف لملوك زمانه في الولايات الرفيعة، ويحترمُ لبيته ومنصبه. وكان والده
وزيراً للأمير فخر الدين بن الزعفراني، وخدم للملك المظفر تقي الدين عمر بن شهنشاه بن
أيوب - صاحب حماة -.

وأبو القاسم - ولده هذا - كان واسع المروءة، كبير النفس، توفي بحماة سابع عشر من
رجب سنة سبع عشرة وستمائة عن اثنتين وخمسين سنة. وكان ربّما جاد طبعه بأبيات من
الشعر حسنة.

أنشدني ولده الرئيسُ الأجل نجم الدين أبو المعالي محمد بحلب المحروسة في سنة
سبع وأربعين وستمائة، قال: أنشدني والدي أبو القاسم لنفسه مبدأ قصيدة:

[من الكامل]

وَمَتَّيْمٌ بَعْدَ الْفَرَاقِ عَلِيلٌ	/١٠٤ب/ جِسْمٌ كَمَا حَكَمَ الْعَرَامُ نَحِيلٌ
فَلَهَا بِوَجَنَاتِ الْخُدُودِ مَسِيلٌ	وَمَدَامِعٌ تَجْرِي سَحَابُهَا دَمًا
بَيْنَ الْحَنَايَا وَالْحَشَا مَشْغُولٌ	وَأَضَالَعٌ فِيهَا لَهَيْبٌ دَائِمٌ
دَارُ الْحَيِّيبِ فَنَلْتَقِي وَنَقُولُ	اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَتَضُمُّنَا

[٨٨١]

هبةُ الله بن أبي البشر بن أبي المواهب بن شراقي، أبو البركات
المصري.

كان في دولة الملك الأشرف مظفر الدين شاه أرمن موسى بن أبي بكر بن أيوب كاتباً،
وله شعر قريب الأمر.

أنشدني أبو الفضل عباس بن بزوان بن طرخان . الموصلي ياربيل ، قال : أنشدني أبو البركات بن شراقي المصري لنفسه يمدح الملك الأشرف من قصيدة : [من الطويل]

أَمَّا أَنْتَ يَا مُوسَى سُلَيْمَانُ حَكْمَةٌ وَلَكِنْ لَمْ تُفْجَأْ بِغِيَّةِ هُذْهَدٍ
بَسَاطُكَ فِيهِ الْإِنْسُ لِلْإِنْسِ دَائِمٌ وَمَا الْجَنُّ إِلَّا حَدُّ عَضْبٍ مُجَرَّدٍ
لَكَ الرِّيحُ تَجْرِي فِي مَرَادِكَ بِالْمَنَى كَذَا الطَّيْرُ بِالْبُشْرَى تَرُوحُ وَتَعْتَدِي
وَحَاتَمُكَ الْأَعْلَى أَمَانٌ لِحَافٍ وَمَا فَعُلْ بَلْقَيْسَ لَدَيْكَ بِمُوصَدٍ
/ ١٠٥ / فَكَمْ لَكَ مِنْ عَرْشٍ إِلَى الْعَرْشِ أَسُهُ وَكَمْ لَكَ مِنْ صَرْحٍ بَهِيحٍ مُمَرَّدٍ
وَكَمْ لَكَ مِنْ جُنْدٍ نَصِيرٍ وَكَمْ نَدَى وَكَمْ مَنَّةً فِي اللَّهِ تُسَدَى وَكَمْ يَدٍ
فُسِدَ وَأَنْتُمْ وَأَنْعَمُ وَأَعْلَى وَأَسْلَمُ وَصُلَّ وَصَلَّ وَمُرُوءَاتُهُ وَأَسْعَفُ وَأَعْفُ وَأَقْبَلُ وَمَهْدُ
وَقُمْ وَأَغْزُ أَعْدَاءَ الْكِتَابِ بِهَمَّةٍ وَقُلْ لِلْكِتَابِ أَخْضَعُ إِذَا جُدْتُ وَأَسْجُدُ
وَحَطَمَهُمْ . . . وَلَا تَبْغِ عَوْدَهُمْ بِمَسْكَنِهِمْ وَأَنْزِلْ بَعْدَكَ وَشَرْدُ
فَدِمِاطٌ قَدْ أَضَحَّتْ مِيسِرَةٌ كَمَا بَتَيْسِيرِهِ مِنْ كُلِّ فَتْحٍ مُؤَيَّدِ

وأنشدني صاحب الوزير شرف الدين أبو البركات المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب المستوفي الإربلي بها - رضي الله عنه - قال : أنشدني أبو البركات هبة الله بن شراقي الكاتب المصري لنفسه : [من الطويل]

عَلَى مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ كَانَتْ مَطَالِبِي تُطَالِبُنِي حَتَّى بَلَغْتُ مَارَبِي
فَلَلَهُ مَا قَدَّمْتُ مِنْ خَيْرِ سَفَرَةٍ وَلِلشُّكْرِ مَا أَسَدْتُ إِلَيَّ رِكَابِي
/ ١٠٥ / وَلِلْأَشْرَفِ السُّلْطَانِ مَنِي قَصَائِدُ وَقَصْدُ إِلَيَّ أَبْوَابِهِ غَيْرُ خَائِبِ
هُمَامٌ إِذَا الْأَعْدَاءُ رَامَتْ نَوَالَهُ فَقَفِي كَلَّ نَادٍ مِنْهُمْ أَلْفُ نَادِبِ
إِذَا شَاءَ أَنْ يَعْلُوَ إِلَى الْعَرْشِ رِفْعَةً تَدَانَتْ لَهُ الْأَفْلاكُ قَبْلَ الْكَوَاكِبِ

[٨٨٢]

هبة الله بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن رزين ،
القاضي السعيد ، أبو القاسم بن أبي الفضل المصري^(١) .

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٢٢٨ - ٢٥٧ وفيه: «ولد سنة خمس وأربعين وخمسة». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣١٤ - ٣١٦ رقم ٤٢٥. خريدة القصر - قسم شعراء مصر - =

كان جدّه يلقَّب سناء الملك، وكان فيما ذُكر عنه رجلاً من أهل ديار مصر، وكان له ثروة ومال واسع، ومن وجوه أهلها وكبرائهم، وأرباب النعمة. ومات وخلف ولده جعفرًا، وكان له مضاربات وقروض وتجارات اكتسب بها أموالاً جمّة، ولم يكن عنده شيء من العلم ما يشتهر به.

ونشأ له ابنه أبو القاسم هبة الله هذا فتردّد بمصر إلى الأديب القاضي أبي المحاسن البهنسي النحوي، فقرأ عليه أدباً ونحواً، وعاشر في مجلسه رجلاً مغريباً. وكان يتعانى عمل الموشح المغربي والأزجال، فوقفه على أسرارها، وباحثه / ١٠٦ / فيها، وكثّر حتى انقذ له في عملها ما زاد على المغاربة حسناً وإتقاناً، وعانى بعد ذلك فنّ البلاغة والكتابة، ولم يكن خطه بالجيّد فجعل في جملة كتاب الإنشاء بديوان ملوك مصر، وأجري عليه لذلك رزق كان يتناوله، حضر الديون أو لم يحضر، وأحبّه أهل الدولة لدماثة كانت فيه، وحسن عشرة وتودّد، فسار له ذكر جميل.

وصنّف كتباً منها كتاب «حصائد الشوارد»^(١)، وكتاب «مراسلات»^(٢)، وكتاب الموشحات «سمّاه: «دار الطراز»^(٣)، و«ديوان شعره».

= ٦٤/١. معجم الأدباء ٢٦٤/٦. النجوم الزاهرة لابن سعيد ص ٢٧٣. وفيات الأعيان ٦١/٦ - ٦٦. التكملة للمنزري ٢٣١/٢ رقم ١٢٠٩. العبر ٢٩/٥ - ٣٠. سير أعلام النبلاء ٤٨٠/٢١ - ٤٨١ رقم ٢٤٥. المختصر لأبي الفداء ١٢٠/٣. البدر السافر: الورقة ٢١٧. النجوم الزاهرة ٢٠٤/٦. شذرات الذهب ٣٥/٥. مسالك الأبصار ١٢/ورقة ٦١. المرقصات ٦٠. مفرج الكرب ١٣٧/٢، ١٤٥، ١٦٠، ٢٣٤، ٤٩/٣، ٧٧. المختصر في أخبار البشر ١١٤/٣. تاريخ ابن الوردي ١٣١/٢. مرآة الجنان ١٧/٤ - ١٨. ديوان الإسلام ١٢٩/٣ رقم ١٢٩٠. المغرب في حلى المغرب ٢٧٣ - ٢٨٩. عقد الجمان ١٧/ورقة ٣٣٥ - ٣٣٦. حسن المحاضرة ١/٥٦٥. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣١٨. بدائع الزهور ج ١/ق ١/٢٥٧. معجم المؤلفين ١٣/١٣٥. كشف الظنون ٦٩٦. هدية العارفين ٢/٥٠٦. طبع ديوانه بحيدرآباد - الدكن ١٩٥٨، ثم طبع بمصر - القاهرة عام ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م بتحقيق محمد إبراهيم نصر وعليه اعتمدت. وللدكتور عبد العزيز الأهواني دراسة عنه، ط القاهرة ١٩٦٢. وفي الجزء الأول من ديوانه مقدمة مفصلة عن حياته.

- (١) في الوافي: «مسايد الشوارد». وفي مقدمة ديوانه: «مساعد الشوارد».
- (٢) لعله كتاب: «فصوص الفصول وعقود العقول» نسخته المخطوطة في دار الكتب بالقاهرة.
- (٣) طبع بتحقيق جودة الركابي في دمشق سنة ١٩٤٩. وأعيد طبعه بعد ذلك.

أخبرني صاحب الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه الحنفي العقيلي بحلب - أيده الله تعالى - قال: أخبرني أبو محمد عبد العظيم بن أبي الأصبع العدواني الشاعر المصري، قال: أخبرني جلال الدين المكرم أبو الحسن موسى بن الحسن بن سناء الملك بالقاهرة، قال / ١٠٦ ب / دخلت على القاضي السعيد أبي القاسم هبة الله بن سناء الملك في مرضه الذي مات فيه، فلما رأيته بكى وأشار إليّ فجلست وأخضت في تسليته، وقلت له فيما قلته: لقد رأيت الدنيا ونلت من ملاذها ما لم ينله غيرك من أهل بيتك حتى أنك اتخذت لنفسك فراشاً من العنبر، وأنت اليوم فعلى قدم خير. وكان قد تاب قبل موته بسنة، وحسنت حاله، فأشار إليّ الدواة، وقال لي: أكتب، وأملئ عليّ^(١): [من السريع]

أَحْسَنْتَ الدُّنْيَا الَّتِي أُسْتَرْجَعَتْ مَنِّي تِلْكَ الْحَالَةُ الْفَاحِشَةُ
مَا شَغَلْتُ بِأَلْيِ بَتَقِيحِهَا إِذْ فَرَعْتُ قَلْبِي لِأَخِرَةِ

قال: فقلت له: أذكر الله، فقال: أنا في ذكره، قال: فما خرجت من عنده إلى الباب حتى مات.

قال ابن أبي الإصبع: وكنت سألت أبا الحسن المكرم عن قوله: اتخذت لنفسك فراشاً من العنبر، فقال: كان قد اتخذ له فراشاً شرباً ببطانة وظهارة، وأذاب العنبر مع المسك والعود / ١٠٧ أ / على النار، وطلّى البطانة والظّهارة به، ثم اتخذ العنبر تماثيل وجعلها عليها شبيهاً بالنقش، وكان ينام فيه.

وكانت وفاته يوم الأربعاء الرابع من رمضان سنة ثمان وستمائة.

وكان مولده - فيما بلغني - في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة.

أنشدني أبو منصور المظفر بن يوسف بن أبي منصور العصافيري الموصلي بها، قال: أنشدني القاضي السعيد ابن سناء الملك لنفسه بمصر من موشحاته^(٢):

يَا مَنْ بَكَيْتُ عَلَى الدَّمَنِ مِنْ أَجْلِهَا أَسْفَاءً وَحُزْنًا

(١) البيتان في ديوانه ٥٥٦/٢.

(٢) لم ترد في ديوانه. ودار الطراز.

وَرَأَيْتُ أَحَدَاكَ الزَّمَنَ قَدْ أَشْتَقَّتْ مِنْهَا وَمِنَّا
لَا تَسْأَلُ الْبُسْتَانَ عَنْ رَمَّانِهِ وَسَلِ الْمُعْنَى
قَدْ صَارَ فِي نَهْدَيْكَ مَا كَانَ فِي خَدَيْكَ
مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ جُلْنَارًا

أَخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الْعَذُولِ كَمَا أُمِنْتَ مِنَ الْعَوَاذِلِ
/ ١٠٧ ب / وَكَأَنَّ قَلْبِي أَنْ يُمَيِّدَ
فَلَنْ صَحَوْتُ مِنَ الشُّمُورِ لَقَوَامٍ قَدْ كَفَى الْغَلَائِلِ
فَالْمَوْجُ فِي رَدْفَيْكَ وَالْمَيْلُ فِي عِطْفَيْكَ
إِحْشَالُ أَنَّهُمَا سَكَارَى

أَنْتَ الْحَيَّيَّةُ لَا سَوَاكَ كَمَا هَوَاكَ هُوَ الْحَيِّبُ
لَا أَبْتَغِي إِلَّا رَضَاكَ وَلَوْ تَقَلَّبَتِ الْقُلُوبُ
وَإِذَا دَعَا دَاعِي هَوَاكَ وَلَمْ يُجِبْ فَأَنَا أُجِيبُ
يَا عَشَقَهَا لَيْتَكَ وَيَا حَمَامَ الْآيِكَ
لَبَّى الْغَرَامُ مَعِي مَرَارًا

قَدْ حَلَّ بِي مَا لَا يُطَاقُ مِنَ الْغَرَامِ وَلَا يُحَدُّ
وَكَلَاهُمَا عَذْبُ الْمَذَاقِ كَأَنَّهُ سُمٌّ وَشَهْدُ
يُخْشَى عَلَيَّ مِنَ الْعِنَاقِ لَهَا فَتَضْحَكُ ثُمَّ تَشْدُو
إِلَيْكَ عَنِّي إِلَيْكَ خَلَنِي مِنْ يَدَيْكَ
فَسَكْرٌ بِسَكْرٍ طَرَارًا

/ ١٠٨ / وأنشدني أبو المحاسن يوسف بن عبد العزيز بن إبراهيم المصري

المعروف بابن المُرَصِّص^(١) الشاعر بحلب، قال: أنشدني أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك لنفسه في غلام جميل حضر حومة الشلاق فأصابه حجر فكَسَرَتْ أَسْنَانَهُ^(٢):

[من الخفيف]

نَثَرَ الدَّهْرُ عَقْدَ ثَغْرِ حَيِّي
كُلُّ سَنٍّ كَالْأَفْحْوَانَةِ كَانَتْ
كَانَ فِي حَوْمَةِ الشَّلَاقِ وَمَا كَا
فَأَتَتْهُ الْأَحْجَارُ شَوْقًا وَزَارَتْ
مَا كَفَتْنَا تِلْكَ الْمَلَا حَةً مِنْهُ
كَيْفَ يَنْسَى الْفُؤَادُ حُبَّ حَيِّبٍ
فَدُمُوعِي عَلَيْهِ تَحْكِي أَنْشَارَهُ
فَعَدْتُ بِالْدمَاءِ كَالْجَلَنَارَهُ
نَ بَعِيدًا فِي جُمْلَةِ النَّظَارَهُ
هُ فَلَا مَرَحِبًا بِتِلْكَ الزِّيَارَهُ
وَأَرَانَا مَلَا حَةً وَشَطَارَهُ
حَسَدْتَنِي عَلَيْهِ حَتَّى الْحِجَارَهُ

/ ١٠٨ ب / وقال في صديق له كَيْس^(٣): [من السريع]

لِي صَاحِبٌ أَفْدِيهِ مِنْ صَاحِبٍ
لَوْ شَاءَ مِنْ رَقَّةِ الْفَاطِظِ
يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ رُبَّمَا
حُلُوُ التَّائِي حَسَنُ الْإِحْتِيَالِ
أَصْلَحَ مَا بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ
قَادَ إِلَى الْمَهْجُورِ طَيْفُ الْخِيَالِ

ومن بديع قوله في صفة الخمر^(٤): [من الطويل]

عَرُوسُكُمْ يَا أَيُّهَا الشَّرْبُ طَالِقُ
دَفَعْتُ لَهَا مَالِي وَعَقْلِي مُعْجَلًا
وَأَنْ فَتَتَ مِنْ حُسْنِهَا كُلَّ مُجْتَلَى
فَقَالَتْ: وَجَنَاتُ النَّعِيمِ مُؤَجَّلًا

وقال في المجنون: [من السريع]

يَا رُبُّ عَلِقْ قَالَ لِي: مَرَّةً
مُعْتَزِلًا صِرْتُ قُلْتُ: أَتَشُدُّ
يَا هَاجِرِي ظُلْمًا وَلَمْ أَهْجُرْ!^(٥)
واعتَبَبَ عَلَيَّ مَبْعَرِكَ الْأَشْعَرِي

وقال^(٦): [من الطويل]

(١) ترجم له المؤلف في الجزء العاشر برقم ٩٨١.

(٢) من قطعة في ديوانه ٣٠٤ / ٢ قوامها ٨ أبيات.

(٣) الأبيات في ديوانه ٤٨٠ / ٢.

(٤) البيتان في ديوانه ٥٧٣ / ٢.

(٥) العلق: النفيس الذي تعلق النفس به.

(٦) البيتان في ديوانه ٤٨١ / ٢.

وَأَحْمَدُ مِنْهُ أَنَّنِي لَسْتُ بِأَكْبَا / ١٠٩ / أَدُمُ شَبَابًا لَمْ أَذُقْ فِيهِ لَذَّةً
وَلَا نَلْتُ مِنْهُ لَا حَرَامًا وَلَا حَلًّا
عَلَيْهِ كَمَا يَكْبِي سِوَايَ إِذَا وَلَّى

وقال في غلام مليح ينظر في النهر^(١) : [من مجزوء الكامل]

يَا نَاطِرًا بِالنَّهْرِ وَهـ / وَبَشَطُهُ يَتَنَزَّهُ
النَّهْرُ رُكْمٌ أَرْقُ / وَخَيْالٌ وَجْهَكَ طُرزُهُ

وقال^(٢) : [من المنسرح]

إِنْ لَبَسَ الْبَذْرُ عَقْدًا أَنْجَمَهُ / فَعَقْدُ ذَا الْبَذْرِ دُرٌّ مَبْسَمُهُ
أَوْ كَانَ مِنْكَ الْغَزَالُ سُورَتَهُ / فَمِنْكَ هَذَا الْغَزَالُ فِي فَمِهِ

وقال في ابن مروان وابن المليحي : [من السريع]

إِنَّ أَمِينَ الْحُكْمِ فِي مَضْرِنَا / يَخُونُ حَتَّى فِي مِيَاهِ الرَّجَالِ
وَكَلَّمَا أَوْدَعَهُ الدَّنْيُ فِي / مَبْعَرِهِ أَفْرَعَهُ فِي الْغَزَالِ
وَالصَّدْرُ قَدْ هَامَ ضَلَالًا بِهِ / مَا يَصْبِرُ النَّاسُ عَلَى ذَا الضَّلَالِ

/ ١٠٩ ب / وقال في الحكيم ابن قوقا^(٣) ، وقد بلغه أنه تاب عن شراب الخمر :

[من الطويل]

سَمِعْتُ حَدِيثًا لَيْتَنِي لَا سَمْعَتُهُ / فَعُنْدِي مِنْهُ مُفْعَدٌ وَمُقِيمٌ
بِأَنَّ الْحَكِيمَ الْآنَ قَدْ هَجَرَ الطَّلَا / وَقَدْ تَابَ مِنْهَا وَالْحَكِيمُ حَكِيمٌ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ يَتُوبَ لظَرْفِهِ / كَمَا لَسْتُ أَخْشَى أَنَّهُ سَيَصُومُ
أَتَهْجُرُ شَمْسَ الرَّاحِ وَهِيَ مُنِيرَةٌ / وَتَتْرُكُ وَجْهَ الْبَذْرِ وَهُوَ وَسِيمٌ
وَكَمْ مِنْ يَدٍ عِنْدَ الْحَكِيمِ لَكَاسِهِ / غَدَتْ وَلَهَا حَقٌّ عَلَيْهِ عَظِيمٌ
أَنَامَتْ لَهُ مَنْ لَا يَنَامُ وَرَبَّمَا / أَقَامَتْ لَهُ مَا لَا يَكَادُ يَقُومُ
وَذَلِكَ إِنْعَامٌ قَضَى بِنَعِيمِهِ / وَمَنْ جَحَدَ الْإِنْعَامَ فَهُوَ أُنِيمٌ
فَلِنْ قَالَ : إِنِّي قَدْ سَقَمْتُ بِشَرِبَهَا / فَقَدْ يَعْشَقُونَ الْجِسْمَ وَهُوَ سَقِيمٌ

(١) البيتان في ديوانه ٥٩١/٢ .

(٢) البيتان في ديوانه ٤٥١/٢ .

(٣) القصيدة في ديوانه ٥٧٣/٢ : «فوقا» .

وَأِنْ قَالَ : إِنِّي قَدْ سَلَمْتُ فَإِنَّهُ
عَلَى الْكَرْبِ مِنْ بَعْدِ الْحَكِيمِ كَابَةٌ
وَمَنْ بَعْدَهُ زَوْجُ الْخَلَاعَةِ طَالِقُ
/ ١١٠ / وَطَمَنَنْيَ إِبْلِيسُ حِينَ عَتَبَتْهُ
فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالْحَكِيمِ فَإِنِّي
إِذَا مَا خَبَا وَجْهُ الْمَصِيفِ فَإِنِّي
عَلَى أَنَّهُ إِنْ قَالَ : قَدْ تَابَ مُخْلَصًا
فَتَوْبَتُهُ مِنْ سُوءِ ظَنِّ بَرِّهِ

كَمَا قِيلَ يَوْمًا لِلدَّيْغِ سَلِيمُ
وَلِلْجَامِ مِنْ بَعْدِ الْحَكِيمِ وَجُومُ
وَمَنْ بَعْدَهَا أُمُّ السُّرُورِ عَقِيمُ
بَأَنَّ قَالَ : هَذَا الْأَمْرُ لَيْسَ يَدُومُ
خَيْرٌ بِأَدْوَاءِ الْحَكِيمِ عَلَيْهِمُ
بِتَحْلِيلِ نَامُوسِ الْحَكِيمِ زَعِيمُ
وَخَافَ عَقَابَ اللَّهِ وَهُوَ الْيَمُ
تَعَالَى وَإِلَّا فَالْكَرِيمُ كَرِيمُ

وقال يمدح الملك الناصر صلاح الدين أبا المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي - رضي

الله عنه - ويهنيه بالبرء من مرضه ^(١) : [من الكامل]

نَظَرَ الْحَيِّبُ إِلَيَّ مِنْ طَرَفٍ خَفِي
وَدَنَّا يُسَكِّنُ نَارَ قَلْبِي خَدَّهُ
وَأَرَادَتِ الْعَبَرَاتُ عَادَةً جَرِيهَا
كُفِّي فَقَدْ جَاءَ الْحَيِّبُ بِمَا كَفَى
/ ١١٠ ب / وَمَلِيَّةٌ بِالْحُسْنِ يَسْخَرُ وَجْهَهَا
لَا أُرْتَضِي بِالشَّمْسِ تَشْبِيهَا بِهَا
الْحُسْنُ تَبْرُزُهُ بَغَيْرِ تَصْنَعٍ
تَتَلَوُ مَلَاحِظَهَا مَحَاسِنَ وَجْهَهَا
وَتَقُولُ مَنْ هَذَا وَقَدْ سَفَكَتْ دَمِي
لَا شَيْءَ أَعْجَبُ مِنْ تَلْهَبِ خَدَّهَا
أَنَا أَنْتَوِي عَنْهَا لئَلَا أُرْتَوِي
لَا سَارَ عَشْقِي لَا أَقَامَ تَصْبُرِي
وَكَذَاكَ قُلْ لِلْبَدْرِ يَا بَدْرَ الدُّجَى
وَكَذَاكَ قُلْ لِلشَّمْسِ يَا شَمْسَ الضُّحَى

فَاتَى الشِّقَاءُ لُمْدَنَفَ مِنْ مُدْنَفٍ
أَسْمَعْتُمْ نَارُ بَنَارٍ تَنْطَفِي
أَوْ جَرِي عَادَتَهَا فَقُلْتُ لَهَا قَفِي
وَصَلَاً وَعَاشِقُهُ الْمُرُوعُ قَدْ كَفَى
بِالْبَدْرِ يَهْزَأُ رَيْفُهَا بِالْفَرْقَفِ
وَالْبَدْرُ لَا بَلْ أَكْتَفِي بِالْمُكْتَفِي
وَالْمَلْحُ يُبْرِزُهَا بَغَيْرِ تَكْلَفٍ
فَتُرِيكَ مُعْجَزَ آيَةٍ فِي الزُّخْرَفِ
ظُلُمًا وَتَسْأَلُ عَنْ فُؤَادِي وَهِيَ فِي
بِالْمَاءِ إِلَّا حُسْنَهَا وَتَعَفُّفِي
أَتَظُنُّ أَنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَشْتَفِي
لَا قُلْ مَعَ نَيْلِ الْوَصَالِ تَلْهَفِي
لَا وَجْهَهُ إِنْ تَبَدُّوْا بَوَجْهَهُ أَكْلَفِ
جَاءَ الْأَمَانُ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تُكْسِفِي

(١) من قصيدة في ديوانه ٢/ ٢٠٠ - ٢٠٣ قوامها ٤١ بيتاً.

وَأَشْفَعُ بِسَائِرُ بَرِّئِهِ ثُمَّ انْظُرُوا بِحَمْدِ الصَّلِيبِ بِهِ وَبَشْرِ الْمُصْحَفِ
حَاشَاكَ مِنْ صَرَفِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ بِكَ لِلْأَعَادِي مَالَهُ مِنْ مَصْرَفِ

وقال وهو بالشام يتشوق إلى الديار المصرية^(١): [من البسيط]

١١١/ يَا مُنِيَّةَ الْقَلْبِ لَوْلَا أَنْ يُقَالَ سَلَا
رَمِيتَ مِنْ مَصْرٍ قَلْبًا بِالشَّامِ فَمَا
أَسْرَفْتَ فِي الصَّدِّ إِذْ أَسْرَفْتَ فِيكَ هَوَى
نَأَيْتَ يَقْظَى وَقَدْ أَلْفَاكَ هَاجِعَةٌ
كَمْ صَادَ طَيْفُكَ طَرْفِي بَعْدَ هَجَعَتِهِ
رُدِّيْ وَدَائِعَ لَثَمَ جُنْتُ أَطْلُبُهَا
نَشْوَانَ لَمْ أَدْرِ مِنْ لَهْوِي وَمِنْ طَرْبِي
وَإِذْ جَمَالُكَ قَدْ أَوْدَى جَمِيلُكَ بِي
وَإِذْ مَغَانِيكَ بِالْأَنْوَارِ زَاهِيَةٌ
رَحَلْتُ عَنْكُمْ وَقَدْ أُولَعْتُ بِعَدُكُمْ
وَمَا أَظُنُّ وَنَارَ الْقَلْبِ مَسْكُتُكُمْ
فَمَا مَرَرْتُ بِرُبْعٍ كَانَ رُبْعُكُمْ

لَقُلْتُ: مَا كُنْتُ أَعْصِي الْقَلْبَ لَوْلَاكَ
أُسْرَاكَ سَهْمًا إِلَى أَحْشَاءِ أُسْرَاكَ
فَالْعَدْلُ وَالْعَدْلُ يَنْهَانِي وَيَنْهَاكَ
وَفِي الْحَقِيقَةِ أَنِّي لَسْتُ أَلْفَاكَ
فَالْجَفْنُ فَخِي وَالْأَهْدَابُ أُسْرَاكِي
مَا كَانَ أَوْفَاكَ إِذْ أَوْدَعْتُهَا فَكَ
أَمِنْ مُحِيَّاكَ سُكْرِي أَمْ حُمِيَّاكَ
وَبِالتَّعَطُّفِ قَدْ أَعْلَاكَ عَطْفَاكَ
حَتَّى لَقَدْ خَلْتُ فِي مَغْنَاكَ مَعْنَاكَ
فَمَا بِذِكْرِكَ أَوْ قَلْبًا بِذِكْرَاكَ
بِأَنَّي فِيهِ قَدْ أَكْرَمْتُ مَثْوَاكَ
إِلَّا ظَنَنْتُ صَدَاهُ أَنَّهُ شَاكِي

وقال أيضاً، وكان قد جلس في بستان له / ١١١ب/ واستوحش من بعض

أصدقائه^(٢): [من الطويل]

جَلَسْتُ بِبُسْتَانِ الْجَلِيسِ وَدَارِهِ
وَسَقَيْتُ نَجْمَ الْكَأْسِ سَاعَةً ذَكَرَهُ
فِيَا سَاقِيَ الْكَأْسِ الَّتِي قَدْ شَرِبْتُهَا
وَيَا أَفْقَ لَوْ كَانَ الْحَبِيبُ مُضَاجِعِي
وَلَوْ وُصِلَتْ سُودُ اللَّيَالِي بِشَعْرِهِ

فَهَيَّجَ لِي مِمَّا تَنَاسَيْتُهُ ذِكْرًا
فَلَمْ يَسْتَطِعْ مِنْ لَيْلِ هَمِّي مِنْ مَسْرِي
رُويْدَكَ إِنَّ الْقَلْبَ فِي أَمَّةٍ أُخْرَى
لَمَّا سَأَلْتُكَ الْعَيْنُ أَنْ تُطْلِعَ الْبَدْرَا
لَمَّا خَشِيتُ مِنْ غَيْرِ غُرَّتِهِ فَجَرَا

(١) من قصيدة في ديوانه ٤٢٦/٢ - ٤٢٧ قوامها ١٦ بيتاً.

وقد عارض بها قصيدة الشريف الرضي التي قالها في المحرم سنة ٣٩٥هـ والتي مطلعها:

«يا ظبية البان ترعى في خمائله ليهنك اليوم إن القلب مرعاك»

(٢) القصيدة في ديوانه ٥٨٢/٢ - ٥٨٣ قوامها ١٦ بيتاً.

تَذَكَّرْتُ وَرَدًا لِلْمَلِيحِ مُحَجَّبًا
فَصَرْتُ أَجَازِي الْقَلْبَ مِنْ أَجْلِ ذِكْرِهِ
أَقْبُلُ ذَاكَ الطَّلَّ أَحْسَبُهُ اللَّمَى
وَكَمْ لَأَكْمَ لِي فِي الَّذِي قَدْ فَعَلْتُهُ
لَأَجْلِكَ يَا مَنْ أَوْحَشَ الْعَيْنَ شَخْصُهُ
وَقَاسَيْتُ مِنْكَ الْغَدْرَ وَالْهَجَرَ وَالْقَلَى
وَأَفْلَسَ طَرْفِي حِينَ انْفَقَ دَمْعُهُ
وَقَارَقْتُ عَزَابَ الشَّامِ لَأَلْتَقِيَ
/ ١١٢ / لَنْ طَبْتُ فِي مُسْتَرِّهِ لَمْ تَكُنْ بِهِ
وَلَوْ كُنْتُ فِي بَصْرَى وَحَسْبُكَ لَمْ أَقُلْ

وقال أيضاً^(١): [من الطويل]

تَرَكْتُ حَيْبَ الْقَلْبِ لَا عَنْ مَلَالَةٍ
أَرَادَ شَرِيكَافِي الْمَوَدَّةِ بَيْنَنَا
وَأِنِّي مِنْهُ فِي عَقَابِيلِ طَرِبَةٍ

وقال أيضاً: [من الطويل]

وَعَايِنَةُ مِنْ بَعْدِ عَشْرَيْنِ حِجَّةٍ
عَلَيْكَ زُكَاةٌ فَاجْعَلِيهَا وَصَالَنَا

وقال في معشوقه مُفَضَّلَ لِمَا حُبَسَ وَضُرِبَ^(٢): [من الطويل]

فَدَيْتُ الَّذِي لَمْ يَضْرِبُوهُ لِرِيَّةٍ
وَلَمْ يُودَعُوهُ السَّجْنَ إِلَّا مَخَافَةً
/ ١١٢ ب / وَقَالُوا: كَمَا شَارَكْتَ فِي الْحُسْنِ يُوسُفًا
وَلَكِنْ لِيَبْدُو الْوَرْدُ فِي سَائِرِ الْغُصْنِ
مَنْ الْعَيْنُ أَنْ تَعْدُو عَلَى ذَلِكَ الْحُسْنِ
فَنَاشِرُكُهُ أَيْضًا فِي الدُّخُولِ إِلَى السَّجْنِ

وقال في الإمام عماد الدين أبي حامد محمد بن محمد بن حامد الكاتب الأصفهاني

لما صَنَّفَ كتاب «خريدة القصر وجريدة العصر» يهجوهُ: [من السريع]

(١) الأبيات الثلاثة الأولى من قطعة في ديوانه ٤٢٩/٢ قوامها ٤ أبيات.

(٢) الأبيات في ديوانه ٤٥٤/٢ من قطعة قوامها ٤ أبيات.

خَرِيدَةٌ أَفِيهِ مِنْ نَتْنِهَا كَأَنَّهُمَا مِنْ رِيحِ أَنْفَاسِهِ
فَنَصْفُهَا الْأَوَّلُ فِي دَفْنِهِ وَنِصْفُهَا الْآخِرُ فِي رَأْسِهِ

وَبَلَغَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ عِمَادُ الدِّينِ الْكَاتِبُ ، فَجَعَلَ يُرَدِّدُهُمَا وَيَسْتَحْسِنُهُمَا وَيَقُولُ : وَاللَّهِ
لَقَدْ أَحْسَنَ وَإِنْ أَسَاءَ إِلَيَّ فِي الْهَجَاءِ .

وقال أيضاً^(١) : [من الطويل]

تَكَمَّلَ فَضْلِي بَعْدَ عَشْرَيْنَ حَجَّةً فَكَيْفَ وَقَدْ جَاوَزْتُهُمَا بِثَلَاثَ
/ ١١٣ / وَأَقْنَيْتُ عُمْرِي فِي مَدَائِحِ مَعْشَرٍ كَمَوْتِي وَلَوْ أَنْصَفْتُ كُنَّ مَرَاثِي

وقال أيضاً^(٢) : [من مخلّع البسيط]

قُهِوْ لَوْ أَلَمَنْ قَالَ : إِنَّ هَجْوِي يُقَوِّقُ مَذْحِي بِلَا أَمْتِرَاءِ
صَدَقْتَ يَا مَانِعًا ثَوَابِي مِنْهُ وَيَا قَاطِعًا رَجَائِي
كَأَبَةُ الْكَذِبِ فِي مَدِيحِي وَرَوْنَقُ الصَّدَقِ فِي هَجَائِي

وقوله : [من الوافر]

رَأَيْتُ الْعَاشِقِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَآخِرُهُمْ شَقَاءٌ لَا سَعَادَةَ
فَعُشَّاقُ الْعُلُوقِ إِلَى بَغَاءِ وَعُشَّاقُ الْقَحَابِ إِلَى قِيَادَةِ^(٣)

وله يذم الشمس^(٤) : [من السريع]

لَا كَانَتْ الشَّمْسُ فَكَمْ أَصْدَاتُ صَفْحَةَ خَدِّكَ الْحُسَامِ الصَّقِيلِ
وَكَمْ وَكَمْ صَدَّتْ بِوَادِي الْكَرَى طَيْفَ خَيَالِ جَاءَنِي مِنْ خَلِيلِ
وَأَعْدَمْتَنِي مِنْ نَجُومِ الدُّجَى وَمِنْهُ رَوْضًا يَبْنِي ظِلُّ ظَلِيلِ
تَكْذِبُ فِي الْوَعْدِ وَبِرْهَانِهِ أَنَّ سَرَابَ الْقَفْرِ مِنْهَا سَلِيلِ
وَتَحْسَبُ النَّهْرَ حُسَامًا فَتَرُ تَاعُ وَتَحْكِي فِيهِ قَلْبَ الدَّلِيلِ
/ ١١٣ ب / إِنَّ صَدِيءَ الطَّرْفِ فَمَا صَقْلُهُ إِلَّا التَّمَلُّي بِالْحَمِيَّا جَمِيلِ

(١) البيتان في ديوانه ٤٧٤ / ٢ .

(٢) الأبيات في ديوانه ٤٧٢ / ٢ .

(٣) العلوق : المرأة التي لا تحب زوجها .

(٤) القطعة في ديوانه ٤٨١ / ٢ .

وَهِيَ إِذَا أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ
يَا غُلَّةَ الْمَهْمُومِ يَا جِلْدَةَ الْ
يَا قَرْحَةَ الْمَشْرِقِ عِنْدَ الضُّحَى
أَنْتِ عَجُوزٌ لَمْ تَبْرَجْتِ لِي
وَأَنْتِ بِالشَّيْطَانِ قُرْبَانُهُ
حَدِيدُ طَرْفِ رَاحِ عَنْهَا كَلِيلُ
مَحْمُومٍ يَا زَفْرَةَ صَبٍّ نَحِيلُ
وَسَلْحَةَ الْمَغْرِبِ عِنْدَ الْأَصِيلِ
وَقَدْ بَدَأَ مِنْكَ لُعَابٌ يَسِيلُ
فَكَيْفَ تَهْدِينَا سَوَاءَ السَّبِيلِ

وقال أيضاً^(١): [من الوافر]

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ لَا خَوْفُ سُخْطِكَ
مَلَكَتِ الْخَافِقِينَ فَتَهَتْ عَجَبًا
لَهَانَ عَلَى مُحِبِّكَ أَمْرٌ رَهْطُكَ
وَلَيْسَ هُمَا سِوَى قَلْبِي وَقُرْطُكَ

وهذه فصول من كلامه المنشور ومنه :

«كُتِبْتُ وَأَنَا أَحْمَدُ اللَّهِ الَّذِي أَحْمَدُهُ لِأَنِّي أَحْمَدُهُ، وَأَشْهَدُ بِهِ لِأَنِّي
أَشْهَدُهُ، وَأَعْتَرِفُ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ لِأَنِّي بِالرَّبُوبِيَّةِ أَعْرِفُهُ وَأُصَفُّهُ، وَلَا أَحِيطُ
بِشَيْءٍ مِنْهُ حِينَ أَصَفُّهُ.

أَنْعَمَ عَلَيَّ مُتَفَضِّلًا / ١١٤ / وَتَفَضَّلَ عَلَيَّ مَنْعَمًا، وَأَنْقَذَنِي مِنْ رَدَى،
وَبَصَّرَنِي مِنْ عَمَى، وَوَفَّقَنِي وَخَلَقَنِي لِيَنْفَعَنِي وَنَفَعَنِي لِمَا خَلَقَنِي،
وَأَوْرَدَنِي إِلَى الدُّنْيَا عَلَى بَرِّ تَقَدَّمَنِي، وَلُطْفِ سَبَقَنِي. وَوَطَأَ لِي أَكْنَافَ
النَّعَمِ، وَثَنَى لِي أَعْطَافَ الْهَمَمِ، وَعَلَّمَنِي مَا لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ، وَكَفَانِي قَبْلَ
الْقَوْلِ أَنْ أَفْهَمَ، وَبَعْدَ الْقَوْلِ أَنْ أُنْدَمَ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ، وَجَعَلَ عَنَانِيَّةُ
بِي ظَاهِرَةَ التَّأَثِيرِ : [من البسيط]

أُنْثِي عَلَيْهِ فَلَا أَنْفَكَ مِنْ خَجَلٍ
مِنَ الْقُصُورِ وَلَا أَحْصِي سِوَى حَسَنِ
ومن قوله أيضاً في ذكر دولة ورثها :

«دَوْلَةٌ وَرَثَهَا الْجَدُّ السَّعِيدُ، وَخَوْلَهَا الدَّهْرُ الْقَهْرُ، وَمَنْحَهَا الْعَصْرُ
النَّصْرُ، فَرَكَعَتْ لَهَا الْأُمَمُ، وَسَجَدَتْ لَهَا الدُّوَلُ، وَزَالَتْ بِهَا الْغَمَمُ،
وَانْزَا حَتْ بِهَا الْعَلَلُ، وَقَامَ بِهَا مَائِلُ الْمَلَّةِ، وَضَحَكَ بِهَا مَقْبَلُ الْقَبْلَةِ،

وخطب بفضلها الأخرس، وفطن لها الأبله، ووضحت بها لمن تهين
البراهين، ولمن تدليل الأدلة / ١٤ ب / وتمسكت ولكن بالدين،
واعتصمت ولكن بالله، سلطانها له من الله سلطان، وأعوانها لها من النصر
أعوان، وسيرته الفاضلة قد سارت بها الركبان، ولكن على العقبان.
فالإسلام من طلقائه، والإيمان من عتقائه، والكفر يجاهره ولكن باتقائه،
والشرك به واقع في شرك انخفاضه وبعد ارتقائه، وعساكر تجعل الصباح
مساء يوم العرض، وسيوفه تجر في الأجسام البسط والأرواح القبض،
ورماحه تكاد لطولها تمسك السماء أن تقع على الأرض^(١): [من الطويل]

فَلَوْرَامُ بُرْجَانِ فِي السَّمَاءِ لَمَّا عَصَى عَلَيْهِ وَقَرْنَا فِي السَّحَابِ لَمَّا نَجَا
فصل في دعاء:

«خلد الله ملكه، وأبد فتكه، وأعز جنده، وأذل نده، وزين دولته
بالسعود، ومملكته بالصعود، وجعل ضده المكتوب، وجده المسعود،
ونصب مقامه قبله تقابلها ملائكة السماء بالسلام، وملوك الأرض
بالسجود ولازال محمر الطبي، مخضر / ١١٥ أ / الربى، جالساً والأنام
في خدمته قيام، ساهر العزائم وملوك الأرض عنها نيام، منصفاً بعدله
الكرام من الأيام للثام، سابقاً بسيفه كلام الأعداء فإن حربه أولها كلام،
وإن الحرب أولها كلام: [من الخفيف]

كُلَّمَا قِيلَ قَدْ تَنَاهَى أَرَانَا كَرَمًا مَا أَهْتَدْتُ إِلَيْهِ الْكَرَامُ
فصل في دعاء للوزير:

«مولاي ورئيسي، وزير تسعى الملوك ببابه، وتستضيء بشهابه،
وتستقي بسحابه، وتدفع خطوبها، وتستمد النصر لكتائبها من كتابه.
وتستهدي الإصابة لسامها من صوابه، وتجنني فضله صنواناً

(١) البيتان من قصيدة في ديوانه ٥٢ / ٢ - ٥٥ قوامها ٤٠ بيتاً، وتسلسله فيها ٢٠.

وغير صنوان، ومتشابهاً وغير متشابه. قد قدر بعلو القدر وتصدر؛ لأنه الصدر، ووطيء على وجه الشمس ومفرق البدر، وملك ناصية المجد، وبلغ قاصية الفخر. ومضى له الحكم ولكن على العصر، ونفذ له الأمر ولكن على ١١٥ ب/ الدهر، وخشعت له قلوب الأنام في السر والجهر:

[من البسيط]

فِي الدَّسْتِ يَقْعُدُ وَالْأَفْدَارُ قَائِمَةٌ مَنْ شَاءَ يَقْعُدُ فَلْيَقْعُدْ كَمَا قَعَدَا

فصل آخر في مثله:

«أدام الله أيامه ومدَّ ظلِّها بامتداد ظلِّه، وحلَّ عقدَها بيمين عقده وحلَّه، وجمع لها الفضائل كلها بظهوره على الفضل كله، ولا زال عزُّه لا يزول، وحالُّ سعده لا تحول، وأيام دولته لا تقصُر، وأيام أعدائه لا تطول. وأقلام يده العالية للأولياء تصل وعلى الأعداء تصول: [من الطويل]

وَلَا زَالَ يُنْبِي النَّاسَ فَضْلَ كَلَامِهِ بِأَنَّ كَلَامَ الْعَالَمِينَ فُضُولُ

فصل في تقرير رئيس:

«خلق من صلصال الصَّوْلَةِ، وحمأ الحميَّة، ونفخت فيه روح الأريحيَّة، وغذته الأنفاسُ الرُّوحانيَّة، وربته الألفاف / ١١٦ أ/ الربانيَّة، فجاء منه بشرٌ إلَّا أنه قمرٌ، وجسْدٌ إلَّا أنه أسدٌ، وإنسانٌ إلَّا أنه سلطان، ومَلِكٌ إلَّا أنه مَلِكٌ: [من الطويل]

وَجَاءَ يَسُدُّ النَّاطِرِينَ مَلَا حَةً وَجَاءَ يَسُوءُ الْحَاسِدِينَ مَعَالِيَا

فصل في تقرير منعم:

«ثقلتُ على كرمه، وأتعبتُ على متردّات نعمه، وأنضيتُ في السير إلى هاطلات ديمه، وشرهتُ عليه والشره قبيح، وآثرتُ من النُّجَح ولكنّه المتعب، فكأنّه اليأسُ المريح، وأوفدت عليه مطالبِي حتى استحييتُ، وحملتُ مننّه على عُنتي حتى أعيتُ، وماء الوجه جديد، وماء الحياء بعيد. [من الخفيف]

أَخْلَقْتُ وَجْهِي الْمَطَالِبُ مِنْهُ كَيْفَ لِي عِنْدَهُ بِوَجْهِ جَدِيدٍ
فصل في أيام سالفه :

١١٦ب/ «سقى الله داراً قضيتُ فيها اللَّبَانَةَ، واجتليتُ فيها البدرَ
زاهراً، واجتنتيتُ منها العيشَ ناضراً، وبليتُ بها جلابَ الشباب، وأفنيتُ
فيها رُضَابَ الأحباب. وكانت أولُ أرضٍ مسَّ جلدي ترأبها، وخدعني
سرُّبها لا سرُّأبها، ولما أطلتُ على أطلالها، وأنستَ طلوعَ هلالها: [من
الطويل]

(ذَكَرْتُ بِهَا وَصَلاً كَانَ لَمْ أَقْزِبِهِ وَعَيْشاً كَانِي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَبِئَا)^(١)
فصل في شكوى فراق :

«وما يندب الخادمُ إلَّا نفسه، ولا يبكي إلَّا أمسه؛ لأنه قد فارق من
مشاهدة سيدنا وبركة قربهِ، وقرب بركتهِ، وتلقَى وفود الفوائد في وجهته
من جهته ما جعلهُ مغضوضَ الناظر، معضوضَ البنان، مجموعَ هموم
القلب، متثورَ دموع الأجفان، طالباً من السُّلُو مَا لَا يَجِدُهُ، وهيهات أن
يسلو عن الماء الظَّمَانُ: [من الطويل]

فَذَا الْجِسْمُ قَسَمٌ بَيْنَ سَقَمٍ وَعَبْرَةٍ وَذَا الْقَلْبُ نَهَبٌ بَيْنَ فِكْرٍ وَأَشْجَانٍ
١١٧أ/ فصل في دعاء :

«أدام الله ظلَّ المولى ممدود الرواق بين الآفاق، وأطلع بدور شعوره
متضاعفة الإشراق آمنة من لحاق المحاق، وبسط أنامله التي هي مفتاح
الأرزاق ومغالق الإملاق، وخلَّد أيامه التي هي أحسن الأيام من محاسن
الأخلاق والطف من معاتبة العشاق، ولا برحت ذات ظلِّ صفيق،
وحواشٍ رفاق».

فصل في استنجاد:

«الله الله أن ترقد عني والموت منتبه، أو تغفل أمري والأمر مشتبه، أو تنساني وقد ذكرتني الخطوب، أو تسييني وقد أوثقتني الذنوب، فقد والله حلّ الخطب الحُبا، وسل الحنف الطُّبا، وبلغ السيل الزَّبى، وأنا الرجل الذي ضعف احتماله، وقُصّر احتياله، ولاحت مقاتله، وعلم قاتله، وقَلّ ناصره، وكثر خاذله، وفات مداراة التلاقي فساده، وأعيت دلالات الخبير مجاهله».

/ ١٧١ ب / فصل في وصف مجلس وحال:

«ولمّا غاب العاذل، وجاد الباخل، وأنس الظبي النافر، وسَفَرَ البدرُ السافر، خلعتُ العذار وعذرتُ الإنخلاع، وواصلتُ الوصل، وقاطعتُ الإنقطاع، وهزرتُ الغُصن المثمر، ولثمتُ الوجه المقمّر، وأطعتُ عناق العناق، وبلغتُ رسائل الأشواق، وأقدمتُ على المواضع التي كنت عنها أحجم، وأوردتُ في الموارد التي كنت عليها أحوم وأحمم: [من البسيط]

وَهَلْ يُبَاعِدُ عَذْبَ الْمَاءِ دُوَّ غَصَصٍ أَوْ يَنْشِي عَنْ لَذِيذِ الزَّادِ مِنْهُومُ

فصل في مقال نفس سامية:

«وإنّ لي يا مولاي نفساً تواقّة، وهمّة ذواقّة. لا تقف على حدّ، ولا تقفو إلّا على جدّ، ولا تصيرُ من الدهر على حالة واحدة، ولا تضمُرُ من الهم إلّا جمرّة واقدة؛ ولا تألُو جذباً لعناني، / ١١٨ / وعتباً على زماني، واضعاً لآمالي الآماني، فأنا طول الدهر أثور ولا أركد، وأسهر ولا أرقد. وأطلب ولكن أين المطلب، وأغالب الدهر على أنه الأغلب. وأتعلّق من الأمل بدمام نجم مغرب، وأشتاق إلى نيل الأرب وأين من الأمل عنقاء مُغرب: [من الطويل]

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي فِيهِ رَاحَتِي وَمَا آخِرُ الْأَمْرِ الَّذِي أَنَا طَالِبُهُ .

فصل في تنبيه لمُتَكَبِّر :

«يا من ازدراني لَمَّا رَأَيْتِي، وحقرتني لما نظرتني، وهرب عَنِّي لَمَّا قُرُبَ مِنِّي؛ لا تغرَّكَ أطماري، وأنظر إلى آثاري، ولا أثوابي وعليك بادابي، ولا أسمالي وتفقد أعمالي، فما بِالْبَزَّةِ تنال العزَّةَ، ولا بجِدَّةِ السربال يقبل الإقبال، ولا ببقاء الطيلسان ينطق الإنسان، وينطلق اللسان: [من الكامل]

قَدْ يُدْرِكُ الشَّرَفَ الْفَتَى وَرِدَاؤُهُ خَلَقَ وَجَيْبٌ قَمِيصِهِ مَرْقُوعٌ

فصل في استعطاف :

/١١٨ب/ «وَأَنَا أَسْتَعِيزُ بِاللَّهِ مِنْ ذَنْبٍ يَوْجِبُ عَذَابَكَ، وَيَمْلَحُ عَذَابُكَ، وَيَصْرِفُ قَلْبَكَ، وَيَجْعَلُكَ ثَانِي عَطْفِكَ، وَيُؤَلِّفُ تَغْيِيرَكَ عَلَى إِلْفِكَ: [من السريع]

لَسْتُ عَلَى هَجْرِكَ جَلَدَ الْقَوَى وَلَا عَلَى عَثْبِكَ شَاكِيَ السَّلَاحِ

فصل في شوق :

«مَا أَلَامَ ظَفَرَ الْهَمُومِ، فَإِنَّهَا كَثِيرَةٌ تَتَسَاعَدُ عَلَى قَلْبٍ وَاحِدٍ، وَمَا أَتَعَبَ مُعَاتَبَ الْأَيَّامِ؛ فَإِنَّهَا تَضْرِبُ مِنْ مُعَاتِبَتِهِ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ، وَمَا أَعْجَبَ بَمِنْ مُنِي بِقَسْوَةِ الْأَقَارِبِ إِذَا رَامَ الْحُنُوَّ مِنَ الْأَبَاعِدِ. فَيَا لِلَّهِ كَمْ تَظَلَمْتُ إِلَى مُوَلَايَ مِنْ أَغْرَاضِ كِتَابِهِ وَصُدُودِهِ، وَكَمْ شَكُوتُ لَهُ طَوْلَ تَرْقِي لَوْصُولِهِ وَتَطْلُعِي لَوْفُودِهِ. وَبِاللَّهِ لَقَدْ نَسَخَ سُوءُ الظَّنِّ بَانْقِطَاعِ أَخْبَارِهِ آيَةَ الْأَشْوَاقِ، وَلَقَدْ شَغَلَنِي الْوَلَهُ عَنْ إِنْفَاقِ ذَخَائِرِ الْإِمْلَاقِ، وَلَقَدْ عَدَلْتُ عِنْدِي سَاعَةَ فِرَاقِ كِتَابِهِ سَاعَةَ يَوْمِ الْفِرَاقِ».

فصل في ذم :

/١١٩أ/ «قُوبِلَ جَمِيلِي بِكُلِّ قَبِيحٍ، وَسَكُوتِي بِكُلِّ صَرِيحٍ، ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى

سَيْلًا^(١) ولو تحاكمنا إلى المروءة لافتضح منا من هو أخجل حجة،
وأخزى دليلاً، فظفر الضعفاء بالأقوياء مفهوم، وفتك الجبناء بالشجعان
معلوم، والوفاء في هذه الأيام معدوم، وصاحبه في سلك الليالي منظوم،
وذلك المهين فقد سرت منه عقارب لو شئت لأسريت إليه قبالتها سريات،
وظن أنه كوى في السرّية ولو شئت لكويته في الجهر كيّات؛ لكن علمت
الظفر به هزيمة، والإطراح له غنيمة، والغريزة العريضة، والشيمة
الكريمة، تبعث على حفظ الصداقة القديمة: [من الكامل]

وَإِذَا بَغَىٰ بَاغٍ عَلَيْكَ بِجَهْلِهِ فَأَقْبَلْهُ بِالْمَعْرُوفِ لَا بِالْمُنْكَرِ

فصل في وصف محبوبة:

١١٩ب/ «كيف أسلوها وهي لخلي خلابة، ولغلي غلاّبة، وبينها
وبين نفسي قرابة، ولم تدع زاوية من قلبي حتى ملأتها صباّبة، وما أدلت
إلاّ بالحسن، وما أحست إلاّ بالدلال، ولا كسفت إلاّ وجوه النساء، ولا
كشفت إلاّ أحوال الرجال. أما الخصر فمجدول، وأما الطرف فبالكحل
مكحول، وأما القد فلا قصر ولا طول، وأما الخد فكالورد إلاّ أنه لا
يحول: [من البسيط]

هِيَ الشِّفَاءُ لِدَائِي لَوْ ظَفِرْتُ بِهَا وَلَيْسَ مِنْهَا شِفَاءُ الدَّاءِ مَبْدُولٌ

فصل في اعتذار عن هدنة:

«قامت بيننا حروب، وقامت فيها خطوب الخطوب، وبقيت
الدست قائمة فلا غالب ولا مغلوب، ونهك القتال إلى أن ضعف
الطالب والمطلوب، فالتجأنا جميعاً إلى المهادنة وفي النفوس ما
فيها، وحسناً بادي الوجوه وقبح الحقد خافيتها، وأينعت حسائك
أنبتتها الصدور، وانعمرت حزازات لا تهدمها الدهور / ١٢٠ /

فالظواهر سليمة، والبواطن سقيمة، والسيوف مغمدة، ولكنها في الأكباد
مسلولة، وأيدي الضغائن مبسوطة، وإن كانت أيدي الفتك مغلولة: [من
الطويل]

وَفَيْنَا وَإِنْ كُنَّا أَصْطَلَحْنَا تَبَاغُضُ كَمَا طَرَّ أَوْبَارَ الْجِرَابِ عَلَى الْبَرِّ
فصل في دعاء:

«أدام الله دولته وأدامها ومدد مدته وأطالها، وصرف إليه الآمال وأمالها،
وأمتعه بشكر النعم التي أنالها، ولا زال يستخدم الأفلاك، ويستعبد
الأملاك، ويعفر بعرضات جباه الجبابرة، ويفضل بسيرته الفاضلة سير
الملوك الغابرة. ويقتطف زهر النصر الأبيض من ورق الحديد الأخضر،
ويسل على الأعداء نصل نصر لا يزال رائع المخبر رائع المنظر، وسهل
الله للملوك لقاءه الذي يجمع بين فمه وتراب موطنه، ويتخلص من بحر
الهموم إلى جنبه الذي هو كشاطئه، ويحكم آماله في أمواله، ويهاجر من
الهجير إلى ظل إقباله:

[من الطويل]

فَمَنْ لَمْ يَنْلِ مِنْهُ الْغِنَى فَهُوَ عَاجِزٌ وَمَنْ لَمْ يَعِشْ فِي ظِلِّهِ فَهُوَ خَائِنٌ
فصل في ذكر أحباب رحلوا:

«فأما جيرانني فيما جاروا لما ساروا، ويا ما عملوا لما احتملوا، ويا ما
أمرضوا لما قوضوا، ويا ما فعلوا لما رحلوا.

شتتوا والله شمل الدموع، ونشروا نظم الظلوع، وأنزلوا على
القلوب كيآت الإكتاب، وقطروا القلوب إلى أذنان الركاب.
وكان الأنس بهم مصقول الترائب، والعيش بهم مخضر الجوانب،
والجذل بهم أحمر الوجنة، والربع بهم أزهر الدمنة، والسرور بهم
باسم المباسم، والأيام بهم كلها مواسم. وكان الدهر قد غمض عينه
عنهم مدة، وعقد بينه وبينهم مودة، ثم نكت وغدر عليهم القدر،
وختم صفوهم بالكدر، وفرقتهم أيدي سبا، وأذهلهم عن التذكير لعهود

الحمى، والتلفت إلى أيام الصبا، فالدار بعدهم دائرة، وكم دارت عليهم
دائرة وبائدة، وكم حلت بها أبدة، وقد بكى / ١٢١ / عليها السها
والفرقد، وخجل منها الغراب الأسود، ومشى عليها الدهر وهو مقيد:
[من السريع]

بَانُوا فَبَانَتْ أَسْفَاءُ بَعْدَهُمْ وَإِنَّمَا النَّاسُ نُفُوسُ الدِّيَارِ

[٨٨٣]

هبة الله بن حاتم بن عبد الجليل بن عبد الجبار بن جعفر بن علي بن
سليمان بن سيد بن أبي قحافة، أبو القاسم الأنصاري^(٢).
من أهل الديار المصرية.

كانت ولادته سنة خمس وستين وخمسمائة.

سمع الحديث على البوصيري وابن حمد الأرتاحي، وحدث عنهما. وكان كاتباً في
بعض دواوين مصر؛ وفيه فضل وأدب وينظم شعراً لا بأس به.

أنشدني أبو محمد عبد الواحد بن عبد الله بن أبي جرادة الحلبي بها، قال: أنشدني أبو
القاسم لنفسه بمصر: [من البسيط]

يَا سَيِّدًا إِنْ يَغِبْ غَابَتْ مَسَرَّتُهُ وَإِنْ لَمَحْنَاهُ عَادَ الْبُشْرُ وَالْفَرْحُ
وَكُلُّ حَالَتَنَافِي بُعْدِهِ نَصَبٌ وَكُلُّ أَوْقَاتَنَافِي قُرْبِهِ مُلَحٌ
إِذَا بَقِيَتْ فَتَغَرَّ الْجُودُ مَبْتَسِمٌ لَطَالِيهِ وَصَدْرُ الْمَجْدِ مُنْشَرِحٌ

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/٢٥٨ وفيه: «هبة الله بن حاتم بن عبد الجليل بن عبد الجبار بن حسن
سديد الدين...، ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة، وتوفي سنة خمسين وستمائة». تاريخ الإسلام
(السنوات ٦٤١ - ٦٥٠) ص ٤٥٨ رقم ٦١٩ وفيه: اسمه «نصر الله».

[٨٨٤]

هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب،
أبو منصور النحوي اللغوي، الملقب بعميد الرؤساء^(١).

من أهل الحلة المزيديّة، بها ولد ونشأ. وكان أهله كتاباً متصرفين يتعرضون لخدمة السلطان، وأصلهم من النعمانية، وبقي في الحلة منذ ولد إلى بضع عشرة سنة. وتعلّم الخطّ عند أستاذ كان بالحلة، يقال له خزيمة بن محمد الأسدي، وتادّب عليه إلى سنة تسع وأربعين وخمسائة، ومضى إلى مدينة السلام يطلب العلم والأدب، وله من العمر عشرون سنة فأقام بها قريباً من عشر سنين زائداً فناقصاً يعاني الفقر والفاقة ويجدّ ويدأب في الإشتغال.

وتخصّص بأبي الحسن علي بن عبد الرحيم بن العصار الرقي اللغوي تخصّصاً عظيماً، وقرأ عليه كتباً كثيرة في اللغة وفنون الأدب، وروى عنه جميع ما يرويه. ولقي الإمام أبا محمد عبد الله بن أحمد ابن الخشاب النحوي، وأبا العزّ محمد بن محمد بن الخراساني، وأبا محمد إسماعيل بن موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الجواليقي / ١٢٢٢ هـ وابن خضير الصيرفي وغيرهم من شيوخ العلم والأدب، وروى عنهم وبرع في علم اللغة، وصار يعدل بشيخه أبي الحسن علي بن العصار ويفضل عليه وشاع ذكره في الآفاق. وكان خطه مليحاً ونسخ لنفسه نحواً من مائة مجلّد في اللغة وعاد إلى الحلة فأقام بها إلى أن مات يوم عيد الفطر سنة عشر وستمائة.

وكان أديباً بارعاً نحوياً لغوياً شاعراً شيخ وقته، ومتصدّر بلده، وعنه أخذ أهل تلك البلاد الأدب وعلم اللغة. وكان قد تزوّج في الحلة بامرأة صالحة خيرة من قوم أمثال يعرفون بيت الدّرّبي، فبورك له فيها ورزق منها عدّة بنين وبنات ماتوا جميعهم في

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٢٥٨ - ٢٥٩، وفيه: «توفي سنة عشر وستمائة». طبقات النحاة لابن قاضي شهبة/ الورقة ٢٦١ - ٢٦٢. معجم الأدباء ٦/ ٢٧٦٤. التكملة للمندري ٢/ ٢٩٢ رقم ١٣٣١، وفيه وفاته سنة عشر وستمائة أو نحوها. إنباه الرواة ٣/ ٣٥٧. بغية الوعاة ٢/ ٣٢٢. مجمع الآداب ٢/ ٢٦١ - ٢٦٢ رقم ١٤٣٥، لقبه «عميد الرؤساء». تاريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٩٣ رقم ٥٥٠.

حياته ، وبقيت منهم بنت واحدة ماتت بعده .

وكان قد وفد على أبي عبد الله بن شعبان متوسلاً بالخؤولة ؛ لأن أمه كانت من بني شعبان فواصله بما مبلغه مائة دينار ، فقبلها لمكاته عند الناس ، وأثرى من بعد فقر ، وعاش غنياً موسراً ، وبقي نيقاً وثمانين سنة .

وكان شعره شعر الأدباء ليناً سهلاً ومنه قوله يرثي زوجته / ١٢٢ب / المقدم ذكرها من أبيات^(١) : [من البسيط]

لَمْ تَذْهَبِي فَأَقُولُ الذَّاهِبُ أَمْرًا وَإِنَّمَا ذَهَبَ الْمَعْرُوفُ وَالْكَرَمُ
بِي مِثْلُ مَا بِكَ إِلَّا أَنَّ ذَاكَ بَلَى مُعَيَّرٌ وَجْهَكَ الْحَالِي وَذَا سَقَمُ
ومن شعره أيضاً ما كتبه إلى أبي الفتح محمد بن أحمد بن حيا الكاتب الحلبي :

[من البسيط]

يَا أَيُّهَا الْمَاجِدُ الْمُوفِي عَلَى شَرَفٍ مِنْ الْعَلَاءِ تَطَاطَا دُونَهُ الرُّتَبُ
ضَمَنْتَ لِي وَضَمِينَ الشَّيْءِ غَارُمُهُ قَضَاءَ دَيْنِي وَدَيْنِي ثَابِتُ يَجِبُ
وَأَنْتَ ذُو الْفَضْلِ لَا مَنْ يُنْكَدُهُ وَالْقَوْلُ لَا يَعْتَرِيهِ الزُّورُ وَالْكَذِبُ
مَا فَاتَ طَالِبَ عَرَفَ مِنْكَ مَطْلَبُهُ إِلَّا وَأَعْيَا عَلَيْهِ ذَلِكَ الطَّلَبُ
وَكَيْفَ يَنْخَلُ بِالنَّزْرِ الْقَلِيلُ فَتَى كَثِيرُهُ بِأَكْفِ النَّاسِ يُتَّهَبُ
فَاعْجَبْ لِهَذَا وَأَكْثَرِ مَنْ تَدْبِرُهُ إِنْ كُنْتَ لَمْ تَدْرِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا الْعَجَبُ

وله أشعار غير ما ذكرته ، إلا أنه لم يصل إلي منها شيء عند توريقي هذا الكتاب .

[٨٨٥]

هبة الله بن أبي الحسن بن أبي الخير بن بطرس بن بلوطس بن
بيمك ، أبو البركات النصراني .

من أهل الديار المصرية .

كان يخدم الملك الأشرف مظفر الدين شاه أرمن أبا الفتح موسى بن أبي بكر بن

أيوب في دولته متصرفاً، فعرض عليه الإسلام، فأبى فاعتقله فخرج من السجن وقصد إربل فولاه سلطانها الفقير إلى الله أبو سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين - رحمه الله تعالى - الإشراف بديوان الارتفاع الخاص.

وكان له تقدم في وضع الحسابات الديوانية والأحكام الخراجية، ويقول الشعر الحسن المطبوع على سبيل الإنسباط والمداعبات، ولم يزل مقيماً بإربل إلى أن توفي عصر يوم الإثنين ثامن عشر ذي القعدة سنة إحدى وعشرين وستمائة.

وقد ذكره الوزير صاحب العالم أبو البركات المستوفي - رضي الله عنه - في تأريخه الذي ألفه لإربل، وقال: سألت أبا البركات بن بيمك عن مولده، فقال: ولدت في دمنهور الوحش^(١) سنة ثلاث وستين وخمسمائة.

ورد إربل / ١٢٣ب/ بعد أن اعتقل مدة طويلة. وكان يلي بعض أعمال الملك الأشرف... بن أبي بكر بن أيوب، فنقم عليه، وأخذ ماله، فورد إربل والتحق بالملك المعظم أبي سعيد كوكبوري بن علي لما كان في بلاد العجم سنة إحدى عشرة وستمائة، ووصل إلى إربل فتوصل إلى أن صار له إشراف الديوان بالقلعة، يكتب حسناً. وزعم بعض المصريين، أن بيمك امرأة نسبوا إليها.

وأنشدني، قال: أنشدني أبو البركات بن بيمك لنفسه: [من الوافر]

دَعَيْنِي وَالسُّرَى وَمَجَالَ عَيْسِي لَعَلِّي مُدْرِكُ مَا فِي النَّفُوسِ
فَلَمْ يَكْ بِالْغَا أَمْرًا نَفْسِيَا فَتَى مَا لَمْ يُغَرَّرْ بِالنَّفِيسِ
وَحَلَّ لِكُلِّ ذِي عَزْمٍ ضَعِيفٍ مُعَاقِرَةَ الْمَوَاطِنِ وَالْجُلُوسِ

وأنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن وهرام بن بكران البوازيجي الإربلي بها - رحمه الله تعالى - قال: أنشدني / ١٢٤أ/ أبو البركات هبة الله بن أبي الحسن بن بيمك النصراني لنفسه، وقد ورد عليه كتاب من بعض أصدقائه:

[من الوافر]

وَقَفْتُ عَلَى الْكِتَابِ فَهَمْتُ شَوْقًا كَأَنِّي قَدْ شَرِبْتُ مِنَ السَّلَاقَةِ

وَبِتُّ سَمِيرَ شَخْصِكَ مِنْهُ مَوْلَى بَقْلَبِي أَنْتَ مَعَ بُعْدِ الْمَسَافَةِ
فَرَحْتُ يَهْزُ أَعْطَافِي سُرُورٌ كَأَنِّي قَدْ مَلَكَتُ بِهِ الْخِلَافَةَ
وَقَاكَ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ اللَّيَالِي وَمِنْ ثُوبِ الْحَوَادِثِ كُلِّ آفَةٍ
فَكُلُّ حَدِيثِ أَهْلِ الْوُدِّ عِنْدِي سَوَاكَ إِذَا سَمِعْتُ بِهِ خِرَافَةَ

وأنشدني أيضاً من لفظه، قال: أنشدني أبو البركات هبة الله بن أبي الحسن بن أبي
الخير بن بطرس المصري لنفسه بإربل: [من الكامل]

١٢٤ب/ لَوْ كَانَ يُدْرِكُ بِالْتَّرَكُّضِ سَائِرُ مَا فَاتَهُ فِي يَوْمِهِ أَوْ أَمْسِهِ
يَحْوِي هَلَالَ التَّمِّ وَصَلَا لَمْ يَزَلْ أَبَدًا يُحَاوِلُهُ بِدَارَةِ شَمْسِهِ
لَكِنَّهُ لَمَّا تَوَغَّلَ فِي السُّرَى لَقِيَ الْكُشُوفَ مِنَ الرَّدَى فِي نَفْسِهِ
وَالسَّغَى إِذْ لَمْ تُعْطِ فِيهِ سَعَادَةٌ مُتَحَرِّكٌ أَبَدًا يَعُودُ بِنَحْسِهِ

[٨٨٦]

هبة الله بن أبي سعيد بن أبي الكرم بن أبي سعيد بن أبي الخير بن
أبي اليمن، أبو البركات النصراني، المعروف بأبن ستوتة.

من أهل مصر.

كان ذا نظم ونثر وخطٌ مليح حسن، ومعرفة جيدة بالحساب، ولديه فضل وأدب
يتصرف في الأعمال الديوانية، وأقام بحلب مدةً، واتصل بخدمة الأمير مبارز الدين
يوسف بن ختلخ الحلبي. ثم انتقل عنه وخدم لبعض الولاة بكفرطاب، ومات في عاشر
رمضان سنة خمس وعشرين وستمائة.

أنشدني الأجل نظام الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عبد المنعم ابن
المولى الكاتب المنشئ بديوان حلب بها - أسعده الله تعالى - لفظاً، قال: / ١٢٥ / أنشدني
أبو البركات بن أبي سعيد بن أبي الكرم المصري لنفسه ما كتبه إلى الوزير أبي الحسن علي بن
يوسف القفطي يستعفي من عمل التصرف: [من الخفيف]

أَنَا أَشْكُو إِلَى مَعَالِيكَ حَالِي وَوُقُوعِي مَا بَيْنَ شَيْبٍ وَشَيْنِ
لَيْسَ لِي قُدْرَةٌ عَلَى أَنْ أَلْأَقِي رَوَعَاتِ الْحِسَابِ فِي الدَّارَيْنِ

ذَٰكَ فِيهِ عَيْبٌ يُخَافُ وَهَٰذَا فِيهِ جَوْرٌ فَالْوَيْلُ مِنْ هَٰذَيْنِ

[٨٨٧]

هبةُ الله بن عبد الرحمن بن محمد بن محمود بن الشيرازي،
يكنى أبا الفضل^(١).

من أهل مدينة السلام.

شيخٌ لقيتهُ بها بمجلس الشيخ الحافظ أبي عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن
النجار البغدادي - رحمه الله تعالى - وذكر لنا أنه دخل البلاد الخراسانية، وتجوّلها. وكان
تاجراً.

ولد بالنيل^(٢) وسألناه عن ولادته، فقال: إنَّ له من العمر سبعين سنة. وكان سؤالنا له
والاجتماع به يوم الخميس ثاني رمضان سنة تسع وثلاثين وستمائة، فبدل أنَّ مولده في سنة
سبعين وخمسمائة.

يعاني قول / ١٢٥ ب/ الشعر، وله في نظمه طبع صالح، وقريحة ما بها بأسٌ يتشيع.

أنشدنا من قوله - وكان قد سُجن - ما كتبه إلى أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبي
العباس أحمد - رضوان الله عليه - يتألم من السجن ويشكو إليه حاله، وما يلقي من
المحبوسين ومن المقام بينهم: [من الوافر]

خَلِيلِي إِنِّي أُولِيكَ نُصْحًا وَصَايَا لِكُھُولٍ وَلِلشَّبَابِ
إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تُدْعَى رَشِيدًا وَتُرْمَقَ بِالسَّدَادِ وَالصَّوَابِ
تَجَنَّبَ مَا اسْتَطَعْتَ وَكُنْتَ حَيًّا لَوَاوَاتِ ثَلَاثٍ فِي كِتَابِ
فَوَاوُ وَصِيَّةٍ لَا خَيْرَ فِيهَا فَتَلْقَى فِي السُّجُونِ وَفِي السَّبَابِ

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٢٨٩ - ٢٩٠ وفيه: «توفي سنة أربعين وستمائة». ذيل تأريخ بغداد لابن
النجار.

(٢) النيل: بلدة في سواد الكوفة، قرب حلة بني مزيد، يخترقها نهر يتخلّج من الفرات العظمى. انظر:
معجم البلدان/ مادة (النيل).

وَوَاوُ وَكَأَلَّةٌ وَكُلَّتْ فِيهَا
وَأِنْ رُمْتَ الثَّوَابَ وَحُسْنَ فَعْلٍ
تَصَبَّرْ وَأَعْتَبِرْ إِنْ كُنْتَ طَبَا
نَصَحْتُ فَمَا رَأَيْتُ النَّصِيحَ يُجْدِي
أَرَى حَبْسِي وَبَالًا لَيْسَ فِيهِ
/ ١٢٦ / أَيَا مَوْلَايَ دَعْوَةٌ مُسْتَعِيثُ
وَمَنْ سَجَنُ تَجَمَّعَ فِيهِ حَوْلِي
فَإِنْ عَاشَرْتَهُمْ دَسَّتُ عَرْضِي
وَنَحْنُ بِجَمْعِنَا فِي قَعَرٍ لَحْدٍ
إِذَا أَشْتَدَّ الْهَجِيرُ بِهِ عَلَيْنَا
وَأِنْ جَرَّتِ النَّسِيمُ تَجَرُّ فِيهَا
وَقَدْ تَغْدُو النَّفُوسُ بِهَا سُكَّارِي
تَعَجَّلْ مَا تَأْجَلُ مَنْ عَذَابٍ
فَبْتُ مُعَاتِبًا دَهْرًا رَمْتَنِي
أَقُولُ لَهُ وَدَمَعُ الْعَيْنِ يَجْرِي
أَتَقْصِدُنِي وَقَدْ أَلْجَأْتُ ظَهْرِي
عَنِتُّ النَّاصِرَ الْمَنْصُورَ عَضْدِي
إِمَامًا يَمَلَأُ الْمُخْرَابَ زُهْدًا
فَأَوْجَسَ خَيْفَةً دَهْرِي وَطَابَتْ
/ ١٢٦ ب / وَقَالُوا وَقَدْ لَجَأْتُ إِلَى جَنَابٍ
فِيَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ لَا أَحَاشِي
بِمَنْ أَدْنَى النَّبِيِّ بَقَابَ قَوْسٍ
وَطَهَّرَ أَهْلَهُ مِنْ كُلِّ رَجَسٍ
أَغْشَى إِنْشِي بِكَ مُسْتَجِيرٌ
فَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ شَرَحْتُ مَا بِي
بَقِيتَ عَلَى الرَّعِيَّةِ فِي سُرُورٍ

بُسُوءِ الظَّنِّ مِنْ كُلِّ الصَّحَابِ
فَمَا فِيهَا لَعْمُرُكَ مِنْ ثَوَابٍ
بِمَا قَدْ حَلَّ بِي وَلِسُوءِ مَا بِي
وَمَنْ قَدْ خَانَ مَمْنُوعُ الْجَوَابِ
سَوَى إِثْمٍ تَضَاعَفَ فِي الرِّقَابِ
إِلَى رَبِّ السَّمَاءِ مِنَ الْعَذَابِ
أُنَاسٌ فِي التَّهَارُشِ كَالْكِلَابِ
وَأِنْ جَانَبْتَهُمْ بَزُوا ثِيَابِي
مَوَاتٍ فَاتَّنَّاطُمُ التُّرَابِ
يَسِيلُ صَدِيدُنَا سَيْلَ السَّحَابِ
رَوَائِحَ فِي الْمَعَاطِسِ كَالْحِرَابِ
يَمِيلُ بِهَا وَلَا سَكْرُ الشَّرَابِ
فَكَيْفَ وَمَا أَتَى يَوْمَ الْحَسَابِ؟
نَوَائِبُهُ وَمَا يُجْدِي عِتَابِي
كَمَا وَهَتَ الْعُقُودُ مِنَ الْكَعَابِ
وَلَذْتُ بِظُلِّ مَمْنُوعِ الْجَنَابِ
خَلِيفَةً أَحْمَدَ كَأَبِي تُرَابِ
وَفِي يَوْمِ الْكَرِيهَةِ لَيْتُ غَابَ
مَذَاقْتُهُ وَكَأَنَ كَطْعَمِ صَابِ
تَلِينُ لِبَاسِهِ كُلُّ الصَّعَابِ
وَيَا خَيْرَ الْأَنْامِ وَلَا أَحَابِي
وَأُظْهِرَ دِينَهُ بَعْدَ احْتِجَابِ
وَأَنْتَ مِنَ السُّلَالَةِ وَاللُّبَابِ
لَتُنْقِذَنِي مِنَ الظُّلُمِ الْعُجَابِ
وَمَا عِنْدَ الرَّعِيَّةِ مِنْ شَغَابِ
وَدُمْتُ لَهَا عَلَى مَرِّ الْحَقَابِ

وَمَانَا حَتَّ مُطَوَّقَةً بِأَيْكَ وَمَا حَجَّ الْحَجِيجُ عَلَى الرُّكَّابِ
 وأنشدني أيضاً ما كتبه إلى الوزير مُؤيد الدين أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد
 الكريم بن بَرز القمي - وكان يومئذ يتقلد الوزارة للإمام أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبي
 العباس أحمد / ١٢٧ / رضوان الله عليه - ويتظلم إليه من القاضي شهاب الدين أبي المناقب
 محمود بن أحمد بن بختيار الزنجاني الحاكم بمدينة السلام - وكان ينز بـابن عرس لقصر كان
 في رقبته : [من الخفيف]

يَا وَزِيرَ الْإِمَامِ فِي الْحَلِّ وَالْعَقْدِ
 مُسَخَّ النَّاسِ فِي زَمَانِكَ فَأَرَا
 جَدُّهُ فَنُقِذَ وَعَرَسَ أَبُوهُ
 قَالَ قَوْمٌ لَمَّا رَأَوْهُ بَدَسَتْ
 وَخَرَجُ الْبِلَادِ يُجَبِّى إِلَيْهِ
 مِثْلُ هَذَا يَكُونُ حَاكِمَ بَغْدَادِ
 / ١٢٧ ب / اتَّقُوا الشَّرْعَ مِنْ يَدَيْهِ فَقَدْ أَصْ
 فَرِحَ الْقَائِلُونَ بِالْأَبِّ وَالْإِبْنِ
 فَرَحُوا إِذْ رَأَوْهُ لِلشَّرْعِ قَدْ
 يَا إِمَامَ الْهُدَى وَيَا حُجَّةَ الدِّ
 مَا أَرَى نَاصِحًا لَكَ الْيَوْمَ فِي النَّا
 أَنَّ هَذَا ابْنُ عَرَسٍ قَدْ فَرَسَ الْمَا
 قَدْ حَوَى جِلْدُهُ ثَلَاثِينَ أَلْفًا
 وَاجْعَلُوا يَوْمَهُ الَّذِي هُوَ فِيهِ
 وَإِذَا رُمْتُمْ زِيَادَةَ مَالٍ
 مَنْ وَكَيْلٍ وَمُحْضَرٍ وَغُلَامٍ
 مَنْ لِمَالِ الْآيَتَامِ يَحْنُو عَلَيْهِ

سَدَ لَقَدْ ضَاعَ فِي اخْتِيَارِكَ حَسِي
 فَتَوَلَّى عَلَيْهِمْ ابْنُ عَرَسٍ
 لَيْتَ شَعْرِي فَبَزَرُهُ أَيُّ جَنَسٍ
 نَافَذَ الْحُكْمَ فِي الْقَضَا وَالْدَّرَسِ
 بَعْدَ مَا كَانَ لَا يَرَى نَقْشَ فُلَسٍ
 وَعَارٍ يَكُونُ هَذَا بَيْرُسٍ (١)
 بَحَ مِنْ سُوءِ فَعْلِهِ فِي رَمْسٍ
 مِنْ وَمُوسَى وَمَنْ يَرَى لِلشَّمْسِ
 مَاتَ فَهُمْ مِنْ عَزَائِنَا فِي عُرْسٍ
 هِ وَمَنْ حُبُّهُ مُخَالِطُ نَفْسِي
 سَ فَيُنْهَى إِلَيْكَ مَنْ غَيْرَ لُبْسٍ
 لَ وَلَا فَرَسَهُ الْأَسْوَدَ الشُّرْسِ
 فَخُذُوهَا مِنْهُ بِأَهْوَنَ لَمْسٍ
 مِثْلَ مَا كَانَ مُذْبِرًا بِالْأَمْسِ
 فَاجْعَلُوا جُلَّ صَحْبِهِ فِي الْحَبْسِ
 قَلْعُوا النَّاسَ مِثْلَ قَلْعِ الضَّرْسِ
 أَذْهَبُوهُ مَا يَبْنِي أَكْلٍ وَلُبْسِ

(١) بَرَس : قرية صغيرة بنواحي بغداد .

[٨٨٨]

هبة الله بن علي بن عيسى بن المقلد بن علوي، أبو المعالي بن أبي القاسم النيلي.

كانت ولادته بالليل ثالث عشر صفر من سنة أربع وستين وخمسمائة، وعاش /١٢٨/ إلى قريب سنة عشرين وستمائة.

كان عالماً فاضلاً يترامى إلى علوم الحكمة وأصنافها، وله معرفة باختلاف المذاهب والأديان وأقوال الحكماء وأرباب المقالات. وأنشأ رسالةً نظمًا ونثرًا سماها «القاصمة القاصلة والفاصمة الفاصلة»، وصنع رسالةً أخرى سماها بـ «المذهبة الكاسفة لمذاهب الفلاسفة»، عملها ردًّا على فلاسفة يونان وأصحاب المنطق وإبطال أقوالهم، وكشف ما ستروه من العقول، وقال أشعاراً في المواعظ والزهد والاعتبار وما يجري مجرى هذه الفنون.

أنشدني صاحب الوزير شرف الدين أبو البركات المستوفي الإربلي بها - رضي الله عنه - قال: أنشدني أبو المعالي النيلي لنفسه: [من السريع]

يَا رَبَّ هَذِي الْقُدْرَةَ الْقَاهِرَةَ	وَالْحُكْمَةَ الْبَالِغَةَ الْبَاهِرَةَ
يَا رَبَّ ذَا اللَّيْلِ الَّذِي قَدْ سَجَا	وَرَبَّ هَذِي الْأَنْجُمَ الزَّاهِرَةَ
يَا مُنْشِئَ الْخَلْقِ كَمَا شَاءَ	وَيَا مُعَيِّنَ الرَّمَمِ النَّاخِرَةَ
/١٢٨ ب/ أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ عَدَاةَ اللَّقَا	إِذْ تَجْمَعُ الْعَالَمَ بِالسَّاهِرَةَ
وَالْعَفْوَ عَنِّي وَجَمِيلَ الرِّضَا	فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةَ

وأنشدني، قال: أنشدني هبة الله بن علي النيلي لنفسه في الإنقطاع إلى الله عز وجل:

[من الوافر]

إِلَهِي لَيْسَ لِي جَلْدٌ قَافٍ	عَلَى نَارِ الْجَحِيمِ وَلَا أَطِيقُ
وَلَا تَغْفُ عَنِّي أَوْ تُجَرِّنِي	فَأَنْفِي فِي بَحَارِ رَدَى غَرِيْقُ

وقوله في الاعتبار والتسليم لله تعالى: [من الرمل]

لَيْسَ بِالْذَّائِمِ بُؤْسٌ وَتَرَحُّ	لَا وَلَا يَبْقَى نَعِيمٌ وَفَرَحُ
---------------------------------------	------------------------------------

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ ظَلَامٍ شَامِلٍ
وَضِيَاءٍ ظَاهِرٍ مُشْتَهَرٍ
هِيَ دُنْيَا لَا تُبَالِي هَاجِيًا
فَتَقُوا بِاللَّهِ فَالْحُكْمُ لَهُ
/١٢٩/ وَكُلُّوا الْأَمْرَ إِلَيْهِ تَسْلَمُوا
أَيُّهَا الْمَذْنُوبُ حَرِّصَا نَفْسَهُ
كَمْ وَكَمْ هَذَا التَّعْنِي غَلَطًا
فَاقْتَصِدْ وَأَسْعَ بِرَفَقٍ وَاتَّئِدْ
فَلَكَ الْبُلْغَةُ فَاسْأَلْهَا وَإِنْ
وَلَهُ الشُّكْرُ فَمَنْ شَاءَ إِذَا

عَقَّ عُقْبَاهُ ضِيَاءٌ فَوَضَّحَ
جَاءَهُ جَنَحٌ ظَلَامٌ فَجَنَحَ
دَمَّهَا أَوْ مَادِحًا يَوْمَ مَدَحَ
وَلَهُ مَا عَابَ مِنْهَا وَصَلَحَ
فَمَنْ أَسْتَسْلَمَ حَقًّا يَسْتَرْخِ
يَجْمَعُ الْمَالَ بِتَقْدِيرٍ وَشُخِ
وَالْتَمَنِّي لَأُمُورٍ لَا تَصْخِ
وَأَسْتَمِعْ قَوْلَ صَدُوقٍ قَدْ نَصَحَ
شِئْتَ فَاسْأَلْهُ سُؤَالَ الْمُقْتَرَحِ
مَنَعَ الْفَضْلَ وَمَنْ شَاءَ مَنَحَ

وقال أيضًا في التجلد والإصطبار، وكان قد مرض: [من الكامل]

أَلَمْ أَلَمْ وَعَارِضٌ عَرَضَتْ بِهِ
يَا وَيَحَهَا أَنِّي رَأَيْتُنِي سَالِمًا
فَلْيَجْهَدْ الدَّهْرُ الْمُعَانِدُ جُهْدَهُ
وهذا الذي وقع إلي من أشعاره.

أَسْبَابُ حَظٍّ فِي الْحَضِيضِ مُقِيمٍ
وَمَتَى أَسْتَقِمْتُ وَكُنْتُ غَيْرَ سَقِيمٍ
أَبْدَأُ وَلَوْ بَلَغْتَ إِلَى الْحُلُقُومِ

[٨٨٩]

/١٢٩ ب/ هبة الله بن محمد بن شكر، أبو البركات المصري، المعروف بابن العصار.

شاعر عصرنا ومجيدُهُ، مالكُ عنان القريض كيف ما شاء يقودُهُ، رائق الشعر مصقولُهُ، يُبدع فيما ينشئه ويقولُهُ، أحكم الناس لوشي الكلام رقمًا، وأتقنهم لجواهر الألفاظ والمعاني نظمًا.

سمعتُ الصاحب الوزير شرف الدين أبا البركات المستوفي - رضي الله عنه - يُثني عليه ويصف فضله ويقرِّطُهُ، ثم أنشدني له، قال: أنشدني أبو البركات لنفسه يُصف عَوَادًا:

[من المتقارب]

... فِي وَفِيهِ وَآيَتُهُ
إِنْ شَدَا... أَوْضَرَبَ

يُمِيتُ الْهُمُومَ وَيُحْيِي النُّفُوسَ وَيُبْقِي السُّرُورَ وَيَنْفِي الْكُورَ
تَقُولُ أَعَا جَمَّ أَوْتَارِهِ أَقَاوِيلَ تُخْرَسُ فُصْحَ الْعَرَبِ
فَتَحْرِيكُهَا سَكَنَاتُ الْأَسَى وَتَسْكِينُهَا حَرَكَاتُ الطَّرَبِ

وأنشدني أيضاً، قال: أنشدني أبو البركات ابن العصار قوله: [من الرجز]

١٢٠/ / فَلَا تَرَى فِي النَّاسِ إِلَّا شَاكِرًا لِحُودِهِ شُكْرَ الرِّيَاضِ لِلْمَطَرِ
أَلْسِنُهُمْ صَلَّتْ بِأَيِّ جُودِهِ فِي قُبُلِ الْأَفْوَاهِ يَتْلُوهَا سُورُ

وأنشدني أيضاً قال: أنشدني أبو البركات بن شكر، وكتبها إلي: [من الوافر]

أَنَا اتَّفَقْتُ كُنَانًا فَالْمَعَالِي قَدْ اخْتَلَفْتُ وَأَنْتَ أَجَلٌ قَدْرًا
فَإِنْ مُحَمَّدًا مَنْ لَمْ يَكُنْ بِكُنَيْتِهِ جَمِيعُ النَّاسِ طَرًّا

قال: فكتبت إليه جوابها على الوزن والروي: [من الوافر]

إِنْ اخْتَلَفْتُ كَمَا قُلْتَ الْمَعَالِي فَإِنَّكَ رَبُّهَا الْمَشْهُورُ قَدْرًا
إِذَا النُّعْمَى حَبَاكَ بِهَا أَبْنُ شُكْرِ فَكَيْفَ تُطِيقُ أَنْ تُؤْلِيَهُ شُكْرًا

وأنشدني أبو الفتح محمد بن بدل بن أبي المعمر بن إسماعيل التبريزي بإربل - رحمه

الله تعالى -:

١٣٠ب/ قال: أنشدني أبو البركات هبة الله بن محمد بن شكر المصري بإربل

لنفسه، ما كتبه إلي بعض الرؤساء. وكان قد حُمَّ وأبُلَّ من الحمى وأحسن في قوله:

[من البسيط]

شَفَاكَ لِلنَّاسِ أَحْيَا مَيِّتَ الْأَمَلِ مِنْ بَعْدِ مَا بَاتَتِ الْعَلْيَا عَلَى وَجَلِ
قَالَتْ: مَعَاذِ رَبِّهَا الْحُمَى فَقَدْ قَصَدَتْ فَخَرًّا بِجَسْمِكَ حَاشَا مَنْ الْعَلَلِ
هَبْنِي عَكَاشَةً فِي ذَنْبِ أَتَيْتُ بِهِ وَخَاتَمَ الْجُودِ هَذَا خَاتَمَ الرُّسُلِ
رَأَمْتُ فَخَارًا كَمَا رَامَ النَّجَاةَ وَقَدْ تُنَالُ قَاصِيَةَ الْأَغْرَاضِ بِالْحِيلِ

وأنشدني أيضاً، قال: أنشدني أبو البركات بن شكر، له في غلام مليح الصورة ذي

ذؤابة طويلة راكب فرس أشقر: [من المتقارب]

١٣١/ / وَأَسْمَرَ فِي جَفْنِهِ أَيْضُ لِرَوْضَةٍ وَجَّتْهُ حَارِسُ
يُنْبِئُهُ مِنْ عِيُونِ الْهَوَى لِعَشْقَتِهِ طَرَفُهُ النَّاعِسُ

عَدَارَاكِبًا لَوْنٌ خَدْلُهُ بَنِيرَانِهِ يَهْتَدِي الْقَابِسُ
يَجْرُرُ دُرُوبَتَهُ خَلْفَهُ كَمَا جَرَّ ذَابِلُهُ الْفَارِسُ

وأنشدني أبو المجد أسعد بن إبراهيم الكاتب النشأبي الإربلي بها، قال: أنشدني أبو البركات بن شكر المصري لنفسه في غلام جميل كان واقفاً في خدمة الملك الأشرف موسى بن أبي بكر بن أيوب - رحمه الله تعالى - فجازت الشمس عليه فاستتر منها، فأنشد ابن العصار المصري مرتجلاً: [من البسيط]

/١٣١ب/ وَغَضْنَ بَانَ قُلُوبُ النَّاسِ قَاطِبَةً
بَدَا فَبَدَأَ أَعْلَاهُ لَنَا قَمَرًا
هُوَ الْغَزَالُ وَلَكِنْ قَدْ عَجِبْتُ لَهُ
وَوَظَلُّ مُحْتَجِبًا عَنْهَا وَمُسْتَرًّا
فَقُلْتُ: حَسْبُكَ لَا يُخْشَى اجْتِمَاعُكُمْ
مِنْهُ عَلَى خَطَرٍ إِنْ مَاسَ أَوْ خَطَرًا
فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ مَا لِلْعَقْلِ قَدْ قَمَرًا
مَنْ الْغَزَالَةُ مُذْ زَارَتْهُ إِذْ نَفَرًا^(١)
مَنْهَا وَنُورَاهُمَا لِلنَّاسِ قَدْ ظَهَرَا
فَالشَّمْسُ لَا يَنْغِي أَنْ تُدْرِكَ: الْقَمَرَا

[٨٩٠]

هبة الله بن محمد المجدي .

الذي يغلب على الظن أن هذا الشاعر من أهل الديار المصرية .

صار إلي من شعره هذه القصيدة يمدح بها بعض الرؤساء: [من البسيط]

هَبُوا الْمُعْنَى بَلِيلِي مَنْ يُعَانِيهِ تَلَطَّفًا بَلَطِيفٍ مِنْ مَعَانِيهِ
وَلَا تَلُومُوهُ فِي وَجْدِي كَابِدُهُ فَقِي تَحْلِيهِ مَنْ يَهْوَى تَحْلِيهِ
دَعُوهُ يَرُوي حَدِيثًا عَنْ شَمَائِلِهَا فَكُلُّ ذِي ظَمَأٍ يَرُويهِ يَرُويهِ
كَمْ مِنْ مَشُوقٍ يُنَادِي فِي رِكَائِبِهَا بِخَاطِرِ ضَلٍّ فِي تَشْدِيدِهِ شَادِيهِ
بِمَا بِجَفْنَيْكَ مَنْ أَمِنَ وَمَنْ وَجَلَ سَرِي الصَّبَابَةِ عَنْ قَلْبِي يَسْرِيهِ
بِأَسْهُمٍ سَلَبَتْ بَعْضَ الْأَنَامِ قُوَى غُضِّي عَنْ الْبَعْضِ هَذَا الطَّرْفِ غُضِّيهِ
/١٣٢/ وَكُلُّ قَفَرٍ فُؤَادٌ مُوحَشٍ سُذْفٍ مَتَى تَحْلِيهِ يَالَيْلِي تَحْلِيهِ
وَمَا لِمَنْ شَفَهُ دَاءُ الْغَرَامِ سَوَى وَضَلَّ يُعَافِيهِ أَوْ هَجَرَ يُعْقِيهِ

وَأَهْيَفَ خَاطَرَتْ بِالصَّبِّ خَطَرْتُهُ
 سَقَتْ غَوَادِي حَيَاهُ غُصْنُ قَامَتِهِ
 وَقَامَ يَجْلُو حُمَيَّا ثَغْرَهُ فَعَدَا
 أَعَارَ لِلَّيْلِ سُرْبَالَ النَّهَارِ كَمَا
 جَلَّ الَّذِي فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ صَوْرُهُ
 فَلَيْسَ خَاطِبُهُ يَوْمًا يُخَاطِبُهُ
 سَرَى إِلَى كُلِّ قَلْبٍ سَحْرُ بَابِلِهِ
 وَكَلَّمَ مَاتَ سُكْرًا عَنْ لَوَاحِظِهِ
 يَا غَارِسَ الْوَرْدِ فَوْقَ الْخَدِّ تَحْفُهُ
 أَفْتَاكَ حُسْنُكَ يَا فَتَاكَ فِي دَمِهِ
 يَا مَنْزِلًا قَصَرَ الْأَيَّامَ مِنْ زَمَنِي
 وَأَنْتَ يَا سَعْدُ إِنَّهُ عَنْ مُحَاوَرَتِي
 / ١٣٢ب / كَيْفَ السَّيْلِ إِلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ بِهِ
 هَذَا فَوَادِي وَهَذَا الْوَجْدُ سَاكِنُهُ

تُنْسَى الْغُصُونُ عَلَيْهِ فِي تَنْيِهِ
 خَمْرًا فَمَا فِيهِ مِنْ سُكْرٍ فَمَنْ فِيهِ
 كَأَنَّمَا كَأْسُهُ بِالنُّورِ كَأْسِيهِ
 أَعَارَهُ اللَّيْلُ فَرْعًا مِنْ دِيَاغِيهِ
 أَفْدِيهِ مِنْ مُفْرَدٍ فِي الْحُسْنِ أَفْدِيهِ
 فِيمَا يَرُومُ وَلَا حَاوِيَهُ حَاوِيَهُ
 يَصِيدُ بِاللَّحْظِ مَهْمَارًا رَاجِيَهُ
 يَعْتَادُهُ وَيُحْيِيهِ فَيُخَيِّبُهُ
 مَهْلًا فَجَانِيهِ بِالتَّسْهِيدِ جَانِيهِ
 فَمَنْ لِحُسْنِكَ بِالْإِحْسَانِ يُفْتِيهِ
 عَهْدًا بَطُولَ نَوَاحِي فِي نَوَاحِيهِ
 فِي الصَّبْرِ عَنْهُ وَفِي وَجْدِي بِهِ إِنَّهُ
 وَالْوَجْدُ فِي مُهْجَتِي يَا وَنِكَ يَاوِيَهُ
 يَا مَيَّ سَالِيهِ بِي إِنْ كُنْتُ سَالِيَهُ

[٨٩١]

هبةُ الله بن محمد بن هبة الله بن منصور بن أبي سعد بن
 الحسن بن منصور، أبو الكرم القصاب، الشيرازي الأصل،
 الموصلي المولد والمنشأ.

المعروف بابن الدانش مندو، ومعنى هذا اللفظة وتفسيرها إمام القوم وخطيبهم.

شاب قد وخطه الشيب، ضعيف العينين. شاهده به بحلب في أواخر شهر رمضان سنة
 خمس وأربعين وستمائة؛ وأخبرني أنه ولد سنة تسع وتسعين وخمسمائة بالموصل، وذكر
 لي أنه حفظ الكتاب العزيز، وقرأ طرفًا من العربية على الأديب أبي العباس أحمد بن
 الحسين بن أحمد بن الخباز النحوي الموصلي.

وجاش خاطره بالقريض ونظم منه أشياء حسناً في فنون متعددة وأغراضٍ يستطرفها
 ذوو الآداب تصدر عن طبع حسن وقريحة مطاوعة.

أنشدني لنفسه ما قاله / ١٣٣ / على لسان المسجد الجامع العتيق بالموصل :

[من الطويل]

شَكَا جَامِعُ الْحَدْبَا الْعَتِيقُ لِرَبِّهِ وَقَالَ إِلَهِي مَنْ بَثَّ أَرِي أَخَذُ
وَمَنْ لِي مُجِيرٌ مِنْ يَدَيَّ شَرِّ مَعْشَرَ بَلَيْتُ بِهِمْ دَهْرِي وَمَنْ لِي نَاقِذُ
أَنْاسٍ هُمْ شَبُهَ الشَّيَاطِينِ حَيْثُ مَا اسْتَقَلُّوا وَإِنِّي مِنْهُمْ بِكَ عَائِذُ
إِذَا حَلَّ هَذَا فَهُوَ بِالذَّهْنِ عَابِثُ وَإِنْ حَلَّ هَذَا كَانَ لِلْحُضَرِ جَابِثُ^(١)
وَكُلُّ يَقُولِ الْمَلِكِ مَا فِيهِ أَجْرَةٌ خَرَابٌ وَمَا بِي مِنْ أَوْلِي الْأَمْرِ لَائِذُ
وَمَا فِيهِمْ إِلَّا لِحَقِّكَ جَاحِدُ وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا لِأَمْرِكَ نَابِذُ
وَفِي زَمَنِ الْمَلِكِ الرَّحِيمِ وَعَدْلِهِ أَيْجُمُلُ أَنْ أَعْرِى وَتُكْسَى الْجَهَابِذُ

الملك الرحيم هو بدر الدين أبو الفضائل لؤلؤ بن عبد الله - صاحب الموصل - كان يلقب بذلك .

فَلَا زَالَ دَا أَمْرٍ مُطَاعٍ وَحُكْمُهُ مَدَى الدَّهْرِ فِي أَهْلِ الْبَسِيطَةِ نَافِذُ

وأنشدني ما قاله في بني مُهاجر الموصليين : [من السريع]

مُهَاجِرُ صَاخَ لَهُ سَمْعِي وَقَائِلُ مُتَحَنِّ عَنْ بَنِي
فَقُلْتُ : فِيهَا عَلَّةُ الْجَمْعِ أَمْوَالُهُمْ لَمْ يَمْنَعُوا صَرْفَهَا
مَا بَنَيْتُ إِلَّا عَلَى الرَّفْعِ وَالْوَزْنَ وَالْوَصْفُ وَأَيْدِلُهُمْ
ضَبٌّ وَهَذَا سَبَبُ الْمَنْعِ قَالُوا : بِمَاذَا جَرُّهَا ؟ قُلْتُ : بِالنَّصِ

وأنشدني لنفسه في الحمى للحبيب وهو معنى غريب : [من الخفيف]

قَاسَمَتْنِي الْحُمَى عَنَادًا عَلَى حُ جَبِي لَهُ فَهِيَ دَائِمًا تَغْشَاهُ
قُلْتُ : كُفِّي الْمَزَارَ عَنْهُ فَقَالَتْ : أَنَا أَهْوَاهُ مِثْلَ مَا تَهْوَاهُ
قُلْتُ : قَدْ فُزْتُ بِالْعِنَاقِ مِنَ الْحِ سَبِّ فَبِاللَّهِ قَبْلِي مِنْهُ فَاهُ

وأنشدني لنفسه ما قاله على لسان سُكْرُجَةَ النَّرْدِ : [من المنسرح]

حَلَلْتُ بَيْنَ الْبُرُوجِ فِي فَلَكَ حَوَى نَجُومًا كَالسَّبْعَةِ الشُّهْبِ

لَكِنْ نُجُومِي لَهَا الْفَخَارُ كَمَا تَحْكُمُ بِالْغَيْبِ وَهِيَ لَمْ تَغِبِ

وأنشدني له في بني مهاجر: [من الطويل]

١١٣٤/ يَقُولُونَ لِي إِنْ تَهْجُ بَيْتَ مُهَاجِرٍ فَإِنَّهُمْ لِلْهَجْوِ دُونَ الْوَرَى أَهْلُ
كَمَالِهِمْ نَقْصٌ وَشَمْسُهُمْ دَجَى وَعِزُّهُمْ ذُلٌّ وَتَاجُهُمْ نَعْلُ

وأنشدني لنفسه في المحتسب أبي علي الحسن بن الحسن بن نصر الله بن علوان بن

مهاجر: [من السريع]

مَنْ كَانَ يَسْتَوْجِبُ فِيمَا مَضَى بفعله الذمّ مَدَى الدَّهْرِ
فَمَذَتْ وَلَيَّتْ أَقْرَّ الْوَرَى كَلَّ لَهُ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ

وأنشدني لنفسه في امرأة علوية - يُقال لها بنت الطوراني وكانت فاركا^(١):

[من البسيط]

قَالُوا: فَلَانَةً لَمْ تَثْبُتْ بِمَنْزِلِهَا يَوْمًا وَتَنَسَّبُ مِنْ أَشْرَافِ عَدَنَانَ
فَقُلْتُ: لَوْ أَنَّهَا مَنْسُوبَةٌ ثَبَّتَتْ حَقًّا وَلَكِنَّهَا مِنْ نَسْلِ طُورَانَ

وأنشدني لنفسه ما قاله في حماته: [من الوافر]

١٣٤ب/ وَأَعْظَمُ مِنْ مُلَمَّاتٍ تَوَالَّتْ عَلَيَّ صُرُوفُهَا بِيَدِ الْعُدَاةِ
رَجَائِي مِنَ الْحَمَاءِ بَيَاضَ وَجْهِهِ وَهَلْ وَجْهُهُ بَيِضٌ بِالْحَمَاءِ

وأنشدني أيضاً له فيها: [من الخفيف]

لِي حَمَاءٌ مَا قُلْتُ فِي الصُّبْحِ هَذَا الصُّ بَحْ إِلَّا تَقُولُ هَذَا الْمَسَاءُ
وَإِذَا اللَّيْلُ جَنَّ، قُلْتُ: ظِلَامُ اللَّ يَلْ قَالَتْ: أَلَيْسَ هَذَا ضِيَاءُ؟
رَكِبْتُ مِنْهَجَ الْخِلَافِ فَلَا نُصْ حَاتَعِي فَهِيَ صَخْرَةٌ صَمَاءُ
وَهِيَ سَعْلَاءٌ فَدَفَدَ وَهِيَ فِي الْمَدِّ مَسَّ تَاللهِ حَيَّةٌ رَقْطَاءُ
هِيَ صَلَّ سَلِيمُهَا مَالَهُ رَا قِ وَدَاءُ قَدْ مَلَّ مِنْهُ الْإِسَاءُ
تَعْتَدِي الْفِضَّةُ اللَّجِينَ لَدَيْهَا وَهِيَ بَعْدَ أَيْضَاضِهَا سَوْدَاءُ

وأنشدني لنفسه يهجو: [من الطويل]

مَدَدْتُ قَفَاهُ ثُمَّ إِنِّي قَصَرْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ جَاءَ عِنْدَ أَوْلِي الْحِجَى
فَقَالَ: بِمَاذَا عَنْ خُطَاكَ تُعَبِّرُ
بِأَنَّ الْقَفَا طُورًا يَمُدُّ وَيُقْصَرُ

وأنشدني له في محبوبين، ثم أخرجنا من الحبس: [من الوافر]

لَئِنْ حَبَبْتُكُمَا الْيَّامُ عَنِّي / ١٣٥ /
لَأَنَّ الشَّمْسَ تَكْسُو الْأَرْضَ نُورًا
وَقَدْ يَفْرِي الْحَسَامُ الصَّلْتُ هَامَ الـ
وَمَهْمَا اللَّيْثُ يَفْرُقُ مِنْ سَطَاهُ الـ
وَيَنَّ السَّجَنَ لَأَفْقِيَالٍ عَزُ
فَشُكْرًا حَيْثُ كَانَ بِكُمْ قَرِيْبًا
فَلَيْسَ بِضَائِرِ ذَلِكَ الْحَجَابُ
وَيَحْجُبُهَا عَنِ الْعَيْنِ السَّحَابُ
عَدَا قَهْرًا وَيُخْفِيهِ الْقَرَابُ
وَرَى لَمْ يَنْشِ خَيْسٌ وَعَاقِبُ
كَمَا تَعْتَزُّ بِالْخَذِرِ الْكَعَابُ
عَلَى رُغْمِ الْعِدَا ذَلِكَ الْإِيَابُ

وأنشدني لنفسه في رجلٍ، صَنَّفَ كِتَابًا فِي الْمَسْئَلَةِ وَالْجَوَابِ شِعْرًا يَلْقَبُ الْمَوْفِقُ

محمَّد: [من الكامل]

قَالُوا: الْمَوْفِقُ ذُو الْفُنُونِ مُحَمَّدٌ
بِمَسَائِلِ تَكْسُو الْبَلِيدَ بِلَاغَةً
نَظْمًا كَسَلُكَ الدُّرَّ إِلَّا أَنَّهُ
لَا يَعْتَرِي الرَّأْيَ لَهُ مَلَكٌ وَلَا آ
/ ١٣٥ ب / دَقَّتْ مَعَانِي لَفْظُهُ فَعَدَا جَلِيْدُ
فَلَهُ عَلَى نَجْمِ الثُّرَيَّا رُتْبَةٌ
فَلَقَدْ تَجَاوَزَ مَنْ مَضَى مُتَقَدِّمًا
فِي عَصْرِهِ وَسَمَا عَلَى كُلِّ الْوَرَى
وَتَرَوْهُ خَبْرًا لِلْبَلِيغِ وَمَخْبَرًا
مَنْ سَمَطُهُ فِي الْعَيْنِ أَبْهَى مِنْظَرًا
لَا يَأْمُ تُخْلَقُهُ إِذَا مَآكُرًا
بِالْوَهْمِ فِي إِدْرَاكِهِ مُتَحَيِّرًا
لَوْرَامَهَا بِدُرِّ السَّمَاءِ لَقْصَرًا
عِلْمًا وَأَتَعَبَ مَنْ أَتَى مُتَأَخِّرًا

وأنشدني لنفسه في حسين بن عمر بن العَصَّارِ، حِينَ مَاتَ وَكَانَ كَبِيرَ الْأَنْفِ:

[من المنسرح]

قَالُوا: حُسَيْنُ الْعَصَّارِ مَاتَ وَمَا
قُلْتُ: وَأَيُّ اللَّحُودِ وَارْتَهُ وَالـ
قَالُوا: شَقَقْنَا لِحْدًا لِحِثِّهِ
رَأَى لَهُ فِي حَيَاتِهِ فَرَجًا
لَحْدُ أَرَاهُ لَأَنْفِهِ حَرَجًا^(١)
ثُمَّ عَقَدْنَا لَأَنْفِهِ أَرْجَا

وأنشدني أيضاً لنفسه يهجو قومًا: [من مجزوء الكامل]

إِنْ قُلْتُ لِمَ أَنْ لَا مَعَا
يَا عَصْبَةَ دُونَ الْوَرَى
تَاللَّهِ إِنَّكُمْ غَدَا
/ ١٣٦ / إِنْ تَنْكُرُوا قَوْلِي فَلَا
أَوْ تَزْعُمُونَ بِجَهْلِكُمْ
وَيَقُولُ كُلُّ إِنَّنِّي
لَوْ لَاكُمْ تَاللَّهِ مَا
مَا فِيكُمْ مَا لَيْسَ يُؤْ
إِلَّا بِأَنْ مَرَامَكُمْ

دَلَّكُمْ فَقَوْلُكُمْ عَنَادُ
ضَلُّوا وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا
بِالْحَوْضِ إِنْ تَرُدُّوا تُذَادُوا
نَ النَّارِ يُخْفِيهَا الزَّنَادُ
وَالْغِيَّ قَدْ عَدَمَ الرَّشَادُ
قُسُّ وَتَنْكُرُهُ إِيَادُ
عُرِفَ الْفُسُوقُ وَلَا الْفَسَادُ
جَدَفِي الْأَنَامِ وَلَا يَكَادُ
مُقَلِّ وَفِي شُهُمْ رُقَادُ^(١)

وحدثني، قال: رأيت بيتين مُفردين من الشعر، فأحببت أن أضيف إليهما أبياتاً على

نمطهما، وخُبرْتُ أنهما ليزيد بن معاوية فقلت: [من الخفيف]

رُبَّ بَكْرٍ عَذْرَاءَ فِي مَهْرَجَانِ
بَاكَرْتَنَا بِكَاسِهَا وَالْدُّجَى تَبْدُ
فِي رِيَاضِ تَزْهِي بَنُورِ أَفْجَاحِ
/ ١٣٦ ب / وَنَدِيمِ حَلِيفِ دَنْ وَقَارِ
قَالَ: أَخْبَرْتُ عَنْ رَجَالٍ لَدَيْهِمْ
أَنْ خَيْرَ الْبَقَاعِ أَرْضُ شَدَكِ اللَّ
وَلَصَوْتُ الْأَذَانِ أَنْغَمُ صَوْتُ
قُمْ فَمَآذَا عَلَيْكَ عَارًا إِذَا كُنْ
قُلْتُ إِنِّهَا لَمَنْ أَحَلَّ الَّذِي حُ
فَانْتَنَى مُعْرَضًا وَقَالَ أَنَّاسُ
(شَرِبُوهَا بِجَرَّةٍ وَشَوَّارًا)

ذَاتُ دَلٍّ خَلَعْتُ فِيهَا عَذَارِي
كَيَّ عَلَيْهِ كَوَاكِبُ الْأَسْحَارِ
وَشَقِيقُ وَنَرْجِسٍ وَبَهَارِ
رَبِّ مُجَدِّ مُجَدِّ رَيْنَبٍ وَقَارِ
خَبْرَةٌ بِالْحَدِيثِ وَالْآثَارِ
هُ مِنْ الْغِيِّ حَانَةُ الْخَمَارِ
مَنْهُ فِي الْأُذُنِ نَغْمَةُ الْأَوْتَارِ
تَتَكَسُّو بِالرَّاحِ كَأَسَا عَارِي
رَمَّ بئْسَ الْمَثْوَى وَدَارُ الْبَوَارِ
مَنْ صَحَابِ النَّبِيِّ وَسَطِ النَّهَارِ
سَ بَعِيرٍ فِي مَنَزِلِ الْأَنْصَارِ

(وَاسْتَخَفُّوا بِهَا فَحَرَّمَ اللَّهُ لَهُ عَلَيْهِمْ عُقُوبَةَ الْإِحْتِقَارِ)

هذان البيتان اللذان ضمَّنهما شعره^(١):

شربوها . .

واستخفوا . .

وَلَعَمْرِي لَوْ أَكْرَمَ الْقَوْمُ مَثْوَا هَارَجُونَا بِالرَّاحِ عُقْبَى الدَّارِ
فَأَسْقِنِيهَا قَدْتُكَ نَفْسِي إِذَا كَا نَ مَابِي غَدَاً إِلَى غَفَّارِ

وله قصائد مطولة جيدة المقاطع والمخالص والإبتداءات، امتدح بها الأكابر .

[٨٩٢]

/١٣٧/ هبة الله بن أبي المجد الكاتب، أبو القاسم المصري .

صاحب ديوان الإنشاء .

وكان ذا فضل وعلم وبراعة وفصاحة وأدب وشعر، وله رسائل مستجادة وكتابة مرضية . وكان من خواص الملك المنصور ناصر الدين أبي المعالي محمد بن عمر بن شهنشاه - صاحب حماة - وذوي الحظوة عنده .

وكان مع ذلك شاعراً مقصداً كتابي الشعر؛ وهو القائل في الملك المنصور - صاحب

حماة :- [من مجزوء الرجز]

عَلَى ضِيَاءِ الْقَمَرِ قَافَتْ بِحُسْنِ الْمَنْظَرِ
قَامَمَةً غُضْنَ نَضْرَ يَانَعُهُ بِالنَّظَرِ
مَثَلُ لُمَاهَا الْعَطَرِ طَافَتْ بِكَاسِ قَرْقَفِ
مَنْ قَبْلَ شُرْبِ الْمُسْكَرِ فَأُسْكَرَتْ لِحَاطُهَا
أَزْهَارُهَا كَالزُّهْرِ يَسْعَى بِهَا فِي رَوْضَةِ
وَمِنْ شَقِيْقٍ أَحْمَرِ فَمِنْ بَهَارِ أَصْفَرِ

(١) لم أجدهما في ديوانه .

١٣٧ب/ كَأَنَّهَُا جَوَاهِرُ
 نَمَّتْ بِسِرِّ نَشْرَهَا
 أَوْ كَثَّتْ الْمَنْصُورُ ذِي الـ
 مَلِكُ بِرَأَاهُ اللَّهُ إِفْدُ
 وَمِنْ نَدَى كَفَيْهِهْ إِيدُ
 مُفَرَّقُ الطُّغْيَانِ عَن
 وَمَنْ حَمَى الدِّينَ الَّذِي
 مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ الْوَرَى
 طَبَقَهَا عَاذِلًا وَأَمْنًا
 وَعُورَفَ الْعُرْفُ بِهِ
 فَقَدْ ذَرُهُ قَدْ أَرْتَقَى
 وَوَارِثُ الْمُلُوكِ بِحَدِ
 يَا مُشْتَرِي الْحَمْدِ الثَّمِينِ
 أَنْتَ الَّذِي سِيرَتُهُ
 ١٣٨أ/ يُزْرِي نَدَى وَسَطْوَةٍ
 يَا نَاصِرَ الدِّينِ وَالـ
 يَا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى
 أَحْيَيْتَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَا
 بَعَزَمَةٍ مَثَلِ الْقَضَا
 فَجُنْدُكَ الْأَمَلُوكُ رِي

عَلَى بِسَاطِ أَخْضَرِ
 رِيحُ كَنْشَرِ الْعَنْبَرِ
 جُودُ الْكَرِيمِ الْعَنْصَرِ
 دَامًا لِكُلِّ عَسْكَرِ
 سَارٍ لِكُلِّ مُعَسَّرِ
 صَالِيهِهِ الْمُكْسَرِ
 بِأَمْرِهِ لَمْ يُذْعَرْ
 قَدْ رُوِّعُوا بِالْحَذَرِ
 كَالسَّحَابِ الْمُطَرِ
 وَزَالَ كُفْلُ مُنْكَرِ
 فَوْقَ السُّهَى وَالْمُشْتَرِي
 قُتِّبَتْ لَمْ يُنْكَرِ
 أَنْتَ خَيْرُ مُشْتَرِي
 مَحَّتْ جَمِيعَ السَّيَرِ
 بِحَبَاتِهِمْ وَعَتَّ
 لَدُنِّيَا وَعَيْتُ الْمُقْتَرِ
 فَقِيرِنَا وَالْمُوسِرِ
 وَالْمَدْحُ كُلُّ مُقْبَرِ
 الْحَاكِمِ الْمُقْتَدِرِ
 حَايِيَّةُ الْمُعْسَكِرِ

ومنها:

يَا مَلِكًا بَعَزَمَهُ
 إِنْ بَمُلْكِكَ دَائِمِ
 لَأَزِلْتَ يَا مَوْلَى الْوَرَى
 فِي نِعْمَةٍ دَائِمَةٍ

فَاقِ عَلَى الْإِسْكَنْدَرِ
 فِي ظِلِّ عَيْشِ خَضَرِ
 مُؤَيَّدًا بِالظَّفَرِ
 وَدَوْلَةٍ لَمْ تُقَهَرِ

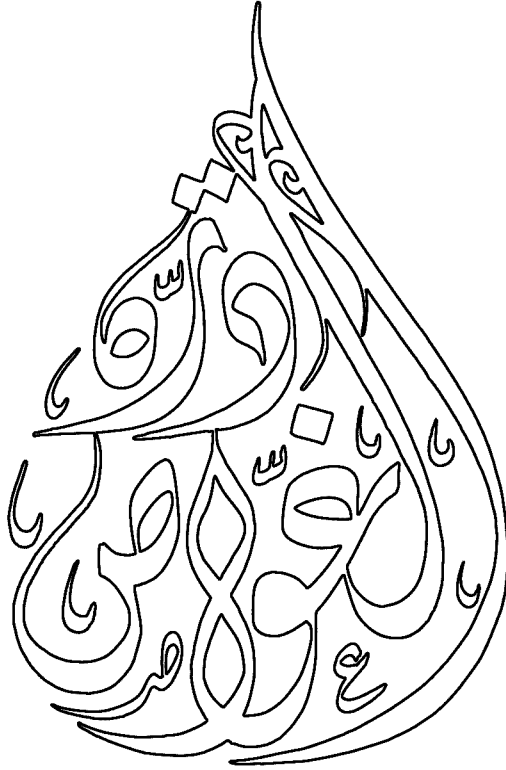
[٨٩٣]

هبةُ الله بنُ يوسفَ بنِ خُمُرَ تاشَ، أبو الفتوح البغدادي^(١).

كان مولعاً بكتب الحكمة والإطلاع على أقاويل الأوائل. وكان فيه أدب، وينظم شعراً. وكانت ولادته في يوم الجمعة / ١٣٨ ب / سابع رمضان سنة تسع وعشرين وخمسماية، وتوفي سادس عشر جمادى الآخرة سنة ست وستماية.

ومن الشعر الذي يُعزى إليه ما قاله في نعل النبي ﷺ: [من الوافر]

بِوُدِّي تُرْبُ ذَاكَ النَّعْلِ أَنِّي	جَعَلْتُ سَحِيقَهُ فِي وَسْطِ جَفْنِي
وَأَذْخَرُ مِنْهُ طَيْباً عِنْدَ مَوْتِي	يُذَرُّ عَلَيَّ فِي كَفْنِي وَقُطْنِي
أَعْقُرُ فَوْقَ مَوْطِيءِ أَخْمَصِيهِ	بِخَدِّي فَعَلَ شَيْعِي وَسُنِّي
رَجَاءً أَنْ يَكُونَ غَدًا شَفِيعِي	وَحَسْبِي ذَاكَ مِنْهُ حُسْنُ ظَنِّي



(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٣٢٩/٢٧ - ٣٣٠. التكملة للمندري ١٥٥/٢ رقم ١٠٦٠. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ - ٦١٠) ص ١٩٥ رقم ٢٧٦ وفيه: «توفي سنة خمس وستماية».

ذكر من اسمه هلال

[٨٩٤]

هَلَالُ بْنُ حَبِيبٍ بْنِ هَلَالٍ بْنِ جَابِرٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ هُبَةَ اللَّهِ بْنِ
سَابُورَ بْنِ نَعْمَانَ بْنِ هَرْدَسَ بْنِ حَوْشَبَ، أَبُو الْبَدْرِ النَّصْرَانِيُّ.

من أهل هيت^(١)، زعم أنه من أولاد الأخطل الشاعر^(٢).

رأيتُه متطبباً بمدينة السلام، يغشى كبراءها وأعيانها، ويقول الأشعار، وله طبع في
نظمها.

أنشدني لنفسه ببغداد في سنة اثنتين وعشرين وستمائة - من لفظه وحفظه إملاءً - من
قصيدة أولها: [من الكامل]

أُسْعَادُ هَلْ لَكَ فِي الْهَوَى أَنْ تُسْعِدِي	صَبَا أَصَبْتَ الْقَلْبَ مِنْهُ بِمَوْعِدِ
لَا تَحْرَمِي الْإِحْسَانَ يَا حَسَنَاءَ مَنْ	يَهْوَى هَوَاكَ فَتَحْرَمِي وَتَوَدَّي ^(٣)
وَذَرِي الْمَتِيِّمْ أَنْ يَفُوزَ بِنَظَرَةٍ	يُحْيِي بِهَا فَالْحُسْنَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
وَإِذَا قَدَرْتَ عَلَى الْجَمِيلِ فَبَادِرِي	لَا تَتْرُكِي فَعْلَ الْجَمِيلِ إِلَى عَدِ
فَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى أَحْوَالِهِ	طَوْرًا يَضِلُّ بِنَاوِطُورًا يَهْتَدِي
كَمْ قَدْ أَبَادَ مِنَ الْأَلَى وَذَوِي الْعُلَا	مَنْ كَلَّ جَبَّارَ عَيْنِدَ أَصِيدِ
١٣٩/ب/ أَيْنَ الْمُلُوكُ ذُووُ الْمَمَالِكِ وَالْأَلَى	شَادُوا الثُّغُورَ بَجَنْدَلٍ وَبَقَرَمَدِ
جَمَعُوا وَلَمْ يَنْفَعُهُمْ مَا جَمَعُوا	مَنْ جَوْهَرَ أَوْ فَضَّةً أَوْ عَسْجَدِ
لَمْ يَبْقَ بَعْدَهُمْ سِوَى حُسْنِ الشَّا	وَالْخَيْرُ ذُخْرُ صَالِحٍ لَمْ يَنْفَدِ

(١) هيت: بلدة على الفرات، فوق الأنبار، على جهة البرية في غربي الفرات. انظر: معجم البلدان/ مادة (هيت).

(٢) الأخطل: غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، من بني تغلب، أبو مالك، ولد سنة ١٩ هـ وتوفي سنة ٩٠ هـ، شاعر مصقول الألفاظ، حسن الدباجة، في شعره إبداع.

(٣) تحرمي: تمنعي.

ومنها :

وَإِذَا الْفَتَىٰ شَهِدَتْ لَهُ آرَآؤُهُ ظَنَّ الْمَنِيَّةَ لِلرَّجَالِ بِمَرْصَدِ
فَلَيَقْتَتِي أَتْبَرَ الْكِرَامِ وَسَعِيَّهُمْ وَلَيَتَّقِي شَرَّ اللَّئَامِ الْحُسَدِ

[٨٩٥]

هلالُ بنُ أبي الفضل بن هلال بن بختيار بن الحسن بن
محمد بن عبد القادر بن كرم أبو النجم الحلاوي الجبلي^(١).

وجبل - بفتح الجيم وتشديد الباء الموحدة - من تحت قرية من قرى مدينة السلام^(٢).

شيخ قصير؛ رأيته بحلب المحروسة يوم الخميس سادس عشر جمادى الأولى سنة
أربع وثلاثين وستمائة، ظاهر الشيب، غير أنه يسترّه بالخضاب بادي الحرف، قد أثر الفقر
عليه والإملاق. يرتزق الناس بشعره، ويقنع منهم بالشيء النزر الطفيف.

أخبرني / ١٤٠ / أنه ولد بجبل سادس عشر رجب سنة ثمان وستين وخمسمائة.
ونشأ ببغداد، وذكر لي أنه يرجع في نسبه إلى سعد بن معاذ الأنصاري - رضي الله عنه - وأن
له نسباً متصلاً إليه.

قدم بلاد الشام، وتوطن حلب يمدح أكابرها والمقدمين بها من ذوي النعم، ولم يزل
بها إلى أن توفي بعلة الإسهال يوم الثلاثاء ثامن رجب آخر النهار، ودفن يوم الأربعاء ظاهر
البلد بمقبرة باب الجنان، وذلك في سنة ست وثلاثين وستمائة - رحمه الله تعالى -.

ومما أنشدني لنفسه وقد أمره الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب
- رحمه الله تعالى - أن يعمل على وزن هذا البيت وهو :

قَفِي نَشَاكِي لَوْعَةِ الْبَيْنِ يَا عَلَوَى

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧ / ٣٧ وفيه: «الملقب زربول الأدب».

(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (جبل)، وفيه: أنها «بلدة على جانب دجلة من الجانب الشرقي بين النعمانية
وواسط».

فأنشأ أبو النجم هذه الأبيات: [من الطويل]

سَقَى الْعَارِضُ الْوَسْمِيَّ دُونَ رَبِّي حَزَوِي
 دِيَارُ عَهْدَنَاهَا مَتَى لَمْ يُرَوْهَا الـ
 وَقَفْتُ بِهَا أَشْكُو الْغَرَامَ وَمَا الَّذِي
 / ١٤٠ب / رَعَى اللَّهُ ذِيَاكَ الزَّمَانَ وَعَيْشَنَا
 وَطَبِيبَةَ أَنْسٍ لَا تُصَادُ وَلَحْظَهَا
 تَمِيسُ بَقْدٍ يَخْجُلُ الْغَضَنُ لِنَيْهِ
 يُرَنِّحُهَا سُكْرُ الصَّبَا فَتَخَالَهَا
 أَلَا إِنْ قَتَلَ الْعَاشِقِينَ مُحَرَّمٌ
 خُذُوا بَدَمِي أَلْحَاطْهَا فَبَخْذَهَا
 وَقَدْ حَمَلْتَنِي فِي الْهَوَى بِصُدُودِهَا
 وَلَمَّا دُعِينَا لِلْوَدَاعِ وَبَيْنَنَا
 أَشَارَتْ بِكَفٍّ مِنْ دَمِي فِيهِ شَاهِدٌ
 فَلَلَهُ مَا أَحْلَى الْهَوَى وَأَمَرَهُ
 أَلَا إِنْ دَاءَ الْحُصْبِ فِينَا دَوَاؤُهُ
 وَأَعْيَدَ مَمْشُوقُ الْقَوَامِ مُهْفَهَفُ
 مِنَ التُّرْكِ لِمَا لَا تُدَانِي صَفَاتُهُ
 أَحَقُّ عَلَيَّ قَلْبِي مَتَى أَدْعُ بِاسْمِهِ
 / ١٤١أ / جَفَا فَجَفَا أَجْفَانِ عَيْنِي رُقَادَهَا
 وَأَنْتِي وَإِنْ جَارَ الزَّمَانُ وَرَاعَنِي
 لِمُسْتَظْهِرٍ بِالظَّاهِرِ الْمَلِكِ الَّذِي

وَحَيَا نَشَاصِي الْحَيَا مَعْهَدًا أَفْوَى
 حَيَا فَدُمُوعُ الْعَاشِقِينَ لَهَا أَرْوَى
 عَلَى وَامِقٍ يُجَدِّي إِلَيَّ طَلَلُ شَكْوَى
 مَعَ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ نَقَطْعُهُ لَهْوَا
 بِقَنْصِ الْأَسْوَدِ الشُّوسِ بِالْغُنْجِ مَا أَغْوَى
 وَوَجْهَ كَضْوَى الشَّمْسِ يُشْرِقُ بَلْ أَضْوَى
 إِذَا مَا تَثَنَّتْ فِي غَالَتِهَا نَشْوَى
 فَمَنْ فِي دَمِي أُعْطِيَ لَوَاحِظَهَا فَتَوَى
 إِذَا أَنْكَرْتَ لِي شَاهِدٌ يَثْبُتُ الدَّعْوَى
 مِنَ الْوَجْدِ مَا لَمْ يَسْتَطِعْ حَمْلُهُ رَضْوَى
 مُنَاجَاةُ سِرِّ وَالْهَوَى يُعْلَنُ النَّجْوَى
 عَلَى مَعْصَمٍ مِنْ لَيْنِهِ كَادَ أَنْ يُلْوَى
 وَفِي الْحُبِّ مَا أَشَقَى وَأَنْعَمَ مَنْ يَهْوَى
 عَزِيزٌ وَإِنْ هَانَتْ مُعَالَجَةُ الْأَدْوَا
 أَعَنَّ غَضِيزُ الطَّرْفِ طَاوِي الْحِشَا أُخْوَى
 سَعَادٌ وَلَا تَسْمُو إِلَيَّ حُسْنُهُ أَرْوَى
 وَأَكْرَمُ عِنْدِي مَنْ سَلِمَ مَنْ عَلَوَى
 عَلَى عِلْمِهِ أَنِّي عَلَى الْبَيْنِ لَا أَفْوَى
 بِأَحْدَاثِ خَطْبٍ فِي فُؤَادِي لَهَا مَشْوَى
 حَدِيثُ النَّدَى وَالْجُودِ عَنْ كَفِّهِ يَرْوَى

وأنشدني أيضاً لنفسه يمدح الملك الأشرف شاه أرمن مظفر الدين أبا الفتح موسى بن

أبي بكر بن أيوب - رحمه الله تعالى - وكان أولاً في خدمته: [من الكامل]

رُدُّوا الرُّقَادَ إِلَى الْجُفُونِ وَعُودُوا وَلَمَنْ بَرَّتْهُ يَدُ الصَّبَابَةِ عُودُوا^(١)

فَلَقَدْ أَذَابَ الْبَيْنُ جِسْمَ مُحِبِّكُمْ
لَمْ يُلْهِهِ عَنْ ذِكْرِكُمْ وَهَوَاكُمْ
وَكَأَنَّ عَرَفَ رِيَّاحِ أَرْضِكُمْ لَهُ
أَلْفَ الضَّنَى فَحَيَاتُهُ فِي حُبِّكُمْ
أُتْرَى يَعُودُ الدَّهْرُ أَوْ يَخْضَرُ لِي
/ ١٤١ب / أَوْ يَرْجِعُ الْعَيْشُ الَّذِي سَلَفَتْ لَنَا
فَتَرْفُقُوا بِمَتْنِمْ أَضْنَاهُ مُذْ
أَصْفَاكُمْ مُحَضَّ الْوُدَادِ فَحَظُّهُ
فَسَقَى زَمَانَ وَصَالَكُمْ مُتَعَجِّرُ
كَسَمَاحِ كَفِّ الْأَشْرَفِ الْمَلِكِ الَّذِي
شَاهُ أَرَمَنِ السُّلْطَانِ سَيْفِ اللَّهِ فِي
بِالسَّعْدِ سِرُّ اللَّهِ فِيهِ فَسَعِيَّةُ
يَسْرِي بِجَيْشِ خَيْلِهِ لِنَعَالِهَا
كَالْفَتْخِ غَادِيَّةٌ وَفِي صَهَوَاتِهَا
أَلْفُوا مُكَافَحَةَ الْكُمَاةِ كَأَنَّمَا
فَبَطُّونُ عَقَبَانَ الْفَلَا وَوَحُوشَهَا
جَيْشٌ كَأَمْوَاجِ الْبَحَارِ حَدِيدُهُ
لَجِبٌ بِوَجْهِ الشَّمْسِ مِنْهُ وَسَمْعُهَا
فَالْيَبِضُ تَوْمَضُ وَالصَّهِيلُ كَأَنَّمَا
/ ١٤٢أ / يَسْرِي بِهَا مِنْ آلِ شَاذِي مَالِكِ
الْأَشْرَفِ إِبْنِ الْعَادِلِ الْمَلِكِ الَّذِي

فَكَأَنَّهُ مَمَّا يَكْبَدُ عُودُ^(١)
نَائِي وَلَا شَغَلَ الصَّبَابَةَ عُودُ^(٢)
مُسْكُ إِذَا هَبَّ النَّسِيمُ وَعُودُ^(٣)
مَرَّ الزَّمَانُ مَطَامِعُ وَوَعُودُ^(٤)
بِوَصَالِكُمْ بَعْدَ التَّفَرُّقِ عُودُ^(٥)
أَوْفَاتُهُ بِالْوَصْلِ وَهِيَ سُعُودُ
فَارْقُتْمُوهُ الْهَمُّ وَالْتَسْهِيدُ
مَنْ حُبُّكُمْ أَبَدًا جَفَا وَصَدُودُ
عَدُوُّ لَهُ فِي الْخَافِقِينَ مُدُودُ
دَانَتْ لِدَوْلَتِهِ الْمُلُوكُ الصَّيْدُ
قَمْعُ الطُّغَاةِ فَظَلُّهُ الْمَمْدُودُ
فِي نَصْرِ دِينَ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدُودُ
بِخُدُودِ أَجَوَازِ الْفَلَا تَخْدِيدُ
أَسَدُ وَكُلُّ أَغْلَبٍ صَنْدِيدُ^(٦)
لَهُمُ الْقُلُوبُ عَلَى الْحَدِيدِ حَدِيدُ
بَسُيُوفِهِمُ لِلدَّارِ عَيْنَ لُحُودُ
وَبِهِ تَضَيَّقُ عَلَى عِدَاهُ الْبِيدُ
كَكَلْفٍ وَوَقَرُ عَثِيرٍ وَبُنُودُ
تَحْتَ الْعَجَّاجِ بَوَارِقُ وَرُعُودُ
عَدَتِ الْمُلُوكُ لَدَيْهِ وَهِيَ عَيْنُودُ
لِي مِنْ فَضَائِلِهِ غِنَى مَوْجُودُ

(١) عود: نحيف، ضعيف.

(٢) عود: آلة الطرب.

(٣) عود: نوع من الطيب.

(٤) وعود: جمع وعد.

(٥) عود: عود الشجر.

(٦) الفتح: جمع أفنخ: الأسد العريض الكف.

بشربِ بواعثه تُنْفَحُ خَاطِرِي
ذَلَّتْ حُمَاةُ الشَّرْكَ مِنْ سَطَوَاتِهِ
فَكَانَمَا الْأَفْلَاكُ طَوْعُ مُرَادِهِ
فَالْعِزُّ حَيْثُ سَيُوفُهُ مُشْهُورَةٌ
وَلَهُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ مَنَاقِبُ
فَفَتَّحَ وَإِنْ وَيَوْمَ بَاشَرَا وَفِي
إِذْ عَزَّ وَالرُّومِيُّ قَالَ قَرِينُهُ
وَبَزَابُ إِرْبَلٍ إِذْ غَدَتِ مِنْ بَأْسِهِ
وَلَهُ عَلَى دَمِيطِ آيَاتٍ لَهَا
لَمَّا عَلَا فَرَعُونَ كَيْدَهُمْ سَطَا
لَبَسُوا الْحَدِيدَ فَذَابَ مِنْ سَطَوَاتِهِ
مَلِكٌ يَرَى فُضَّادَهُ مِنْهُ الْغَنَى
/ ١٤٢ ب / كَمْ قَاصِدٌ يَغْشَاهُ وَهُوَ مُؤَمِّلٌ
وَيَوْمُهُ دُؤْفَاةٌ وَخَصَاصَةٌ
يَا نُوقُ دُونَكَ وَالْجَرِيرَةُ وَالْغَنَى
فَلَدَى إِبْنِ سَيْفِ الدِّينِ يُلْتَمَسُ الْغَنَى
وَعَلَى عَهْدٍ لَا يَرُوعُكَ بَعْدَهَا
إِنِّي وَقَدْ أَدْنَيْتَنِي مِنْ مَالِكَ
فَكَانَ هَذَا الدَّهْرُ شَخْصٌ لَبَسُهُ
وَبَجِيدُهُ مِنْ دُرِّ حُسْنِ صِفَاتِهِ
مَوْلَايَ يَا مَلِكَ الْمُلُوكِ وَشَمْسَهَا
أَنَا عَبْدُ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَكْنَفَهَا
قَدْ كَانَ غُضَنِي يَانِعًا مِنْ قُرْبِهَا
بُضْعٌ وَعَشْرُ سِنِينَ سَاءَتْ حَالَتِي

وَنَدَى يَجُودُ قَرِيحَتِي فَتُجِيدُ
وَبِهِ يَعِزُّ الدِّينُ وَالتَّوْحِيدُ
وَلَهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ جُنُودُ
وَالنَّصْرُ حَيْثُ لَوَاؤُهُ مَعْقُودُ
تَسْمُو بِأَنْ يُحْصَى لَهُنَّ عَدِيدُ
بَقَعَاءَ مَنِحَ فَتُكْغُهُ مُشْهُودُ
فِي الذَّلِّ هَذَا مَا لَدَى عَتِيدُ
تَشْغَلُ الْإِقْبَالُ وَهِيَ أَسْوَدُ
أَضَحَتْ مَلُوكُ الشَّرْكَ وَهِيَ سُجُودُ
مُوسَى بَعِزْمٍ لِلطَّغَاةِ يَكِيدُ
فَانْصَبَّ فِي الْأَقْدَامِ فَهُوَ قِيدُ
وَيَعِزُّ مَا دَحَهُ بِهِ وَيَسُودُ
فَيَعُودُ وَهُوَ مُؤَمِّلٌ مَقْصُودُ
فَيُؤُوبُ وَهُوَ عَلَى الْغَنَى مُحْسُودُ
لَا تَسْأَمِي حَيْثُ الْمَزَارُ بَعِيدُ
وَالْفُضْلُ جِسمٌ عِنْدَهُ وَالْجُودُ
أَبْدًا دَمِيلٌ فِي السُّرَى وَوَحِيدُ^(١)
لَنَزِيلِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِيدُ
مَنْ وَشَى أَنْعَمَهُ الْجَسَامُ بِرُودُ
حَلِي يَزِينُ قَلَائِدُ وَعُقُودُ
يَا مَنْ بِمَا تَحْوِي يَدَاهُ تَجُودُ
يَا وَي إِلَيْهَا خَائِفٌ وَطَرِيدُ
حَتَّى بَعْدَتْ وَجَفَّ مَنِّي الْعُودُ
فِيهِنَّ إِذَا نَاعَنْ حَمَاكَ بَعِيدُ

وَإِذَا سَلِمْتَ فَإِنِّي مُتَحَفِّقٌ أَنَّ الَّذِي قَدْ فَاتَنِي سَيَعُودُ

وقال أيضاً / ١٤٣ / يُهَيِّ الأَمِير بدر الدين أَيْدُمَر الوالي بالحجّ : [من الرجز]

قُدُومٌ جَدُّ بالسُّعُودِ نَيْرُ سَمَابُهُ الْمُلْكُ وَسِرُّ الْبَشَرُ
قُدُومٌ إِقْبَالُ بِهِ كُلُّ الْوَرَى مُغْتَبَطٌ مَبْتَهَجٌ مُسْتَبَشِرُ
قُدُومٌ مَنْ لَطَائِرِ الْيَمْنِ لَهُ قَوَادِمُ بِالنُّضْرِ فِيهِ تَشَرُّ
صَبْحَةُ عَيْدِ فِيهِ جَاءَتْ عَجَبًا وَافِيٌّ بِهَا فِي مُتَهَاهُ صَفَرُ
سَرِّ قُلُوبِ الْخَلْقِ بِذَرِّ الدِّينِ إِذَا بَدَا كَبْدَرُ طَالِعِ أَيْدُمَرُ
سَيِّدُ جَمْعِ الْأَمْرَاءِ فِي الْوَرَى وَإِنْ نَهَوْا فِي مَلِكِهِمْ أَوْ أَمَرُوا
دَعَابُهُ اللَّهُ فَلَبَّى طَائِعًا يَنْذِلُ مَا عَنْهُ الْمُلُوكُ تَقْصُرُ
بِكُلِّ عَوْدٍ شَدَقَمِيٍّ وَجَدِيٍّ لِي يَجُوبُ الْبَرُّ وَهُوَ أَفْقَرُ
وَكُلِّ طَرْفٍ سَابِحٍ يُرَى إِذَا دَجَا قَتَامُ النَّقْعِ وَهُوَ أَشْقَرُ
يُقَلُّ أَسَادُ شَرِّ مَنْ يَبْضُهَا وَسُمْرَهَا أَيْبَاهَا وَالظُّفَرُ
مَنْ كُلُّ لَيْثٍ فِي وَغَى كَانَهُ فِي الْبَاسِ لَيْثٌ وَاللَّقَاءُ نَمَرُ
شَوْسٌ إِذَا مَا الْبَيْضُ فِي أَكْفِهِمْ صَلَّتْ عَلَى هَامِ الْكُمَاةِ كَبَرُوا
/ ١٤٣ ب / يُطْرِبُهُمْ رَيْنُنُ أَسْيَافِهِمْ لَا النَّيَّاءُ فِي نَعْمَتِهِ وَالْوَتَرُ
بِعَزْمِ بَذْرِ الدِّينِ تَسْطُو فِي الْعَدَا وَالنَّقْعُ دَاجٍ وَالْعَجَاجُ أَكْدَرُ
هَذَا وَكَمْ إِحْسَانُهُ بُتُّ مَنْ أَلِ مَعْرُوفٌ عُرْفًا لَا يَكَادُ يُحْصَرُ
مَنْ رِيَّ ظَمَانٍ وَشَبْعٍ جَائِعٍ وَكُسُوءَ لِكُلِّ عَارٍ يُذْكَرُ
وَرَدَفُ ذِي عِيٍّ وَرَفْدُ عَايِزٍ يَدَاهُ عَنُ إِتْفَاقُهُ تَقْصُرُ
وَبَعْدَ قَطْعِ الْيَدِ وَالْعَيْسُ بِهَا مِنْ الْوَجِيفِ وَالْوَجَى تَضَجَّرُ
أَحْلَ غَمَرِ الْبَرِّ إِذَا أَحْرَمَ فِي دِيَارِ قَوْمٍ قَدْ عَقَاهَا الضَّرَرُ
فِي عَرَفَاتٍ عَرَفَتْ مَعْرُوفَهُ عَجَمُ الْوَرَى وَعُزْبُهُ وَالْحَضَرُ
أَجِيبَ إِذْ لَبَّى وَسُرَّ الْجَبَلُ أَلِ مِمُّونٌ فِي وَقْتِهِ وَالْمَشْعَرُ
رَمَى الْجَمَارَ فِي مَنَى وَبِالْمَنَى أَيْدُهُ الْمُهَيْمِنُ الْمُقْتَدِرُ
سَعَى وَطَافَ ثُمَّ مَاءَ زَمْزَمَ أَقَاضَ وَهُوَ الطَّاهِرُ الْمُطَهَّرُ
سُرَّتْ بِهِ الْكَعْبَةُ ثُمَّ الْحَرَمُ الْأَ مِينُ ثُمَّ حَجْرُهُ وَالْحَجَرُ

عُمْرَةٌ فَهُوَ النَّاسِكُ الْمُعْتَمِرُ
أَجَلٌ دُخِرَ فِي الْمَعَادِ يُذْخِرُ
لِوَائِهِ وَنَشْرُهُ مُسْطَرُ
عَرَابٌ قَدْ تَجَمَّعُوا وَكَثَرُوا
سُلَامٌ هَذَا الْأَرْوَعُ الْغَضَنَفَرُ
مِنْ كَأْسِ مَنْوَنٍ وَالْمَزَاجِ عَثِيرُ
كُحْمَاءُ أَسَدًا لِبُسْهَاءِ السَّنَوْرِ^(١)
وَعَادٌ وَهُوَ بِالْعَدَا مُظْفَرُ
عَلَى الْعَدَا فِي اللَّزَبَاتِ يَظْهَرُ
مِيرَافِي جَلَالِهِ لَا يُنْكَرُ
تَرْنَمِ الْوُرُقِ وَمَاسِ الشَّجَرِ

وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى بِهِ اسْتَمْسَكَ وَال
وَزَارَ قَبْرِ الْمُصْطَفَى وَإِنَّهُ
/ ١٤٤ / وَعَادَ يَبْغِي حَلْبًا وَالنَّصْرُ فِي
حَجٍّ وَعَادَ فِي غَزَاةٍ إِذْ رَأَى الْآ
لِنَهَبٍ وَفَدَّ اللَّهُ جَاءُوا فَحَمَى الْإِ
وَكَمْ سَقَى الطَّعَاةَ فِي هَدْيَةٍ
أُبْرَزَ بِالْأَبْرِقِ وَالْقَاعِ مِنَ الْ
وَأَرْغَمَ الْعُرْبَ وَشَتَّ شَمْلَهُمْ
وَالْمَلِكُ الظَّاهِرُ مَا زَالَ بِهِ
وَالآنَ مُلْكُ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ بِالْآ
فَدَامَ فِي الْإِقْبَالِ وَالتَّائِيدِ مَا

وقال يمدحه : [من الكامل]

لَمَّا تَغْنَى الْوُرُقُ فِي الْأَغْصَانِ
وَلَهَا وَأَشْجَانًا عَلَى أَشْجَانِ
فَلَذِيذُ نَوْمِي قَدْ جَفَا أَجْفَانِي
جَوْرًا عَلَيَّ وَعَنْهُمْ أَقْصَانِي
فَرَجٌ وَشَوْقِي أَخَذَ بَعْنَانِي
مِنْ لُبِّ قَلْبِي فِي أَعَزِّ مَكَانِ
لَمْ يَذَرِ كَيْفَ طَرَأَتْ هُجْرَانِ
مُتَعَنِّجَرٍ غَدَقَ الْحَيَا هَتَّانِ
عَنْ طَوْلِهِ يَتَقَاصِرُ الثَّقَلَانِ
جَمُّ لِقَاصٍ فِي الْأَنَامِ وَدَانِي
تَعْلُو قَوَاعِدُهُ عَلَى كَيَوَانِ
فِي الْجُودِ وَالْمَعْرُوفِ يَخْتَلِفَانِ

نَفْسٌ تَصَاعَدَ مِنْ فُؤَادِ عَانِي
فَأَثَارَ وَجْدِي وَالْغَرَامَ وَزَادَنِي
فَأَرَقْتُ عِنْدَ تَذْكَرِي دَهْرًا مَضَى
يَا سَادَةَ حَكَمِ الزَّمَانِ يُعْجِدُهُمْ
/ ١٤٤ ب / أَنِّي لِقَلْبِي مِنْ جَوَى تَذْكَارِكُمْ
إِنْ غَيْبُكُمْ عَنْ نَظَرِي فَخَيَالُكُمْ
لَا تَقْتُلُوا بِالْصَدِّ صَبَا عَنْكُمْ
فَسَقَى زَمَانَ وَصَالَكُمْ مِنْ وَابِلِ
كَسَمَاحِ بَذْرِ الدِّينِ أَيْدُمَرِ الَّذِي
الْوَاهِبِ الرِّفْدِ الْجَزِيلِ فَجُودُهُ
مَلِكُ بَنَى بِالْجُودِ مَجْدًا شَامَخَا
بَحْرُ تَجَاوَرُهُ الْفَرَاتُ وَإِنَّمَا

مُنْهَلَّةٌ بِالتَّبَرِّ وَالْعَفْيَانِ
مَاءُ الْمَبَاحِ بِكَفِّهِ سَيَّانِ
لَيْثٌ وَنَارُ الْحَرْبِ فِي الْهَيْجَانِ
بِحُسَامِهِ مِنْ كُلِّ ظَهْرٍ حَصَانِ
بَيْضُ الظُّبَا وَذَوَابِلُ الْمَرَّانِ
دَامِي الْمُهَنْدِ مِنْ دَمِ الْأَقْرَانِ
قَسْرًا وَيَعْمَلُ حَدُّ كُلِّ سَنَانِ
كَالْدَرِّ يُنْظَمُ فِي صُدُورِ حَسَانِ
فِي أَمْرِهِ كَالْوَالِهِ الْحَيْرَانِ
يَبْغِي نَدَاكَ الْعَمْرَ مَنْ حَرَّانِ
لَقْدُومِكَ الْمَيْمُونِ يَوْمَ تَهَانِي
مَوْسُومَةَ كَالْدَرِّ وَالْمَرْجَانِ
جَمَعَ الَّذِي أَوْلَيْتَ مِنْ إِحْسَانِ
فِي الشَّعْرِ مَرْصُوفٌ كَنْظَمِ جُمَانِ
مَتَوَسَّطِ الْأَيَّامِ فِي شَعْبَانِ

هَٰذِي تَجُودُ بِمَائِهَا وَأَكْفُ ذَا
أَلْفَ السَّمَاحَةِ وَالنَّدَى فَاَلْمَالُ وَالْ
غَيْثُ إِذَا عَامَ الْبَرِّيَّةُ مُجْدِبُ
وَمُنْكَسُ الْأَبْطَالِ فِي يَوْمِ الْوَعَى
الْقَائِدُ الْأَسَدُ الضَّرَاغِمَ خَيْسُهَا
مِنْ كُلِّ أَهْرَتَ فِي الْكَرْيَةِ لَمْ يَزَلْ
/١٤٥/ فَبِعِزْمِ بَذْرِ الدِّينِ تَفْتِكُ فِي الْعَدَا
يَا أَوْحَدًا فِي فَضْلِهِ خُذْ مَدْحَةً
جَاءَتْكَ تَشْفَعُ فِي أَبْنِهَا إِنَّهُ
مَنْ بَعْدَ بَضْعِ سَنِينَ وَافَى قَاصِدًا
وَأَقَامَ شَهْرًا كَامِلًا مُتَنَظِّرًا
وَجَلَا عَلَى يَوْمِ الْهَنَاءِ قَصِيدَةً
وَأَتَى بِثَانِيَةٍ وَثَالِثَةٍ بِهَا
وَجَمِيعُ صُنْعِكَ فِي الطَّرِيقِ وَمَكَّةَ
فَارْسُومِ وَعِشْ وَأَسْلَمِ لِمَدْحِ جَاءَ فِي

وقال أيضاً يمدحه : [من البسيط]

وَالطَّرْفُ فِي سَنَةٍ مِنْ سَهْوَةِ السَّهَرِ
يَعُودُ فَقَدْ مَوْجُودٌ عَلَى الْأَثَرِ
لَكِنْ أَطْوَلَهَا كَاللَّمْجِ بِالْبَصَرِ
نَارِي فَلَيْتَ الْخَيَالَ الزَّوْرَ لَمْ يَزُرْ
عِشَاءً تَصْرَمُ بَيْنَ الضَّالِّ وَالسُّمْرِ
أَقْضِي مِنَ الْوَجْدِ لَوْلَا تَسْمَةُ السَّحَرِ
مَوْلَاهُ الْقَلْبَ بَيْنَ الْهَمِّ وَالْفَكْرِ
شَمْسٌ بَدَتْ فِي دُجَى لَيْلٍ مِنَ الشَّعْرِ
بِالشَّهْدِ مُمْتَزَجٌ مِنْ رَيْقِهَا الْخَصْرِ
فِي حَتَفٍ نَاطِرِهَا سَيْفًا مِنَ النَّظَرِ

حَيَا فَأَحْيَا خَيَالَ مِنْكَ فِي السَّحَرِ
قُضِنَ حَتَّى بَسَلِيمٍ وَعَادَ كَمَا
فَيَا لَهَا زَوْرَةً سُرَّ الْكَيْبُ بِهَا
سَرَى فَسَرَى كَلَمَعَ الْبَرْقِ وَاضْطَرَمَتْ
/١٤٥ب/ أَثَارُ وَجْدِي وَأَشْوَاقِي وَأَذْكَرْنِي
إِنِّي أَكَادُ إِذَا جَنَّ الدُّجَى أَسْفَا
وَعَادَةً مِنْ ظَبَاءِ الْإِنْسِ ظَلْتُ بِهَا
كَأَنَّ غُرَّتَهَا مِنْ تَحْتَ طَرَّتَهَا
فَالْوَرْدُ مِنْ خَدَّهَا وَالْمِسْكُ تَنْشَقُّهُ
تُرْكِيَّةُ الْأَصْلِ خَافَانِيَّةُ شَهْرَتِ

مَنْ لِي وَإِنْ كَانَتْ الْأَحْدَاقُ نَاهِبَةً
 هَلْ مُسْعِدٌ يَا وَلَاَةَ الْحُبِّ لِي فَلَقَدْ
 جَفَا الْكَرَى إِذْ جَفَتْ جَفْنِي وَأَنْحَلْنِي
 وَاضِيَعَةَ الْعُمَرِ فِيمَا قَدْ بَلَيْتُ بِهِ
 فَجَادَ عَصْرَ الصَّبَا مُتَعَجِّرٌ غَدَقٌ
 أَسْمَى الْبَرِيَّةَ مَجْدًا سَيِّدَ الْأَمْرَازِي الطَّ
 مَلِكُ بِأَنْعَمِهِ الْغُرَّ الْجَسَامِ عَلَى
 أَجَابَ لَمَّا دَعَاَهُ اللَّهُ مُبْتَدِرًا
 / ١٤٦ / وَسَارَ وَالنِّيبُ فِي الْبَيْدَاءِ مُعْنَقَةٌ
 كَمْ حَجَّةٌ كُتِبَتْ فِي كُلِّ مَرَحَلَةٍ
 مِنْ رِيٍّ ذِي ظَمَأٍ مَعَ شَبْعٍ ذِي سَغَبٍ
 حَتَّى قَضَى مَا عَلَيْهِ اللَّهُ أَوْجَبَهُ
 وَزَارَ مَنْ بَعْدَ تَكْمِيلِ الْمَنَاسِكِ قَبْ
 وَاتَّبَعَ الْحَجَّ فَضْلًا فِي هَدْيَةٍ
 جَاءُوا وَيُرِيدُونَ وَفَدَا اللَّهُ كَسْبَهُمْ
 فِي الْقَاعِ وَالْأَبْرَقِ أَلْتَامَتْ جُمُوعُهُمْ
 فَأَبْرَزَ الْأَسَدُ بَدْرُ الدِّينِ ضَارِيَةً
 وَغَادَرَ الْقَوْمَ صَرَعَى فِي الْفَلَاةِ عَلَى
 هَذَا الْغَضَنَفَرُ بَدْرُ الدِّينِ سَيْفُ بَنِي
 الطَّاعِنِ الْأَلْفِ يَوْمَ الْحَرْبِ مِنْ فَرَقٍ
 لَا تَخْتَصِرُ فِي الْأَمَانِي يَا مُؤَمِّلَهُ
 يَلْقَاكَ بِالْمَالِ طَلَقَ الْوَجْهَ مُعْتَذِرًا
 / ١٤٦ ب / الْقَائِدُ الْخَيْلِ كَالْعُقْبَانَ صَائِلَةً
 شَبَّهِ السَّلَاحَ تَسْرِي بِالْكُمَاةِ إِلَى
 ثَقُلُ شُوسًا لَهَا الْبَيْضُ الْقَوَاضِبُ وَالِ
 مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ مَقْدَامَ تَشَبَّهُهُ

بَرَدَ قَلْبَ سَبْتِهِ أَعْيُنُ الْخَزَرِ
 تَزَايَدَ الْوُجُدَ لَمَّا عَزَّ مُصْطَبَرِي
 بَعَادُهَا وَتَقَضَّى بِالْمُنَى عُمَرِي
 يَمُضِي الزَّمَانُ وَلَا أَقْضِي بِهِ وَطَرِي
 كَجُودِ رَاحَةِ بَذْرِ الدِّينِ أَيَّدُمَرِ
 سَوْلَ فِي الْعُجْمِ وَالْأَغْرَابِ وَالْحَضَرِ
 حَوَادِثُ الدَّهْرِ وَالْإِمْلَاقِ مُتَّصِرِ
 بِيَذَلْ نَفْسٍ وَمَخْزُونٍ وَمَدَّخَرِ
 تَقْلِي الْفَلَاةَ وَتَطْوِي شُقَّةَ السَّفَرِ
 لَهُ بِصُنْعِ جَزِيلِ الْأَجْرِ مُعْتَبِرِ
 مَعَ وَضَلٍ مُنْقَطِعٍ مَعَ جَبْرِ مُنْكَسِرِ
 فَرَضًا وَمَاسَنَ فِينَا سَيِّدُ الْبَشَرِ
 رَ الْمُصْطَفَى آمِنًا مِنْ سَوْرَةِ الْخَطَرِ
 بِالْغَزَاةِ لَمَّا رَأَى الْأَغْرَابَ فِي كُثْرِ
 فَرَدَّهُمْ عُدَّةَ الْإِسْلَامِ فِي خُسْرِ
 مِنْ كُلِّ ذِي طَمَعٍ مُسْتَلْتِمِ أَشْرِ
 بَعَزَمَ أَرْوَعَ لَا يُعْزَى إِلَى خَوَرِ
 الرَّمْضَاءِ مَا يَنْ مَطْعُونٍ وَمُنْعَفَرِ
 أَيُّوبَ وَالْخُلَفَاءِ الْغُرِّ مَنْ مُضَرِ
 وَالْوَاهِبِ الْأَلْفِ يَوْمَ السَّلَامِ مِنْ بَدْرِ
 فَإِنَّهُ فِي الْعَطَايَا غَيْرُ مُخْتَصِرِ
 أَفْدِيهِ مَنْ جَائِدٌ بِالْمَالِ مُعْتَذِرِ
 فِي كُلِّ نَقْعٍ بِنَارِ الْحَرْبِ مُسْتَعِرِ
 حَتَفَ الْعِدَا فَهِيَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
 خَطَطِي عِنْدَ اللَّقَا كَالنَّابِ وَالظُّفْرِ
 فِي الْبَاسِ بِاللَيْثِ وَالْإِفْدَامِ بِالنَّمْرِ

فِي كُلِّ حَرْبٍ عَلَا فِي النَّقْعِ مَنْ كَدَرَ
بِالْأَسْمَرِ اللَّذْنِ وَالصَّمْصَامَةِ الذَّكَرِ
بَحْرُ الْخَضَمِ وَبَاقِي الْخَلْقِ كَالْغُدْرِ
شَمْسُ النَّهَارِ وَعَنَى الْوُرْقُ فِي الشَّجَرِ

تَسْرِي وَهَمَّةُ بَذْرِ الدِّينِ يَقْدُمُهَا
حَامِي الشَّرِيعَةِ وَالْإِسْلَامِ نَاصِرُهَا
كَهْفُ الْعُقَاةِ مَلَاذُ الْقَاصِدِينَ هُوَ الْوَالِدُ
فَدَامَ فِي الْعِزِّ وَالْإِقْبَالِ مَا طَلَعَتْ

وقال أيضاً يمدحه : [من المنسرح]

ضَاعَ فُؤَادِي يَا صَاحَ عَنْ كَثَبِ
سَاتِ فَاهَا مَنْ أَعْيَنَ الْعَرَبَ
قَسْرًا وَهَذَا مَنْ أَعْجَبَ الْعَجَبَ
قَبَابِ ذَلِكَ الْخَلِيطِ وَالنُّقَبِ
الْجَدِّ يَوْمَ الْعُدَيْبِ وَاللَّعَبِ
حَلَفَ الضَّنَى بِالْصُّدُودِ وَالْوَصَبِ
بِأَسْهُمِ رِيشَهَا مَنْ الْهُدْبِ
قَدْ مُزِجَ الشَّهْدُ فِيهِ بِأَبْنَةِ الْعَنْبِ
ذَلِكَ الرُّضَابِ الْمَعْسُولِ وَالشَّنْبِ
فَارُوقُ فِي رَشْفِ ذَلِكَ الشَّنْبِ
فَالْمُهْجَةُ بَيْنَ السَّعِيرِ وَاللَّهَبِ
مَا بَيْنَ مُتَعَنِّجٍ وَمُنْسَكِبِ
رِ الدِّينِ مُحْيِي عَصَابَةِ الْأَدَبِ
سِوَاهُ لَمْ يَنْتَجِعْ وَلَمْ يَهَبِ
ءِ الْمُشْتَرِي حَمْدُ كُلِّ مُكْتَسِبِ
يَسْمُو بِرُوحِ الْكَوَاكِبِ الشُّهَبِ
مَا تَأْتِلِي مِنْ نَدَاهُ كَالسُّحْبِ
جُودُ يَدِ اللَّجِينِ وَالذَّهَبِ
عَزِيزُ قَسْرٍ مُكْشَفِ الْكُورِ
كَأَسَ الرَّدَى بِالْقَوَاطِعِ الْقُضْبِ
الْأَسَادُ فِي كُلِّ جَحْفَلٍ لَجِبِ

بَيْنَ هَضَابِ الْعُدَيْبِ وَالْكَثَبِ
إِخْتَلَسَتْهُ لَوَاحِظُ الْبَدْوِيِّ
عَيُونُ عَيْنٍ تَغْتَالُ أَسَدَ شَرِي
أَيُّ جَمَالٍ تَحْتَ الْبَرَاقِعِ فِي
وَاهٍ عَلَى قَلْبٍ عَاشِقٍ بَيْنَ
/ ١٤٧ / فِي أَسْرٍ أَخَوِي أَعَنَّ عَادِرَنِي
تَرْشُقُ مَنْ جَفَنَهُ لَوَاحِظُهُ
يَسْمُ عَنْ لُؤْلُؤِ كَأَنَّ بِهِ
قُلٌّ لِلدِّيغِ الْهَوَى شَفَاؤُكَ فِي
وَيَا سَلِيمَ الْفُؤَادِ تَرِيَا فُكَّ الْ
جَفَا الْكَرَى إِذْ جَفَا جُفُونِي
فَجَادَ عَهْدَ اجْتِمَاعِنَا عَدَقُ
كَجُودِ رُكْنِ الْأَمِيرِ ذِي الطُّوْلِ بَدُ
الْوَاهِبِ الرَّفْقِ لِلْعُقَاةِ إِذَا
أَيْدُمَرَ النَّدْبُ سَيِّدَ الْأَمْرَا
مَلِكُ بَنِي بِالسَّمَاكِ مَجْدُ عَلَا
بَحْرِي يَدَاهُ عَلَى الْمُلَمِّ بِهِ
إِنْ ضَنَّ بِالصُّفْرِ غَيْرُهُ فَلَهُ
مَيِّدُ أَعْدَاءِ دَوْلَةِ الْمَلِكِ الْ
/ ١٤٧ ب / كَمْ قَدْ سَقَى كُلَّ فَارِسٍ بَطْلِ
الْقَائِدِ الصَّافِنَاتِ تَقْدُمُهَا

كُلُّ هَزَبٍ مِنْ فَوْقِ سَلْهَبَةٍ
 قَدْ شَمَرُوا وَلَلْقَاوَقْدَ لَيْسُوا الدَّ
 ضَرَاغِمُ خَيْسَهَا بِهِمَّةَ بَدُ
 مُعَزُّ دَيْنِ الْإِسْلَامِ نَاصِرُهُ
 لَمْ يُنَجِّ يَوْمَ النَّزَالِ جَمْعَ بَنِي الْأَ
 بِهِ تُعَوِّرُ التَّوْحِيدَ فِي طَرْبِ
 يَا رَبِّ فَضْلَ عَنِ الْمَلَمِّ بِهِ
 خُذْ بِنْتَ فِكْرٍ لَهَا بِمَذْحَكٍ فِي
 جَاءَتْ تَهْنِئِي بِكَ الْمَوَاسِمِ وَالْأَ
 وَشَهْرُ شَعْبَانَ مُقْبِلٌ وَلَكَ الدَّ
 فَجَذْبُ رَسْمِي فَلْيُ أَصِيبِيَّةُ
 أَرُومُ رُؤْيَاهُمْ فَعِشْ وَأَبْقِ مَا

لَمْ يَبْغِ غَيْرَ الْأَرْوَاحِ مِنْ سَلَبِ
 قُلُوبَ فَوْقَ الدُّرُوعِ وَالْيَلَبِ
 رَالِدَيْنِ قُضِبُ مَعَ الْقَنَا السُّلَبِ
 مُذَلُّ دَيْنِ الطُّغْيَانِ وَالصُّلَبِ
 صَفَرٍ مِنْ بَأْسِهِ سَوَى الْهَرَبِ
 مَدَى اللَّيَالِي وَالشَّرْكَ فِي حَرْبِ
 سَمَاحُ كَفَيْهِ غَيْرُ مُحْتَجِبِ
 مَوَاقِفِ الشُّعْرِ أَشْرَفُ الرُّتَبِ
 غَوَامُ جَمْعًا فِي مُتَهَيِّ رَجَبِ
 هَنَالِهِ فِي السَّنِينَ وَالْحَقَبِ
 بَارِضُ حَرَّانَ شَوْقُهُمْ أَرْبِي
 غَرْدَ وَرْقٍ فِي مُورِقِ الْغَرْبِ

/ ١٤٨ / وقال يرثي ولده مظفر الدين محموداً: [من الكامل]

أَمَدُ الْبَقَاءِ لَدَى الْبَرِيَّةِ فَنَانِي
 وَالْمَرْءُ يَنْظُرُ مَا تُقَدِّمُ نَفْسُهُ
 فَعَلَيْكَ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ فَإِنَّهُ
 وَأَعْلَمُ بَأَنَّ الْخَيْرَ أَفْضَلُ صَاحِبِ
 وَأَخُو السَّعَادَةِ مَنْ أَتَى فِي بَعْثِهِ
 وَأَصْنَعُ مِنَ الْمَعْرُوفِ دُخْرًا فِي غَدِ
 فَيَدُ الْمُنُونِ تَمُدُّهَا فِينَا إِلَى
 وَلَرُبَّ خَطْبٍ جَاءَ نَابِئًا بِمَلَمَةٍ
 وَأَفَتْ بِفَقْدِ مُظَفَّرِ الدِّينِ الَّذِي
 تَبْكِي الْمَوَاكِبُ وَالْجُيُوشُ لِفَقْدِهِ
 تَبْكِي الْجِيَادُ الصَّافِنَاتُ مُصَابَهُ
 وَأَفْجَعَةً فُجِعَ الْأَنَامُ بِأَرْوَعِ
 / ١٤٨ ب / بَكَتِ الْمَمَالِكُ وَالْحُصُونُ وَمِنْ بَهَا

وَالْمَوْتُ مُحْتَوِّمٌ عَلَى الْإِنْسَانِ
 مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ فِي الْمِيزَانِ
 دُخْرِيٌّ يَدُلُّ خَوْفًا بِأَمَانِ
 يُنْجِي مُصَاحِبَهُ مِنَ النَّيِّرَانِ
 مُتَرَدِّدًا بِمَحَاسِنِ الْإِحْسَانِ
 تَلْقَاهُ عِنْدَ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ
 التَّفَرِيقَ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْإِخْوَانِ
 أَبْكَتْ عِيُونَ ذَوِي النُّهَى الْأَعْيَانِ
 أَضْحَى سَلِيبَ طَوَارِقِ الْحَدَثَانِ
 إِذْ كَانَ كَوَكَبِ دَوْلَةِ السُّلْطَانِ
 وَالسَّابِرِيُّ وَمَتْنُ كُلِّ حَصَّانِ
 غَرَقَتْ بِرَائِدِ فَضْلِهِ الثَّقَلَانِ
 حُزْنَا عَلَيْهِ وَسَائِرِ الْبُلْدَانِ

وَمُهَنْدِ صَافِي الْحَدِيدِ يَمَانِي
 دَيْنَ الْعَزَاءِ وَدَائِمُ الْأَحْزَانِ
 فَقَضَىٰ فَآهَ لِهَادِمِ الْأَرْكَانِ
 فِي كُلِّ قَصْرِ شَامِخِ الْبُيَّانِ
 أَسْفًا أَذَابَ حُشَاشَتِي وَشَجَانِي
 عَلَىٰ تَهْلَانِ
 عَوْضًا جَنَانَ الْخُلْدِ مَعَ رِضْوَانِ
 فَرْدُوسِ بَيْنِ الْحُورِ وَالْوُلْدَانِ
 مِنْ كُلِّ وَابِلٍ وَكَفَّ هَتَّانِ
 رَالدَيْنِ سَوْرَةَ كُلِّ خَطْبٍ ثَانِي
 أَسَدَ الشَّرَىٰ فِي كُلِّ يَوْمٍ طَعَانِ
 لَفَحَارِهِ شَرَفٌ عَلَىٰ كَيَّوَانِ
 نَصْرٌ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ وَالطُّغْيَانِ
 وَتَغَنَّتِ الْأَطْيَارُ فِي الْأَغْصَانِ

وَالسَّمْهَرِيَّةُ كُلُّ أَسْمَرَ دَابِلِ
 لِمُصَابِ مَحْمُودِ الْأَمِيرِ مُطْفَرِ الْ
 رُكْنِ وَثِيْقُ هَدْمَتِهِ يَدُ الْقَضَا
 يَبْكِيهِ كُلُّ تَجْمُوعِ بِمَسْرَةِ
 أَسْفًا عَلَىٰ تَنْغِيصِهِ وَشَبَابِهِ
 فَعَلَىٰ صَبَاهُ بَكْلُ قَلْبِ حَسْرَةِ
 فَاللهُ عَنْ طَيْبِ الْحَيَاةِ يُشِيهُ
 وَعَنْ انْقِطَاعِ مَعَاشِرِ الْأَثَرِابِ فِي الْ
 وَسَقَتْ غَوَادِي الْمُزْنَ تُرْبُ ضَرِيحِهِ
 وَكَفَى الْمُهَيَّمَنْ سَيِّدَ الْأَمْرَاءِ بَدُ
 وَلَوْلَدِهِ الْأَنْجَابِ أَطْوَادِ الْعُلَا
 وَأَدَامَ عَزَّ الْمُلُوكِ أَيْدُمِرَ الَّذِي
 فَلِدَوْلَةِ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ بَعَزْمِهِ
 ١٤٩/ دَانَتْ لَهُ الْأَيَّامُ [مَا] وَنَتِ الصَّبَا

وقال يمدح الرئيس صفى الدين إسماعيل بن أبي القاسم الحلبي : [من الكامل]

صَهْبَاءُ مَاءٍ مَزَاجَهَا مَشْمُولُ
 فِي الْكَاسِ فِي جُنْحِ الدَّجَىٰ قُنْدِيلُ
 تَهْدِي الْمَسْرَةَ وَالْهُمُومُ تُزِيلُ
 مِنْ لَيْنِهِ سَكْرُ الصَّبَا فَيَمِيلُ
 فِي اللَّيْنِ غُصْنُ الْبَانَةِ الْمَطْلُولُ
 طَرَفُ بَصْنَعَةِ بَابِلَ مَكْحُولُ
 رَشَاءُ غَضِيضِ الْمُقْلَتَيْنِ كَحِيلُ
 حَادِ بَطْعَنَهُمْ وَجَدَّ رَحِيلُ
 فَالنَّوْمُ إِذْ كَثُرَ السُّهَادُ قَلِيلُ
 فَالْقَلْبُ فِي أَشْرَاكِهَا مَحْبُولُ
 يَفْتَكُ ذَا كُلِّ فِ أَخٍ وَخَلِيلُ

وَأَفْتَكُ فِي غَسَقِ الظَّلَامِ شَمُولُ
 صَفْرَاءُ صَافِيَةٍ كَأَنَّ شِعَاعَهَا
 فَاسْتَجْلَهَا بَيْنَ الْحَسَانِ فَإِنَّهَا
 مِنْ كَفِّ أَهْيَفِ كَالْقَضِيبِ يُمِيدُهُ
 رِيَانُ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ كَأَنَّهُ
 طَبِيٌّ عَلَىٰ قَنْصِ الْأَسْوَدِ يُعِينُهُ
 يَحْكِي الْعِزَالَ تَلَقُّتَا فَكَأَنَّهُ
 وَغَرِيرَةَ غَارَتِ بِعَقْلِي إِذْ حَدَا
 وَسَنَىٰ وَقَدْ نَفَتِ الْكَرَىٰ عَنْ نَاطِرِي
 فَتَّانَةٌ نَصَبَتْ حَبَائِلَ طَرَفَهَا
 ١٤٩ب/ يَا لِلرِّجَالِ وَكَيْفَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَىٰ

إِنْ تَطْلُبُوا قَوْدِي فُكُلٌ مُتَيَّمٌ
 قَدَمِي إِذَا مَا أَنْكَرْتَ أَجْفَانُهَا
 صَدَّتْ فَقُلْتُ: دَعِي الصُّدُودَ فَأَعْرِضَتْ
 وَصُلَّ الْحَسَانَ عَلَى الْمُقَلِّ مُحَرَّمٌ
 فَأَجَبْتُ بِالْخَيْرِ أَبْشِرِي وَلَكَ الْغَنَى
 فَهُوَ الذَّخِيرَةُ سَيِّدُ الرُّؤْسَاءِ ذُو الْ
 الْبَاذِلِ الرَّفْدِ الْجَزِيلِ فَمَجَّدُهُ
 ذُو الْبَاسِ وَالْحَلَمِ الْأَمِيرُ الْأَرْوَعُ الْ
 حَلَبُ تَدِينُ لَهَا بِشْدَةٌ بِأَسِهِ الْآ
 يُرْدِي أَعَادِيهَا بِكُلِّ مُقَدَّمٍ
 لِمُقَدَّمِي حَلَبِ الْكَرَامِ بَفْتَكِهِمْ
 أَسَدُ الْعَرِينِ هُمْ نَوَاجِذُهَا إِذَا افْتَدَى
 حَلَبُ تَسُودَ عَلَى الْبِلَادِ بِأَهْلِهَا
 / ١٥٠ / وَرَيْسُهَا يَسْمُو صَفِي الدِّينِ إِيَّاهُ
 فَلَدَوْلَةُ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ عَلَى الْعَدَا
 هَذَا ابْنُ قَاسِمٍ صَارَ بِيَدِي غِيَا
 مِنْ مَعْشَرٍ لَهُمُ الرِّئَاسَةُ لَمْ تَزَلْ
 فَخَرُوا كَفَخَرِ الْمَلِكِ فِي حَلَبِ بَاسِ
 بِذُرِّيَسِيرٍ بَعْضَبَةِ حَلِيَّةِ
 أَيَّامُهُ زُهِرَ لَهَا أَضْحَى صَفً
 فَلَيْهِنَّ قَاصِدُهُ بَأَنَّ سَمَاحَهُ
 كَمْ قَاصِدٌ يَغْشَاهُ وَهُوَ مُؤَمِّلٌ
 وَلَكُمْ يُلَمُّ بِهِ مَسُودٌ سَائِلٌ
 غَيْثٌ يُعِيدُ الْجَدَبَ خَضِبًا مُمَرَعًا
 فِي الْخَافَقَيْنِ مَدِيحَهُ يَدْعُو إِلَى
 هَنَاهُ قَوْمٌ بِالرِّئَاسَةِ بَلْ بِهِ

دَنَفٌ بِسَيْفٍ لِحَاطَهَا مَقْتُوْلٌ
 قَتَلِي عَلَى الْخَدِّ الْأَسِيلِ يَسِيلُ
 وَمَدَامَعِي تَنْهَلُ وَهِيَ تَقُولُ:
 وَالْمَالُ فِي كِلْتَا يَدَيْكَ قَلِيلُ
 إِذْ لِي إِلَى الْبَحْرِ الْخَضَمُ وَصُولُ
 جَدَوِي صَفِي الدِّينِ إِيَّاهُ
 سَامَ عَلَى الْفَلَكَ الْأَثِيرِ أَثِيلُ
 مَقْدَامُ إِذْ خِيلَ الْجَلَادُ تَجُولُ
 فَاقُ جَمْعًا عَرَضُهَا وَالطُّوْلُ
 يَسْطُو عَلَى أَسَدِ الشَّرَى وَيَصُولُ
 بَاسُ لَغْلَبِ الدَّارِ عَيْنِ يَهُوْلُ
 حَمُوا الْعَجَاجَ قَوَاضِبُ وَنُصُولُ
 جَمْعًا وَكُلُّ بَارِعٍ بِهِلُولُ
 مَاعِيلُ أَهْلُ زَمَانِهِ وَيَطُولُ
 هُوَ سَيْفٌ نَضْرُ مُصْلَتٌ مَسْلُوكُ
 ثِ الدِّينِ مَاضِي الْمَضْرِبِينَ صَقِيلُ
 وَهُمْ شَبَابُ فِتْيَةٍ وَكُهُوْلُ
 مَاعِيلُ نَجَلِ الْقَوْمِ فَهُوَ جَمِيلُ
 كُنْجُومُ سَعْدِ مَا لَهْنُ أَفُولُ
 فِي الدِّينِ وَهُوَ التَّاجُ وَالْإِكْلِيلُ
 عَمْرٌ وَأَمَّا ظَلُّهُ فَظَلِيلُ
 فَيَعُودُ وَهُوَ مُمَوَّلٌ مَأْمُولُ
 فَيُؤَوَّبُ وَهُوَ السَّيِّدُ الْمَسْؤُولُ
 يُغْنِي الْعُقَاةَ الْوَافِدِينَ هَطُولُ
 إِرْفَادُهُ وَلُصُوتُهُ تَرْتِيلُ
 تَهْنِي وَيَهْنِي الْمَلِكُ وَهُوَ جَلِيلُ

كَفَّءٌ بِأَسْبَابِ الْوَلَايَةِ كُلِّهَا قِيلَ بِمَا قَالَ الْكَرَامُ قَوْوُلٌ^(١)
/ ١٥٠ ب / دَامَتْ لَهُ الْأَيَّامُ مَا سَرَتْ الصَّبَا وَيَدَا لُورُقٍ فِي الْغُصُونِ هَدِيلٌ

قال من قصيدة يمدح بها الملك الصالح ناصر الدين أبا الفتح محمود بن محمد بن

داود بن سلمان بن أرتق الأرتقي - صاحب آمد - : [من الكامل]

يَا عَاذِلِي رَفَقًا بَصَبٌ صَبْرُهُ فِي الْحُبِّ يَنْقُصُ وَالْغَرَامُ يَزِيدُ
فَتَتَّهُ مِنْ تِلْكَ الْخُدُودِ كَوَاعِبُ تَسْبِي بِالْحَظِ الرَّبَّارِبِ غَيْدُ
تَحْكِي الشُّمُوسَ وَجُوهَهُنَّ يَقْلُهَا بَيْنَ الْمَضَارِبِ كَالْغُصُونِ قُدُودُ
وَأَنْشُدْ هُنَاكَ قَلْبَ كُلِّ مَتِيَمٍ صَبَّ سَبْتُهُ بِرَاقِعٍ وَعَقُودُ
وَأَحْذَرْ بِذَلِكَ الْمُتَحَنِّي وَقَبَابَهُ فَقَرَأْسُ الْغَزَلَانِ فِيهِ أُسُودُ
فَهُنَاكَ تَأْسِرُ كُلَّ مُرْسَلٍ طَرْفِهِ بَيْنَ الْخِيَامِ نَوَاطِرُ وَخُدُودُ
وَأَعْنِ مُعْتَدِلَ الْقَوَامِ يُمِيلُهُ مِنْ لَيْنِهِ سُكْرُ الصَّبَا فَيَمِيدُ
يَنْضُو سُيُوفًا مِنْ فُتُورٍ لَوَاحِظِ فَلَهَا قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ غُمُودُ
/ ١٥١ / إِنْ أَنْكَرْتَ أَجْفَانَهُ قَتَلِي فَلِي فِي وَجْتِيهِ بِمَا أَدْعَيْتُ شُهُودُ
وَدَوَاءُ مَنْ لَسَبْتَ عَقَارِبُ صَدْغِهِ شَهْدُ بَيْتِهِ لَوْلَوْ مَنْضُودُ
فَلَهُ مِنَ الْغُصْنِ الرِّطِيبِ قَوَامُهُ وَمَنْ الْغَزَالِ عِيُونُهُ وَالْجَيْدُ
رَشَاءُ يَحَارُ لِحُسْنِهِ ذُو فِكْرَةٍ أَرْبُ وَيَخْضَعُ فِي هَوَاهُ جَلِيدُ
يُبْرِي سَلِيمَ هَوَاهُ مِنْ أَلَامِهِ بَرْدٌ نَوَى فِي ثَغْرِهِ وَبَرُودُ
تَسْبِي لَوَاحِظُهُ الْعُقُوقُ كَأَنَّمَا هَارُوتُ فِي أَجْنَادِهِ مَعْدُودُ
مَلَكَتْ مَلَا حَتَّهُ الْقُلُوبُ فَكُلُّ إِنْ سَانَ بَقِيْدَ جَمَالِهِ مَصْفُودُ
فَكَأَنَّ فِي جَفْنِيهِ كُفَّةُ حَابِلٍ وَبَهَا قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ يَصِيدُ
أَوْ صَارِمًا عَضْبًا نَضَاهُ الصَّالِحُ أَلِ مَلِكُ الْجَوَادِ أَخُو النَّدَى مَحْمُودُ
الْوَاهِبُ الرِّقْدَ الْجَزِيلَ وَمَنْ بِهِ يَضْحَى شَقِي الْفَقْرُ وَهُوَ سَعِيدُ
يَا نَوْقُ دُونِكَ أَمْدًا لَا تَسْأَمِي طَوَّلَ الْمَسِيرِ إِذَا الْمَزَارُ بَعِيدُ
وَتَقْنِي مِنْ نَاصِرِ الدِّينِ الْغَنَى فَالْفَضْلُ جَمٌّ عِنْدَهُ وَالْجُودُ

وَعَلَيَّ عَهْدٌ لَا يَرُوعُكَ بَعْدَهَا
 مَلِكٌ يَرَى قُصَادَهُ مِنْهُ الْغَنَى
 / ١٥١ ب / كَمْ قَاصِدٌ يَغْشَاهُ وَهُوَ مُؤَمِّلٌ
 وَيَوْمُهُ دُوفَاقَةٌ وَخَصَاصَةٌ
 مَا الْعَيْشُ إِلَّا أَمَدٌ وَالْأَوْسَلُ الْإِلَ
 وَالرَّفْدُ إِلَّا مَابَهُ ابْنُ مُحَمَّدٍ
 مَلِكٌ مُجَانِبُهُ وَطَالِبُ فَضْلِهِ
 يَخْشَى دُورَ التَّيْجَانِ شِدَّةَ بَأْسِهِ
 فَكَأَنَّمَا الْأَفْلَاكُ طَوَّعَ مُرَادَهُ
 فَالْعَزُّ حَيْثُ سَيُوفُهُ مَشْهُورَةٌ
 شَهْمٌ يَذُلُّ لَدَيْهِ كُلُّ غَضَنَفَرٍ
 شَهِدَتْ عِدَاهُ بِفَضْلِهِ وَالْفَضْلُ مَا
 الْقَائِدُ الْخَيْلَ الْعَتَاقَ حُمَاتِهَا
 كُلُّ إِذَا أَقْتَحَمَ الْعَجَاجَ وَصَالَ فِي
 أَلْفُوا مُكَافَحَةَ الْكُمَاةِ كَأَنَّمَا
 فَبَطُونُ عَقْبَانِ الْفَلَا وَوَحْشُهَا
 / ١٥٢ أ / جَيْشٌ كَأَمْوَاجِ الْبَحَارِ حَدِيدُهُ
 لَجِبٌ بِوَجْهِ الشَّمْسِ مِنْهُ وَسَمْعُهَا
 فَالْيَبِضُ تَوْمَضُ وَالصَّهْلُ كَأَنَّمَا
 يَسْرِي بِهِمَا مَنْ آلَ أُرْتَقَ مَا جَدُّ
 مَلِكٌ يَذُلُّ لِعُظْمِ شِدَّةِ بَأْسِهِ
 فَاقَ ابْنُ دَاوُدَ الْمُلُوكَ جَلَالَةً
 لَا غَرُّوَ إِنْ فَضَلَ الْمُلُوكَ وَقَدْ سَمَا
 مَنْ ذَا يَرُومُ فَخَارَهُ وَلَهُ الْعِلَا
 ذَلَّتْ جُيُوشُ الْمُشْرِكِينَ لِبَأْسِهِ
 يَخْشَى مُلُوكَ الْأَرْضِ شِدَّةَ بَأْسِهِ

أَبْدًا ذَمِيلٌ فِي السُّرَى وَوَيْدٌ
 وَيَعِزُّ مَادِحُهُ بِهِ وَيَسُودُ
 فَيَعُودُ وَهُوَ مُؤَمِّلٌ مَقْصُودُ
 فَيَقُوبُ وَهُوَ عَلَى الْغَنَى مُحْسُودُ
 فَيَفَاحُ لَا رَمْلُ الْحَمَى وَزُرُودُ
 مَحْمُودُ رَبِّ الْمَكْرَمَاتِ يَجُودُ
 هَذَا الشَّقِيُّ بِهِ وَذَا مَسْعُودُ
 وَيَخَافُ سَطْوَتَهُ الْمُلُوكُ الصَّيْدُ
 وَلَهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ جُنُودُ
 وَالنَّصْرُ حَيْثُ لَوَاؤُهُ مَعْقُودُ
 وَيَخَافُ سَطْوَتَهُ الْأَسُودُ السُّودُ
 بَيْنَ الْأَنَامِ بِهِ يُقَرُّ حُسُودُ
 غُلِبَ إِذَا تَارَ الْقَتَامُ أَسُودُ
 يَوْمَ الْكَرِيهَةِ أَغْلِبَ صُنْدِيدُ
 لَهُمُ الْقُلُوبُ عَلَى الْحَدِيدِ حَدِيدُ
 بَسُيُوفُهُمُ لِلدَّارِ عَيْنَ لُحُودُ
 وَبِهِ تَضَيَّقَ عَلَى عِدَاهِ الْبَيْدُ
 كَلَفَ وَوَقَرُ عَثِيرٍ وَبُنُودُ
 تَحْتَ الْعَجَاجِ بَوَارِقُ وَرُعُودُ
 غَدَتِ الْمُلُوكُ لَدَيْهِ وَهِيَ عَيْدُ
 لَوَعَايِنَاهُ تَبَعٌ وَتَمُودُ
 فَلَهُ الْفَخَارُ وَفَضْلُهُ الْمَشْهُودُ
 مَنْ قَبْلُ أَبَاءَ لَهُ وَجْدُودُ
 دُونَ الْبَرِيَّةِ طَارِفٌ وَتَلِيدُ
 قَسْرًا وَعَزَّ الدِّينُ وَالتَّوْحِيدُ
 فَهُمْ لَدَيْهِ رَكْعٌ وَسُجُودُ

عَمَّ الْبِلَادَ بَعْدَ لَه فَالْشَّاءُ فِي
 بَحْرٍ يَسُحُّ عَلَى الْعَفَاةِ سَحَابُهُ
 فَالْعَزُّ يَطْلُبُ كُلَّ رَاجٍ وَالْغَنَى
 يُخْشَى وَيُرْجَى فِي الْأَنَامِ فَجُودُهُ
 / ١٥٢ ب / فَحَيَاةُ رَاجِيهِ وَمَوْتُ عَدُوِّهِ
 يَا مَالِكًا فَاقِ الْمُلُوكَ فَضَائِلًا
 يَا أَوْحَدًا فِي الْعِلْمِ يُفْحَمُ لَفْظُهُ
 يَا أَفْصَحَ الْفُصَحَاءِ حَتَّى جُرُؤُ
 الْعَبْدِ مُعْتَذِرٌ مِنَ التَّقْصِيرِ يَا
 وَجَدِيرٌ أَنْ فِي بَحْرِ حِلْمِكَ وَالنَّدَى
 فَاسْتَجْلَهَا بِكُرٍّ أَتَتْكَ يَزِينُهَا
 وَأَجْبِرْ بِجُودِكَ كَسْرَ نَازِمِهَا فَمَا
 وَأَسْلَمَ وَدُمَ مَا لَاحَ صُبْحُ أَوْبَدَا

أَيَّامِهِ فِي مَوْرِدٍ وَالسَّيْدُ^(١)
 وَيَلْكَدُ لِلْمَوْرَادِ مِنْهُ وَرُودُ
 فَكَلَاهُمَا فِي رُبْعِهِ مَوْجُودُ
 غَمْرٌ وَأَمَّا بَطْشُهُ فَشَدِيدُ
 مِنْهُ وَعُودُ نَجَزٍ وَوَعِيدُ
 غُرًّا فَمَا يُحْصَى لَهُنَّ عَدِيدُ
 قُسًّا فَسَحْبَانُ لَدَيْهِ بَلِيدُ^(٢)
 يَضْحَى لَدَيْهِ مُبْلَدًا وَلَيْدُ
 مَلَكًا عُلَاهُ عَلَى السَّمَاءِ مَشِيدُ
 وَالْعِلْمُ يَغْرِفُ شَاعِرٌ وَقَصِيدُ
 مَنْ مَدَحَ مَجْدَكَ حَلِيَّةٌ وَبِرُودُ
 بَيْنَ الْأَنَامِ سَوَاكَ لِي مَقْصُودُ
 لِلْوُرُقِ فَوْقَ أَرَاكَةِ تَغْرِيدُ

وقال أيضاً يمدحه وهي موشحة مخمسة :

يَا صَاحَ أَصْبَحَ حَبْلُ الْوَصْلِ مَبْتُوتَا
 أَقُولُ إِذْ مَرَّبِي كَالطَّبِّي مَلْفُوقَا
 وَأَعْدِلْ فَنِي مُهَجِ الْعُشَّاقِ وَلَيْتَا
 فِي حُبِّ رَيْمٍ يَرُدُّ الْبَدْرَ مَبْهُوتَا
 رَدَّ الْفُؤَادَ لِيَخْيِي الصَّبُّ حَيْتَا

/ ١٥٣ / وَأَرْحَمُ فَنِي الْحُبِّ قَدْ أَضْحَيْتَ مُقْتَدِرَا
 مُتِمِّمَاً بِكَ أَضْحَى صَفْوُهُ كَدْرَا
 حُوشِيَتْ مِمَّا يُعَانِي الصَّبُّ حُوشِيَتَا
 صَبَّاءُ عَدَا فَيْكَ بَعْدَ الصَّوْنِ مُشْتَهَرَا
 يَا أَسْمَرَ أَصْرْتُ فِي حُبِّي لَهُ سَمَرَا

يَا بَدْرَتَمَّ لَهُ زُرُّ الْقَبَا فَلَكَ
 سِحْرٌ بِجَفْنِكَ يَسْبِي النَّاسَ أَمْ شَرَكُ

(١) السيد: الذئب.

(٢) يقصد: قُس بن ساعدة الأيادي، وسحبان وائل وكانا من خطباء العرب.

كَمْ فِيكَ أَضْحَى مَصُونٌ وَهُوَ مُنْهَتُكَ أَفْتَنَةُ أَنْتَ لِلْعُشَّاقِ أُمُ هَلَكُ
أُمُ فِي الْجِنَانِ مَعَ الْوِلْدَانِ أَنْشَيْتَا

أَمَّا لَصَبُّكَ مِنْ عَيِّ الْهَوَى رَشْدُ وَلَا لَصَدِّكَ يَأْكُلُ الْمُنَى أَمْدُ
فَكَمْ لِقَتْلِ الْبَرَايَا أَنْتَ مُعْتَمِدُ فَنَلْتَ بِالصَّدِّ صَبًّا مَالَهُ قُودُ
لَوْ شِيتَ أَحْيَيْتَهُ بِالْوَصْلِ لَوْ شِيتَا

هَوَاكَ أَفْصَاهُ أَذْنَى عَنْ أَقَارِبِهِ وَمَا سَوَاكَ إِلَى الْبَلَوَى بِجَاذِبِهِ
بَلْ أَنْتَ فِي الْحُبِّ يَا أَفْصَى مَّارِبِهِ حَلَوْتَ فِي قَلْبِهِ لَمَّا حَلَلْتَ يَهْ
وَبِالْمَلَا حَةَ دُونَ النَّاسِ حَلَيْتَا

النَّفْسُ أَضَحَّتْ إِلَى رُؤْيَاكَ تَائِقَةً وَالْعَيْنُ أُمْسَتْ بِمَاءِ الْجَفْنِ غَارِقَةً
إِنْ كُنْتَ تُصْغِي إِلَيَّ شُكْوَايَ آوَنَةً فَارْحَمْ عَلَى الْبَيْنِ وَالتَّبَرِّيحِ قَلْبَ قَتَى
١٥٣ ب/ فَتَنَهُ بِالْجَفَا وَالصَّدِّ تَفْتِيَتَا

يَشْتَاقُ رُؤْيَاكَ لَا زُورَ بِهِ وَرِيَا كَأَنَّهُ النَّبْتُ ظُمَانٌ وَأَنْتَ حَيَا
أَضْحَى مَرِيضًا وَأَدْوَاءَ الْغَرَامِ عِيَا مُغْرَى بِحُبِّكَ يَرْجُو الْوَصْلَ مِنْكَ فَيَا
مَوْلَايَ لَمْ بِالْجَفَا وَالصَّدِّ أُغْرِيتَا

أَصْفَاكَ فِي الْحُبِّ إِخْلَاصُ الْوُدَادِ وَلَنْ يُرِيدُ غَيْرَكَ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ سَكَنُ
قَالُوا: شَعِفْتَ بِهِ حَقًّا، فَقُلْتُ: إِذَنْ لَمْ يُلْهِهِ عَنْكَ مَخْلُوقٌ فَأَنْتَ بِمَنْ
عَنِ الْمُحِبِّ فَدَتِكَ النَّفْسُ الْهَيْتَا

فَإِنَّهُ فِي الْهَوَى صَبٌّ وَمَا شُفِيَا قَدْ ذَابَ حَتَّى عَنِ الْعُودَادِ قَدْ خَفِيَا
مَارَامَ غَيْرِكَ مَحْبُوبًا وَقَدْ جُفِيَا وَلَا تَنَاسَاكَ يَوْمًا فِي الزَّمَانِ فَيَا
لِلَّهِ كَيْفَ عَهْدُ الصَّبِّ أَنْشَيْتَا!

فَرَاوَدْتُ قَلْبِي عَنْكَ الصَّبْرَ فَاعْتَدَرَا وَاللَّائِمَانِ قَدْ أَشْتَطَا وَقَدْ زَجَرَا
أَقُولُ وَاللَّوْمُ وَالتَّائِبُ قَدْ كَثُرَا يَا عَاذِلِي رُوَيْدَا فَالْمُحِبُّ يَرَى
عَذْلَ الْعَوَاذِلِ إِسْرَافًا وَتَغْنِيَا

وَشَادَنَ أَغْيَدَ ذِي وَاضِحٍ بِهِجٍ جَفَا وَقَلْبِي بِهِ فِي مَسَلِكِ حَرْجٍ
/ ١٥٤ / أَقُولُ إِذْ مَرَّبِي فِي مَنَدَلٍ أَرْجٍ مَنْ لِي بِوَصْلٍ غَزَالٍ أَحْوَرٍ غَنَجٍ
يُعَلِّمُ السَّحَرِ مَنْ جَفْنِيهِ هَارُوتَا

مُهَفِّفُ الْقَدِّ سَهْلُ الْخَدِّ دُونَ رَفٍ أَضْحَيْتُ وَالْقَلْبُ فِي حُبِّهِ دُونَ كَلَفٍ
إِذَا عَدَايَيْنِ مِيَالٍ وَمُنْعَطَفٍ أَخْشَى عَلَى خَصْرِهِ يَنْبْتُ مَنْ هَيْفٍ
لَيْنًا وَفِي حُبِّهِ أَضْحَيْتُ مَبْتُوتَا

لَمَّا أُصِيبَ فُؤَادِي مَنْ يُعَذِّبُهُ بِأَسْهُمٍ نُقِشَتْ مِنْ قَوْسٍ حَاجِبُهُ
وَأُصْبِحَ الْقَلْبُ فِي أَشْرَاكِ سَالِبِهِ أَصْغَيْتُ ذَاكِرَهُ سَمْعِي وَتَهْتَبُهُ
عُجْبًا وَأَضْحَى لِقَلْبِي ذِكْرُهُ قُوتَا

رَنَاءَ فَأَصْمَى فُؤَادِي سَهْمٌ مُقْلَهُ فَهَذَا دَمِي شَاهِدٌ مِنْ فَوْقٍ وَجْتَهُ
ظَبْيِي إِذَا مَا تَبَدَّأَ نُورُ طُلُعَتِهِ يُرِيكَ مِنْ خَدِّهِ وَرَدَا وَقَامَتِهِ
غُضْنَا وَمِنْ ثَغْرِهِ دُرٌّ أَوْ سُنُوتَا

بَذَرُ وَزَرٌ قَبَاهُ بُرْجُ هَالْتِهِ ظَبْيِي مِنَ التُّرْكِ لَوْلَا حُسْنُ خُلُقَتِهِ
تَسْتَقْرِضُ الشَّمْسُ نَوْعًا مِنْ مَلَاخَتِهِ ظَبْيِي مِنَ التُّرْكِ لَوْلَا حُسْنُ غُرَّتِهِ
لَمْ يَعْرِفِ النَّاسُ نَاسُوتَا وَلَا هُوتَا

/ ١٥٤ ب / مُهَذَّبُ الْخَلْقِ وَالْأَعْرَاقِ وَالشَّيْمِ كَمْ غَالٍ بَيْنَ الْقَبَابِ الْبَيْضِ وَالْخِيَمِ

أَسَدٌ يُعْظَمُهَا الرَّائِي عَنِ الْقِيَمِ كَأَنَّ فِي جَفْنِهِ سَيْفًا عَدَا...
الصَّالِحِ الْمَلِكِ يَوْمَ الرُّوعِ مَصْلُوتَا

مَلِكٌ يُفُوقُ مُلُوكَ الْأَرْضِ قَاطِبَةً كَمْ أَخْجَلَتْ كَفُّهُ بِالْجُودِ عَادِيَةً
مِنْ فَضْلِهِ أَضْحَتْ الْأَحْوَالُ حَالِيَةً الْوَاهِبُ الْبَدْرَاتِ الْغُرَّ ضَاحِيَةً
جُودًا يُضَمِّنُهَا دُرًّا وَيَأْفُوتَا

لَا تَرْضَ بِالذُّونِ فِي الدُّنْيَا الدُّنْيَةَ بَلْ عَنِ الْأَكَارِمِ لِي أَمَّا الْمَثَلِي سَلْ
أَوَّلِيكَ نَصْحًا فِسرَ مَنْ قَبْلَ قَوْلِكَ هَلْ وَالْمُمُّ بِأَمَدٍ رَاجِي الْعَنَاءِ تَلْ
الرَّفْدِ الْجَزِيلِ وَمَا أَمَلْتَ مَوْفُوتَا

جَدَّ الْمَسِيرِ فَمَنْ رَامَ الْمَغَانِمَ جَدَّ وَأَخْطَطُ... فَالْعَيْشُ فِيهِ رَعْدُ
وَأَطْلُبُ فَمَنْ طَلَبَ الْعُلْيَا وَجَدَّ وَجَدَّ وَأَقْصِدْ بِهَا نَاصِرَ الدِّينِ الْجَوَادِ فَقَدْ
يَحْوِي الْغِنَى مَنْ غَدَا يَطْوِي السَّارِيْنَا

هَذَا أَبْنُ دَاوُدَ رَاجِي فَضْلِهِ غَنَمَا فَاقَ الْمُلُوكَ جَمِيعًا وَالْوَرَى كَرَمَا
أَوْفَاهُمْ وَأَعَزُّ الْعَالَمِينَ حَمَى حَازَ الْعُلَا فَسَوَاهُ فِي الْبَرِيَّةِ مَا
/١٥٥٠/ غَدَا بِكُلِّ لِسَانِ الْفَضْلِ مَنُوعَتَا

جِيُوشُهُ حَيْثُ تَسْرِي فِي مَوَاكِهَهَا تَكْسُو الْمَمَالِكَ رُغْبًا فِي مَرَاتِبِهَا
فَاقْصِدْ إِلَى أَخِذِ الدُّنْيَا وَوَاهِبَهَا مَلِكٌ مَوَاهِبُهُ تُغَشَّى الْوَرَى وَبَهَا
قَدْ سِيرَ الْمَدَحَ فِي الدُّنْيَا لَهَا صَيَا

هَذَا هُوَ الْبَحْرُ حَدَّثَ عَنْ عَجَائِبِهِ قَدْ عَمَّ كُلَّ الْبَرَائِمِ مِنْ مَوَاهِبِهِ
يَرَى الثَّنَاءَ فِي الْوَرَى أَوْ فِي مَكَاسِبِهِ قَدْ جَمَعَ الْفَضْلَ فِي الدُّنْيَا وَشَادِبِهِ
مَجْدًا وَشَتَّتَ جَمَعَ الْمَالِ تَشْتِيَا

إِلَى حَمَى الصَّالِحِ السُّلْطَانِ جُدَّ وَمَلَّ وَبِالْقَرِيضِ عُلاَهُ وَالْمَدَائِحِ صَلَّ
وَأِنْ سُئِلَتْ فَقُلْ فِي مَدْحِهِ وَأَطْلُ الْقَائِدُ الْخَيْلَ تَحْمِلُ فِي أَلْ...
نَزَالَ أَسَدًا لَدَى الْهَيْجَا أَمَارِيَتَا

فَالنَّصْرُ مِنْهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِ وَلَهُمْ يَرُوعُ آخِرُهُمْ فِي الرُّوعِ أَوْلَهُمْ
فَمَنْ رَأَاهُمْ لَدَى الْهَيْجَا تَهَوَّلَهُمْ يُخَالُ فَوْقَ السَّعَالِي مَنْ تَأْمَلَهُمْ
إِذَا هُمْ أَفْتَحُمُوا نَفْعًا عَفَارِيَتَا

يَا طَالِبَ الرِّفْدِ اقْصِدْ فِي مَسِيرِكَ دَا دِيَارَ بَكْرٍ لَتَنْجُو مِنْ شَقَا وَأَذَى
/ ١٥٥ ب / وَفِي أُمُورِكَ سَهْمُ الْخُطْبِ إِنْ نَفَذَا بِالصَّالِحِ الْمَلِكِ السُّلْطَانِ لُذْ فَإِذَا
وَأَفَيْتَ مَغْنَاهُ بِالْأَمْوَالِ أُغْنِيَتَا

حَلَلْتَ مَغْنَى بِهِ كَمْ وَأَفَدَ غَنَمَا وَكَمْ شَقِيٍّ بِهِ بَعْدَ الشَّقَا نَعَمَا
مُعْظَمَ الْقَدْرِ بَيْنَ النَّاسِ مُحْتَرَمَا وَبِتَّ جَارَ أَعَزِّ الْعَالَمِينَ حَمَى
مُنْعَمَ الْبَالِ وَالْإِحْسَانِ أُولِيَتَا

لُذْ بَابِنَ دَاوُودَ إِذْ صَرَفُ الزَّمَانِ نَزَلَ وَإِنْ عَرَا الْخُطْبُ فِيمَا تَبْتَغِيهِ وَجَلَّ
وَنَادَهُ فِي الذِّي تَرْجُو لَدَيْهِ تَنَلَّ يَا قَاتِلَ الْمَحِلِّ بِالْجَدْوَى كَمَا قَتَلَ
النَّبِيَّ دَاوُودَ يَوْمَ الرُّوعِ جَالُوتَا

بِكَ السَّعَادَةُ قَدْ بَانَ عِلَائِمُهَا وَدَوْلَةُ الْمَجْدِ قَدْ قَامَتْ دَعَائِمُهَا
لَمَدْحَةٍ مَدْحِكَ السَّامِي تَمَائِمُهَا فَاسْتَجَلْ بِكْرًا يُجِيدُ الشُّعْرَ نَاطِمُهَا
وَحَيْهََا بَنَدَى كَفَيْكَ حَيَّيَا

قَصِيدَةً يَا أَجَلَ الْخَلْقِ شَاعِرَةً غَدَتْ بِمَدْحِكَ فِي الْآفَاقِ سَائِرَةً

كَالْدُرِّ وَاقَتْ إِلَى نُعْمَاكَ نَاضِرَةً بَقِيَتْ مَا دَامَتْ الْأَفْلَاكُ دَائِرَةً
فِي رِفْعَةٍ وَمِنْ الْأَسْوَاءِ وَقِيَّتَا

[٨٩٦]

هَلَالُ بْنُ مُحْفُوظِ بْنِ هَلَالٍ، أَبُو النَجْمِ الرَّسْعَنِيُّ، المعروف بابن
السَّراج^(١).

كان فقيهاً حنبلي المذهب قارئاً للقرآن العزيز من أهل الزهد والورع والدين والخير،
تفقه ببغداد على المذهب الأحمدي، وسمع من الكاتبة شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج
الإبري، وعاد إلى بلده، وحدث عنها. سمع منه هناك جماعة من الطلبة والمجتازين،
وتوفي في شعبان سنة عشر وستمائة، ولم يكن قول الشعر من شأنه.

أنشدني الشيخ أبو محمد عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف المحدث
الرسعني الفقيه الحنبلي بالموصل في سنة إحدى وثلاثين وستمائة - من لفظه وحفظه - قال:
أنشدني أبو النجم هلال بن محفوظ الرسعني لنفسه، وقد ندبه الأمير عماد الدين أبو العباس
أحمد بن علي بن أحمد بن المشطور الكردي المهراني، أن يجعل نظره في وقف بناء برأس
عين^(٢)، فامتنع وأبى وطلب / ١٥٦ ب / منه الاستعفاء والإقالة، وكتب هذه الأبيات إليه،
وأنشدنيها، وهي من قيله: [من الوافر]

أَقْلَنْتِي أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُنِيرُ فَلَسْتُ كَمَا يَطْنُ بِي الْأَمِيرُ
تَعَاظَمْتَ الْأَمَانَةُ فِي أَدَاهَا أَتَحَسَبُ أَنَّهُ أَمْرٌ يَسِيرُ
سَمَاوَاتٍ وَأَرْضٌ مَعَ جِبَالٍ وَأَحَدٌ قَدْ أَبَى وَأَبَى ثَبِيرُ
إِذَا عَجَزَتْ جِبَالُ الْأَرْضِ عَنْهَا فَكَيْفَ يُطِيقُهَا رَجُلٌ كَبِيرُ

(١) الجَزْري، والرسعني نسبة إلى رأس العين.

ترجمته في: التكملة للمنزدي ٢/ ٢٩٠ رقم ١٣٢٤. الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٦٨. شذرات الذهب
٥/ ٤٤. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٩٣ رقم ٥٥١.

(٢) رأس عين: وهو رأس عين الخابور، مدينة كبيرة من مدن الجزيرة، بين حرّان وديسر. انظر: معجم
البلدان/ مادة (رأس).

[٨٩٧]

هارونُ بنُ الحسينِ بنِ كُرْجِي بنِ هَارُون^(١).

ذكره صاحبُ الوزير شرف الدين أبو البركات المستوفي - رضي الله عنه في تأريخه، وقال: إربلي المولد والمنشأ؛ خدين لا يطمعُ الغدرُ في وفائه، وقرين لا يحل الدهر عقد إخائه، ومصاحب استوى في الصحبة مغيبه ومشهده، ومخالط اعتدل في الخلطة مصدره ومورده؛ فهو مأمونة مكائده وغوائله، محمودة أواخره وأوائله، عذبت أخلاقه رقة وصفاء، وملىء وجهه بشراً وحياءً، له أدب نفس كالزهر النضير، ووثيقة رأي محكمة التدبير، وإشفاق على معاشره وصديقه، تجاوز إشفاق الأخ على شقيقه، ونصيحة للمستشير بآرائه، يستشف المغيب من ورائه.

وكان شيخنا أبو المظفر المبارك بن طاهر الخزاعي البغدادي - رحمه الله تعالى - يُسميه شيخ / ١٥٧ب / الجماعة، لما عنده من العقل والحزم، وجودة التصرف، وكثيراً كان يصفه وفيه يقول: [من البسيط]

شَيْخُ الْجَمَاعَةِ مَخْدُومٌ وَمَشْكُورٌ وَرَبُّهُ بَنِي الْحَاجَاتِ مَعْمُورٌ

وقال فيه أيضاً: [من البسيط]

شَيْخُ الْجَمَاعَةِ بَذَرُ الدِّينِ هَارُونٌ بِالْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ مَعْجُونٌ
دُوَّ الْفَهْمِ يَعْرِفُهُ وَالْغَمْرِ يَجْهَلُهُ كَالدَّرِّ وَالْدَّرُّ فِي الْأَصْدَافِ مَكُونٌ

ثم قال: وعنده دينٌ لا يهديه إلى غير الصدق سبيله، ويقينٌ لا يميل به عن سواء الحق دليله، حنفي المذهب، مائل [إلى] التشيع غير مغال فيه، مواظب على الصلوات الخمس، وصيام كل خميس. كناه شيخنا أبو المظفر ابن طاهر الخزاعي بأبي الرأي.

(١) ترجمته في: التكملة للمندري ٢/ ٢٣٢ رقم ١٢١٢. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣١٤ رقم

٤٢٤، وفيهما: «هارون بن الحسين بن كرج بن هارون».

وكان من أولاد الأمراء الأجناد، وذوي العُدَّة والعتاد. وكان أبوه - رحمه الله - وأدركته، من المشهورين بإربل في زمن الحاجب أبي منصور سرفتكين ابن عبد الله - متوليها - يقوم مقامه إذا غاب عنها، ولا يتخلف عنه إذا عاد إليها.

أولد خمسة من البنين لم يكن / ١٥٨ / فيهم أربع منه ولداً ولا أكثر سؤدداً. وكان ربّما قرض البيتین والأبيات من الشعر، سلامة طبع جُبِلَ عليها، وصحة خاطرٍ هداه الظرف إليها، وأنا ذاكر جميع ما وقفني عليه من ذلك عن آخره.

وكانت وفاته بعد عشاء الآخرة من الليلة المسفرة عن الأحد الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان وستمائة بإربل، فأسكنه الله فسيح جنانه، وأورده موارد غفرانه، في نعيم غير منقطع أمدّه، وثواب لا يحصى عدده.

وكان مولده بإربل في شهر رمضان سنة ستين وخمسمائة؛ وسمع الحديث على أبي المعالي نصر الله بن سلامة الهيتي، وأبي المعالي صاعد بن علي بن عمر الواسطي الواعظ، وأبي المظفر المبارك بن طاهر بن المبارك الخزاعي البغدادي وغيرهم.

ومن شعره ما أنشدني صاحب الوزير أبو البركات المستوفي الإربلي بها - رحمة الله عليه - في سنة خمس وعشرين وستمائة، قال: أنشدني أبو الرأي هارون بن الحسين لنفسه:

[من البسيط]

هَلْ أَرَحِمْتَ قَتِيلَ الْهَمِّ وَالْكَمَدِ / يَ مُوقِدَ النَّارِ فِي قَلْبِي وَفِي كَبْدِي
مُغْرَى بِحُبِّكَ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعْدِ / هَلْ عَطَفْتَ عَلَى صَبٍّ أَسِيرَ هَوَى
مُخَيَّرَافِيكَ بَيْنَ الشُّوقِ وَالشُّهْدِ / يَفْنَى الزَّمَانُ وَلَا تَفْنَى صَبَابَتُهُ
لَمْ يَنْقُ هَجْرُكَ لَا صَبْرِي وَلَا جَلْدِي / كُنْ كَيْفَ مَا شِئْتَ لَا صَبْرٌ وَلَا جَلْدٌ

وأنشدني أيضاً، قال: أنشدني هارون بن الحسين لنفسه: [من الطويل]

يَنَامُ خَلِيُّ الْقَلْبِ مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ / مَنِ الشُّوقُ مَا تُطْوَى عَلَيْهِ أَضَالَعِي
لَقَدْ لَأَمَنِي الْوَأَشُونَ فِيمَنْ أَحْبَبُهُ / وَلَكِنَّ دُونَ الْعَذْلِ سُدَّتْ مَسَامِعِي
كَتَمْتُ الْهَوَى خَوْفَ الْوُشَاةِ وَلَوْ مِهِمْ / فَنِمْتُ عَلَيْهِ جَارِيَاتُ مَدَامِعِي

وأنشدني ، قال : أنشدني أبو الرأي قوله في صفر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة :

[من الكامل]

يَا لَأَتَمِّي فِي حُبِّهِ وَمُعَنِّي
وَاللَّهِ لَوْ عَلِقَ الْفُؤَادُ مِنَ الْوَرَى
مَهْلًا فَمَا دُقَّتِ الَّذِي قَدْ دُقَّتْهُ
بِهَوَى حَيْبٍ غَيْرُهُ مَزَقَّتْهُ
لَوْ كُنْتُ أَصْبِرُ عَنْ هَوَاهُ تَرَكَّتْهُ
/ ١٥٩ / قَالَ الْعَوَازِلُ خَلَّهَ فَأَجَبْتُهُمْ

وأنشدني ، قال : أنشدني أبو الرأي لنفسه : [من السريع]

يَا غَافِلًا عَنِّي بِلَذَاتِهِ
وَأَرْحَمَ فَتَى لَا يَرْتَقِي دَمْعُهُ
إِشْرَبْ وَطَبِّ دَامَ لَكَ الْعُمُرُ
قَدْ خَانَهُ وَصْلُكَ وَالْدَّهْرُ

وأنشدني ، قال : أنشدني من شعره : [من الكامل]

يَا تَائِهًا بِالْحُسْنِ صَلَنِي
إِرْجِعْ إِلَى طَيْبِ الرِّضَا
فَقَدْ أَشْتَقِي الْهَجْرَانَ مِنِّي
فَالِإِلَى مَتَى هَذَا التَّجَنِّي
وَمُعَارِضِي فِي كُلِّ فَنٍّ
يَا لَأَتَمِّي بِاللَّهِ دَعْنِي
أُخْفِيهِ مَنْ أَلَمَ وَحُزْنَ
مَنْ الْغَرَامِ وَلَمْ تَلْمِنِي
لَعَذْرَتَنِي فِيمَا لَقِيتُ مِ

وأنشدني ، قال : أنشدني لنفسه : [من الكامل]

/ ١٥٩ ب / هُنَيْتَ بِالْخَلِّ الْجَدِيدِ
حَتَّى مَ أَرْغَبُ فِي الْوَصَا
يَا نَاقِضًا أَبَدًا عُهُودِي
لِوَأَنْتَ تَرْغَبُ فِي الصُّدُودِ
وَاللَّهِ لَسَوْلا أَنْ يُقْصَا
لَأَتَاكَ مِنِّي مَا يَلِي
يَا أَيُّهَا الْقَمَرُ الَّذِي
إِرْجِعْ إِلَى حُسْنِ الرِّضَا
وَأَقْبَلْ وَصَايَا اللَّهِ فِي
حُسْنِ الرِّعَايَةِ لِلْعِيْدِ

هَذَا بَنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ هَذَا ،
أَبُو الْمَفَاخِرِ الْأَسْعَدِيِّ الْكَاتِبُ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعَالِمَةِ .
كَانَ ذَا أَدَبٍ وَكِتَابَةٍ وَفَضِيلٍ وَشَعْرِ .

أُنشدني الشيخ الحافظ أبو علي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد بن عمرو ك
البكري - من لفظه - بحلب بخانكاه القصر في ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وستمائة، قال :
أُنشدني أبو المفاخر هذاب بن محمد بن الحسن الكاتب الأسعدي لنفسه : [من السريع]

جَوَاهِرُ الْعَالَمِ مَكْنُونَةٌ يُبْرِزُهَا مِنْ بَحْرِهِ الْغَائِصُ
وَالطَّيْرُ لَا يَحْظِي بِغَيْرِهَا فِي النَّاسِ إِلَّا الرَّجُلُ الْقَانِصُ

وَأُنْشِدْنِي ، قَالَ : أَنُشِدْنِي أَبُو الْمَفَاخِرَ لِنَفْسِهِ يَصِفُ الشَّبَابَةَ : [مِنَ الْمُتَقَارِبِ]

وَسَاجَعَةٌ مِنْ بَنَاتِ النَّبَاتِ	لَهَا نَعَمٌ لَسْتُ تَعْلَمُ مَا هِيَ
مُصَوِّتَةٌ تَسْتَفِزُّ الْعُقُورَ	وَلَكِنْ أَوْكَارَهَا فِي الشِّفَاهِ

هَرِيرُ بْنُ الْمُعَمَّرِ بْنِ سَنَانَ بْنِ عُفَيْلَةَ بْنِ شَبَابَةَ؛ أَحَدُ بَنِي قُدَيْمَةَ بْنِ نَبَاتَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَقِيلِ الْعُقَيْلِيِّ.

أخبرني صاحبُ الوزير شرف الدين أبو البركات المستوفي بإربل - من لفظه رحمه الله تعالى - قال: كان بين هرير وبين عيسى بن المُفدّى صفاء ومودة لا يشوبُهُ ريب من مفاوضة بالمال والأنفس. ثم ضرب الدَّهر ضربانهُ، فاحتربوا لأُمور بينهم ومنافسات.

وكانوا على زمان صفائهم وودادهم، يقول هُرير الأشعار في عيسى بن المفضي؛ وقتل يوم ثاج، قتله / ١٦٠ ب/ عيسى بن المفضي. وكان حَسْبُهُ دارعاً فاعترضه وهو يطرد الخيل، فنظمه برمح على الفريضة، فبرز من الفريضة الأخرى؛ فلما علم أنه قد قتله أسف عليه أسفاً شديداً، وبلغ ذلك أخاه هُرير مرغماً فأقسم لا يأخذ عن كل طرف

منه إلا قليلاً . ثم التقوا بعد ذلك بالجيش وكان قتل هُرير سنة ستٍّ أو سبعٍ وستمائة . وكان من قبيلةٍ قد بلغوا من العزِّ والمنعة ما لم تبلغه قبيلة من قبائل العرب حتى بلغوا أربعمائة فارس تركب الخيل .

ثم أنشد من شعر هرير هذا : [من الطويل]

أَقُولُ وَقَدْ حَنَنْتُ بِجُودَةٍ نَاقَتِي وَلَمْ يَذَرْ وَرْدُ الْمَاءِ . . . مَا حَنِئَهَا
تَحَنُّ عَلَى عَيْسَى وَقَدْ شَطَّتْ النَّوَى بَعِيسَى وَبَيَاتِ الْبَوَادِي تَبِينَهَا
فَيَا لَيْتَ عَيْسَى يَنْظُرُ الْيَوْمَ أَوْ يَرَى دُمُوعَ أَمْرِي بِالْمَاءِ جَادَ مَعِينَهَا
مَضَى زَمَنٌ عَيْنِي تُعِينُ عَلَى الْبُكَاءِ وَذَا الْعَامَ عَادَتْ تَبْتَغِي مَنْ يُعِينَهَا

وأنشدني أيضاً من شعره يقول : [من الطويل]

١٦١ / عَزِيزٌ عَلَيْنَا مَنْ عَقِيلٌ طَعَانُ عَدَوْنٌ مِنَ الدَّهْنِ بِغَيْرِ بُعُولٍ
جَرَرَنَ دُيُولًا لِلْقَطِيعَةِ عُنْدَنَا عَلَى الْعَدْرِ لَا عَادَتْ لِجَرِّ دُيُولٍ

[٩٠٠]

هُمامُ بنُ راجي الله بن سرايا بن أبي الفتوح ناصر المصري .

كانت ولادته في أواخر سنة تسع وخمسين وخمسمائة^(١) .

(١) في هامش الأصل : «وفاته في السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ثلاثين وستمائة» . ترجمته في : الوافي بالوفيات ٢٧/ ٣٨٢ وفيه : «همام بن راجي الله بن ناصر بن داود، أبو العزيمات الفقيه الشافعي المصري» . التكملة للمندري ٣/ ٣٣٧ - ٣٣٨ رقم ٢٤٥٧ . وفيه : «سألته عن مولده، فقال : في ذي القعدة أو ذي الحجة سنة تسع وخمسين وخمسمائة بـ (وَنَّا) من صعيد مصر الأدنى» . سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦١ رقم ٢٢٤ . تاريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٤١٧ - ٤١٨ رقم ٦٢٨ ، وفيه : «إمام الجامع الصالح الذي بظاهر القاهرة وخطيبه هو وأولاده، قدم القاهرة، وقرأ العربية على العلامة ابن برّي، وارتحل إلى العراق فسمع بها من أبي سعد عبد الواحد بن علي بن حمويه، وعبد المنعم بن كليب، وتفقه على الإمامين المجير محمود بن المبارك الواسطي، وأبي القاسم يحيى بن فضالان، وقرأ بمصر الأصول على أبي المنصور ظافر بن الحسين . وصنف، ودرس، وأفتى، وقال الشعر الجيد، وأم بالجامع المذكور إلى حين وفاته، وله كتب في الأصول، والخلاف، والمذهب . روى عنه : المحب بن النجار، والزكي المندري، والرفيع الأبرقوهي، وابنه أبو المعالي . توفي بالشارع بظاهر القاهرة» . طبقات السبكي ٥/ ١٦٤ - ١٦٥ وفيه كنيته «أبي الغنائم» . حسن المحاضرة ١/ ١٩٢ . نهاية الأرب ٢٩/ ١٩١ - ١٩٢ . طبقات الإسني ٢/ ١٤٥ . ديوان الإسلام ٤/ ٣٤٧ رقم ٢١٤١ . طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة ٢/ ٤٢٤ - ٤٢٥ رقم ٣٩٥ . الأعلام ٨/ ٩٣ . معجم المؤلفين ١٥٢/ ١٣ .

كان شاعراً فاضلاً، امتدح الملك الكامل ناصر الدين أبا المعالي محمد بن أبي بكر بن أيوب - صاحب الديار المصرية - .

أنشدني الشيخ الأمين العدل أبو عبد الله محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن النصيبى بحلب - رحمه الله تعالى - قال : أنشدني همام بن راجي الله لنفسه :

[من الطويل]

أَرَى الدَّهْرَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَانِدِي
إِذَا طَمَحَتْ نَفْسِي لَشَيْءٍ أَنَا لَهُ
إِلَى كَمِّ أَقَاسِي ضَيْقَ عَيْشِي وَمَكْسَبِي
وَقَدْ قَلَّ فِي الدُّنْيَا صَدِيقُ مُسَاعِدُ
وَمَنْ عَجَبَ الدُّنْيَا بِأَنِّي خَامِلُ
/ ١٦١ ب / وَمَنْ نَكَّدَ الْأَيَّامُ أَنِّي إِمَامُهَا
وَأُمْنَعُ مَنْ حَقِّي وَيُوقِفُ رَأْيِي
وَقَدْ حَارَ قُوسٌ فِي بُلُوغِ بِلَاغَتِي
وَلَوْ كُنْتُ أَرْضَى الشَّعْرَ عِنْدِي صِنَاعَةً
وَمَالِي مَرْكُوبٌ وَلَا لِي مُؤْنَةٌ
وَلَكِنَّمَا أَلْقَى إِذَا مَا شَكَّوْتُهُ

وَمَا فِيهِ لِي عَيْبٌ وَلَا لِي لَهُ ذَنْبُ
فَإِنَّ الدَّلَّوْلَ السَّهْلَ لِي مُرْتَقَى صَعْبُ
كَأَنَّ زَمَانِي قَدْ غَدَا وَهُوَ لِي حَرْبُ
إِذَا قَلَّ مَطْلُوبِي وَإِنْ أَعْضَلَ الْخَطْبُ
وَقَدْ ضَاقَ عَنْ عِلْمِي بِهَا الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ
وَيَحْكُمُ فِي رِزْقِي وَفِي مُهْجَتِي كَلْبُ
وَلِي مَسْجِدٌ جَارِيهِ فِي وَقْفِهِ نَهْبُ
وَفِي وَصْفٍ تَصْنِيفِي وَتَابَعَهُ وَهْبُ
لَمَّا كَانَ مَذْكُورًا زُهَيْرٌ وَلَا كَعْبُ
وَلَا لِي مَلْبُوسٌ غَلِيظٌ وَلَا شُرْبُ
إِلَى الْكَامِلِ السُّلْطَانِ لَمْ يَبْقَ لِي عَتْبُ

وأنشدني أيضاً، قال : أنشدني همام لنفسه : [من الطويل]

وَكَيْفَ يَلْكُ الْعَيْشُ فِي مَضْرَسَةِ
وَأَغِيظُ مَا لَا قِيَّتَ فِيهَا بِأَنِّي
أَرَى كُلَّ ذِي نَقْصٍ عَلَيَّ تَقَدَّمَ

وأنشدني أيضاً، قال : أنشدني لنفسه : [من الطويل]

دَعِ الْفَضْلَ لَا تَعْبَأْ بِهِ فِي زَمَانِنَا
يُقَدِّمُ فِيهِ الطَّرْدُ غَيْرَ مُلَائِمِ
فَإِنَّ كَمَالَ الْفَضْلِ لِلْمَرْءِ عَائِبُ
وَيُطْرَدُ فِيهِ مُشَبَّهٌ وَمُنَاسِبُ

وأنشدني، قال : أنشدني من شعره : [من الوافر]

قَلَّوْنِي إِذْ نَشَأْتُ بِهِمْ وَحِيدًا
فَدَعِ قَوْلَ الْمُخَرَّقِ وَأَطْرَحْهُ
وَمَالِي فِي الْبَرِّيَّةِ مِنْ يُوَاظِي
فَلَيْسَ بِلَا حَقِّي أَبْنُ خَطِيبِ رَازِي

أَذْنِبُ لِلسَّبَاعِ يَكُونُ قَرْنًا وَعُصْفُورٌ يَطِيرُ مَعَ الْبَوَازِي

وَأُنْشِدُنِي، قَالَ: أَنْشِدْنِي لِنَفْسِهِ: [من البسيط]

قَالُوا: نَرَاكَ قَلِيلَ الْحَطِّ فِي بَلَدٍ وَأَنْتَ بِالْفَضْلِ مَعْنَاهُ وَتَظَاهِرُهُ

[٩٠١]

الهيثم بن جعفر، أبو المتوكل الأشبيلي.

الأديب الفاضل الشاعر من المجيدين في علم الأدب ونظم الشعر بقطره، يفوق أهل زمانه؛ فضلاً وفهماً وفصاحةً ورجاحة.

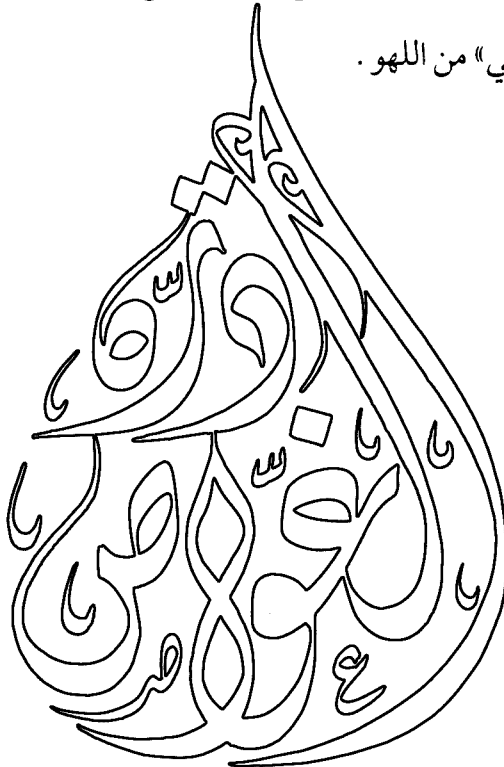
ومن شعره ما قاله على لسان غيره: [من البسيط]

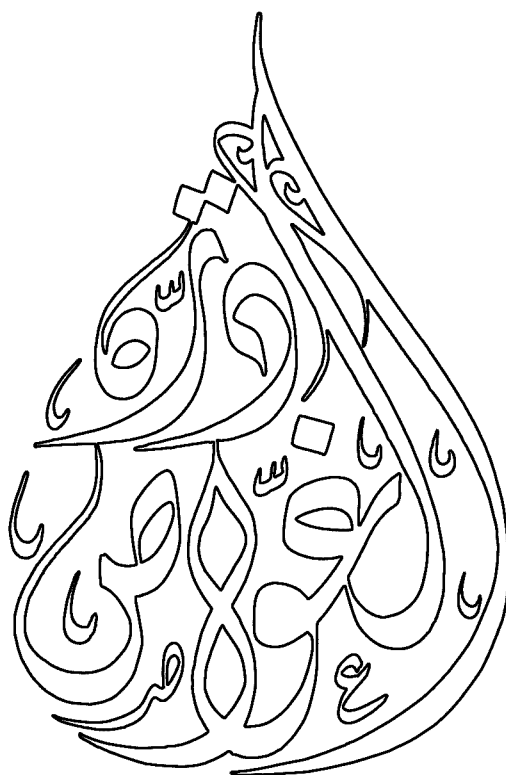
بِأَرْضِ رَنَّةٍ أَوْطَانِي وَأَوْطَارِي وَلِي هَوًى فِيهِمْ عَارٌ مِنَ الْعَارِ
سَمِيَّ يَحْيَى وَلَكِنْ فِي لَوَاحِظِهِ عَصَا الْكَلِيمِ فَمَاذَا صُنْعُ سَحَّارِ

وقوله وهو أول شعر قاله في المكتب: [من الخفيف]

بِهَلَالِ الْمَلَاكِ يَحْيَى بْنُ رُشْدٍ / ١٦٢ب/ هَلْ تَبَدَّى فِي النَّاسِ وَجْدٌ كَوَجْدِي
مَنْ غَزَالَ يَشُبُّ وَجَدًا بَوَجْدِ لَاحِ عُذْرِي لِلْأَهْيِ لِلَّهِ مَا بِي
جَلَّ رَبُّ أَهْدَاكَ يَا بَدْرَ سَعْدِ بَدْرُ تَمَّ بَدَا، فَقُلْتُ: تَعَالَى

أراد بقوله «اللاهي» من اللهو.





حرف الواو

[٩٠٢]

وَّثَابُ بْنُ أَبِي الثَّرِيَّا بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَزْدِيُّ الْمَالِكِيُّ .
من أهل ديار مصر .

كانت ولادته في سنة خمس وستين وخمسمائة بالقاهرة المعزية .

أنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن النصيب بحلب - رحمه الله تعالى - قال : أنشدني وثاب بن أبي الثريا بن عبد الرحمن الأزدي لنفسه :

[من الخفيف]

يَا دِيَارَ الْأَحْبَابِ مَنْ أَرْضِ نَجْدٍ إِسْأَلِي سَاكِنِيكَ لَمْ زَادْ وَجْدِي
الرِّيحِ وَجَدْتُهُمَا مِنْ حَيِّي أَمْ لِقُرْبِ الدِّيَارِ مَنْ بَعْدُ بَعْدِ

[٩٠٣]

وَزِيرُ الْجَبَلِيِّ .

رأيت من شعره هذه القصيدة يمدح بها بدر الدين أيذر الوالي الحلبي ، ويهنته بأخذ

اللاذقية : [من الكامل]

زَهَتْ الْبِلَادُ وَأَشْرَقَتْ أَنْوَارُهَا وَتَرَنَّمَتْ بِسُرُورِهَا أَطْيَارُهَا
وَالْأَرْضُ مُشْرِقَةٌ بِنُوعِ نَبَاتِهَا قَدْ فُتِحَتْ بِرِيَاضِهَا أَزْهَارُهَا
/١٦٣ب/ وَكَذَا الرَّعَايَا أَصْبَحَتْ فِي نِعْمَةٍ مِنْ حَيْثُ قَدْ رَخَّصَتْ لَهَا أَسْعَارُهَا
لَمَّا قَدِمْتَ وَكَانَ سَعْدُكَ قَادِمًا يَا مَالِكَ الدُّنْيَا وَيَا جَبَّارُهَا
يَا مَالِكَ التُّرْكِ الَّذِي سَجَدَتْ لَهُ كُلُّ الْمُلُوكِ كِبَارُهَا وَصَغَارُهَا
وَلِعَظَمِ هَيْبَتِكَ الْجِبَالُ تَزْعَزَعَتْ وَالْكَفَرُ مِنْكَ تَهْدَمَتْ أَعْمَارُهَا
كَمْ بِالْمَرِيقِبِ مِنْ جَوَارٍ خُرِدَ هَلَكَتْ غَدَاةُ قَصْدَتِهِمْ نَصَارُهَا

وهي قصيدة أطول من هذه ، ومن حقها أن تطرح ولا يثبت منها شيء لرداءة ألفاظها وسخافتها .

[٩٠٤]

وسوانُ بنُ منصور بن وسوانَ بن ملكيشوا بن قحطان، أبو يعقوب
الكردي الهذباني، المعروف بالمتقف^(١).

من أهل إربل.

كان جندياً في خدمة الأمير زين الدين أبي منصور يوسف بن علي بن بكتكين
- صاحب إربل - ثم فارق خدمته وتوجّه إلى البلاد الشامية، ولحق الملك الناصر صلاح
الدين يوسف بن أيوب بن شاذي - رحمه الله تعالى - / ١٦٤ / فخدم مع أخيه الملك العادل
أبي بكر.

ثم خدم الملك الأوحّد نجم الدين أبا الفتح أيوب، وسار معه إلى خلاط، وتوفي
الملك الأوحّد سنة تسع وستمائة، وبقي بعده. وخبرته أنه قُتل بتنينير^(٢) قتله مماليكه في
سنة ثلاث عشرة وستمائة وأخذوا وقتلوا.

وكان فارساً شجاعاً مقداماً شاعراً أكثر أشعاره في الحروب والشجاعة والإقدام.

وقد ذكره العماد أبو حامد محمد بن محمد بن حامد الكاتب الأصفهاني في كتابه ذيل
الخريدة، وقال: لقيت أبا يعقوب بمصر سنة ست وسبعين وخمسمائة؛ وهو شاب
جندي... خاطره هندي. هذا آخر كلامه.

أنشدني الأمير أبو العباس أحمد بن الخضر بن سلار الكردي الهذباني الإربلي بها
- من لفظه وحفظه - قال: أنشدني أبو يعقوب وسوان بن منصور بن وسوان بن ملكيشوا بن
قحطان الكردي الهذباني الإربلي لنفسه: [من الوافر]

/ ١٦٤ ب / سَلِي عَنِّي الصَّوَارِمَ وَالرَّمَاحَا وَخَيْلاً تَسْبِقُ الْهُوجَ الرِّيَاحَا
وَأَسْدًا خَيْسَهَا سُمْرُ الْعَوَالِي إِذَا مَا الْأَسْدُ حَاوَلَتْ الْكَفَا حَا
فَإِنِّي ثَابِتٌ عَقْلاً وَلَبَّأ إِذَا مَا صَائِحٌ فِي الْحَرْبِ صَا حَا

(١) ورد ذكره في تاريخ إربل ١/ ٧٢.

(٢) تنينير: اسم بلدين من أعمال الخابور عليا وسفلى. انظر: معجم البلدان/ مادة (تنينير).

وَأُورِدُ مُهَجَّتِي لُجَجِ الْمَنَايَا
وَكَمْ لَيْلٍ سَهَرْتُ وَبَتُّ فِيهِ
وَكَمْ فِي قَدْ قَدْ فَرَسِي وَنَضَوِي
لَعَيْنِكَ فِي الْعَجَّاجَةِ مَا الْأَقْي
فَلَوْ عَايَتْنِي عَايَنْتَ كَبْشًا
يَدُقُ السَّمْهَرِيَّةَ فِي صُدُورِ
فَدَيْتِكَ أَنْتَ لَا خَوْذُ رَدَاحٍ
فَدَيْتِكَ لَا تَنْظُنِّي أَنْ قَلْبِي
وَلَا يَصْبُو لَغَيْرِكَ حِينَ هَبَّتْ
إِذَا مَا الشَّمْسُ مِنْ شَرْقٍ تَبَدَّتْ

وقال أيضاً: [من البسيط]

١٦٥/ لَوْلَا الْوُشَاةُ وَلَوْلَا كَثْرَةُ الرُّقَبَا
وَكُنْتُ أَقْضِي بِكُمْ مِنْ قَبْلِ مُؤَلِّمَةٍ
مَا كُنْتُ أَعْهَدُ مِنْكُمْ ذَا الْجَفَاءِ وَقَدْ

إِذَا مَا جَتِ وَلَمْ أُخَفِ الْجَرَاحَا
أَرَا عِي النَّجْمِ أَرْتَقِبُ الصَّبَّاحَا
بَقَائِلَةَ الْهَجِيرِ عَدَا وَرَاحَا
وَأُثْبِتُ فِي الْكَرِيهَةِ لَا بَرَاحَا
وَلَمْ تُطَقِ الْكَبَاشُ لَهُ نَطَاحَا
وَلَا يَتْنِي لَهَا قَدَمًا وَرَاحَا
سَبَبْتُ بِجَمَالِهَا الْخَوْذَ الرَّدَاحَا
تَسَلَّى عَنْكَ يَوْمًا وَاسْتَرَاحَا
صَبَانَجْدٍ وَنَشْرُ الرَّنْدِ فَاحَا
كُوْجِهَكَ لِي وَبَذَرُ التَّمِّ لَاحَا

لَزُرْتُكُمْ كُلَّمَا هَبَّتْ نَسِيمُ صَبَا
تَلَمُّ بِي بَعْدُ بَعْدِي عَنْكُمْ أَرَبَا
جَفَوْتُمْوَنِي وَلَمْ أَعْرِفْ لَذَا سَبَبَا

وقال من قصيدة طويلة في تاج الملوك أبي سعيد بوري بن أيوب بن شاذي:

[من البسيط]

وَكَلَّمَاتٍ حُسْنًا فَهُوَ مَاحِقُهُ
وَهَذُبُ أَجْفَانِهِ الْمَرْضَى يُغَالِقُهُ
بَعَيْنُهُ وَهُوَ مَا بِالْعَيْنِ رَامِقُهُ
وَالْخَمَرُ مِنْ رَيْقِهِ الْمَعْسُولُ رَائِقُهُ
بِنَفْسٍ جَا تَحْتَهُ تَزْهَى شَقَائِقُهُ
يَقُومُ مُعْتَدِلًا شَيْخُ يَعَانِقُهُ
وَأَيْنَ مِثْلِي مَنْ فِي الْوُدِّ صَادِقُهُ
وَالدُّلُّ عِنْدِي مَنْ يَوْمَ أَفَارِقُهُ
مَنْ بِأَسِهِ مِثْلَ مَا يَلْقَاهُ عَاشِقُهُ

بَذَرُ مِنَ التُّرْكِ بَذَرُ التَّمِّ يَعِشْقُهُ
مَنْ قَوْسُهُ يَوْمَ حَرْبٍ قَوْسُ حَاجِبِهِ
يَصِيدُ كُلَّ هَزْبَرٍ وَهُوَ رَامِقُهُ
الْوَرْدُ مَنْ خَدَّهُ وَالْدُّرُّ مَنْ قَمَهُ
عَذَارُهُ تَمَّ عُذْرِي فِيهِ حِينَ بَدَا
قَوَامُهُ كَقَوَامِ الرَّمْحِ مُعْتَدِلُ
أَنَا الْمُعْنَى بِهِ فِي الْوُدِّ صَادِقُهُ
الْعَزُّ عِنْدِي مَنْ يَوْمَ أَوَاصِلُهُ
١٦٥ب/ يَلْقَى عَدُوَّ ابْنِ أَيُّوبَ وَحَاسِدُهُ

وله ما قاله على لسان سكين : [من مخلع البسيط]

يَا حَامِلِي أَنْتَ فِي أَمَانٍ مِنْ نَكْدِ الدَّهْرِ وَالْأَعَادِي
إِلَّا مِنَ الْحُبِّ فَهُوَ أَمْضَى مِنِّي إِذَا حَلَّ فِي الْفُؤَادِ

ومما قاله على لسان مروحة : [من المتقارب]

نَسِيمِي دَوَاءٌ لَكَرْبِ الْقَتَى وَدَاءُ الْهَوَى مَالَهُ مِنْ دَوَاءٍ
لَهُ فِي التَّروُّحِ بَيِّ رَاحَةٌ وَكَيْفَ يُدَاوِي الْهَوَى بِالْهَوَاءِ

وقال من قصيدة : [من الطويل]

وَأَمْسَى بَيَاضُ الْعِزِّ بِالذُّلِّ أَسْوَدًا وَأَصْبَحَ ضَوْءُ الصُّبْحِ كَاللَّيْلِ مُظْلَمًا

قال العماد أبو حامد محمد بن محمد الكاتب الأصبهاني ، قد حافظ في هذا البيت على خمس مطابقات .

فَأَيُّ قُلُوبٍ تَأْمَنُ الْخَوْفَ بَعْدَهُ وَأَيُّ عِيُونٍ بَعْدَهُ تَأْمَنُ الْعَمَى

وقال أيضاً : [من المتقارب]

وَسُدَّتْ لَدَيْهِ وَجُوهُ الطَّلَبِ / ١٦٦ / إِذَا الْمَرْءُ ضَاقَ بِهِ ذُرْعُهُ
فَلَا دُوَّ إِخَاءَ وَلَا دُونََ سَبِّ وَعَزَّ الْمَسَاعِدُ فِي دَهْرِهِ
وَلَمْ يَنْقُ غَيْرُ حُلُولِ الْعَطَبِ وَأَصْبَحَ مِنْ فَرَجِ آيسَاءَ
أَتَاهُ الْقَضَاءُ بِلُطْفِ الْإِلَهِ فَفَرَجَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ

وقال أيضاً : [من المديد]

كُنْ بِلُطْفِ اللَّهِ ذَا ثَقَّةٍ وَارْضَ بِالْجَارِي مِنَ الْقَسَمِ
وَاصْطَبِرْ لِلْأَمْرِ تَكْرَهُهُ فَلَعَلَّ الْبُورَةَ فِي السَّقَمِ

وله في الصبر : [من المجتث]

إِصْبِرْ إِذَا أَشْتَدَّ أَمْرٌ فَالْصَّبْرُ لَأَشْكُ مُرٌ
وَدَارَ دَهْرِكَ مَادَا مَتَّ اللَّيَالِي تُمُرٌ
فَرُبَّمَا سَاءَ لَيْلٌ فِي صُبْحِهِ مَا يُسْرُ

وقوله فيه أيضاً: [من الوافر]

تَلَقَّ الْحَادِثَاتُ بِحُسْنِ صَبْرٍ
فَكَمِ اللَّهُ مِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ
وَلَا تَجْرَعْ لِحَادِثَةِ الْخُطُوبِ
يَجِيءُ بِعَاجِلِ الْفَرَجِ الْقَرِيبِ

١٦٦ب/ وقال أيضاً: [من الخفيف]

قَالَ فِي الثَّعْلَبِ الْحَكِيمِ مَقَالاً
أَنَا أَعْدَى مِنَ الْكِلَابِ وَلَكِنْ
صَدَقْتَهُ الْعُقُولُ وَالْأَلْبَابُ
خَيْرُ مَالِي أَنْ لَا تَرَانِي الْكِلَابُ

وقال أيضاً: [من المتقارب]

دَعَاؤُهُ يُخَرِّقُ أَثْوَابَهُ
وَقَدْ ضَرَبَ الشَّوْقُ فِي قَلْبِهِ
وَأَقْبَلَ يَطْلُبُ وَضَلَ الْحَبِيبَ
وَيَبْكِي وَيَنْدُبُ أَحْبَابَهُ
خِيَاماً وَقَدْ مَدَّ أَطْنَابَهُ
فَصَدَّ وَأَغْلَقَ أَبْوَابَهُ

وقوله في الزهد: [من الوافر]

إِلَهِي إِنْ تُؤَاخِذْنِي بِعَدْلٍ
فَإِنَّكَ لِلرِّضَا يَارَبِّ أَهْلًا
وَأَنْ تَغْفِرَ إِسَاتِي فَفَضْلٌ
وَالْأَنْتَ لِلْإِحْسَانِ أَهْلٌ

وقال في مثله: [من الوافر]

إِلَهِي أَتَقَلَّتْ ظَهْرِي دُئُوبِي
وَمَا عُذْرِي إِلَيْكَ سِوَى أَتْكَالِي
وَمَا أَنَا قَدْ مَلَأْتُ بِهَا كِتَابِي
عَلَيْكَ وَأَنْتَ حَسْبِي فِي حِسَابِي

وقوله فيه: [من الوافر]

إِلَهِي لَيْسَ لِي فِي الْحَشْرِ دُخْرُ
عَجَزْتُ عَنِ الْمَرَآكِبِ إِذْ أَرَدْتُ أَلَّ
أَفُوزُ بِهِ سِوَى الظَّنِّ الْجَمِيلِ
عُبُورَ فَجِئْتُ فِي سَفْنِ السَّيْلِ

وقال أيضاً: [من الرمل]

كَيْفَ آنَسْتُ الْبُرَيْقَ الْمُؤَمِّضَا
لَا حَ كَالْهِنْدِيِّ طَوْرًا مُغْمَدًا
يَا أَثِيلَاتِ اللَّوَى كَمْ عَبْرَةً
أُتْرَاهُ عَنْ مَنْ نَحْوِ الْعَصَا^(١)
يَبْدُ الْقَيْنَ وَطَوْرًا مُتَضَمِّنًا
مَرَفِي وَأَدِيكَ حَتَّى رَوْضَا

عَائِدُ أُمِّ قَائِتٍ مَا قَدْ مَضَى
وَحَمَى عَنْ مُقْلَتِي الْغُمَضَا
بِأَبِي الْجَفْنِ الْمَرِيضِ الْمُمْرَضَا
نَصَبَ الْحَبِّ فُوَادِي غَرَضَا
قَبْلَ أَنْ يُرْسَلَ سَهْمًا إِنْ تَضَى
جَارٍ فِي حُكْمِ الْهَوَى لِمَا قَضَى

خَبَّرِي هَلْ طِيبُ أَيَّامِكَ لِي
وَعَزَّالِ صَادَ قَلْبِي بِالْحَمَى
أَمْرَضْتُ أَجْفَانَهُ إِذَا مَرَضْتُ
كَلَّمَا سَدَّدَ سَهْمًا لِحُظَّةِ
مَا عَلَيْهِ فِي الْهَوَى لَوْ أَنَّهُ
مَنْ مُجِيرِي مَنْ تَجَنَّبَهُ وَقَدْ

وقال في الشمعة: [من السريع]

بِأَذْمُعٍ مِنْ نَفْسَهَا تَجْرِي
فِي نَفْعَهَا لِلْخَلْقِ فِي ضَرٍّ
تَبْقَى وَتَنْصَرُّ وَلَا تَذْزِي

وَشَمْعَةٌ تَبْكِي عَلَى نَفْسَهَا
/ ١٦٧ ب / تَنْفَعُ بِالنُّورِ وَلَكِنَّهَا
كَدُودَةٍ لِلْقَزِّ تَبْنِي وَلَا

وقوله في البرد: [من الطويل]

مُعَارِضَةٌ ثُمَّ اسْتَهَلَّتْ عَزَّالِيهَا
مِنَ الدَّرْبِ بَادِيهَا سَوَاءً وَتَالِيهَا
لَفَرَطٍ تَجَنَّبَهَا سُموطٌ لَالِيهَا

وَعَذْرَاءٌ مِنْ غُرِّ السَّحَابِ أَقْبَلَتْ
فَأَلْقَتْ عَلَى الْأَرْضَيْنِ فَذَا وَتَوَامًا
كَغَيْرَانَةٍ حَطَّتْ خِمَارًا وَقَطَّعَتْ

وقال أيضًا: [من الوافر]

فَتَمَّ يَكُونُ إِدْرَاكُ النَّجَاحِ
إِذَا مَا حَانَ إِقْبَالُ الصَّبَاحِ

إِذَا مَا اشْتَدَّ مَكْرُوهُهُ بَعْبَدَ
كَذَاكَ اللَّيْلُ أَظْلَمَ مَا تَرَاهُ

وقوله في الزهد: [من البسيط]

وَقَدْ عَلِمْتُ يَقِينًا أَنَّهَا نَعَصُ
وَرَوْحَهَا نَضَبٌ وَعَذْبُهَا نَعَصُ
وَالْحِرْصُ يَزْدَادُ بِي وَالْعُمُرُ يَنْقُصُ

مَالِي سَكَنْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَزَيْتَتَهَا
وَعَوْدُهَا كَذِبٌ وَجَدُّهَا لَعَبٌ
كَيْفَ التَّخْلُصُ مِنْ أَشْرَاكِ زَيْتَتَهَا

وقال أيضًا / ١٦٨ / يمدح الملك المنصور ناصر الدين أبا المعالي محمد بن عمر بن

شهنشاه بن أيوب صاحب حماة -: [من البسيط]

وَذِي الصَّبَابَةِ تَطْوِينُهُ وَتَنْشُرُهُ
بِمَا يُكْتَمُ وَالْمَحْبُوبُ يَهْجُرُهُ

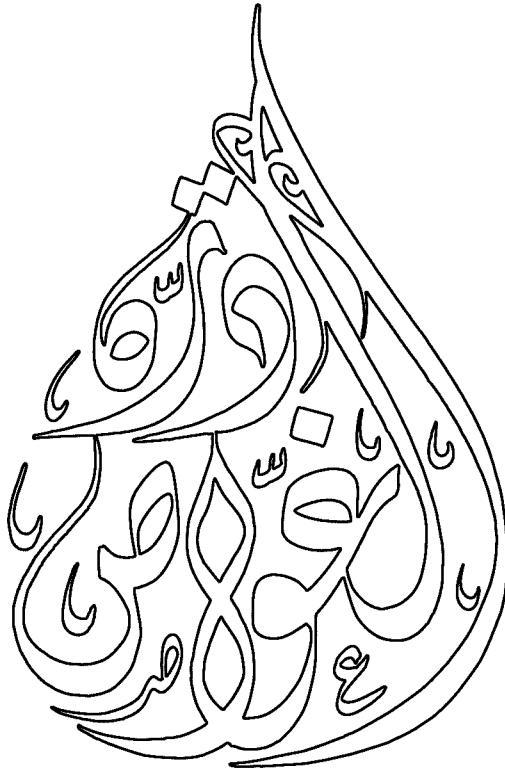
كَمْ يَسْتُرُ الصَّبَّ مَاذَا الدَّمْعُ يُظْهِرُهُ
وَالْحُبُّ أَطْيَبُ مَا بَاحَ صَاحِبُهُ

إِذَا شَفَى النَّفْسَ مِنْ دَمْعٍ يُحَدِّدُهُ
 نَوَاطِرُ السَّحَرِ صَبَابَاتٍ يَسْحَرُهُ
 بَعْدَ الْهُدَى فِي هَوَى مَنْ لَيْسَ يَعْذَرُهُ
 فُؤَادُهُ لَمْ يَزَلْ بِاللَّحْظِ يَقْمَرُهُ
 وَقَدْ حَوَى الْقَلْبَ مَا يَحْوِيهِ مُثْرُهُ
 وَصَفَّرَ الْخَدَّ مِنْ خَدَّيْهِ أَحْمَرُهُ
 وَشَعْرُهُ مِثْلُ لَيْلٍ بَتُّ أَسْهَرُهُ
 فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ يَنْسَانِي وَأَذْكَرُهُ
 بِالصَّدِّ وَالْمَلِكِ الْمَنْصُورِ يَنْصُرُهُ
 مُحَمَّدٌ لُصُورُ الدُّهْرِ أَدْخَرُهُ
 وَالْغَالِبُ الْمَلِكُ الْقَهَّارُ يَقْهَرُهُ
 وَجَابِرٌ عَسْكَرُ الْإِسْلَامِ عَسْكَرُهُ
 فَكُفُّهُ أَبَدًا تَزْدَادُ أَنْهَرُهُ
 أَيَّامُهُ الْغُرُ أَعْيَادُ وَأَشْهَرُهُ
 وَالْيَوْمُ مَكْسُورٌ تَابَ الْجُودُ يَجْبُرُهُ
 سُوقٌ وَصَارَ عَلَى الْغَالِي تَخِيرُهُ
 مَنْ حَاتَمَ الْجُودَ مَنْ فِي الرُّوعِ عَتَرُهُ
 هُمْ سَمَاعٌ وَهَذَا الْيَوْمُ نَنْظُرُهُ
 وَكُلُّ خُبْرٍ دَقِيقٌ فَهُوَ يَخْبُرُهُ
 بِجَدِّهِ وَهُوَ عَالِي الْجَدِّ يَعْقُرُهُ
 وَكَمْ سَمَاءَ بِاسْمِهِ الْمَشْهُورُ مِنْبَرُهُ
 وَسُورُهُ لَا أَرَى قَصْرًا مُسَوَّرُهُ
 وَالْبَذْرُ مِنْ وَجْهِهِ لِلْبَذْرِ يَبْهَرُهُ
 مِنَ الْأَنَامِ وَمَنْ صَافَاهُ جَوْهَرُهُ
 صَافِي السَّرِيرَةِ لَا غَشٍّ يَكْدَرُهُ
 صُبْحًا بَدَا يَهْزِمُ الظُّلْمَاءَ مُسْفِرُهُ

وَفِي الْبُكَاءِ شَفَاءُ النَّفْسِ مَنْ قَلَقَ
 يَا لِلْبُدُورِ مِنَ الْبَذْرِ الَّذِي نَظَرْتُ
 مُتِمًّا ظَلَّ يَمْشِي فِي ضَلَالَتِهِ
 يَشْكُو إِلَى قَمَرِ الظُّلْمَاءِ مَنْ قَمَرَ
 سَقِيمٌ خَضِرَ حَوَى جِسْمِي السَّقَامَ بِهِ
 وَبَيَضَ الْعَيْنَ مِنْ عَيْنَيْهِ أَسْوَدَهَا
 فَوَجَّهَهُ مِثْلُ صُبْحٍ بَتُّ أَرْقَبُهُ
 أَهْوَى رِضَاهُ وَيَهْوَى السُّخْطُ لِي وَأَنَا
 وَكَيْفَ يَخْذُلُ يَوْمًا جَيْشُ مُضْطَبَّرِي
 /١٦٨ب/ وَنَاصِرُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا فَتَى عَمَرِ
 الْوَاهِبُ الْمَلِكُ مُلْكًا غَيْرَ مُكْتَرَثِ
 وَكَاسِرُ عَسْكَرِ الْإِفْرَنْجِ يَوْمَ وَعَى
 أَهْلَ الشَّامِ إِذَا مَا غَاضَ نَهْرُكُمْ
 وَهُوَ الَّذِي أَيُّ أَرْضٍ حَلَّهَا فَبَهَا
 عَشْنَا بِهِ بَعْدَ مَوْتٍ كَانَ نَازِلَنَا
 وَصَارَ بَعْدَ كَسَادِ الشَّعْرِ مِنْهُ لَنَا
 مَنْ كَانَ قَيْسٌ وَمَنْ قَيْسٌ وَمَنْ هَرَمَ
 دَعَا ذِكْرَ مَنْ مَارَ أَيْنَاهُمْ بِأَعْيُنَنَا
 وَكُلُّ عِلْمٍ جَلِيلٌ فَهُوَ يَعْلَمُهُ
 وَكُلُّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرِ يُعَانِدُهُ
 كَمْ جَامِعٍ جَامِعٌ فِيهِ الْخَطِيبُ لَهُ
 أَضْحَتْ حَمَاهُ بِهِ مِثْلَ السَّمَاءِ سَمَتْ
 وَالشَّمْسُ مِنْ وَجْهِهِ لِلشَّمْسِ تَخْجُلُهَا
 /١٦٩أ/ بَحْرٌ مُحِيطٌ لِمَنْ نَاوَاهُ مُهْلِكُهُ
 مَاضِي الْعَزِيمَةِ لَا عَزْمٌ يُقْلِقُهُ
 إِذَا بَدَا مُقْبِلًا فِي الدَّرْعِ تَحْسِبُهُ

يَخُوضُ مَوْجَ بَحَارِ الْمَوْتِ جَحْفَلُهُ وَجَحْفَلُ الْمَوْتِ لَا تَنْخَاضُ أَبْحَرُهُ
وَيُورِدُ الْخَيْلَ مَا تَهْوَى وَيُصْدِرُهَا وَتُورِدُ الْخَيْلَ مَا تَهْوَى وَتُصْدِرُهُ
وَالْخَيْرُ يُوجِدُهُ وَالشَّرُّ يُعْذِمُهُ وَالْجَوْرُ يَدْحَضُهُ وَالْعَدْلُ يَنْشُرُهُ^(١)

/ ١٦٩ ب / (٢).



(١) بعد هذا بياض بمقدار ثمانية أسطر تتلوها صفحة فارغة .

(٢) هذه الصفحة بياض في الأصل .

ذكر من اسمه ياقوت

[٩٠٥]

ياقوتُ بنُ عبد الله، أبو عبد الله، الروميُّ الأصل، البغداديُّ المنشأ، الحمويُّ المولد^(١).

أخبر عن نفسه بما ذكر في كتابه «معجم الأدباء» ما هذا معناه ولفظه: أَنَّهُ حُمِلَ إِلَى مدينة السلام طفلاً عُمُرُهُ خمس سنين أو ست، وملكه رجل تاجر من حماة، يُعرَف بعسكر بن أبي نصر بن إبراهيم الحموي. ونشأ في حجره وعَلَّمَهُ الكتابةَ واتَّخَذَهُ مأخِذَ الولد؛ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ قَلِيلَ الرَغْبَةِ فِي العِلْمِ أُمِّيًّا لَا يَعْرِفُ الخَطَّ وَلَا شَيْئًا مِنَ العِلْمِ. وَكَانَتْ هِمَّتُهُ فِي طَلَبِ المعاش والدنيا، فعَلَّمَهُ الخَطَّ وظهر منه شَفَقَةٌ عَلَيْهِ، وَحَبَّبَ العِلْمَ إِلَيْهِ مُنْذُ كَانَ فِي المَكْتَبِ؛ فَمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ مُنْذُ كَانَ عُمُرُهُ سَبْعَ سِنِينَ إِلَى أَنْ تَوَفَّى مَا خَلَّتْ يَدُهُ مِنْ كِتَابٍ يَسْتَفِيدُ مِنْهُ أَوْ يُطَالَعُهُ، أَوْ يَكْتُبُ مِنْهُ شَيْئًا أَوْ يَنْسُخُهُ.

ثم سافر في بضائع مولاه برًّا وبحرًا إلى كيش أربع مرات، وإلى /١٧٠ب/ مصر عدَّةَ مرار، وإلى دمشق نوبًا لا تحصى، إِذْ كَانَ فِي حَكْمِ مولاهُ وَبَعْدَهُ. وَغَاضِبَ مولاهُ

(١) ترجمته في: تاريخ إربل ٣١٩/١ - ٣٢٤ رقم ٢٢٣. العبر ١٠٦/٥. مرآة الجنان ٥٩/٤ - ٦٣. لسان الميزان ٢٣٩/٦. شذرات الذهب ١٢١/٥ - ١٢٢. الجامع المختصر لابن الساعي ٣٠٧/٩. التكملة للمنذري ٢٤٩/٣ - ٢٥٠ رقم ٢٢٥٦. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٦٦ - ٢٧٠ رقم ٣٨٠. سير أعلام النبلاء ٣١٢/٢٢ - ٣١٣ رقم ١٨٨. العبر ١٠٦/٥ - ١٠٧. النجوم الزاهرة ١٨٧/٦. إنباه الرواة ٧٤/٤ - ٩٢ رقم ٨٤٠. المسجد المسبوك ٤٣٩/٢. المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٢٥٣ - ٢٥٤ رقم ١٩٦. الفلاكة والمفكوكين للدلجي ٩٢ - ٩٣. ديوان الإسلام ٣٨٧/٤ - ٣٨٨ رقم ٢١٩٣. معجم المؤلفين ١٨٧/١٣. كشف الظنون ٦٤. هدية العارفين ٥١٣/٢. الأعلام ١٣١/٨. وفيات الأعيان ١٢٧/٦ - ١٤٣. تكملة بروكلمان ٨٨٠/١. تاريخ الأدب الجغرافي لكراتشكوفسكي ٣٣٥/١. أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب للدكتور صلاح الدين المنجد ٦١/١ وما بعدها. مقدمة الجزء الخامس من معجم البلدان - طبعة وستفيلد. مقدمة معجم الشعراء في معجم البلدان لكامل سلمان الجبوري.

في سنة ست وتسعين وخمسمائة وأعتقه. فكانت حرفته النسخ، فكتب بيده في مدة سبع سنين ثلاثمائة مجلد.

ثم عاود صلح مولاه، وسافر إلى أن [توفي] مولاه في سنة ست وستمائة. وانفرد بنفسه وسافر إلى بلاد خراسان؛ ثم رجع إلى ديار مصر والشام، ولقي مشايخها وعلماءها، وشاهد أدباءها وفضلاءها، وجالس صدورها وكبراءها، وأخذ عنهم الآداب الكثيرة، واستفاد منهم الفوائد الغزيرة.

ثم نزل حلب وسكنها إلى أن توفي بها في العشرين من شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة. وكان مولده - فيما ذكره - سنة أربع أو خمس وسبعين وخمسمائة لا زيادة على ذلك.

وألف كتباً منها؛ كتاب «معجم البلدان» أجاد تأليفه، وكتاب «معجم أئمة الأدب» لم يقصر في جمعه، وكتاب «معجم الشعراء»، وكتاب «ضرورات الشعر»، وكتاب / ١٧١ / «مختصر تاريخ بغداد» لأبي بكر الخطيب البغدادي، وكتاب «منتخب كتاب الأغاني»، وكتاب في «النسب»، وكتاب «الأبنية»، وكتاب «مختصر معجم البلدان» على غير ذلك الترتيب الذي رتبته، وإلى غير ذلك من التأليفات.

وكان ضئيلاً بما يجمعه لا يحب إطلاع أحد على ما يؤلف، شديد الحرص عليه، لا يفيد لمخلوق فائدة البتة. وكان ربماً سئل عن شيء وهو به عارف لم يجب عنه شحاً وجفاء طبع هكذا كانت شيمته مع الناس. وخلف كتباً وأوصى أن توقف ببغداد بدرج دينار بمسجد الشريف الزيدي.

شاهدته بالموصل؛ وهو كهل أشقر أحمر اللون، أزرق العينين. وكانت بينه وبين أخي صداقة وأنس تام، واقتضيته شيئاً من شعره، فأجاب إلى ذلك وجعل يماطلني ويعدني هكذا مدة من الزمان. ثم سافر إلى بلاد الشام، فما عدت رأيته بعد ذلك.

أنشدني صاحب الوزير / ١٧١ ب / شرف الدين أبو البركات المستوفي الإربلي بها - رحمه الله تعالى - في سنة خمس وعشرين وستمائة، قال: أنشدني أبو عبد الله ياقوت لنفسه في غلام يرمي بالنشاب: [من الطويل]

وَطَبِي لَهُ خَصْرٌ كَصَبْرِي نَحَافَةً وَرَدُّفٌ كَوَجْدِي فِي مَحَبَّتِهِ عُظْمًا
إِذَا مَا رَمَى الْعُشَاقَ عَنْ قَوْسٍ حَاجِبٍ بِالْفَرَمَى الْقِرطَاسَ عَنْ قَوْسِهِ سَهْمًا
يَحِنُّ إِلَيْهِ الْقَوْسُ فِي حَالِ نَزْعِهِ وَيَنْزِعُ مِنْ هَوْلِ الْفِرَاقِ إِذَا يُرْمَى

وأنشدني، قال: أنشدني ياقوت لنفسه: [من المتقارب]

وَطَبِي مِنَ التُّرْكِ ذِي نَخْوَةٍ عَلَى الصَّبِّ يَعْجُزُ عَنْهَا الْأَسَدُ
إِذَا رُمْتَ مِنْهُ وَصَالًا أَبَى وَصَالَ بِحَيْشٍ قَوِيٍّ الْعُدَدُ
بَسِيفِ اللَّحَاطِ وَرُمَحِ الْقَوَامِ وَلَمَعَ الْخُدُودُ وَلُبْسِ الزَّرْدِ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه، وكتب به إلى بعض الأكابر وقد دخل إليه مرة، وأراد

الإستئذان عليه ثانياً: [من السريع]

/١٧٢/ الْعَيْنُ مِنِّي لَمْ تَزَلْ فِي أَدَى مِنْ نَظَرِي لِلْهَمَلِ الْمَاشِيَةِ
وَأَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهَا إِذَا رَأَتْكُمْ رَأَتْ الْعَافِيَةَ
بِالنَّظَرَةِ الْأَوَى أَنْجَلَى دَاوُهَا فَلَتَجْلَهَا نَظَرْتُكَ الثَّانِيَةَ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه ما كتبه إلى صديق له: [من البسيط]

اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْبَيْنِ كَمْ رَشَقَتْ صُرُوفُهُ بِسَهَامِ الْبَيْنِ إِحْسَانِي
إِنْ جَاءَ بِالْقُرْبِ يَوْمًا مِنْ أَحِبَّتَنَا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ فَقَصْدٌ مِنْهُ أَقْصَانِي

وأنشدني الشيخ الحافظ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن النجار

البغدادى بها - رحمه الله تعالى - في سنة تسع وثلاثين وستمائة، قال: أنشدني أبو عبد الله

ياقوت بن عبد الله في غلام تركي على عينه وقاية سوداء قد رمدت^(١):

[من الكامل]

/١٧٢ب/ وَمَوْلَدٌ لِلتُّرْكِ تَحَسَّبُ وَجْهَهُ بَدْرًا يُضِيءُ سَنَاهُ بِالْإِشْرَاقِ
أَرْخَى عَلَى عَيْنَيْهِ فَضْلٌ وَقَايَةً لِيَرُدَّ فَتَنَّتْهَا عَنِ الْعُشَاقِ
تَاللَّهِ لَوْ أَنَّ السَّوَابِغَ دُونَهَا نَقَذْتُ فَهَلْ بِوَقَايَةٍ مِنْ وَاقِ

وأنشدني أيضاً، قال: أنشدني ياقوت لنفسه: [من الطويل]

بِنَفْسِي ظَبْيِي مَرَبِّي فِي الْقَلَا قَل
تَنَاهَبَهُ الرَّأؤُونَ مِنْ حُسْنِ وَجْهِهِ
رَشَاءَ مَنْ بَنَى الْأَثْرَاكَ إِمَّا نَسَبَتْهُ
تَزَايَدَ وَجَدِي مِنْ تَنَاقُصِ وَدِّهِ
يُوسِّعُ عُذْرِي فِيهِ ضَيْقُ بَجْفِنِهِ
يُضْحِي الْوَرَى بِالْبُذْنِ فِي عَيْدِ نَحْرِهِمْ

ونقلت من خطه قوله ما كتبه إلى بعض أصدقائه : [من السريع]

عَبِيدُكَ الدَّاعِي أَتَى قَاصِداً
/ ١٧٣ / مِنْ خِدْمَةِ يَخْدُمُهُ كُلُّ مَنْ
وَرَامَ تَقْيِيلَ يَدَيْكَ الَّتِي
وَيَشْتِي بَعْدَ الثَّأِ وَالِدَّعَا
فِي مَوْطِنِ التَّوْحِيدِ مَكْنُونُهُ
فَحَالُ مَنْ دُونَكُمْ أَسْوَدُ
فَهَا أَنَا مُذْ ذَاكَ فِي حَيْرَةٍ
غَيْظاً يُمِيتُ الْقَلْبَ تَذْكَارُهُ
لَمْ يَحْجُبُوا وَقَدْ عَطَايَا فَلَمْ
فَظَلْتُ فِيهِ مُفَكِّراً وَاجْماً
لَمَّا بَدَا لِي أَنَّ أَوْصَافَهُ
وَقَالَ لِي الْقَلْبُ: إِذَا كُنْتَ مِنْ
فَلَا تُرْعَ لِأَبَدٍ لِلْمُجْتَنِّي

إِلَى قَضَاءِ الْفَرُضِ وَالنَّفْلِ
يَمْشِي بِحَزَنِ الْأَرْضِ أَوْ سَهْلٍ
بِهَاءِ عَرَفْنَا صُورَةَ الْعَدْلِ
مُسْتَحَقِّباً مَنْ فَضْلِكَ الْجَزْلِ
طَوْرًا وَطَوْرًا مَوْضِعَ الْكُحْلِ
فِي لَوْنِهِ وَالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ
مُدْلَاهُ التَّمْيِيزِ وَالْعَقْلِ
مَنْ فَعَلَ هَذَا الْأَسْوَدَ النَّذْلِ
يُحْجَبُ مَنْ يَرْغَبُ فِي الْفَضْلِ
حَتَّى أَنْجَلِي عَنِّي عَمَى الْجَهْلِ
مَأْخُودَةٌ مِنْ صِفَةِ الْقُفْلِ
أَهْلُ الْحَجَى وَالْفَهْمِ وَالنُّبْلِ
شَهِدَ الْعَلَا مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ

وقوله وهو مقيم بمرو من بلاد خراسان : [من الكامل]

مَا مَرَّ مِنْ عُمْرِي بِلَا نَفْعٍ
/ ١٧٣ ب / أَضْحَى يَضِيقُ فُسْحَةَ الْأَمَلِ
مَاعِنَ لِي غَرَضُ فَأَقْصِدْهُ
يُذْنِي لِي الْأَمَالُ يَهْزَأُ بِي
وَلَّتْ تَقْوِلُ: أَمَّا عَقَلْتُ أَمَّا
يَا قَلْبُ ضَاقَ الْعُمْرُ عَنْ أَمَلِ

مَا مَرَّ مِنْ عُمْرِي بِلَا نَفْعٍ
إِلَّا أَتَتْحَاهُ الدَّهْرُ بِالْمَنْعِ
حَتَّى أُمِدَّ لَا أَخْذَهَا ضَبْعِي
تَاللَّهِ أَشْعَبَ الطَّبْعِ
وَأَتَاكَ شَيْبُ الرَّأْسِ بِالرَّدْعِ

فَارْجُ الْإِلَٰهَ وَتُبْ عَلَيْهِ عَسَىٰ يُعْطِيكَ فِي الْآخِرَىٰ بِلَا مَنَعٍ

وقال فيمن تورّع بوعده، ثم لم يف به: [من البسيط]

يَا سَيِّدًا بَدَّ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ
مَاذَا دَعَاكَ إِلَيَّ وَعَدْتُ صَيِّرُهُ
لَا تَعْجَلَنَّ بِقَوْلٍ ثُمَّ تَخْلُفُهُ
فَالْوَعْدُ بَذْرٌ وَلَطْفُ الْقَوْلِ مَنِيَّةُ

وقال في الغزال: [من البسيط]

١٧٤/ يَا طَلْعَةَ الْبَذْرِ إِلَّا أَنَّهُ بَشَرٌ
الْبَذْرُ قَدْ شَانَهُ فِي وَجْهِهِ كَلْفٌ
قَالُوا: أَمَا قَلْبُهُ قَدْ قَدَّمَ مَنْ حَجَرَ
لَوْلَاهُ مَا بَتُ طُولُ اللَّيْلِ مُرْتَقِبًا

وقوله مما كتبه إلى صديق: [من الطويل]

نَكَرْتُ الْوَرَى حَتَّى نَكَرْتُ أَبَا نَضْرٍ
لَئِنْ غَيَّرْتَهُ الْحَادِثَاتُ فَطَالَمَا
وَأَنْ قَصُرَتْ أَيَّامُ صَفْوٍ وَدَادَنَا
فَلَا تَأْتِينَ هَجَرَ الصَّدِيقِ تَعْمُدًا

وكتب إليه أيضاً: [من الطويل]

تَبَاعَدْتُكُمْ لَا أَبْعَدُ اللَّهُ دَارَكُمْ
لَئِنْ كُنْتُمْ عَنْ أَرْضٍ مُضَرَّ رَحَلْتُمْ
هَنِيئًا عَلَى رُغْمِي لِدَارٍ حَلَلْتُمْ
١٧٤ب/ فَلَوْ قِيلَ لِي مَاذَا تَمْنَى مِنَ الدُّنَى

وقال أيضاً: [من الخفيف]

زَارَنِي الْبَذْرُ بَعْدَ طُولٍ مَطَالٍ
وَصُدُودٍ أَطَالَهُ وَتَجَنَّنِي

وَنَقَىٰ بِالنَّفَارِ نَوْمِي عَنَادًا وَأَرَانِي بَعِزَّهُ الذُّلُّ مِنِّي
فَتَرَشَّفْتُ مِنْ ثَنَائِيهِ خَمْرًا لَمْ يَنْلُ طَيْبَهَا غُرُورُ التَّمَنِّي
لَمْ يَزَلْ دَابَّةُ الصُّدُودِ إِلَيَّ أَنْ عَلَّمَ الْجَفْنَ أَنْ يَهَاجِرَ جَفْنِي

وكتب إلى صديق له بهراة: [من الوافر]

أَمْوَلَايَ جَمَالَ الدِّينِ يَا مَنْ لَهُ خُلِقَ عَلَى الصَّهْبَاءِ يُزْرِي
أَرْضِي أَنْ تَكُونَ قَدْتُكَ نَفْسِي مَلِكِي فِي عِلَانِيَتِي وَسَرِّي
وَلَا تَرْضَىٰ بِمَثَلِي فِي إِيَابِي عَلَى الْأَمْلَاكِ عَبْدًا طَوَّعَ أَمْرِي
وَلَسْتُ بِلَائِمٍ لَكَ مَعَ فَعَالٍ لِأَنَّكَ جُرْتَ لِمَا جَارَ دَهْرِي

وقوله في التغزل^(١): [من الطويل]

/ ١١٧٥ / يُضَاعَفُ نَارِي فِيهِ بَارِدُ ظُلْمِهِ وَيُضْعَفُ مَا أَلْقَاهُ بَارِدُ ظُلْمِهِ
أَيَا مَلِكِ الْحُسْنِ الَّذِي أَنْقَادَتِ الْوَرَى إِلَيْهِ فَمَا يَأْبَىٰ أَمْرُهُ فَضْلَ حُكْمِهِ
يُسَالِمُ سَلْمًا دَائِبًا رَبَّ حَرْبِهِ وَيُؤْذَنُ حَرْبًا مِنْهُ طَالِبَ سَلْمِهِ
مُحِبُّكَ قَدْ مَا كَانَ يَلْقَاكَ مُحْسِنًا فَوَقَّعَ لَهُ يُجْرِي عَلَى حُسْنِ رَسْمِهِ

وقوله وقد بلغ خمسا وأربعين سنة: [من الطويل]

يَقُولُ أَنَا لَمْ تَصَابَيْتَ بَعْدَ مَا بَدَأَ فِي نَوَاحِي عَارِضِيكَ مَشِيبُ
فَقُلْتُ: يُدَاوِي كُلَّ دَاءٍ بَضْدَهُ وَهَذَا التَّصَابِي لِلْمَشِيبِ طَيِّبُ

[٩٠٦]

ياقوتُ بنُ عبدِ الله أبو الدَّرِّ الروميُّ العزِّيُّ^(٢).

عتيقُ الملك الظاهر عزَّ الدين أبي الفتح مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود ابن زنكي - رحمه الله تعالى - سلطان الموصل ومليكمها.

قدم الموصل طفلاً ونشأ بها، ومال إلى الاشتغال بالعلم حتى لقبه الناس بالعالم؛ لأنه تعلق من العلم بسبب قوي. وكان صهر الأمير أمين الدين ياقوت / ١٧٥ ب / ابن

(١) تاريخ إربل ١/ ٣٢٣.

(٢) ترجم له المؤلف سابقاً في الجزء الثالث برقم ٢٧٤ باسم (عبد الرحمن بن عبد الله).

عبد الله الكاتب الخطاط الموصلي - صاحب الخط الحسن - على إيتته - رضي الله عنه - .

وأبو الدر كان شاباً أشقر أبيض اللون، مشرباً بحمرة، جميلاً ذا منظر ورواء، ثابت العقل، وافر الفضل؛ فيه فهم وفطنة، وحياء ورزانة. اجتمع فيه العلم والدين، وحسن السيرة واليقين، والعفاف والنزاهة، والمروءة والنباهة، ولم يُعرف له منذ نشأ صبوة، وكتب الخط الرائق الذي فاق به على أقرانه؛ لأنه كتب على حميد، وجود عليه، وتخرج به، واقتبس منه أدباً وعلماً؛ وله فكر خارق في حل التراجم، وحسن عبارة في الإنشاء. وهو من الكتاب الأفراد في الكتابة، وله أشعارٌ ورسائل.

سألتُه عن مولده، فقال: يكون تقديرًا في سنة تسعين وخمسمائة. وتوفي يوم الجمعة سلخ ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة بالموصل. ودفن غربي المدينة بمقبرة الباب العمادي، فوق عين الكبريت بتربة كان حموه أنشأها لنفسه - رحمه / ١٧٦ / الله تعالى - .

ومن شعره ما حدثني بالموصل، ومن خطّه نقلتُ، يقول ياقوت بن عبد الله الأتابكي: الذي حدا الخادم على عمل هذه الأبيات، وإن لم يكن من أرباب الصناعات، أن الصدر الكبير الفاضل القاضي عز الدين القيلوي - حرس الله مجده - لما وصل إلى الموصل - خلد الله ملك مالکها - نشر من فضائل المجلس العالي العالمي الفاضلي كمال الدين، كمل الله سعاده كما كمل سيادته، وبلغه في الدارين مناه وإرادته، ما يعجز البليغ عن فهمه فضلاً عن أن يورده، لكن فضائل المجلس كانت تملئ على لسانه وتسعده، فطرب الخادم من استنشاق رباها، واشتاق إلى رؤية حاويها عند اجتلاء مَحياها، فسمح عند ذلك الخاطر مع تبلده، بأبيات تخبر المجلس بمحبة الخادم له وتعبده.

ثم أنشدني الأبيات وأنفذها إليه وهي: [من البسيط]

حَيَانْدَاكَ كَمَالِ الدِّينِ أَحْيَانَا	وَنَشْرُفُضْلِكَ عَنْ مَحْيَاكَ حَيَانَا
أَهْدَتْ عَلَى الْبُعْدِ لِي رَوْحاً وَرَيْحَانَا	وَحُسْنُ أَخْلَاقِكَ اللَّاتِي خُصِصَتْ بِهَا
حَوَيْتَ يَا عَمْرُ الْمَحْمُودُ سِيرَتَهُ	خَلَقًا وَخُلُقًا وَإِفْضَالًا وَإِحْسَانَا

إِنْ كَانَ نَجْلٌ هَالَالٌ فِي صِنَاعَتِهِ
فَأَنْتَ مَوْلَايَ إِنْسَانُ الزَّمَانِ وَقَدْ
قَدَبْتَ فَضْلَكَ عِزُّ الدِّينِ مُقْتَصِداً
فَضَاعَ شُرْكَ فِي الْحَدْبَاءِ وَانْتَشَرَتْ
أَثْنِي عَلَيْكَ وَأَمَالِي مُعَلَّقَةٌ
وَأَنْ تَطْفَلْتُ فِي صَدَقِ الْوُدَادِ وَلَمْ
فَمَا أَلَامَ عَلَى شَيْءٍ أَتَيْتَ بِهِ
يَا أَفْضَلَ النَّاسِ فِي عِلْمٍ وَفِي آدَبٍ
قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ أَرْضاً أَنْتَ سَاكِنُهَا

وَنَجْلٌ مُقْلَةٌ عَيْنَا الدَّهْرِ قَدْ كَانَا
عَدَوْتَ فِي الْخَطِّ لِلْعَيْنَيْنِ إِنْسَانَا
وَنَثَّ شُكْرَكَ إِسْرَاراً وَإِعْلَانَا
آيَاتُ فَضْلِكَ أَرْسَالاً وَوَحْدَانَا
بِحُسْنِ عَفْوِكَ تَرْجُو مِنْكَ غُفْرَانَا
يَقْضُ التَّلَاقِي لَنَا عَفَواً وَلَا حَانَا
(فَالِإِذْ تُعَشِّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا) (١)
وَأَرْجَحَ الْخَلْقَ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا
وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاهُ إِنْسَانَا

فأجابه الصاحب الإمام كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة
الفقيه الحنفي - حرس الله / ١١٧٧ هـ / معاليه - عن هذه الأبيات على الروي والوزن ، وأنشدنيها
بحلب بمنزله المعمور في سنة خمس وثلاثين وستمائة :

[من البسيط]

يَا مَنْ أَبْحَثُ حَمَى قَلْبِي مَوَدَّتَهُ
أَرْسَلَتْ نَحْوِي آيَاتاً طَرِبْتُ بِهَا
فَرُحْتُ اخْتَالَ عُجْباً مِنْ مَحَاسِنِهَا
رَقَّتْ وَرَاقَتْ فَجَاءَتْ وَهِيَ لَابِسَةٌ
حَكَّتْ بِمَشْوَرِهَا وَالنَّظْمِ إِذْ جُمِعَا
جَرَّتْ عَلَى جُرُولِ أَثْوَابِ زِينَتِهَا
أَضَحَّتْ تُغَيِّرُ وَجْهَ الْعَنْبَرِيِّ فَمَا
يُمْسِي لَهَا أَبْنُ هَالَالٍ حِينَ يَنْظُرُهَا
كَذَاكَ أَيْضاً لَهُ عَبْدُ الْحَمِيدِ غَدَا
أَنْتَ وَعَبْدُكَ مَغْمُورٌ بَعْلَتِهِ

وَمَنْ جَعَلْتُ لَهُ أَحْشَايَ أَوْطَانَا
وَالْفَضْلُ لِلْمُبْتَدِي بِالْفَضْلِ إِحْسَانَا
كَشَّارِبَ ظِلٍّ بِالصَّهْبَاءِ تَشْوَانَا
مِنَ الْبَلَاغَةِ وَالتَّرْصِيعِ أَلْوَانَا
بِأَحْرِفٍ حَسُنَتْ رَوْضاً وَبُسْتَانَا
إِذَا أَصْبَحَتْ وَهِيَ تَكْسُو الْحُسْنَ حَسَانَا
بَنُو اللَّقِيطَةِ مَنْ دُهِلَ بِنَ شَيْبَانَا
يَحْكِي أَبَاهُ بِمَا عَانَاهُ نَقْصَانَا
عَبْدًا يَجُرُّ مِنَ التَّقْصِيرِ أَرْدَانَا
فَعَادَرْتَهُ صَحِيحاً خَيْرَ مَا كَانَا

(١) عجز بيت لبشار بن برد، وصدرة:

«يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن

انظر: ديوانه ١٩٤/٤.

١٧٧ب/ وَكَيْفَ لَا تَدْفَعُ الْأَسْقَامَ عَنْ جَسَدِي وَهِيَ الصَّبَا حَمَلْتُ رَوْحًا وَرَيْحَانًا
فَمَا عَلَى طَيْفِهَا لَوْ عَادَ يَطْرُقُنَا فَرُبَّمَا زَارَ أَحْيَانًا فَأَحْيَانًا
فَاسْلَمَ فَأَنْتَ أَمِينُ الدِّينِ أَحْسَنُ مَنْ وَشَى الطُّرُوسَ بِمَنْظُومٍ وَمَنْ زَانَا
وَلَا تَخْطُتُ إِلَيْكَ الْحَادِثَاتُ وَلَا حَلَّتْ بِرُبْعِكَ يَا أَعْلَى الْوَرَى شَانَا

وأنشدني لنفسه، وكتبه لي بخطه، ما مدح به بدر الدين أبا الفضائل لؤلؤ بن عبد الله

- صاحب الموصل - من قصيدة أولها: [من الكامل]

حَكَمَ الزَّمَانُ بِكُلِّ مَا تَخْتَارُ وَجَرَتْ بِمَا أَمَلْتَهُ الْأَقْدَارُ
وَأَزْدَأَنْتَ الدُّنْيَا بِمُلْكِكَ وَأَعْتَدِي فِي وَصْفِ مَجْدِكَ تُنْظِمُ الْأَشْعَارُ
وَعَدَتْ رُبُوعُ السَّعْدِ أَهْلَةَ الرُّبَى مُخْضَرَّةً قَدْ حَفَّهَا النُّوَارُ

ومنها يقول:

أَيَّامُ عَزِّكَ كُلُّهُنَّ أَصَائِلُ مِنْ حُسْنِهِنَّ وَلَيْلُهَا أَسْحَارُ
أَنْتَ الْأَنَامُ جَمِيعُهُمْ وَزَمَانُكَ الْأَيَّامُ وَاللَّدُنْيَا الْمَجْدُكَ دَارُ
/ ١٧٨أ/ فُتِ الْمُلُوكُ وَغَيْرُهُمْ بِمَنَاقِبِ شَهِدَتْ بِهَا الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ
أَحْيَيْتَ آلَ الْمُصْطَفَى بِمَكَّارٍ سَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ وَالسُّفَارُ
وَنَعَشْتُهُمْ بِنَدَى يَدَيْكَ فَأَصْبَحُوا تَهْمِي عَلَيْهِمْ دِيْمَةٌ مَدْرَارُ
كُلَّيَا يَدَيْكَ لَنَا سَحَابٌ هَاطِلُ يُمْنَاكَ يُمْنٌ وَالْيَسَارُ يَسَارُ
فَاسْلَمَ لِهَذَا الْمُلِكِ تَنْظِمُ شَمْلُهُ مَا عَرَدَتْ فِي أَيْكِهِمَا الْأَطْيَارُ
فِي دَوْلَةٍ حَفَّ النَّعِيمُ رَوَاقَهَا اللَّهُ جَارُكَ وَالنَّبِيُّ الْمُخْتَارُ

وأنشدني لنفسه حين وصل إربل يمدح الوزير صاحب الكبير العالم المنعم شرف

الدين أبا البركات المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب المستوفي - رضي الله عنه - من

غير معرفة تقدّمت: [من الطويل]

أَيَا ذَا كَرَأْظُلْمًا مَسَاوِيءَ إِرْبِلِ كَأَنَّ رُؤَيْدًا قَدْ نَطَقَتْ بِهَا جَهْلًا
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي إِرْبِلِ مَنْ فَضِيلَةٌ سَوَى شَرَفِ الدِّينِ الَّذِي جَمَعَ الْفَضْلَا
/ ١٧٨ب/ لَنَاهَتْ عَلَى كُلِّ الْبِلَادِ لَأَنَّهَا بِسُكْنَاهُ فِيهَا حَازَتْ الْمَجْدَ وَالنَّبْلَا
فَتَى شَغَلَتْهُ الْمَكْرُمَاتُ فَلَنْ تَرَى لِهِمَّتِهِ فِي غَيْرِ مَكْرُمَةٍ شُغْلَا

مِنْ النَّفَرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ وَجُوهُهُمْ
 إِلَى الْمَلِكِ النُّعْمَانِ تَنْمِي فُرُوعُهُ
 إِذَا قَالَ بَذَّ الْقَائِلِينَ وَلَمْ يَدْعُ
 أَبَا الْبَرَكَاتِ الْخَيْرَ دَعْوَةً مُخْلِصَ
 مَدْحُكَ لَا أَرْجُو الْجَوَائِزَ وَالرُّشَى
 بِهَا يَهْتَدِي السَّارُونَ فِي قَصْدِهِ السُّبُلَا
 فَأَكْرَمَ بِهِ فَرْعًا وَأَكْرَمَ بِهِ أَصْلَا
 لَذِي إِرْبَةٍ فِي الْقَوْلِ جَدًّا وَلَا هَزْلَا
 يَوَدُّكَ عَنْ بَعْدِ وَمَا عَايَنَ الشُّكْلَا
 وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْمُدْحَ فِي أَهْلِهِ أَوْلَى

وأنشدني لنفسه في غلام مؤدّن: [من الخفيف]

بِأَبِي شَادَنْ يُودُّنُ لَلْأَجْدِ
 كَلَّمَا جَدَلُ اللَّحَاظُ قَتِيلَا
 رَوَسْبِي لِحَاظُهُ كُلُّ مُوجِرِ
 قَالَ: تِيهًا بِقَتْلِهِ اللَّهُ أَكْبَرُ

وأنشدني أيضاً قوله ما كتبه إلى بعض الكبراء: [من البسيط]

كُلُّ الْحَوَائِجِ بَعْدَ اللَّهِ مَرْجِعُهَا
 / ١٧٩ / أَحْيَيْتَ أَمَانَنَا مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطَتْ
 إِلَيْكَ يَا مَنْ لَدَيْهِ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ
 كَالرَّوْضِ أَحْيَاهُ لَمَّا أَنْ ذَوَى الْمَطَرُ

وأنشدني أيضاً لنفسه: [من الطويل]

سَلَامٌ كُنْشَرِ الرَّوْضِ بَاكِرُهُ الصَّبَا
 عَلَى الْجَانِبِ الْمَحْرُوسِ لَا زَالَ عَالِيَا
 فَضْوَعٌ مِنْ رِيَاهُ مَا كَانَ كَامِنَا
 وَأَصْبَحَ مِنْ رَيْبِ الْحَوَادِثِ آمِنَا^(١)

/ ١٧٩ ب / (٢).

(١) بعدها بياض بمقدار ١٠ أسطر.

(٢) هذه الصفحة بياض في الأصل.

ذكر من اسمه يحيى

[٩٠٧]

يحيى بن أحمد بن موسى، أبو زكريا الضرير المقرئ،
الموصللي الدار والسكنى.

وكان من قرية من قرى العراق تدعى برّفا.

هاجر إلى الموصل واستقرّ مقامه بها إلى حين وفاته في شهر رمضان سنة ثمانى عشرة
وستمائة. ورأيت به شيخاً طويلاً كهلاً أسمر اللون ساكناً بالمدرسة العتيقة. وكان شاعراً
قارئاً للقرآن العزيز فاضلاً.

وحدثني صاحب الوزير أبو البركات المستوفي الإربلي بها - رضي الله عنه - قال :
أخبرت عنه أنّه كان يضرب بالعود، وينادم الأكابر، ويشرب الخمر. ورد إربل غير مرة، ولم
أستشده من أشعاره إلى أن ورد في سلخ ذي الحجة سنة عشر وستمائة، فأنشدني لنفسه من
قصيدة يمدح بها أتابك نور الدين أبا الحارث أرسلان شاه بن مسعود بن مودود - صاحب
الموصل - : [من البسيط]

١٨٠ب/ دَيْنُ الصَّوَارِمِ وَالْعَسَالَةِ الذُّبْلِ عَزَّ تَدِينُ لَهُ الْأَعْنَاقُ فِي الْقُلْلِ
إِرْكَبَ عَلَى صَافِنَاتِ الْعِزِّ مُتَّخِذًا مَوَاطِنًا فِي ذُرَى الْعَلْيَاءِ لِلنُّقْلِ

ومنها في المديح :

كُلُّ الْمُلُوكِ أَكْتَسَتْ مِنْ فَخْرِكُمْ حُلًّا كَمَا أَكْتَسَى آدَمُ مِنْ سَيِّدِ الرُّسُلِ
أَتَى أَخِيرًا وَحَازَ السَّبْقَ قَاطِبَةً كَذَلِكَ الْقَيْلُ نُورُ الدِّينِ فِي الْمَثَلِ

وقال من قصيدة أولها : [من الكامل]

مَنْحَ الْقَضِيبِ رَشَاقَةً وَتَأَوُّدًا رَشَأُ بَوَجَّتِهِ الضَّلَالَةَ وَالْهُدَى
أَلَّتْ مَحَاسِنُهُ إِلَيَّ قَادِر لَتَتِمَّ مَنْ مَفْوْهُأً وَمُبَلَّغًا
رَحَلْتُ إِلَيْهِ مِنَ الصُّدُورِ قُلُوبَنَا فَكَأَنَّهُا بُدُنٌ تَحُثُّ بِهَا الْحُدَا
لَمَّا رَأَتْ أَنْوَارَ كُنْهِ جَلَالِهِ خَرَّتْ إِلَيْهِ مَعَ الْجَوَارِحِ سُجَّدًا

وقال يمدح أتابك نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل : [من الطويل]

مُحِبُّ يَرْوِي سَاحَةَ الرَّبْعِ بِالْدمِ
تَزِيدُ عَلَيَّ حَرَّ الْجَحِيمِ الْمُضَرَّمِ
يُشِيرُهُ بَعْدَ الْفَرَاقِ بِمَقْدَمِ
فَبِعُضِّ الْأَمَانِي رَاحَةً لِلْمَتَمِّ
وَصَالًا وَإِنْ لَمْ تَعْلَمِي فَتَعْلَمِي
وَبَانَتْ وَلِي فِيهَا عَقِيدَةُ مُسْلِمِ
وَلَا نَظَرِي فِيهَا يَبُوءُ بِمَائِمِ
كَحُلْمِكَ نُورَ الدِّينِ عَنْ كُلِّ مُجْرِمِ
وَيَقْتَكُ بِاللَّيْلِ الْهَاضُورَ الْعُشْمَشَمِ
وَأَغْنِي فَمَا فِي الْأَرْضِ خَلْقٌ بِمُعْدَمِ
حَادِثَ مَا لَمْ تُوضَحِ الْعَيْنُ لِلْقَمِ
تَقِي كَيْحَيَّ نَاطِقُ كَابِنِ مَرِيَمِ
وَمُخْمَدِ أَنْفَاسِ الْجَوَادِ الْمُطَهَّمِ
وَصُلَّتْ فَمَا اللَّيْلُ الْكَمِي بِمُقْدَمِ
وَعَقِلَ وَذِي رَأْيٍ وَبِأَسِ مُصَمَّمِ
وَكَعْبًا وَقَيْسَ الرَّأْيِ وَأَبْنَ مُكْدَمِ
وَأَكْرَمَ مَسْزُؤُلٍ وَأَفْضَلَ مُنْعَمِ
عَلَى فَنَنْ يَشْدُو بِطَيْبِ التَّرْنَمِ
مَدَى الدَّهْرِ مَا لَاحَتْ طَوَالِعُ أَنْجَمِ
ثَنَى دُونَهَا الطُّلَابُ سَوْمَ الْمُقَوْمِ
مُحَدَّدَةً أَرْكَانُهَا لَمْ تَهْدَمِ

أَتَعْلَمُ مَا يَلْقَاهُ فِي كُلِّ مَعْلَمِ
يُشِيرُ لَهُ التَّذْكَارُ نَارَ صَبَابَةِ
/ ١٨١ / سَرَى طَائِرٌ عَنْ سَانِحٍ عَنْ يَمِينِهِ
أَلَا يَا أَبْنَةَ الرُّومِي هَلْ لَكَ مَوْعِدٌ
إِذَا كَانَ فِيكَ الْعَدْرُ طَبْعًا تَكَلَّفِي
فَبَاتَتْ وَلِي إِخْلَاصُ نِيَّةٍ مُؤْمِنِ
فَلَا هَمَّتِي فِيهَا تَهْمٌ بِرَبِيبَةٍ
وَأَحْلُمُ عَنْهَا عَفَّةً بَعْدَ قُدْرَةٍ
مَلِيكَ تَخَافُ الْأَرْضُ سَطْوَةَ بَأْسِهِ
أَجَارَ فَمَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ خَائِفِ
رَأَيْنَا عَيَانًا مِنْهُ بَعْدَ سَمَاعِنَا الْآ
جَرِي هَمْؤَسَى صَامِتٌ مِثْلُ صَالِحِ
أَيَا مُعْطِي الْخَيْرَاتِ فِي كُلِّ لَزْبَةٍ
وَصُلَّتْ فَمَا الْغَيْثُ الرَّوِيُّ بِمُمْطَرِ
خُلِقْتَ لِعَزْمٍ وَافْتِدَارٍ وَهَمَّةٍ
فَأَنْسَيْنَا قُسًا وَعَمْرًا وَحَاجِبًا
/ ١٨١ ب / أَيَا خَيْرَ مَنْ يُرْجَى لِكَشْفِ مُلْمَةٍ
تَهْنُ بَعِيدَ الْفَطْرِ مَا نَاحَ طَائِرُ
وَلَا زِلْتَ فِي عَزِّ مُقِيمٍ وَنِعْمَةٍ
فَدُونُكَهَا عَدْرَاءُ كَالْمَسْكِ نَشْرُهَا
وَعِشْ فِي نَعِيمٍ دَائِمٍ وَسَعَادَةٍ

وقال أيضًا يمدحه : [من الكامل]

وَأَمَاتَ صَبْرَ الصَّبِّ يَوْمَ زِيَالِهِ^(١)

أَحْيَا الصَّبَابَةَ بِاخِلِّ بَوْصَالِهِ

طَبْعًا وَيَبْخُلُ عَامِدًا بِوَصَالِهِ
فَالْبَانُ يَخْجَلُ مِنْهُ مَنْ تَمَيَّالَهُ
إِلَّا أَغْتَنَى عَنْ سَيْفِهِ وَنَبَالِهِ
مَا خَاطَهَا إِلَّا بِدَيْعِ جَمَالِهِ
لَمَحَتْ مَحَاسِنُهُ قَبِيحَ فَعَالِهِ
مَنْ فَوْقَ غُضْنٍ فِي كَثِيبٍ رَمَالِهِ
وَأَرَاهُ حُلُوهَا إِذْ خَطَرْتُ بَيَّالِهِ
وَصُدُودُهُ بِوَصَالِهِ وَمَطَالِهِ
لَمْ يَبْقَ مِنْهُ سِوَى خِيَالِ خِيَالِهِ
لَسَلِمَهَا الْإِبْلَالُ مِنْ بَلْبَالِهِ
وَبَلَغَتْ مَجْدًا جَلَّ عَنْ أَشْكَالِهِ
أَسْمَى نُجُومِ الْمَجْدِ دُونَ مَنَالِهِ
فَاقَ الْمُلُوكَ بِبَاسِهِ وَنَوَالِهِ
حَزْبًا لِمَا تَرَجُّوهُ مِنْ إِفْضَالِهِ
صَرَغَى إِذَا أَشْتَبَكَ الْوَعَى بِمُحَالِهِ
بَحْرٌ يَنْبُلُ النَّيْلَ قَبْلَ سُؤَالِهِ
عَنْهُ يُنَوَّلُ مِنْ كَرَائِمِ مَالِهِ^(١)
تُلْهِمِي أَبَا الْأَشْبَالِ عَنْ أَشْبَالِهِ
شَهِدَ الْوَرَى بِجَلَالِهَا وَجَلَالِهِ
حَرَمٌ يَفُوزُ بِمَحِيْمٍ بِظَلَالِهِ
وَالْعَدْلُ حَتَّى فُقِتَ عِنْدَ كَمَالِهِ
وَأَجَرَتْ ذَا الْأَقْدَارِ مَنْ إِفْلَالِهِ
لَا يَرْهَبُونَ الدَّهْرَ مَعَ أَهْوَالِهِ
وَالدَّهْرُ طَوَّعَ يَمِينِهِ وَشَمَالِهِ

قَمَرٌ يَجُودُ عَلَى الْوَرَى بِصُدُودِهِ
يَهْتَزُّ مِنْ مَرَحِ الشَّيْبَةِ عَطْفُهُ
مَا سَلَّ سَيْفَ لِحَاطِهِ فِي جَحْفَلِ
لِبَسِ الْعُيُونِ مِنَ الْمَلَاحَةِ حُلَّةُ
لَوْ كَانَ يُعَدَى خُلُقُهُ مِنْ خُلُقِهِ
قَمَرٌ بَدَا مِنْ تَحْتِ لَيْلٍ مُظْلَمِ
أَهْوَى أَسْتَمَاعَ الْبَحْرِ خَيْفَةً هَجَرَهُ
/ ١٨٢ / وَيَزِيدُنِي كَلْفًا بِهِ إِعْرَاضُهُ
يَا فِتْنَةَ الْعُشَّاقِ رَفَقًا بِأَمْرِي
هِيَ صَبُوءٌ عَذْرِيَّةٌ لَا يُرْتَجَى
وَلَقَدْ قَتَلْتُ الدَّهْرَ خُبْرًا وَالْوَرَى
حَتَّى حَلَلْتُ بِرُبْعِ مَلِكٍ مَا جَدِ
فِي رُبْعِ نُورِ الدِّينِ وَالْمَلِكِ الَّذِي
مَلِكٌ تَرَى صَيْدَ الْمُلُوكِ بَيَّابَهُ
التَّارِكُ الْأَبْطَالُ فِي يَوْمِ الْوَعَى
حَبْرٌ يُحِيرُ الْحَبْرَ حُسْنُ جِدَالِهِ
[مَا أَمَّهُ دُوْ عُسْرَةٍ إِلَّا أَتَشَنَّى
كَرَمٌ يَبْخُلُ حَاتِمًا وَشَجَاعَةٌ
وَتَرِيهَ أَعْقَابَ الْأُمُورِ بَصِيرَةٌ
مَوْلَايَ نُورَ الدِّينِ يَا مَنْ رُبْعُهُ
حُزْتُ الصِّفَاتِ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى
أَمِنَ الْغَنِيِّ بِكَ أُنْتَقَاصَ غَنَائِهِ
/ ١٨٢ ب / وَغَدَا الرَّعَايَا فِي حِمَاكَ بِغُبْطَةٍ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي فَاقَ الْوَرَى

وَقَتَّى تَنْقَلُ فِي الْعِلَا حَتَّى غَدَتْ
وَعَدَا الْوَرَى أَضْيَافَهُ فِيمَرَهُمْ
أَنْتَ الَّذِي أَعْيَيْتَنِي وَحَمَيْتَنِي
فَلْيَشْكُرَنَّكَ عَبْدُكَ الْقَنُّ الَّذِي
فَتَّهَنَ بِالْعَيْدِ الَّذِي وَأَفَاكَ يَا
وَأَسْلَمَ وَدُمَ فِي نِعْمَةٍ وَسَعَادَةٍ
وَحَشُّ الْفَلَا وَالطَّيْرُ بَعْضَ عِيَالِهِ
فِي سَلْمِهِ أَوْلَاكَ يَوْمَ نَزَالِهِ
مَنْ صَرَفَ دَهْرُكَ مَنْ أَقْتَالَهِ (١)
إِفْضَالُ طَوْلِكَ مُخْبِرٌ عَنْ حَالِهِ
خَيْرَ الْوَرَى بِالْسَّعْدِ مَنْ إِقْبَالَهِ
مَانَحَ قُمْرِيٍّ بِأَعْلَى ضَالِهِ

[٩٠٨]

يحيى بن أحمد، بن يوسف بن أحمد، أبو زكريا الواعظ
الحسنى (٢).

من أهل غرناطة.

ذكر صاحب الوزير أبو البركات المستوفي في تاريخه - رحمه الله تعالى - وقال : ورد
إربل وعقد بها مجالس الوعظ . وكان له من العامة قبول عظيم . وكان يحيى الناس أكثر
مجالسه ويتكفّفهم .

وصله الفقير إلى رحمة الله تعالى أبو سعيد كوكبوري / ١١٨٣ / بن علي [بن] بكتكين
بصلة ، وأراد السفر فأمر العامة أن يطلبوا من السلطان أن يقيم عندهم فأجابهم إلى ذلك في
خامس جمادى الآخرة من سنة تسع عشرة وستمائة .

ثم قال : أنشدني لنفسه من قصيدة طويلة التزم في أثنائها الإتيان بكلمات مثورة ذكرها
لي ، تبين إنها كتبت بلون غير المداد ، يقول فيها (٣) : [من البسيط]
يَا دَوْحَةَ الْبَانَ مِنْ شَرْقِي كَاطِمَةٍ
لَسَاكِنِيكَ عَلَيْنَا خَدَمَةٌ وَلَنَّا
كَمْ أَعْدَلُ الْقَلْبَ فِي تَذْكَارِهِ لَهُمْ
سَقَاكَ مِنْ عَبَرَاتِ السُّحُبِ هَتَانُ
عَلَيْهِمْ بِالْوَفَا عَهْدٌ وَإِيمَانُ
دَنُوا فَلَمَّا دَنَا وَصَلِي بِهِمْ بَانُوا

(١) أقتاله : أعدائه .

(٢) توفي بعد سنة ٦١٩ هـ . في الأصل : «الحسني» وقد صوّناه من تاريخ إربل .
ترجمته في : تاريخ إربل ١/ ٣٢٦ - ٣٢٧ ، ومنه نقل ابن الشعار الترجمة بحذفها .

(٣) القطعة في تاريخ إربل ١/ ٣٢٦ .

هُمْ عَلَّمُونِي الْهَوَىٰ مَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ حَتَّىٰ إِذَا وَلَّجُوا بِآبِ الْهَوَىٰ خَانُوا
هُمْ الَّذِينَ بِسِحْرِ اللَّحْظِ قَدْ سَفَكُوا دَمَ الْهَمَامِ وَشَرَعَ الْحُبُّ إِذْ عَانُ
فَإِنْ وَضَعْتُ يَدِي بِالصَّدْرِ أَكْتُمُ مَا بِالْقَلْبِ غَادَرَهُ صَبْرٌ وَكُتْمَانُ

[٩٠٩]

يحيى بن إبراهيم بن محمد، أبو تراب بن أبي إسحاق البزاز
البغدادى^(١).

من أهل الكرخ^(٢).

ذكره الشيخ / ١٨٣ ب / أبو عبد الله محمد بن سعيد الديبى، وقال: سكن اللوزية من محال الجانب الشرقي، وتفقه على مذهب الشافعي - رضي الله عنه - على أبي الحسن بن الخَلِّ، وسمع منه ومن أبي الفرج عبد الخالق بن أحمد بن يوسف، وأبي الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي، وأبي بكر محمد بن عبيد الله بن الزاغوني، وأبي الوقت^(٣) السجزي وغيرهم، وروى عنهم.

وسافر إلى الشام، وأقام بدمشق مدة، وحدث بها وعاد إلى بغداد وأقام بها إلى أن توفي يوم الأربعاء ثالث عشر شعبان سنة أربع عشرة وستمائة. كتبنا عنه بعد عوده من الشام. وكان سماعه صحيحاً، ويفهم ما يقرأ عليه.

قال وسألته عن مولده، فقال: في السادس والعشرين^(٤) من شعبان سنة ست وعشرين وخمسائة؛ هذا آخر كلامه.

أنشدني أبو الفتح محمد بن بدل بن أبي المَعَمَّر التبريزي بإربل - رحمه الله

(١) ترجمته في: التكملة للمنزدي ٤٠٦/٢ رقم ١٥٤٨ وفيه: «توفي في الثالث عشر من شعبان سنة أربع عشرة وستمائة ببغداد». تاريخ الإسلام (السنوات ٦١١ - ٦٢٠) رقم ٢٦١. التقييد لابن نقطة/ الورقة ١٢٥ - ١٢٦. سير أعلام النبلاء ٢٢/٦٣ - ٦٤ رقم ٤٧. طبقات الإسنوي/ الورقة ١٤٨. العقد المذهب لابن الملقن/ الورقة ١٦٩.

(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (كرخ بغداد).

(٣) في التكملة: «أبي الوقت عبد الأول بن عيسى».

(٤) في التكملة: «السادس عشر».

تعالى - في سنة خمس وعشرين وستمائة، قال: أنشدني أبو تراب لنفسه: [من الوافر]
 / ١١٨٤ / أَحْنُ إِلَيْكَ مَنْ فَرَطَ أَشْتِيَاقِي لَكِي أَلْفَاكَ مَنْ قَبْلَ التَّلَاقِي
 عَدُوُّكَ هَالِكٌ يَهْوِي سَرِيعًا إِلَيَّ النَّيْرَانُ لَمْ يَنْفَعَهُ رَاقِي
 وَمَنْ يَهْوَاكَ يُكْفَ وَلَا يُبَالِي وَمَنْ يَشْنَاكَ يَهْلِكُ وَهُوَ بَاقِي
 إِذَا جِئْنَا عَطَاشَى يَوْمَ نَشْرِ لَتَسْقِينَا فَأَنْتَ هُنَاكَ سَاقِي

[٩١٠]

يحيى بن إسحاق، الأمير، أبو زكريا الميورقي^(١).
 صاحب ميورقة^(٢) وودان^(٣).

كان مشهوراً بالبأس والشجاعة بطلاً من الأبطال، مقدماً في الحروب جواداً سخياً
 أديباً بليغاً شاعراً فصيحاً. لم يقع إليّ من شعره غير بيت مفرد من قصيدة وهو:

[من الخفيف]

حَفِيتْ خَيْلُنَا وَعَزَّ عَلَيْنَا فَجَعَلْنَا لَهَا الْخُدُودَ نَعَالَا

[٩١١]

يحيى بن أسعد بن يحيى بن موسى، أبو المفضل - المذكور أبوه
 في أول الكتاب في حرف الهمزة^(٤) - السنجاري الأصل، الفارقي
 المولد، الدنيسري الدار.

ذكره أبو حفص عمر بن الخضر بن اللّمش التُّركي في كتابه «حلية السريين من

(١) ترجمته في: التكملة للمندري ٣/ ٤٢٠ - ٤٢١ رقم ٢٦٧١، وفيه: «يحيى بن إسحاق بن حمّو الصنهاجي الميورقي، توفي في أواخر شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، بالبرية من نظر تلمسان». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٧٥ - ١٧٦ رقم ٢١٥. الغصون الياينة ١٥١. المعجب ٢٧٣، ٢٧٥، ٣١٤، ٣١٧. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٩ رقم ٢٣٤. الأعلام ٩/ ١٦٥.

(٢) ميورقة: جزيرة في شرقي الأندلس. انظر: معجم البلدان/ مادة (ميورقة).

(٣) وُدَان: مدينة بإفريقية في جنوبها، بينها وبين زويلة عشرة أيام من جهة أفريقية. انظر: معجم البلدان/ مادة (ودان).

(٤) ترجم المؤلف لوالده (أسعد بن يحيى بن موسى...) في الجزء الأول برقم ١٤٦.

خواص الدُنيسريين»^(١). وقال: من أهل القرآن، قرأه بالقرآت على أبي سعد^(٢) سعد الله بن غنائم النحوي الحموي^(٣) بها، وقرأ على شيخنا أبي الحسن النيلي^(٤) بدُنيسر جملةً من كتب القراءات، وله عناية بالتجويد، وحسن الأداء في القراءة.

وهو سامي الهمّة في التشاغل بعلوم منها: الفقه والنحو والطب وغيرها.
وله في النظم والنثر والترتيب والإنشاء تصرف.

ثم قال: أنشدني لنفسه إملاءً بدُنيسر موعظةً: [من الكامل]

وَاحْجَلْتِي يَوْمَ الْحَسَابِ وَقَوْلِهِ	مَا كُنْتَ تَصْنَعُ وَالزَّمَانُ مُوسِعُ
أَوَلَمْ نَعْمَرْكَ الطَّوِيلَ وَنَسْتُرُ السَّ	تَرَ الْجَمِيلَ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ مَرْجِعُ
/ ١٨٥ / لَوْ لَمْ تَكُنْ لَكَ فِي الْقُرُونِ مِنَ الْأَلَى	عَبْرًا مَافِي ذِكْرِهِمْ مَا يُفْنَعُ
أَوَلَمْ تَكُنْ [لَكَ] أَعْيُنٌ فَتَرَى بِهَا	أَوَلَمْ يَكُنْ لَكَ لِلْمَوَاعِظِ مَسْمَعُ
مَاذَا أَقُولُ وَلِي دُنُوبٌ نَكَسَتْ	رَأْسِي حَيَاءً فَهُوَ لَا يَتَرَفَّعُ
وَاحْسَرْتَ الْوُكَايُغْنِي حَسْرَةً	وَأَوَيْلَتَا لَوْ أَنَّ وَيْلًا يَنْفَعُ
ضَيَّعْتُ أَيَّامِي لَغَيْرِ إِفَادَةٍ	تُرْجَى فَقَلْبِي بِالْهُمُومِ مُرَوَّعُ
وَجَوَانِحِي مِنْ حَرِّ شَوْقِي فِي لَطْفِي	وَجَدْبِهِ تُخْنَى عَلَيْهِ الْأَضْلَعُ
مَا لِي سِوَى الظَّنِّ الْجَمِيلِ وَسِيلَةً	فَهُوَ الْجَوَادُ وَجُودُهُ لَا يَمْنَعُ

قال: وأنشدني لنفسه متغزلًا: [من الكامل]

يُخْفِي الْهَوَى وَدُمُوعُهُ بُبْدِيهِ	صَبَّ صَبَابَةً وَجَدَهُ تُصْبِيهِ
وَتُمِيَّتُهُ أَشْوَاقُهُ فَإِذَا بَدَا	مِنْ نَحْوِ رَامَةٍ بَارَقَ يُحْيِيهِ
وَإِذَا النَّسِيمُ سَرَى إِلَيْهِ بَشَرُكُمْ	نَشَرَ الَّذِي مِنْ حُبِّكُمْ يَطْوِيهِ
فَتَرُدُّهُ زَفَرَاتُهُ مِنْ حَرِّهَا	عَنْهُ وَبَاعَتْ شَوْقَهُ يُدْنِيهِ
يُغْرِيبُهُ عَاذِلُهُ وَأَيْنَ سُلُوهُ	مِنْهُ وَطَوَّعَ غَرَامَهُ نَاهِيهِ

(١) ط ١٨٩ - ١٩٢، ونقل عنه الترجمة كاملة.

(٢) في بغية الوعاة «علي أبي سعيد» وهو تصحيف.

(٣) انظر: ترجمته في بغية الوعاة ١ / ٥٨٠.

(٤) أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن الدباس النيلي، ترجمته في تاريخ دنيسر ص ٣٢.

١٨٥ب/ فَهُوَ السَّلِيمُ بَوَجْدِهِ فَلَذَا إِذَا
رَقَّ الْعَذُولُ لِحَالِهِ مِنْ سَقَمِهِ
آسَ إِذَا هَبَّ النَّسِيمُ مِنَ الْحَمَى
وَمُهَفَّهَفَ عِبَتْ الصَّبَا بِقَوَامِهِ
سَكَّرَتْ لَوَاحِظُهُ بِخَمَرِ السَّحَرِ مَنْ
سَلَّتْ سَيْوْفَ التِّيهِ مِنْ إِعْرَاضِهِ
يَا بَذْرُ إِن طَالَ الْمَطَالُ فَعُدْ عَلَى
أَيْنَ الْمَقَرُّ وَلَا مَقَرَّ لِعَاشِقٍ

هَبَّ النَّسِيمُ كَأَنَّهُ رَاقِيهِ^(١)
وَبَكَّى وَحَسْبُكَ عَاذِلُ يَبْكِيهِ
هَيْهَاتَ عَزَّ مِنَ الْأَسَى آسِيهِ
مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ لِمُسْتَجْلِيهِ
فَتَرَاتِهَآ وَدَلَالُهُ سَاقِيهِ
لَحَظَاتُهُ فَمُحِبُّهُ فِي التِّيهِ
بُعْدَ الْبَعَادِ تَحِيَّةٌ تُحْيِيهِ
حَكَمَتْ عَلَيْهِ يَدُ السَّقَامِ وَفِيهِ

قال : وأنشدني لنفسه إملاءً : [من الخفيف]

أَيُّ شَيْءٍ أَحْلَى مِنَ الْحُبِّ جَهْرًا
رَحِمَ اللَّهُ مَنْ وَشَى بِي فَإِنِّي
لَيْتَ شَعْرِي مَاذَا تَقُولُ وَشَاتِي
وَإِذَا مَا الْحَيْبُ كَانَ عَلَى الْحُ
/ ١٨٦ / وَحَيَاةُ الْهَوَى وَحَقَّ زَمَانُ الْ
لَوْ أَطَقْتُ الْمَزِيدَ فِي الْحُبِّ لَا زِدُّ
يَا مَنَى النَّفْسِ يَا نَهَايَةَ آمَا
بِالَّذِي صَانَ دَا الْجَمَالَ عَنِ الرِّئِ
لَا تَدْعُ مُهَجَّتِي تَذُوبُ مِنَ الشَّوْ
فَقُوَادِي مِنَ التَّهَاجُرِ مَفْوُ
لَسْتُ مَنْ يَسْتَطِيعُ صَبْرًا عَلَى الْبِ

لَذَّةُ الْعَشْقِ أَنْ تُهَتِّكَ سَتْرًا
أُسْتَلِذُّ الْهَوَى وَإِنْ كَانَ مُرًّا
أَنَا مُغْرَى بِجُحْهِمْ أَنَا مُغْرَى
بِ مُعِينًا لَمْ تَخْشَ زَيْدًا وَعَمْرًا
وَوَصَلَ وَالْجَارِيَاتُ يُسْرًا وَعُسْرًا
تُ وَلَكِنِّي تَحَمَّلْتُ وَقُرًّا
لِي بِمَنْ قَدْ كَسَا جُفُونَكَ سَحْرًا
بَةِ بِالطَّائِفِينَ شُعْثًا وَعُغْبَرًا
قَ غَرَامًا فَأَنْتَ بِالْحَالِ أَدْرَى
دُ وَعَيْنَايَ بَعْدَ بَعْدِكَ سَهْرَى
يَنْ وَمَنْ ذَا يُطِيقُ لِلْبَيْنِ صَبْرًا

قال : وأنشدني أيضًا لنفسه : [من مجزوء الطويل]

أَلَذُّ الْهَوَى مَا ذَلَّ فِيهِ عَزِيْزُهُ
وَأَفْتُكُّهُ طَرَفُ كَحْيَلٍ إِذَا رَنَّا

وَأَفْتُكُّهُ لِلْعَاشِقِينَ غَرِيْزُهُ^(٢)
تُبْلِلُ الْبَابَ الْبَرَايَا رُمُوزُهُ

(١) السليم : الملدوغ .

(٢) الغريزة : الطبيعة والسجية .

قال : وأنشدني لنفسه إرتجالاً : [من مجزوء الوافر]

فَدَيْتُكَ كُفَّ عَنْ ظُلْمِي فَفِي الْإِيَّامِ مُعْتَبَرُ
جَنَى طَرْفِي عَلَى قَلْبِي فَكَانَ جَزَاءَهُ السَّهَرُ

[٩١٢]

١٨٦/ب/ يحيى بن إسماعيل بن موسى بن إبراهيم بن منصور بن العاص، أبو زكريا الموصلي .

المذكور والدّه في الجزء الأول من الكتاب^(١) .

أخبرني أنه ولد في الليلة المسفرة عن صباح يوم الجمعة سَلَخَ جمادى الآخرة سنة ستمائة بالموصل ؛ وهو شاب ذو نودر ومضحكات ومفكاهة ومداعبات وأزجال وموشحات ، وأشعار في الزكالكش هزليات .

غلب عليه نوعُ المُداعبة والهزل فشهّر به ، واستمر في نهجه وله معرفةٌ بأحوال الساسانية ، وكلام أهل التُّلّارية ، ومقالات المنجمين والطريقة . وعنده قحّة في مخاطباته وقلة حياءٍ ومصادفة وجرأة في الكلام الرديء الفاحش ؛ إلّا أنّ فيه ذكاءً وله طبع في الشعر .

ومما أنشدني لنفسه يمدح بدر الدين ثُلُوثُ بن عبد الله - صاحب الموصل - ويذكر الخلعة التي جاءت من أمير المؤمنين الإمام المستنصر بالله أبي جعفر المنصور بن محمد ، / ١٨٧/ والسيف والسِّنَجُ^(٢) ، وأنّ يخطب له على المنبر ويضرب الدينار باسمه ومؤازرته ومعاضدته له : [من البسيط]

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَالَ السُّؤْلُ طَالِبُهُ وَقَامَ فِي الْمَنْبَرِ الْبَدْرِيُّ خَاطِبُهُ
وَأَشْرَقَتْ غُرَّةُ الدُّنْيَا وَابْتَهَجَ الـ مُلْكُ الْمُؤَبَّدِ وَاهْتَزَّتْ مَنَاقِبُهُ
وَشُرِّفَ السِّنَجُ الْمَيْمُونُ حِينَ غَدَا تُلَوَّى عَلَى مَلِكِ الدُّنْيَا عَصَائِبُهُ

(١) مرت ترجمته في الجزء الأول برقم ١٦٤ ، وفيه اسمه (إسماعيل بن موسى بن منصور بن إبراهيم بن العاص) .

(٢) السنجق : العلم .

ر الدِّين ذِي الشَّرَفِ الْعَالِي مَنَاقِبُهُ
حَقٌّ تَجَلَّتْ لِرَأْيَيْهِ كَوَاكِبُهُ
يَسْمُو بِهِ الدَّهْرُ حَقًّا فَهُوَ صَاحِبُهُ
عَلَى تَهَادَى فَرْقَتَهَا سَحَابُهُ
كَأَنَّمَا الْقَدْرُ الْجَارِي مَضَارِبُهُ
فَأَصْبَحَ الْمُلْكُ قَدْ عَزَّتْ مَطَالِبُهُ
أَوْثُوا وَأَمَّ سَبِيلَ الْحَقِّ رَاكِبُهُ
وَقَتُّ الَّذِي خَطَّهُ فِي اللَّوْحِ كَاتِبُهُ
هَذَا الَّذِي تَقْتَحُ الدُّنْيَا كِتَابُهُ
وَالسَّعْدُ رَافِعُهُ وَاللَّهُ نَاصِبُهُ
فَعَالَ تَهْدِي إِلَى مَنْ ظَلَّ نَاسِبُهُ
خُضِرَ مَوَاطِئُهُ حُمِرَ قَوَاضِيهِ
مَنْ بَعْدَهُ مَلِكٌ إِلَّا عَوَاقِبُهُ
بِلَادُ طُرّاً وَأَطْوَاراً تُجَادِبُهُ
مَا ذَرَّ شَارِقُهُ وَأَنْحَطَّ غَارِبُهُ

أَبِي الْفَضَائِلِ سُلْطَانِ الرَّعِيَّةِ بَدُ
سَمْعًا دَعَوْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى
وَاخْتَرْتَ أَرْوَعَ صَفَى اللَّهِ جَوْهَرَهُ
الْبَسْتَهُ حُلَّةً جَاءَتْ مِنَ الْمَلَأِ الْأُ
وَصَارَ مَا أَبَدًا تَعْنُو الرِّقَابَ لَهُ
قَلَّدْتَ أَمْرَ عِبَادِ اللَّهِ خَيْرَهُمْ
فَالآنَ قَرَّتْ عِيُونَ الْعَالَمِينَ بِمَا
يَا مَعَشَرَ النَّاسِ أَوْفُوا بِالنُّدُورِ فَذَا الـ
هَذَا الَّذِي ظَهَرَتْ بِاللَّهِ آيَتُهُ
/ ١٨٧ ب / مَلِكٌ لَهُ عِلْمُ الْإِقْبَالِ مُتَشَرُّ
يُنَبِّئُكَ عَنْ أَصْلِهِ أَفْعَالُهُ وَكَذَا الْأُ
بِيضٌ مَنَاقِبُهُ صُفْرٌ مَوَاهِبُهُ
هَذَا الَّذِي يَخْتُمُ الْمُلْكُ الْعَقِيمَ فَمَا
هَذِي الْبِدَايَةُ فَاَنْظُرْ كَيْفَ تَخْطُبُهُ الـ
فَلَا فِتْنَى الْفَلَكَ الدَّوَارُ يَخْدُمُهُ

وَأُنْشِدُنِي لِنَفْسِهِ : [من الخفيف]

صَلَّ حَظًّا فَقُلْ بِغَيْرِ مَخَافَةٍ
مَوْقَصِدِي مَقَرُّ دَارِ الْخَلَافَةِ
مَمَالٍ مِنْ جَمْعِهِمْ بِحَرْفِ الْإِضَافَةِ

وَمَتَى شِئْتُ أَنْ تَنَالَ مِنَ الْمَوْتِ
إِنِّي شَاعِرٌ أَتَيْتُ مِنَ الشَّا
وَأَظْهَرَ النَّصَبِ تَرْتَفِعُ وَتَجُرُّ الـ

وَأُنْشِدُنِي لِنَفْسِهِ يَهْجُو يَوْسُفَ بْنَ عَبْدِ الْكَرِيمِ الشَّاعِرِ الْمَوْصِلِيِّ الْمَلَقَبِ بِالْكُودِينَ .

وَكَانَ مَشْوَةً الْخَلْقِ ضَعِيفِ الْعَيْنِينَ : [من السريع]

فَرْدًا بِلَا صِيَّتٍ وَلَا صَوْتٍ
بَشَخْصِهِ عِنْدِي إِلَى الْفَوْتِ
يَفْزَعُ مِنْهُ (١)

/ ١٨٨ ب / قَالُوا : نَرَى الْكُودِينَ دُونَ الْوَرَى
فَقُلْتُ : كُفُّوا لِيَّتَهُ لَمْ يَزَلْ
أَقْلُ مَا فِي وَجْهِهِ أَنَّهُ

وأنشدني أيضاً فيه يهجوهُ : [من البسيط]

تَقَلَّبَ الدَّهْرُ تَقْلِيئاً عَجِبْتُ لَهُ حَتَّى لَقَدْ صَارَ فِي آلَاتِهِ عَبْرُ
وَكَانَ عَهْدِي بِالْكُودَيْنِ مِنْ خَشَبٍ نَقِي وَجْهِ يَدُقُّ الثُّوبَ يَنْقُصِرُ
وَقَدْ عَدَا يَوْسُفُ الْكُودَيْنِ هَامَتُهُ تَدُقُّ وَالْوَجْهُ مِنْهُ أَسْوَدُ حَجَرُ

وأنشدني لنفسه يخاطب بدر الدين لؤلؤ حين قرب الشيطان الشاعر الإربلي^(١)؛

ويحيى هذا كان ينعت بالنجم : [من البسيط]

قُلْ لِلْمَلِكِ الَّذِي مَازَالَ مُعْتَصِماً يُجِيبُ بِالرُّحْبِ وَالْإِكْرَامِ دَاعِيَهُ
حَاشَا مَقَرَّكَ وَالْأَمْلَاكَ تَحْرُسُهُ أَنْ تُبْعِدَ النَّجْمَ وَالشَّيْطَانَ تُذْنِيَهُ

/١٨٨ب/ وأنشدني لنفسه في حسين بن عمر بن العصار الشيرجي . وكان كبير

الأنف جداً : [من الكامل]

قُلْ لِلْحُسَيْنِ الشَّيْرَجِيِّ عَدَمَتُهُ قَاضِي الْفُسُوقِ وَحُجَّةِ الْمُتَمَرِّدِ
شَبَّهْتُ أَنْفَكَ كَرْدِكُوهِ بَعِيْنَهَا وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا جَلِي الْمَقْصَدِ
إِنَّ الْمَلَا حِدَ أَصْبَحُوا فِي قَلْعَةٍ وَرَأَيْتُ أَنْفَكَ قَلْعَةً فِي مُلْحَدِ

وأنشدني لنفسه يخاطب بدر الدين لؤلؤ : [من الطويل]

أَمْوَلَايَ بَدْرَ الدِّينِ نِعْمَاكَ لَمْ تَكُلْ إِلَى رَحْلَةٍ وَسَطِ الشِّتَاءِ وَلَا الصَّيْفِ
مَلَكَتْ وَمِلْءُ الْأَرْضِ جَذْبٌ وَرَوْعَةٌ فَاطْعَمْتَ مِنْ جُوعٍ وَأَمَنْتَ مِنْ خَوْفِ

وأنشدني له فيه أيضاً يخاطبه : [من الخفيف]

سَرْتُ شَرْقاً وَمَغْرِباً أَطْلُبُ الْأَمْرَ مَنْ لَخَوْفِي وَالْأَمْنُ بَيْنَ يَدَيْكَ
جِئْتُ مُسْتَنْصِراً بِحِلْمِكَ مِنْ بَأْسِ سِكَ عَبْدٌ قَدْ فَرَّ مِنْكَ إِلَيْكَ

وأنشدني قوله : [من مجزوء الرجز]

/١٨٩أ/ يَا مَنْ يَخَافُ الْعُسْرَ أَوْ يَخْشَى مِنَ الْمَكَاَرِهِ
اقْصِدْ أَبَا الْفَتْحِ وَدُرُ تَقْزِ بِبَابِ دَارِهِ
فَالْأَمْنُ فِي يَمِينِهِ وَالْيُسْرُ فِي يَسَارِهِ

(١) وهو (يوسف بن نفيس بن أبي الفضل المرلي)، ترجم له المؤلف في الجزء العاشر برقم ٩٩٤ .

وأنشدني لنفسه : [من البسيط]

وَصَائِمٌ جَاءَنِي وَالْكَاسُ مُتْرَعَةٌ وَسَطَ النَّهَارِ تُحَاكِي جَذْوَةَ النَّارِ
فَقَالَ لَمَّا رَأَاهَا فِي فَمِي : غَرِبْتَ : اللَّهُ أَكْبَرُ هَذَا وَقْتُ إِفْطَارِي

وأنشدني لنفسه يهجو : [من الطويل]

وَقَالُوا : يَرَى مَسْعُودٌ شَخْصَكَ مُنْكَرًا فَأَوْضَحَ لَنَا مَا قَالَهُ بَيَّانًا
فَقُلْتُ : صَحِيحٌ ذَاكَ مَا زَالَ ظَهْرُهُ إِلَيَّ فَيَا اللَّهَ كَيْفَ يَرَانِي

[٩١٣]

يحيى بن أبي بكر بن مكِّي ، أبو زكريا الكاتب التيمي .

من أهل بَجَانَةَ من بلاد المغرب (١) .

كان يكتب لبعض بني عبد المؤمن المستوليين يومئذ على البلاد المغربية . وكان من الأفاضل في زمانه أدباً وكتابةً وقولاً للشعر ، وحفظاً للأشعار ؛ ذا حظٍّ جزيل من علم اللغة والعربية .

حدثني / ١٨٩ ب / أبو محمد عبد الله بن أحمد بن يوسف الفُرْيَانِي بحلب ، قال :
اتفق أن اجتمع جماعة من غلمان صاحب المغرب وخواصه يرمون بالنشاب فبينما هم في ذلك إذ أقبل الأميرُ حينئذ ، ثم قصد القرطاس فأزاله من مكانه ، ووضع يده عوضه ، وقال للرماة : أيكم أصاب يدي دفعتُ إليه ألف دينار فأشار إليه بعض الحاضرين ، وقال : أعيدك أيها الأمير من السوء ، هذا لا يمكن وإنما نجعل موضع يد الأمير الهدف ويرمى فأزال يده من ذلك فابتدر أحد الغلمان ورمى فأصاب الهدف الذي وضع ، فدفعتُ إليه الأمير ألف دينار ، فقال أبو زكريا بديها في ذلك الوقت وكان حاضراً ذلك كله ، وأنشدناه : [من البسيط]

يَا خَامِسَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ عَسَى شَكْوَاكَ تُقْبِضُ فِي الْإَيْدِي وَتُقْتَرَضُ
عَلِمَتْهَا الْبَسْطُ لِلْجَدْوَى لَسَائِلُهَا حَتَّى مِنَ السَّهْمِ يُضْمِي لَيْسَ يَنْقَبِضُ
لَمْ يَقْصِدِ السَّهْمُ إِلَّا كَيْ يُعْرِفْنَا هَذَا الْإِمَامُ الَّذِي فِي كَفِّهِ الْغَرَضُ

(١) انظر : معجم البلدان/ مادة (بجانة) .

/ ١٩٠ / وأنشدني ، قال : أنشدني أبو زكريا أيضاً من شعره : [من الطويل]

بَكَيْتُ فَمَا أَغْنَى الْبُكَاءُ وَلَا أَجْدَى
وَمَا فُرْقَةُ الْأَحْبَابِ إِلَّا رَزِيَّةٌ
هُمْ أَوْرُثُوا قَلْبِي الصَّبَابَةَ وَالْجَوَى
أَيَاهُنْدُ لَا كَانَ الْفِرَاقُ وَيَوْمُهُ
نَسِيرٌ وَمَا نَدْرِي لَفُرَقْتَنَا مَدَى
أَيَاهُنْدُ إِنِّي غَيْرُ رَاضٍ بِسَلْوَةٍ
وَلَوْ كَانَ لِي بُدٌّ عَنِ الْبُعْدِ وَالنَّوَى
أَيَاهُنْدُ لَو أَبْصَرْتُ شَوْقِي وَلَوْ عَتِي
أَعْنَدَكَ أَنِّي فِي بُحُورٍ مِنَ الْأَسَى
فَهَاتِيكَ حَالِي وَالِدِيَّارُ قَرِيْبَةً

فَكَيْفَ وَقَدْ أَهْدَى لِي الْبَيْنَ مَا أَهْدَى
تُبِيدُ الْفَتَى سُقْمًا وَتَقْتُلُهُ وَجَدًا
وَهُمْ أَوْرُثُوا عَيْنِي الْمَدَامَعَ وَالسُّهْدَا
فَقَدْ طَالَ مَا شَقَّ الْقُلُوبَ وَمَا هَدَا
سَوَى أَنْ هَذَا الْبَيْنَ مَا بَيْنَنَا جَدًا
وَلَا نَافِضٌ وَدَا وَلَا نَاقِضٌ عَهْدًا
أَقَمْتُ وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ عَنْهُمْ أَبَدًا
لَجَدَدْتُ لِي حُبًّا وَأَسْقَعْتُ لِي وَدًّا
غَرِيْقٌ وَلَمْ أُبْلُغْ لَغَايَتَهَا حَدًّا
فَكَيْفَ إِذَا مَا أزدَدْتُ عَنْ دَارِكُمْ بُعْدًا

[٩١٤]

يحيى بن الحسن بن الحسين بن علي بن محمد - ويلقب
البطريق - ابن نصر بن حمدون بن ثابت بن / ١٩٠ ب / مالك بن
ليث بن عامر بن غنم بن فهر بن دلجة بن بشر بن معاوية بن
بدر بن ثعلبة بن حبال بن نصر بن سؤاة بن سعد بن مالك بن
ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن
مضر بن نزار بن معد بن عدنان، أبو الحسين، وأبو زكريا
الأسدي^(١).

(١) توفي سنة ٦٠٠ هـ.

ترجمته في : لسان الميزان ٢٤٧/٦ . أمل الآمل ٣٤٥/٢ . أعلام العرب للدجيلي ٣٢/٢ . روضات
الجنات ٢٣٢/٤ . الطليعة للسماعي ٤٢٧/٢ - ٤٢٩ رقم ٣٣٣ . الكنى والألقاب ٢٢٦/١ - ٢٢٧ . الثقات
العيون ٣٣٧ . لؤلؤة البحرين ٢٨٣ . مستدرک الوسائل ٤٧٦/٢ . فقهاء الفحاء ١٣٢/١ . مصفى المقال ٥٠١ .
معجم مؤلفي الشيعة ١١ ، ١٤٧ ، موسوعة أعلام الحلة ٢٥٧/١ . منهج المقال ٥١٣ . تاريخ الحلة ١٣/٢ .
تذكرة المتبحرين ٧٣ . الأعلام ط ١٤١/٨/٤ . تأسيس الشيعة ١٣ . هدية العارفين ٥٢٢/٢ . إيضاح المكنون
١/٢١ ، ٢/١٢١ . الذريعة ١/٨٣ ، ٣/٢٢٢ ، ٤/١٩٨ ، ٧/١٧٥ ، ٢١/٥ .

كانت ولادته ومنشأه بالحلة المزديّة.

كان عالماً فقيهاً قدوةً في مذهب الشيعة إماماً من أئمتهم، سمع الحديث الكثير، وسافر [إلى] البلدان، وسمع عليه أهلها عدّة كتب من تصنيفه وتصنيف غيره؛ ثم عاد إلى الحلة المزديّة فكانت وفاته بها في سنة إحدى وستمئة.

وقد ذكره الشريف أبو عبد الحميد فخار بن معد بن أحمد بن محمد الحلبي الموسوي في مشايخه، وقال: لقي أبو زكريا يحيى بن الحسن بن الحسين بن علي بن البطريق الأسدي الحلبي الفقيه العماد الطبري تلميذ أبي علي بن الطوسي، وقرأ عليه ولقي غيره.

وعلت سنّه حتى بلغ ثمانين سنّة، وصنّف كتباً حسنة، ومضى / ١٩١ / إلى واسط، وأقام عشرين سنة، ثم عاد إلى الحلة فمكث بها قليلاً، ثم فارقتها وقدم إلى الموصل، ثم إلى حلب واستوطنها مدة ثم رحل عنها. وكان حسن المذهب، طيب المعاشرة، هذا آخر كلامه.

صار إليّ من تصنيفه كتاب كبير لقبه بـ«العمدة من صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار علي بن أبي طالب وصيّ المختار وعلى الأئمة من ذريته الأطهار»، وصنّف كتاباً آخر وسمه بـ«مستدرك المختار في مناقب المختار» استخرجه من المسانيد الصحاح المؤلفة. تكلم على الأحاديث ومعاني الآيات، وفصّله فصولاً، وأضاف إلى ذلك مقطعات حسناً من شعره في مدح الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه وسلامه -.

وكان شاعراً أديباً؛ وهو والد أبي الحسن علي بن يحيى بن الحسن بن البطريق الذي مرّ شعره متقدماً في مكانه^(١).

ومن شعره ما أنشدني الشريف النقيب الأجل العالم السيد الأطهر / ١٩١ ب / جمال آل رسول الله ﷺ فخر الدين أبو الوفا عبيد الله بن علي بن زيد بن محمد بن عبيد الله الحسيني الموصلي بها - رضي الله عنه - قال: قرىء على يحيى بن الحسن الأسدي

لنفسه ، وأنا أسمع في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - :

[من الطويل]

إِذَا حَرَّفُوا نَصًّا عَلَيْكَ مُحَبَّرًا فَهَلْ حَرَّفُوا مَا فِي الْكِتَابِ الْمُنْزَلِ
وَإِنِّي سَأُبْدِي فِيكَ مَا نَبَذَ الْعَدَا بَطْهَرٍ مِنَ الْوَحْيِ الْعَزِيزِ الْمُرْتَلِ
وَمَنْ مُسْنَدُ الْأَثَارِ عَنْ سَيِّدِ الْوَرَى نَبِيِّ الْهَدَى الْمَنْعُوتِ بِالْمُتَزَمِّلِ
أَبَا حَسَنِ إِنِّي إِلَيْكَ مُمَسِّكٌ وَبَعْدَ إِلَهِ الْعَرْشِ أَنْتَ مُعَوْلِي

وأنشدني أيضاً، قال : أخبرنا لنفسه قراءة عليه يمدحه - صلوات الله عليه - :

[من الكامل]

وَإِذَا الْمَدَائِحُ زَيْنَتْ فَخَرَّ أَمْرِي كَانِ الْمَدِيحُ بِفَخْرِكَ الْمَمْدُوحَا
وَإِذَا الْمَنَاقِبُ زَيْنَتْ بِمَدَائِحٍ جَعَلْتَ مَنَاقِبَكَ الْمَدِيحَ مَدِيحَا
/ ١٩٢ / أَنْتَ الَّذِي رَدَّ إِلَهُ بِقَوْلِهِ شَاطِئِي الْفُرَاتِ عَلَى الْبَرِيَّةِ يُوحَى^(١)
أَنْتَ الَّذِي مُذَلِّمٌ نَزَلَ فِي فَضْلِهِ بِرِسَالَةِ الرُّوحِ الْمُؤَيَّدِ يُوحَى

وأنشدني عنه قوله يمدحه - كرم الله وجهه - : [من الوافر]

إِمَامٌ لِلْمُعَانِدِ وَالْوَلِيِّ وَمَوْلَى لِلْمُؤَافِقِ وَالْقَلْبِيِّ
لَهُ فَرَضُ الْوَلَاءِ يَوْمَ حُجٍّ بِوَحْيِي اللَّهِ فِي النَّصِّ الْجَلِيِّ
فَحَسْبُكَ مِنْ مُفَاخَرَةٍ قَدِيمًا غَدَانُورًا عَلَى الْعَرْشِ الْعَلِيِّ
وَحَسْبُكَ مِنْ مَنَاقِبِهِ حَدِيثًا وَصِيٌّ لِلنَّبِيِّ الْأَبْطَحِيِّ

وأنشدني عنه أيضاً فيه عليه السلام : [من البسيط]

جَاهَدْتُ فِيكَ بِقَوْلِي وَاللِّسَانُ لَهُ فَضْلٌ عَلَى السَّيْفِ وَالْعَسَاةِ الدُّبْلِ
لَوْ لَا اللِّسَانُ لَمَاسَلُ الْحَسَامِ وَلَا الـ تَقَّتْ جُمُوعُ الْوَعَى فِي مَعْرَكَ حَفْلِ
فَالْقَوْلُ تَخْدُمُهُ الْأَسْيَافُ إِنْ سَعَدَتْ أَرْبَابُهَا وَبِهِمْ شَوْقٌ إِلَى الْعَمَلِ
بِهِ عَرَفْنَا مَقَادِيرَ السَّعِيدِ مِنَ الشَّـ قِيٍّ لَا بِالطَّبَاةِ الْيَبِضِ وَالْأَسَلِ

/ ١٩٢ ب / وأنشدني عنه فيه - كرم الله وجهه - : [من الكامل]

تَثْنِي مَقَاصِدَهُ الرَّدَى عَنْ قَصْدِهِ وَمَقَاصِدُ الرَّحْمَانِ غَايَةُ قَصْدِهِ
أَبْدَأَرْضَا الْجَبَّارِ فِي سَطَوَاتِهِ وَكَذَارَضَا الْمُخْتَارِ فِي إِفْرَنْدِهِ
نَهَضْتُ بِهِ رَتَبُ الْكَمَالِ بِسُودَدٍ أَعْيَا عَلَى مَنْ رَامَ فِيهِ بَجْهَدِهِ

وأنشدني عنه أيضاً - صلوات الله عليه وسلامه -: [من الطويل]

مَنَاقِبُ فِي دِينِ عَلَيْهَا طُلَاوَةٌ وَمِنْهَا لَجِيْدُ الْمَكْرُمَاتِ تَمَائِمُ
قَلَائِدُ فِي بَيْتِ الدِّيَانَةِ وَالْهُدَى وَمِنْهَا لَفَخِرِ الْمَكْرُمَاتِ مَكَارِمُ

[٩١٥]

يحيى بن الحسين بن أحمد بن مروان بن علي بن سلامة بن مروان،
أبو زكريا الطنزي - بالنون والزاي - .

من طنزة، بلدة فوق الجزيرة العُمرية من ديار بكر^(١).

وقد أوردت من شعر جد أبيه مروان بن علي في كتابي المتقدم الملقب بـ«تحفة
الكبراء المذيل على معجم الشعراء» .

وكانت / ١٩٣ / ولادة أبي زكريا - هذا - في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة بطنزة .
ونشأ بها وانحدر إلى الموصل ، وتفقه بها على الشيخ أبي المظفر محمد بن علوان بن مهاجر
الموصلِي الفقيه الشافعي مدّة بالمدرسة الأتابكية العتيقة . وحفظ كتاب التنبيه للإمام أبي
إسحاق الشيرازي على ظهر قلبه . وقرأ شيئاً من مسائل الخلاف والفرائض على الإمام أبي
المجد إسماعيل بن هبة الله بن باطيش الموصلِي ، ولازمه مدّة ، وتميّز فيما قرأ عليه .

وانحدر إلى بغداد وأقام بالمدرسة النظامية يسمع درس الشيخ أبي علي يحيى بن
الربيع بن سليمان بن حرّاز العدوي الواسطي مدرّس النظامية . ثم انتقل بعد مديدة إلى دار
الذهب وسمع بها الدرس من أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم بن فضلان ، وكان المدرس
بها يومئذ . واستدلّ بين يديه ولازم الإشتغال وتمهّر في المسائل الخلافية وعلم المذهب
والفرائض .

(١) انظر : معجم البلدان / مادة (طنزة) .

ثم أصدع من بغداد في سنة خمس وستمائة، / ١٩٣ ب / وأقام بالموصل مُدِدةً يسيرة، ثم توجه إلى بلده فولى القضاء والتدريس بها. فكان يقضي ويدرس ويفتي وبقي على ذلك مدة. ثم صُرف عن القضاء بسبب تغير وزير كان بديار بكر؛ ثم أعيد عن قريب.

وكان قد فقهت نفسه، ورق طبعه، ينظم الشعر الرقيق. وكان اجتماعي بالقاضي أبي زكريا بحلب في شهر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وستمائة بالمدرسة النورية المعروفة بالنفرية.

وأنشدني لنفسه: [من الكامل]

مَنْ لِي بِطَيْفِكَ أَنْ يَكُونَ مُسَامِرِي
لَهْفِي عَلَى ذَاكَ الزَّمَانِ وَطَيْبِهِ
تَاللَّهِ لَوْ يُرْجَى لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ
هَلْ أَنْتَ يَا أَمْلِي عَلَى طَوْلِ الْمَدَى
أَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَمَنْ دَعَا
إِنْ عَادَ شَمْلِي جَامِعًا بِأَحْبَتِي
/ ١٩٤ أ / قَضَيْتُ عُمْرِي لِلْأَحِبَّةِ شَاكِرًا

وأنشدني أيضًا لنفسه إملاءً: [من الكامل]

إِنْ كَانَ صَدِّكَ عَنْ قَلْبِي وَمَالٍ
فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنْنِي رَاضٍ بِمَا
قَسَمًا بِوَجْهِكَ إِنَّهُ لِي كَعْبَةٍ
لَوْلَاكَ لَمْ أَخْضَعْ لَوَاشٍ كَاشِحٍ
لَكِنْ حُبَّكَ قَدْ تَمَلَّكَ مُهْجَتِي
يَا قَامَةَ الْغُصْنِ الرَّطِيبِ وَفَرْحَةَ الصِّدِّ
هَبْ أَنْنِي رَاضٍ بِصَدِّكَ وَالْقَلْبِي
مَوْلَايَ أَنْتَ جَعَلْتَنِي غَرَضًا لِمَا
وَتَرَكْتَنِي بَيْنَ الرِّجَالِ يَسُومُنِي

أَوْ كَانَ عَنْ تَيْبِهِ وَفَرَطِ دَلَالٍ
تَرْضَاهُ لِي يَا مُتَهَيَّيْ أَمَالِي
حَجِّي لَهَا مُتَتَابِعُ مُتَوَالِي
كَلًّا وَلَا أَعْضَبْتُ فِيكَ رَجَالِي
كَرْهًا فَلَا أَلْوِي إِلَى عُذَالِي
سَبَّ الْكَيْبِ أَمَا مَلَكْتَ مَطَالِي
لَمْ لَا تَجُودُ تَكْرُمًا بِوَصَالِي
أَرْمَى الْغَدَاةَ بِهِ مِنَ الْأَقْوَالِ
مَنْ كُنْتُ لَا أَرْضَى لِحَمْلِ نَعَالِي

[٩١٦]

يحيى بن حميد بن ظافر بن علي بن الحسين بن علي بن القائد
 أبي علي يعرف بمؤيد الحق بن صالح بن علي بن سعد بن
 كريم بن محمد بن الحسن بن الحارث بن علي / ١٩٤ ب / بن
 سعد بن مسعود بن يعقوب بن حارثة بن الأعصم بن غنم بن
 أسد بن سالم بن سعد بن الحارث بن صخر بن الحارث بن
 صخر بن الحارث بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن
 عامر بن حارثة بن أمراء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد
 - وهو عسان - بن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن
 يشجب بن يعرب بن قحطان، أبو زكريا بن أبي طي الأزدي^(١).

من أهل حلب، هكذا كتب نسبه من خط يده.

كانت ولادته في آخر سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

وتوفي بها يوم الأحد الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة سبع وعشرين
 وستمائة.

وكان أبوه نجاراً - وكذلك جدّه - واشتغل أبو زكريا بصناعة النجارة مع أبيه برهة من
 الزمان ثم تركها وحفظ القرآن العزيز، وتعلّم الكتابة، ومال إلى طلب العلم والأدب، ولقي
 العلماء وجالس الفضلاء؛ فقرأ فقه الإمامية على أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب
 السروي المازندراني.

(١) ترجمته في: إعلام النبلاء ٣٧٨/٤. لسان الميزان ٦/٢٦٣-٢٦٤ رقم ٩٢٤. الإعلام لابن قاضي شهبة - خ.
 تاريخ الإسلام (السنوات ٦٢١-٦٣٠) ص ٤٢١ رقم ٦٣٤. الذريعة ١/٣٣٦، ٣/٢١٩، ٢٨٧. معجم
 المؤلفين ١٣/١٩٥، ١٩٦ وفيه: «يحيى بن حميدة». كشف الظنون ٢٧، ٢٧٧، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٩٨، ٦٩٣،
 ٩٩٧، ١٠١٣، ١٠٩٩، ١١٠٤، ١١٥٥، ١٥٢٠، ١٦٢٢، ١٧٢٣. إيضاح المكنون ٢/٥٦٨. هدية
 العارفين ٢/٥٢٣. الفاطميون في مصر/ هامش ٢٩٩. علم التاريخ عند المسلمين ٥٨٠. ملحق تاريخ الأدب
 العربي ١/١٧٠. الأعلام ٨/١٤٤، وفيه: «يحيى بن حميدة بن ظافر...».
 كتب عنه د. مصطفى جواد في مجلة البلاغ الكاظمية، السنة الأولى، العدد الثاني ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م،
 ص ١١-١٣.

/ ١٩٥ / وقرأ الخلاف على أبي الثناء محمود بن طارق الحلبي الفقيه الحنفي .

ثم انتقل إلى تعليم الصبيان وإقراء القرآن الكريم، فلزم ذلك إلى سنة سبع وتسعين وخمسمائة. ثم جذبته الوزير نظام الدين أبو المؤيد محمد بن الحسين الطغرائي وزير الدولة الظاهرية يومئذ إلى تعليم ولده، فلزمه إلى سنة ستمائة.

ثم ترفع عن ذلك، ولزم بيته وطلب مشايخ الأدب، فقرأ على أبي محمد القاسم بن القاسم الواسطي، وأبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش النحوي الحلبي^(١)، وأبي القاسم أحمد بن هبة الله بن الجبراني الحلبي^(٢)، وأبي الحرم مكّي بن ريان النحوي الماكسي وغيرهم.

ثم عمل الشعر وصار أحد شعراء دولة الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب، وارتفعت منزلته عنده، وولاه نقابة الفتيان في سنة تسع وستمائة؛ فكان نقيب حضرته.

ثم أحبّ التصنيف، وصنّف كتباً في التواريخ وتفسير القرآن الكريم والآداب والفقه / ١٩٥ ب / والأصول كثيرة منها: التاريخ الكبير الذي وسمه بـ «معادن الذهب في تاريخ حلب» وهو كتاب جمع فيه أخبار الملوك والعلماء، واحتوى على أخبار الشام التي لا يوجد مجموعته في كتاب قديم ولا حديث، وابتدأ به من أول الفتوح إلى سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وأوصل فيه الدول وأخبارها القديمة في الإسلام والحديثة؛ وهو كتاب نافع ومفيد، وكتاب «التنبيه على محاسن التشبيه» أتى فيه بجميع فنونه وما قال العلماء فيه؛ وهو كتاب حسن في بابه، وكتاب في «محاسن الغلمان» يحتوي على ألف وتسعمائة غلام. جمع فيه من جيد الأشعار اللطيفة المعاني ما لا يوجد مجموعاً في كتاب، وقدمه للملك الظاهر فأعجب به وأثابه عليه أحسن ثواب، وكتاب «لمح البرهان في تفسير القرآن»، وكتاب «البيان في أسباب نزول القرآن»، وكتاب «غريب القرآن» / ١٩٦ أ / مختصر، وكتاب «المجالس الأربعين في فضائل الأئمة الطاهرين»، وكتاب «خلاصة الخلاص في آداب الخواص»، وكتاب «حوادث الزمان» تاريخ على حروف المعجم، وكتاب «تاريخ العلماء»، وكتاب «أسماء الشعراء»، وكتاب «شفاء الغليل في

(١) ترجم له المؤلف في الجزء العاشر برقم ٩٥٧.

(٢) ترجم له المؤلف في الجزء الأول برقم ٩١.

ذم الصاحب والخليل»، وكتاب «الحاوي» ذكر فيه رجال الشيعة وعلماءهم وفقهاءهم وشعراءهم وأئمتهم المصنفين في مذاهبهم، وهو مرتب على حروف الهجاء. وغير ذلك من التصنيفات الكثيرة، وبلغت مُصنَّفاته أكثر من خمسين مُصنَّفًا.

وكان هذا الرجل يأخذ نفسه بالتصنيف والجمع والتأليف ويخلق أسماءً وألقاباً لكتب فيضعها ويضيفها إلى نفسه ويتحلها. ولم يكن إلا صاحب دعاوى ومخاريق وأباطيل ويُوهم أنه قد صنَّف وليس عنده ممَّا / ١٩٦ب / ذكر علم ما، ولا وجدت شيئاً من مُصنَّفاته إلاَّ اليسير.

وحدثني الصاحب الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه الحنفي بحلب - أيده الله تعالى - قال: كان ابن أبي طي كذاباً كثير الكذب والتحريف؛ وإنَّ هذه الكتب التي عدَّدها وادعاها، وعمل لها فهرستاً، تمويهاً وتوهمياً لم أقف منها على شيء؛ إلاَّ أنَّه كان يقول قد صنفت الكتاب الفلاني في العلم الفلاني فنسأله إحضاره فيحتج بحجة ما ويغالطنا ويوهم أنه قد فرغ. وكل ما يتلفظ به ويدعيه زور وكذب فإذا صح له ذلك وصدق في تصنيفه فيكون قد أغار على بعض الكتب، فيقدِّم فيه أو يؤخر، أو يزيد قليلاً أو يختصر، ويخلق له اسماً غريباً ويتحلها. هكذا كانت شيمته. وكان قد جعل التصنيف بضاعته، ورأس ماله وصناعته.

ومن شعره ما أنشدني أبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن أبي طالب الصفار الشيباني الدمشقي بها في المحرم سنة / ١٩٧هـ / أربعين وستمئة، قال: أنشدني يحيى بن أبي طي الحلبي بها، لنفسه ما كتبه إلى الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف في أول قصَّة: [من الوافر]

غِيَاثُ الدِّينِ يَا مَوْلَى الْمَوَالِي	وَعَيْثَ دَوِي الْمَقَاقِرِ وَالْعِيَالِ
وَمَنْ أَصْبَحْتُ مِنْ نِعْمَى يَدَيْهِ	سَعِيدَ الْجَدِّ دَا جَاهٍ وَمَالِ
أَتَى شَهْرُ الصِّيَامِ وَلِي عَلَيْهِ	حُقُوقُ مَنْ عَطَائِكَ وَالنَّوَالِ
فَخُذْ يَا مُوجِدِي بِيَدَي يَدَيْهِ	بِمَا عَوَدَتْ مِنْ كَرَمِ الْخِلَالِ
فَلَمْ أَذْكُرْكَ شَكَا فِي أَهْتِمَامِ	يَقْصُرُ مِنْكَ عَنْ نَظَرِ لِحَالِي
وَلَكِنْ خَفْتُ أَنْ تُعْطِيَ أَبْدَاءً	فَتَحْرِمَ مَنَاطِقِي شَرَفَ السُّؤَالِ

وأنشدني أيضاً قال: أنشدني أبو زكريا لنفسه: [من السريع]

كَمْ لَيْلَةٌ بَتُّ بِهَا وَخُدِي مُلَازِمًا بِالْهَمِّ وَالْوَجْدِ
أَقْلَبُ الطَّرْفَ بَارِجَائِهَا وَمَذْمَعِي يَجْرِي عَلَى الْخَدِّ
كَأَنَّهَا فِي طَوْلِهَا إِذْ بَدَتْ شَعْرَكَ يَا مَنْ زَادَ فِي الصَّدِّ

/ ١٩٧ / وأنشدني، قال: أنشدني يحيى بن أبي طيٍّ لنفسه: [من الكامل]

صَمَتَ الْأَرَاكُ وَلَمْ يَبْخُ بِسَرِيرَةٍ فَطَفَى بِرَدِّ الثَّغْرِ مِنْهُ أَوَارًا
وَالْعُودُ بِأَحْ بِسِرِّهِ لَوْشَاتِهِ فَرَقًا فَأُورِدَهُ الْكَلَامُ النَّارَا

وأنشدني، قال: أنشدني يحيى بن حميد لنفسه: [من المتقارب]

تَذَكَّرْتُ أَيَّامَنَا بِالْحَمَى وَطِيبَ زَمَانٍ لَنَا قَدْ مَضَى
وَنَدَمَانَا رَشَائِي اللَّحَاطِ كَالْبَدْرِ وَجْهًا إِذَا مَا أَضَا
إِذَا عَبَّ فِي كَاسِهِ خِلَّتْهُ هِلَالُ الشُّعَاعِ إِذَا أَوْمَضَا

وأنشدني، قال: أنشدني قوله: [من السريع]

يَا قَمَرًا زَادَ غَرَامِي بِهِ لَمَّا بَدَا لَيْلٌ عَذَارِيهِ
قُلْتُ لَعْدَالِي عَلَيْهِ انْظُرُوا وَرَدًا وَرَيْحَانًا بِخَدْيِهِ
يَحْمِيهِمْ مَا أَنْ يُقْطَقَا صَارِمٌ قَدْ سَلَّهَ مِنْ غُنْجٍ عَيْنِيهِ

وأنشدني أبو العباس / ١٩٨ / أحمد بن يوسف بن عبد الله المؤدّب الحلبي، قال:

أنشدني أبو زكريا بن أبي طيٍّ من شعره في الشفق: [من الكامل]

وَكَاثِمًا شَفَقُ السَّمَاءِ وَقَدْ بَدَا فِي صَحْنِ خَدِّ الشَّرْقِ لِلْمَتَامِلِ
خَجَلٌ بَدَا فِي خَدِّ رُومِيٍّ وَقَدْ مَنَحَ الْعِتَابَ عَلَى لِسَانِ الْمُرْسَلِ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه في المعنى بديهة: [من البسيط]

كَأَنَّمَا الشَّفَقُ الشَّرْقِيَّ حِينَ بَدَا خَدٌّ لَا غَيْدَ رُومِيٍّ بِهِ خَجَلُ
أَوْ صَفْحَةٌ مِنْ لُجَيْنٍ مُوهَتْ ذَهَبًا أَوْ دُرَّةٌ مَسْهَأُ فِي سَخْرَةٍ بَلَلُ

وحدثني الصاحب الإمام أبو القاسم بن أبي جراحة، قال: استعار مني يحيى بن أبي طيٍّ النجار كتاب «الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جراحة» الذي / ١٩٨ ب / ألفته

وجمعه في نسب أجدادي وأخبارهم - رحمهم الله تعالى - فبقي عنده مدة يطالعه، ثم سيره بعد ذلك إلي فتصفحته فوجدت في أثناؤه ورقة بخط يده متضمنة هذه الأبيات من شعره .

قال الفقير إلى رحمة الله تعالى، الراجي رحمة ربه؛ المبارك بن أبي بكر بن حمدان بن أحمد الموصلي مؤلف هذا المجموع: أعارني هذا الكتاب المذكور الصاحب الإمام أبو القاسم - فسح الله في أجله - فكتبت منه فوائد خطيرة، ونكتاً جليلة، أودعتها كتابي الذي ذيلته على معجم الشعراء لأبي عبيد الله المرزباني، ونقلت الأبيات المذكور من خط / ١٩٩ / ناظمها وقد صدرها بهذه الألفاظ المسجوعة وهي: «ولما وقفت على هذا النسب الأصيل، والحسب النبيل، والفخر الجليل، قلت:

[من الكامل]

نَسَبٌ عَلَيْهِ مِنَ الْغَزَالَةِ بَهْجَةٌ	تُعْشِي وَمَنْ فَلَقَ الصَّبَاحَ بِهَاءُ
لَا يَحْتَوِي إِلَّا عَلَى مُتَوَطَّد	شَرَفًا تَخْرُ لِفَضْلِهِ الْعُظْمَاءُ
أَوْ أُرْوَعُ وَسَمَ الزَّمَانَ بَنَانُهُ	بِفَضَائِلَ تَعْنُو لَهَا الْجَوَازُءُ
رَبُّ اللُّوَاءِ أَبُو جَرَادَةَ عَامِرٌ	لَهُمْ بِهِ يَبْنِ الْأَنَامَ لَوَاءُ
وَلَهُمْ بِخَاتَمِ مَجْدِهِمْ وَكَمَالِهِمْ	عُمَرَ الْكَمَالِ عَلَى الْأَنَامِ عِلَاءُ
بَحْرُ الْعُلُومِ وَأَيْنَ عَذْبُ مَذَاقِ ذَا	مَنْ طَعِمَ ذَاكَ إِذَا تُمَطَّقَ مَاءُ
فَسَمَاءُ أَقْوَلُ وَإِنْ تَقَدَّمَ الْأَلَى	مَنْ قَوْمُهُ وَأَتَى بِهِ الْأَجْزَاءُ
فَلَقَدْ سَمَاءٌ وَعَلَا بِكُلِّ فَضِيلَةٍ	لَا يَسْتَطِيعُ لِحَاقِهَا الْقُدَمَاءُ
فَالسَّيْفُ مِنْ نَفْسِ الْحَدِيدِ نَجَارُهُ	وَلَهُ عَلَى جَنْسِ الْحَدِيدِ سَنَاءُ
/ ١٩٩ ب / وَمُحَمَّدٌ مِنْ نَسْلِ آدَمَ قَدْ أَتَى	وَلَهُ عَلَيْهِ الْفَخْرُ وَالْعَلِيَاءُ

ومن شعره أيضاً في أهل البيت - صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين -:

[من الكامل]

أَنَا فِي إِسَارِ غَدَائِرٍ وَنَوَاطِرِ	مَنْ كُلُّ أَيْضَ ذِي قَوَامٍ نَاضِرِ
رِيَّانٍ مِنْ مَرَحِ الصَّبَا فَكَأَنَّمَا	رُويَتْ مَعَاطِفُهُ بَغِيثُ بَاكِرِ
خَمْرِي رِيْقُ لَوْلُؤِي ضَوَاحِكِ	مُسْكِي صُدْغِ صَارْمِي مُحَاجِرِ
لَيْلَتَنَا بِكَ غَاطَمَةٍ وَقَدْ	سَمَحَتْ بِهِ الْأَيَّامُ بَعْدَ تَهَاجِرِ

وَقَدْ أَضْطَجَعْنَا وَالنُّجُومُ كَانَهَا
وَالْبَدْرُ سَارَ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ
وَالشُّعْرَيَانِ كَأَنَّمَا أَحْدَاثُهَا
وَسُهِيلُ الْوَقَادِ يَخْفِقُ دَائِبًا
وَاللَّيْلُ يَرْفُلُ فِي فُضُولِ غَلَائِلِ
وَالرَّيْحُ تَشْرَعُ عَرْفَهَا بَنَسِيمَهَا
/ ٢٠٠ / خَيْرَ الْأَنَامِ وَمَنْ يَذُلُّ مَهَابَةً
صَنُو النَّبِيِّ وَصَهْرَهُ وَوَزِيرَهُ
وَمُيِّنَ عُتْبَةَ وَالْوَلِيدَ وَشَيْبَةَ
وَمُزَعَنَ الْبَابِ الْمَشِيدَ وَقَالَعَ الْ
وَمُغِيضَ تِيَارِ الْفُرَاتِ وَقَدْ طَمَأ
سَلَ عَنْهُ إِنْ أَنْكَرْتَ سُورَةَ مَرِيمَ
وَأَسْأَلَ حَدِيثَ الشَّمْسِ عَنْهُ فَإِنْ تَجَدَّدَ
وَالسَّطْلُ وَالْمُنْدِيلُ فِيهِ مُعْجَزُ
وَحَدِيثُ يَوْمِ الدَّوْحِ أَعْظَمُ مَوْقِعًا
إِذْ قَامَ فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ مُحَمَّدٌ
مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَذَا مَوْلَى لَهُ
يَا رَبِّ وَالِ مِنَ الْأَنَامِ وَلِيَّهِ

فِي الْأَفْقِ لَوْلُو تُغْرِهِ فِي نَاطِرِي
مَنْ وَجْهَهُ بَادِ بُنُورِ بَاهِرِ
أَحْدَاقُ عَاذِلِ حُبِّهِ الْمُتَكَاشِرِ
خَفَقَانِ أَحْشَائِي عَلَيْهِ وَخَاطِرِي
رَقَّتْ كَشُوقِي أَوْ كَدَمْعِي الْقَاطِرِ
نَشْرِي مَدِيحِ أَخِي النَّبِيِّ الطَّاهِرِ
مَنْ بِأَسِهِ قَلْبُ الْهَزْبِ الْخَادِرِ
وَزَهْرِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَشَاوِرِ
وَالْعَامِرِي وَذِي الْخُمَارِ الْكَافِرِ
حَجَرَ الشَّدِيدِ عَنِ الْقَلِيبِ الدَّائِرِ
وَرَمَى الْبِلَادَ بِكُلِّ مَوْجٍ زَاخِرِ
وَالصَّفِّ وَالشُّورَى وَسُورَةَ غَافِرِ
رُشْدًا وَإِلَّا سَلَ حَدِيثِ الطَّائِرِ
وَالْجَانِ أَبِيْنُ لِلْيَيْبِ الْخَابِرِ
عِنْدَ اللَّيْبِ وَكُلِّ طَبِّ خَابِرِ
وَيَكْفِيهِ كَفُّ الْإِمَامِ الطَّاهِرِ
فِي كُلِّ أَمْرٍ بَاطِنٍ أَوْ ظَاهِرِ
وَأَخْذُلُ لِحَاذِلِهِ الْأَذَلِّ الصَّاغِرِ

وخرج يوماً إلى بستان السلطان الملك الظاهر غياث / ٢٠٠ ب / الدين غازي بن يوسف بن أيوب بحلب - رحمه الله تعالى - وتَنَوَّقَ فِي إِحْسَانِ عِمَارَتِهِ، وَغَرَسَ فِيهِ أَنْوَارَ الْغُرُوسِ . وَكَانَ بَوَّابَهُ رَجُلًا اسْمُهُ مَالِكٌ، فَمنَعَهُ مِنْ دُخُولِهِ، فَكَتَبَ عَلَى بَابِهِ :

[من السريع]

قُلْ لَغِيَاثِ الدِّينِ يَا مَالِكَا
بَنَيْتَ فِرْدَوْسًا فَلِمَ أَنْتَ قَدْ
رَاحَ لِأَرْوَاحِ الْوَرَى مَالِكَا
صَيَّرْتَ فِيهَا خَازِنًا مَالِكَا

وقال في هذا البستان أيضاً : [من الكامل]

إِنْ كُنْتُ تَرْغَبُ فِي النَّعِيمِ
فَمِمْ وَفِي مَعَاقِرَةِ الشُّرُورِ

فَعَلَيْكَ بِالْقَصْرِ الْغِيَا ثِيَّ الْأَغْرِ الْمُسْتَيِّرِ
قَصْرٌ عَالَا عَنْ أَنْ يُحْيَا سَطَّ بِوَصْفِهِ فِكْرُ الْخَبِيرِ
فَأَقِ الْخَوْرَ نَقَّ حُسْنُهُ وَعَالَا عَلَى حُسْنِ السَّيِّدِ
/ ٢٠١ / فَكَأَنَّهُ فِي الدَّوْحِ فِي الْ مِيدَانِ فِي الرُّوْضِ الْبَهِيرِ
كَسْرَى لَدَى الْغِلْمَانِ فِي الْإِ يُوَانِ فِي بُسْطِ الْحَرِيرِ

وقال في قبة الورد في البستان المذكور، وهي قبة بين يديها سطران من شجر الجوز الطوال، وبين ذينك السطرين نهرٌ تحف به روضتان ومن غربيها نهر:

[من السريع]

كَقُبَّةِ الْوَرْدِ الَّتِي حُسْنُهَا تُقْصِرُ عَنْهُ (١)
كَأَنَّهَا وَالِدُ الدَّوْحِ مِنْ حَوْلِهَا تَمِيسُ فِي أَغْصَانِهَا الْمُلْدِ
مَمْلَكٌ مِنْ فَوْقِ كُرْسِيِّهِ حَقَّتْ بِهِ طَائِفَةُ الْجُنْدِ
وَالنَّهْرُ مِنْ غَرْبِهَا سَائِحًا كَصَارِمٍ جَرَّدَ مِنْ غَمْدِ

وقال يمدح الإمام علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه وسلامه -:

[من مجزوء الرجز]

/ ٢٠١ ب / حُبُّ عَلِيٍّ شَرَفُ لَمَنْ بِهِ يَلْتَحِفُ
وَبَعْضُ نَقْصِ الْفَقَاقِ وَال كَفَرُ الَّذِي يَفْتَرُ
مَيِّزٌ مُحْيِيهِ فَهُمْ إِذَا الْأَتَامُ أَنْكَشُوا
جَوَاهِرُ خَالِصَةِ وَمَنْ سِوَاهُمْ خَزَفُ

وقال أيضاً: [من الخفيف]

يَا أَبَا جَعْفَرٍ تَجَافَ قَلِيلًا كَمْ تَسَامَى بِمَنْخَرِ مَبْخُوسِ
أَنْتَ مِنْ مَعْشَرِ كَرَامٍ وَلَكِنْ أَنْتَ فِيهِمْ قَوَائِمُ الطَّائِفِ

وله يصف فوارة: [من الكامل]

لِللَّهِ لَيْلَتُنَا... وَالْبَرْمُكَةُ الـ فَيَحَاءُ وَالشَّطُّ

وَالْمَاءُ فِيهَا مُرْسَلًا غَدَقًا جَعَدَا كَأَنَّ مُتُونَهُ الشَّمْطُ
وَكَأَنَّ مَا الْفَوَارُ فِيهَا رَاقِصٌ قَدْ جَلَلْتُهُ دَوَائِبُ شُمُطُ

وقوله فيها أيضاً: [من مجزوء الرمل]

وَتَرَى الْفَوَارَ يَحْكِي فِي عُلُوٍّ وَأَنْحَادٍ
عَادَةً قَامَتْ تَنْتَبِي لَكَ مِنْ تَحْتِ الْإِزَارِ

[وقال في راجح الحلي الشاعر: [من مجزوء الخفيف]

قِيلَ لِي رَاجِحٌ هَجَا كَ فَلَمْ لَا تُجِئْهُ
قُلْتُ مَنْ كُلُّهُ عِيُو بَ بِمَا إِذَا أُعِيئَهُ^(١)

[٩١٧]

يحيى بن خالد بن محمد بن نصر بن صغير بن خالد بن داغر، أبو
جعفر بن أبي البقاء بن القيسراني، الكاتب المنشئ^(٢).

من أهل حلب.

كانت ولادته بها في ذي القعدة سنة سبع وثمانين وخمسمائة.

من بيت مشهور بالرياسة والجلالة والفضل والكتابة والأدب والشعر، فإن والده كان
كاتباً؛ له الخط الرائق المليح يضرب بجودته المثل. واستوزره الملك العادل نور الدين أبو
القاسم محمود بن زنكي بن آقسنقر سلطان الشام - رضي الله عنه - وارتفعت منزلته لديه،
وتقدم في دولته.

وأبو جعفر من أعيان أهل حلب في الفضل وأماثلهم وصدورهم المقدمين،
وأفاضلهم وصاحب ديوان الإنشاء، ورأس كتاب الرسائل، وكاتب السرّ والمُعتمد عليه

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) وهو حفيد محمد بن نصر بن صغير القيسراني الشاعر.

ترجمته في: تكملة إكمال الإكمال ٢٤٦. نهر الذهب في تاريخ حلب للغزي ٣/ ١١٤ مط المارونية بحلب.
الوافي بالوفيات - خ - ١٤٣/٢٤. وفي شعر ابن القيسراني جمع وتحقيق د. عادل جابر صالح محمد، ترجمة
وافية لعقب القيسراني.

في دولة السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف - خلد الله ملكه - وقبله لأبيه الملك العزيز، وجده الملك الظاهر / ٢٠٢ب /
- رحمهما الله تعالى -

وذكر لي أنه حفظ القرآن العزيز، وسمع شيئاً من الحديث على أبي حفص عمر بن محمد بن طبرزد البغدادي. وأخذ طرفاً من علم العربية على الشيخ أبي الحرم مكّي بن ريان الماكسي النحوي حين ورد حلب، وقال شعراً سهلاً كتابياً، وترسل ترسلًا فاق به على كتاب زمانه، واستظهر كثيراً من الأشعار؛ وله يد في حلّ التراجم والغوص على معانيها وكشف مشكلاتها، والبديهة الحاضرة في إنشاء الرسائل. وربما أنشأ الرسالة في المعنى المقترح عليه إرتجالاً من غير روية كأنه يحفظها من قبل وذلك لذكائه المفرط، وفطرته السليمة.

ثم إنه من المتمولين وذوي اليسار وأرباب النعم وعنده تواضع وحسن محاضرة وفكاهة.

ومما أنشدني لنفسه من حفظه يهنئ السلطان الملك العزيز غياث الدين محمد بن غازي - رحمه الله تعالى - بالصوم: [من الكامل]

وَأَبْشُرْ بِأَنْفَسٍ مَغْنَمٍ مِنْ أَجْرِهِ	/ ٢٠٣أ / إِسْعِدْ بِأَيَّامِ الصِّيَامِ وَشَهْرِهِ
لَمَّا اسْتَكَانَتْ بِالْخُضُوعِ لِقَدْرِهِ	يَا مَالِكًا شَرُفَتْ بِنَا أَقْدَارُنَا
مَنْ صُنِعَ الْطَافُ الْإِلَهَ وَبِرِّهِ	لَا زِلْتُ فِيهِ حَائِزًا مَارُمْتُهُ
وَتَرَى مُحَاقَ السَّيِّئَاتِ كَبَدْرِهِ	تُتَمَّى لَكَ الْحَسَنَاتُ مِثْلَ هَالِهِ
قُدَارُ فِينَا مِثْلَ لَيْلَةِ قَدْرِهِ	وَيَزِيدُ قَدْرُكَ رَفْعَةً تَسْمُو عَلَى الْآ
ئُرْهَا عَلَى الْبُشْرَى بِمَوْسِمِ فِطْرِهِ	وَوَحْمَتِهِ بِسَعَادَةٍ تُوفِي بِشَا

وأنشدني لنفسه ما كتبه إلى بعض من أهدى إليه تفاحاً، ثم أنفذ له بعد ذلك رُماناً: [من

الطويل]

وَأَهْدَى إِلَى عَافِيهِ أَنْفَسَ مَا يُهْدَى	أَيَا مَا جَدَّافًا قَاقَ الْوَرَى كُلَّهُمْ مَجْدًا
وَتَبَعْتُ لِي مَا يَبْعَثُ الشُّكْرَ وَالْحَمْدَا	أَرَاكَ تَوَخَّانِي بِبِرِّكَ عَامِدًا
نُهُودًا فَوَاهَا لَوْ بَعَثَتْ لَهَا قَدَا	مَنْحَتَ خُدُودًا ثُمَّ أَرْسَلَتْ بَعْدَهَا

إِذَا كُنْتُ لَا أَبْغِي لِرَقِّي مَالِكًا سِوَاكَ وَلَا أَلُوكُ فِي طَاعَةٍ جُهْدًا

وأنشدني لنفسه متغزلًا: [من السريع]

٢٠٣ ب/ يَا قَمَرًا يَخْتَالُ فِي حُلَّةِ
سَيْفٍ بِالْحَظَاظِكِ لَمْ سَلَّهُ
وَوَرْدُ خَدَيْكَ عَلَيَّ فَتَتَّي
بَعَثْتَ خَطًّا مِنْكَ مَضْمُونُهُ
تَلْتَمُّ لِي الْأَرْضُ وَإِنِّي إِلَى
قَبْلِ فَمِي تُحْيِي بِهِمَا مُهْجَتِي
فَالشَّوْقُ بِي نَحْوَكَ لَوْ بَعْضُهُ
وَوُضِلَتْ الْوَحْشَةُ بِي لَمْ تَدْعُ
فَهَلْ مَزَارُ مِنْكَ يَدُنُونَا
وَاهَا لِيَوْمٍ فِيهِ يَقْضَى لَنَا أَجْ

وَقِيَّتَ مَنْ عَيْنِي بَعَيْنِ اللَّهِ
عَلَى دَمِ الْعُشَّاقِ مَنْ سَلَّهُ
أَطْنُّهُ دُكُّكَ قَدْ دَلَّاهُ
يَضْرُمُ مَنْ نَارَ الْهَوَى شُعْلَهُ
لَتَمُ ثَنَائِيَاكَ لَدُونِ غُلَّاهُ
فَالْأَرْضُ مَا تَصْنَعُ بِالْقُبْلَةِ
حَلَّ بَرَضَوَى لَمْ يُطَقْ حَمْلُهُ
بَيْنَ جُفُونِي وَالْكَرَى وَضْلَهُ
يَا لَيْتَ شَعْرِي وَالْمُنَى ضَلَّاهُ
تِمَاعُ شَمَلِ بَكَ وَاهَا لَهُ

وأنشدني لنفسه، وكان الملك العزيز قد توجه إلى قسرين، فخرج أبو جعفر بعده قاصداً خدمته، وأمسى عليه المساء فبات بقرية للصاحب كمال الدين / ٢٠٤ هـ/ أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه الحنفي، وتسمى القرية قذار، فكتب إليه منها: [من الوافر]

كَمَالُ الدِّينِ يَا مَنْ طَالَ فَرْعًا
وَيَا بَحْرًا خَضَمًا لَا يُفِيدُ الْ
وَيَا مَوْلَى أَرَى إِنْفَاقَ عُمْرِي
مَسِيرِي عَنْ جَنَابِكَ عَاضَ أَنْسِي الْ
وَعَادِرَ لِي فُؤَادًا مُسْتَهَامًا
وَأَحْشَاءَ مُقْلَقَلَّةٍ وَعَيْنًا
وَلَمَّا لَمْ أَطِقْ لِلْبَيْنِ حَمْلًا
أَتَيْتُ (قَذَارًا) أَسْتَشْفِي ثَرَاهَا
وَأَخُذُ عَنْكُمْ أَثَرًا فِيْهِ هَدْيُ
فَزَادْتَنِي بِذِكْرِكُمْ غَرَامًا

وَطَابَ أَرْوَمَةٌ وَزَكَانِجَارًا
عُقُودًا بِدُرَّةٍ إِلَّا كَبَارًا
إِذَا فَارَقْتُ خِدْمَتَهُ خَسَارًا
لَذِي أَدْنَاهُ قُرْبُكَ لِي نَفَارًا
وَقَلْبًا مِنْ فِرَاقِكَ مُسْتَطَارًا
مُورِقَةً وَأَنْفَاسًا حَرَارًا
وَأَضْرَمَ فِي حَشَايَ الشَّوْقُ نَارًا
وَأَسْتَجِدِّي سَكُونًا وَاصْطَبَارًا
إِلَى قَلْبِي هُدُوءًا أَوْ قَرَارًا
وَزَلَّتْ بِهِمَا مَسَاءً وَابْتِكَارًا

(أُمِرُّ عَلَى الدِّيارِ دِيَارِ لَيْلَى / وَأُذِرِّي أَدْمَعًا لَوْ أَنْبَتَتْهَا / وَرُحْتُ أَرَى بِنَفْسِي مِنْ تَنَائِي / أَسِيرُهُمْ وَأَوْكَمُ وَأَوْدُ أَنْ لَا / فَلَا أَخْلَتْ مَعَالِمَكَ اللَّيَالِي / وَلَا زَالَتْ عِرَاصُكَ أَهْلَاتِ / أَقْبَلُ ذَا الْجِدَارِ وَذَا الْجِدَارَا / جَنَيْتُ مِنَ الْقُلُوبِ بِهَا ثَمَارَا / مَزَارَكُمُ فُتُورًا وَأَنْكَسَارَا / يَفُكُّ الدَّهْرُ لِي مِنْهُ إِسَارَا / وَلَا أَقْصَتْ لَكَ الْآيَّامُ دَارَا / تَفِيضُ نَدَى وَتَزْدَادُ أَخْضَرَارَا

وأنشدني لنفسه فيما يكتب على حلقة باب دار : [من الطويل]

عَلَوْتُ عَلَى بَابِ عِلَا النَّاسِ رَبُّهُ / نَوَالًا وَإِحْسَانًا فَحَسْبِي بَذَا فَخْرًا / أَنَا الْعُرْوَةُ الْوُنُقَى مِنَ الْفَقْرِ لِلْوَرَى / فَمَنْ صَافَحْتَنِي كَفُّهُ أَمِنَ الْفَقْرَا

وأنشدني لنفسه ما يكتب على مفتاح : [من الطويل]

إِذَا عَدَّ أَهْلُ الْفَخْرِ غُرَّ مَنَاقِبِ / سَمَّا كُلُّ ذِي طَوْلٍ بِهَا مَنْ يُطَاوِلُهُ / فَخَرْتُ بِأَنْ صَافَحْتُ رَاحَةَ مَالِكٍ / مَفَاتِيحُ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ أَنَامِلُهُ

وأنشدني أيضاً : / ٢٠٥ / لنفسه حين فتح الملك العزيز محمد بن غازي بن يوسف

- رحمه الله تعالى - شيزر، وكان صاحبها يومئذ شهاب الدين أبو المحاسن يوسف بن مسعود، عاصياً عليه فلما وصل إليها لم يمكنه العصيان بها، ونزل وسلمها طائعاً. وصارت مضافة إلى مملكة الملك العزيز غياث الدين : [من البسيط]

يَا مَالِكًا خَافَتْ الْأَمْلَاكُ سَطْوَتَهُ / وَعَمَّ إِحْسَانُهُ الدَّانِي مَعَ الْقَاصِي / لَمَّا رَأَتْ شِيزَرَ رَايَاتِ نَصْرِكَ فِي / أَرْجَائِهَا أَلْقَتْ الْعَاصِي إِلَى الْعَاصِي

والعاصي هذا المشار إليه اسم نهر يمر تحت قلعة شيزر .

وأنشدني، قال : كتب إلي / ٢٠٥ ب / من ينتمي إلى قول الشعر بهذه الأبيات :

[من البسيط]

مَأْكُلٌ مَنْ قَالَ مَدْحًا فِيكَ يَكْتَسِبُ / وَإِنْ أَقْلَ فَمُودُ بَعْضٍ مَا يَجِبُ / مَا فَوْقَ فَوْقَ مَدِيحِ الْمَادِحِينَ لَهُ / إِنْ لَمْ أَقْلُ فِيكَ قَالَ الْجُودُ وَالْحَسَبُ / مُؤَلَّيْ مَا الْبَدْرُ مُخْتِاجٌ إِلَى مَدَحِ / كَمَالُهُ فِي الْمَعَالِي شَاهِدٌ عَجَبُ / فُتَّتِ الْكِرَامُ فَأَنْتَ الْغَيْثُ إِنْ بَخِلُوا / وَاللَّيْثُ إِنْ جَبَّنُوا وَالسَّهْلُ إِنْ صَعَبُوا

وَلَقَبُّوكَ شَهَابَ الدِّينِ فَاخْتَصَرُوا
سَمِعْتُ عَنْكَ حَدِيثَ الْجُودِ يَسْنُدُهُ
وَعَاقَنِي عَنْكَ غَيْثٌ لَمْ يَزَلْ كُنْدِي
لَوْلَاهُ مَا فَاتَنِي حَجٌّ إِلَيْكَ وَلَا أَلْ
وَقَدْ بَعَثْتُ أَخِي عَمْدًا لِتُكْرِمَهُ
لَوْ أَنْصَفُوكَ لَقَالُوا السَّبْعَةُ الشُّهُبُ
دَوُّو الرِّجَاءَ وَلَا مَيْنٌ وَلَا كَذِبُ
يَدِيكَ يَهْمِي عَلَى الدُّنْيَا وَيَشْكِبُ
تَزَامُ ذَيْلِكَ إِنْ نَابَتَنِي النُّوبُ
فَكُنْ بِهِ مُحْسِنًا دَامَتْ بِكَ الرُّتْبُ

قال : فكتبت إليه الجواب عنها بهذه الأبيات على الوزن والقافية : [من البسيط]

١٢٠٦/ يَا فَاضِلًا قَدْ سَقَانَا مِنْ بَلَاعَتِهِ
وَيَا أَخَا سَمَحِ الدَّهْرِ الْبَخِيلُ بِهِ
قَدْ هَاجَ نَظْمُكَ لِي شَوْقًا إِلَيْكَ غَدَتَ
وَشَبَّ فِي غَرَامٍ زَادَنِي كَلْفًا
فَلَوْ عَرَفْنَا مَكَانًا أَنْتَ فِيهِ لَزُرُ
بَلْ لَوْ مَنَحْنَاكَ دُنْيَانَا وَمَا مَلَكَتْ
فَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْإِحْسَانِ مَنْزِلَةً
مُدَامَةً قَبْنَا مِنْ شُرْبِهَا طَرَبُ
وَالْفَضْلُ مُذْكَانَ فِي أَبْنَائِهِ نَسَبُ
بَحْرٌ أَنْفَاسِهِ الْأَحْشَاءُ تَلْتَهَبُ
وَدَدْتُ مِنْهُ بِأَنْنِي جَارُكَ الْجُنُبُ
نَاهُ وَلَوْ سَحَبَتْ أَذْيَالَهَا السُّحُبُ
أَيْمَانُنَا لَفَعَلْنَا بَعْضَ مَا يَجِبُ
نَصِيبُ مَنْ رَامَ فِيهَا شَأْوَكَ النَّصَبُ

وأملئ علي من إنشائه هذه الرسالة ، ثم وصلها بشيء من شعره ؛ وهي جواب أبيات كتبها إليه الصاحب الإمام كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله الحنفي العقيلي - أدام الله أيامه - :

«يقبل اليد الشريفة المولوية القاضوية الإمامية العالمية المالكية الكمالية أعلاها الله ورفعها / ٢٠٦ب/ وأولاهها بسطةً وأوسعها ، ونظم فيها أشتات المكارم وجمعها . . . وينهي أولاً أشواقه التي هي في كل الأوقات متزيدة ، وغرامه الذي قبله منه في نار موصدة ، ووحشته لذلك المحيّا الذي محاسنه للقلوب مستعبدة ، ورغبته إلى الله تعالى في أن يجعل أيام الاستسعاد بلفائه غير مستعبدة .

وثانياً ورود الكتاب الكريم على يدي مملوك المولى عز الدين ، فأقبل المملوك عليه ، وتناوله من يديه ، ووضع على عينيه ، وهزّ طرباً عطفيه ، ووقف من فحواه على بديع المقال ، ورأى السحر الحلال ،

وعرف كيف تتفاوت قيم الرجال، واجتلى تلك العقيلة التي فنتت
العقول، وفعلت بالألباب ما لا تفعله الشُّمول، وحكمت لقائلها بالبلاغة
على كل من يقول شعراً، وبالتفصيل على كل من ينظم درّاً.

وجرّاه الحسد على التعرض للجواب، ولو ساعده التوفيق لكان إقراره
بالعجز عن مجاراتها هو / ٢٠٧ / عين الصواب، ثم أطمعه في التصيد من
بحرها علمه بأنّ المولى غريم كريم لا يناقش في الحساب. ويتقن أنّ الله
- سبحانه - يؤتي الحكمة من يشاء من عباده، وأنّه قد أجزل منها إرفاد
المولى فلا عار على أوليائه في استرفاده:

[من الطويل]

وَيُعْجِبُنِي فَقْرِي إِلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ لِيُعْجِبْنِي لَوْلَا مُحِبَّتُكَ الْفَقْرُ
فَظَلَّ الْمَمْلُوكُ مُنْكَرًا، وقال مقصراً معذراً - ثم اتبع ذلك بهذه الأبيات -:

[من الخفيف]

يَا نَسِيمَ الصَّبَا أَثَرْتَ غَرَامَا
يَا نَسِيمَ الصَّبَا لَقَدْ شَفَّ قَلْبِي
فَتَعَمَّدَ مَسَرَّتِي وَأَعْدَلِي
خَصَّنِي مِنْهُ مُنْعَمًا بِكِتَاب
فَقَضَضْتُ الْخَتَامَ عَنْهُ كَأَنِّي
وَلَكُمْتُ النَّفْسَ الَّذِي ضَمَخْتُ بِالْ
وَتَرَشَّفْتُهُ فَدَارَ عَلَى الْأَفْ
/ ٢٠٧ ب / قَسَمًا مَا خَمِيلُهُ جَادَهَا الطَّ
لَا وَلَا رَوْضَةً بَحْرُنْ بَكَى الْمُرْ
لَا وَلَا الدَّرُّ نَظَمْتُهُ عَقُودًا
عِنْدَ ذِي اللَّبِّ مِنْهُ أَحْسَنُ مَرَايَ
رَقَمْتُهُ كَفَ الْكَمَالِ فَحَازَ الـ

فِي فُؤَادِي فَزِدْتَنِي أَسْقَامَا
مَنْكَ وَجَدَّ عَصِيَّتْ فِيهِ الْمَلَامَا
ذَكَرَ مَوْلَى أَهْدَى إِلَيَّ السَّلَامَا
حِينَ وَأَفَى قَبْلْتُهُ إِعْظَامَا
عَنْ رَحِيْقٍ إِذَا فَضَضْتُ الْخَتَامَا
مَسْكَ مِنْهُ الْأَنَامِلُ الْأَقْلَامَا^(١)
هَامَ مِنْهُ مَا أَطْرَبَ الْأَفْهَامَا
لُ فَشَقَّتْ أَزْهَارُهَا الْأَكْمَامَا
نُ عَلَيْهَا فَاتَّبَعْتُهُ أَبْتِسَامَا
فِي نُحُورِ أَيْدٍ تُجِيدُ النَّظَامَا
حِينَ يَبْدُو لَهُ وَأَسْنَى مَرَامَا
حُسْنٍ فِي طِيَّهِ كَمَالًا تَمَامَا

بَةَ جُودٍ إِلَّا وَجَاءَتْ أَمَامَا
 هَ بِهِ الْمُسْلِمِينَ وَالْإِسْلَامَا
 نَعَامَ فِينَا وَأَجْزَلَ الْأَقْسَامَا
 مِنْ يَدِ أَمْتَنِي الْإِعْدَامَا
 مُغْرَمَ مَا أَفِيقُ مِنْهُ غَرَامَا
 حُبِّ قَدْ مَازَجَ الْحَشَا وَالْعِظَامَا
 غَادَرْتَنِي أَسْتَكْفِفُ الْإِنْعَامَا
 مَلْتُ سُكْرًا وَعَفْتُ [حَتَّى] الْمُدَامَا
 رُحْتُ مِنْهَا مُتِمًّا مُسْتَهَامَا
 وَالشُّوقَ مَا حَمَاكَ الْمَنَامَا
 نَ أَشْتِيَاقُ أَوْرَتْ بِقَلْبِي ضَرَامَا
 رَتَدَانِيكَ أَنْفَقُ الْآيَامَا
 رُكْضًا بَلْ فَوْقَ ظَهْرِ النُّعَامِي^(١)
 لَا يُسَامِي وَقَدْرُهُ لَنْ يُسَامَا
 لُ مِنَ الْمَجْدِ غَارِبًا وَسَنَامَا
 كَ وَنَجْمِي أَفْقِيكَ دُمْتُ وَدَامَا
 نَجْمَ بَدْرًا يُنَوِّرُ الْإِظْلَامَا
 لَهُمَا أَنْ سَيَعْلُوَانِ الْآنَامَا
 وَهُمَا الْإِعْدَمَانِ لُؤْمًا وَدَامَا
 يَلْ بِالصُّبْحِ سَجْدًا وَقِيَامَا
 وَأَكْفُ بِهَا نُبَارِي الْغَمَامَا
 سَوَى وَمَاتُوا مَا أَسْتَحْقَبُوا آثَامَا^(٢)
 يَّا وَمَيْتًا بِالصَّدَقِ فِيهَا ذِمَامَا

تِلْكَ كَفُّ مَا جَارَتْ الْغَيْثُ فِي حَلْدِ
 يَا كَمَالَ الدِّينِ الَّذِي عَصَمَ الدِّ
 يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي قَسَمَ الْإِ
 يَا سَلِيلَ الْعَدِيمِ كَمْ لَكَ عِنْدِي
 أَنَا وَاللَّهِ فِي وَدَادِكَ مُغَرَّرِي
 لَوْ تَطَلَّعْتَ فِي ضَمِيرِي وَجَدْتَ الـ
 عَمَرْتَنِي نِعَمًا كَ حَتَّى لَقَدْ
 وَصَفْتَ لِي أَخْلَاقَكَ الْغُرَّ حَتَّى
 وَحَلْتَ لِي مِنْكَ الشَّمَائِلَ حَتَّى
 /١٢٠٨/ إِنْ تَصَفَّ لِي مِنَ التَّالَمِ وَالْوَحْشَةِ
 فَلَقَدْ هَاجَ لِي أَشْتِيَاقُكَ نِيرًا
 وَعَزِيْزُ عَلَيَّ أَنِّي فِي غِيْدِ
 وَلَوْ أَسْطَعْتُ جَنَّتُكُمْ لَا عَلَى الْأَنْعَامِ
 فَابْقَ مَا شِئْتَ فِي اعْتِلَاءِ مَدَاهُ
 تَسْتَرْقُ الْأَحْرَارَ جُودًا وَتَحْتَ
 وَتَمَلَّيْ مَسْرَّةَ سَلِيلِي
 لَتَرَى الْمَجْدَ مَا جَدَا وَأَخَاهُ الـ
 فَالْإِمَارَاتُ مِنْهُمَا شَاهِدَاتُ
 وَهُمَا الْأَزْكِيَانِ أَضْلًا وَقَرَعَا
 وَهُمَا سِرُّ أَسْرَةٍ يَصْلُونَ الدِّ
 بِوُجُوهِهِ مِثْلَ الْمَصَابِيحِ نُورًا
 وَغَنُوا دَهْرَهُمْ شَعَارَهُمُ التَّقْدِ
 فَتَذَكَّرْ فِرَاسَتِي وَأَرَعْ لِي حَـ

(١) النعامي: ربح الجنوب.

(٢) غنوا: أفلحوا.

٢٠٨ب/ وَاعْتَفِرْ لِي إِطَالَةَ عُدْرُهَا أَنِّ
يَ بَذَكَرَاكَ مَا أَمَلُ الْكَلَامَا
وَإِذَا أَبَيْتُ فَالْقَنِي لِتَرَى مِنِّ

وأنشدني لنفسه ، وكان قد عزم على الخروج إلى قريته المعروفة بالتيارة :

[من مجزوء الكامل]

عَرَّجْ بَنَا نَحْوَ التَّيَّارَةِ
نَقْضِي بِهَا حَقَّ الزَّيَّارَةِ
وَنَهْزُ أَغْصَانِ السُّرُورِ
رَبَّهَا وَنَسْتَجْلِي ثَمَّارَةَ
وَنَشْشُنُ فِيهَا لِلْخَلَا
عَةِ غَارَةَ فِي إِنْزَارَةِ
فَقَلُّوْ بَنَا شَوْقًا إِلَى
تِلْكَ الْمَعَالِمِ مُسْتَطَارَةَ
قَدْ حَلَّ فِيهَا الْحُسْنُ فَهْوَ
يَ لَسِيلَ وَادِيهِ قَرَارَةَ
وَمَتَى حَلَلْتَ بِدَارَهَا
فَلَقَدْ حَلَلْتَ إِذْنُ بِدَارَةِ
تُلهِيكَ أَقْمَارُ تَرَى
لَوْجُوهَهَا فِيهَا أَسْتَارَةَ
وَيَشْشُوقُ طَرْفَكَ مِنْظَرُ
فَأَقْتِ مَحَاسِنَهُ الْعَبَّارَةَ
وَتَسُوفُ مَا يُنْسِيكَ طِي
بَ شَمِيمِ نَجْدٍ وَالْعَرَّارَةَ
/ ١٢٠٩/ وَهُنَاكَ وَرْدُ الْعَيْشِ عَذْ
بُ لَا تَلْكُمْ بِهِ مَرَّارَةَ
وَالْجَوُّ أَرْكَنُ وَالْغَمَّامَا
مُ عَلَى الرَّبِيِّ مُرْخِ إِزَارَةَ
وَالرَّوْضُ أَحْوَى وَالزَّمَامَا
نُ عَلَى مَعَاطِفِهِ نَضَّارَةَ
وَالطَّيْرُ فِي أَشْجَارَهَا
يُيَدِي لِمَسْمَعِكَ اشْتَجَارَةَ
فَاغْنَمْ بِهَا طِيبَ الْحَيَا
وَأَذِرْ بِهَا رَاحَاتُ تَرِي
صَفْرَاءَ تَحْسِبُهَا عَلَى
وَاجِسُرَ عَلَى اللَّذَاتِ فَال
فَالِدُهُرُ يَعْدِلُ تَارَةَ

وأنشدني لنفسه يستدعي صديقاً له ينعت بالعفيف أبي طالب بن صفر :

[من الكامل]

قُلْ لِلْعَفِيفِ أَخِي النَّدَى
رَبِّ الْقَوَافِي وَالْمَدَائِحِ
يَا مَاجِدًا قَدْ أَفْحَمْتَ
أَوْصَافُهُ مِنَّا الْقَرَائِحِ

تَيَّارَ بَخْرٍ نَدَاهُ سَابِخْ
عَنْ نَظْمِهِ الْحَلِيِّ رَاجِحْ
فِي بِالْوُدَادِ إِلَيْهِ طَامِحْ
أَبْدَأْ عَلَى الْإَيَّامِ جَامِحْ
مَنْ مِنْ زَمَانِكَ وَالسَّوَانِحْ
سَمَّ بِكَ الْأَشْأَانِ وَالْبَوَارِحْ
بِرْكَ بَصَافِي الدُّهْنِ طَافِحْ
تَاجُ تَكَلُّلِهِ الشَّرَائِحْ
وَمَشْمُومُهُ كَالْمُسْكِ فَائِحْ
عَتَهُ فَأَفْحَمَ كُلَّ مَادِحْ
عَايَتَهُمْ غُرَّ جَحَاجِحْ
سَانَ الصَّحَائِفِ وَالصَّفَائِحْ
سَتَ طُلُوعِ بَذْرِ مَنْكَ لَائِحْ
نُسُ الْمُعْجَلِ كُلِّ نَازِحْ
لَمْ تَأْتِ أَلْسِنَةً قَوَادِحْ

٢٠٩ب/ يَا مَنْ لِسَانُ الْحَمْدِ فِي
يَا مَنْ يَخَفُ لِنَقْصِهِ
يَا ذَا الَّذِي مَازَالَ طَرَرُ
وَعَنَانُ قَلْبِي نَحْوَهُ
مَوْلَايَ لَقِيْتِ الْإِيَا
وَحَمَمَاكَ سَعْدُكَ أَنْ يُلْ
عُنْدِي وَحَقِّكَ صَحْنُ شِدْ
وَعَلَيْهِ مِنْ سِنْبُوشِجْ
حَسْبُ أَفْتِرَاحِكَ طَعْمُهُ
قَدْ أَحْكَمَ الطَّاهِي صَنَا
وَعَصَا أَبَا بَابُ كُلِّ إِذَا
تَرَى مِنْهُمْ عَيْنَاكَ فُرُ
يَتَرَقَّبُونَ إِذَا عَزَمَ
فَهْلُمْ تُدْنِ لَهُمْ مَنْ الْأُ
١٢١٠/ وَأَعْلَمَ بِأَنَّ لَهُمْ إِذَا

وَأُنْشِدُنِي لِنَفْسِهِ مَا كَتَبَهُ إِلَى الْعَفِيفِ أَيْضًا: [من المجتث]

لِبِ حَلِيفِ الْعَلَاءِ
وَوَاحِدِ الْفُضْلَاءِ
زُقْنَةَ الْجَزَاءِ
جَلَّتْ عَنِ الْإِحْصَاءِ
لَا صَحِيحَ عَقْدِ الْإِخَاءِ
سَلَبَتْ لَبِّي وَرَائِي
كَالْكَوَاعِبِ الْعِذْرَاءِ^(١)
كَالْغَاذَةِ الْحَسَنَاءِ

قُلْ لِلْعَفِيفِ أَبِي طَا
يَا سَيِّدَ الْأَدْبَاءِ
يَا ذَا الْمَحَلِّ الَّذِي جَا
غَمَرْتَنِي بِأَيَادِ
لَوْلَاكُمْ لَمْ أَرَحْ
مَلَكْتَ طَرْفِي وَسَمْعِي
بِكَوَاعِبِ عِذْرَاءِ
جَاءَتْ إِلَيَّ تَهَادِي

لَهَا سَنَى يُخْجِلُ الْبَدَنُ
تُضْبِي السَّمِيعَ وَتُلْهِي الرِّ
حَلَّتْ بِقَلْبِي مَحَلُّ الشُّ
/ ٢١٠ ب / وَأَشْبَهَتْ بَيْنَ جَفْنِ
وَأَرْشَفْتَنِي بِرُودَا
فَرَحْتُ أَسْحَبُ مِنْهَا
فَرِيرَ عَيْنٍ وَقَلْبٍ
بَقِيتَ لِي يَا أَبَا طَا
فَصَصَرْتُ مِنْكَ وَدَادِي
حُلُّو الشَّمَائِلَ عَذْبَ الْآ
فَأَنْتَ كَهَفُ اعْتِمَادِي
وَأَنْتَ سَيْفِي أَسْطُو
وَمَنْ يُجَارِيكَ نَظْمًا
كَمَنْ يَرُومُ بِجَهْلٍ
وَرُمْتُ نَظْمَ جَوَابٍ
وَقَدْ بَعَثْتُ عَوَانًا
فِي خُفْيَةٍ وَأَسْتَبَارَ
/ ٢١١ / تَكَلَّفُ الْخَطُّومُ مَنْ خَوَّ
خَرْقَاءُ كَفَّ وَلَيْسَ الصَّ
فَأُولَٰهَا مِنْكَ صَفْحًا
وَلَا تُقِلْ لِي قَلْدَكَ أَتِ

رَفَنِي دُجَى الظُّلُمَاءِ
أَيَّ لَهَا وَالرَّائِي
فَعَالَى الْإِشْفَاءِ
يَ لَذَّةِ الْإِغْفَاءِ
عَذْبًا عَلَى الْإِظْمَاءِ
مَلَابِسَ السَّرَّاءِ
فَسِيحَ خَطِّهِ وَالرَّجَاءِ
لَسَبَ سَعِيدَ الْبَقَاءِ
عَلَى كَرِيمِ الْوَفَاءِ
خِلَاقَ مُرِّ الْإِبْهَاءِ
وَأَنْتَ كَنْزُ اقْتِنَائِي
بِهِ عَلَى أَعْدَائِي
مَنْ سَائِرِ الشُّعْرَاءِ
مَنْهُ مَنْ أَلِ السَّمَاءِ
فَلَمْ أَطِقْ مِنْ عِيَائِي
تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءِ
مَنْ أَعْيَنَ الرِّقَبَاءِ
فَهَا عَلَى إِعْيَاءِ
نَاعٍ مِنْ خَرْقَاءِ
يَا سَيِّدَ الْكُورَمَاءِ
يُسَبُّ مِنَ الْغُلُوَاءِ

وأنشدني لنفسه ما كتبه إليه أيضاً جواب شعر ورد عليه منه : [من الخفيف]

وَنَبَتْ عَنْكَ أَسْهُمُ الْحَدَثَانِ
وُحُّ وَالرَّوْحُ وَالْمُنَى وَالْأَمَانِي
ة حَتَّى تَطُولَ عُمْرَ الزَّمَانِ
فَدُ عُمْرَ الْقِرَانِ وَالْأَقْرَانِ

عَشْتُ مَنْ طَارِقَ الرَّدَى فِي أَمَانٍ
وَوَقَانَا إِلَاهُ فَيْكَ فَأَنْتَ الرُّ
وَتَوَلَّاكَ بِالسَّلَامَةِ وَالصَّحَّ
سَاحِبًا فَضْلَ بُرْدَةِ الْعَيْشِ تَسْتَدِ

كَر وَالْقَدْرَ أَهْلَ الْأَوْطَانِ
 لَيْلَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ مَنْ ضَرَبَانَ
 ضُمَّرَ السَّابِحَاتِ فِي الْأَرْسَانِ
 دَمْنِ الْقَلْبِ فِي أَعَزِّ مَكَانِ
 زَادَ فِيهِ حُسْنًا عَلَى حَسَّانِ
 سَجَبًا ذِيْلَهُ عَلَى سَجَبَانَ
 هَكَ مِنْ دُونِهِ لَظَى النِّيْرَانَ
 بَكَ شَيْءٌ مَا كَانَ فِي حُسْبَانِي
 بِي وَعَيْنِي تَجُودُ بِالْهَمَلَانَ
 جَزَوْصَفِي فَكَلَّ عَنْهُ لِسَانِي
 فِي وَسَمْعِي مِنْهَا عَرُوسُ الْيَّانِ
 رُحْتُ مِنْهَا مُعَاقِرًا لِلدَّنَانِ
 يَ مِنْهَا نَزِيلُ رَوْضِ الْجَنَانِ
 يَ أَشْتَقِي خَاطِرِي وَقَرَّ جَنَانِي
 هَا عُقُودُ الْجَمَّانِ وَالْعُقَيَّانِ
 بَبُ بَغَاءِ السَّمَاءِ فِي نَيْسَانَ
 فِيهِ فُرسَانُ ضُمَّرَ الضَّيْمَرَانِ^(١)
 دُونَ الْفَاطِمَا الْحَسَّانِ الْمَعَانِي
 رِي بَعْجَزِي إِلَيْكَ مَدُّ بَنَانِي
 لَكَ فِي الشَّعْرِ ظَاهِرُ الْبُرْهَانِ
 أَرَأَيْتَ الثَّمَادُ وَالرَّافِدَانِ
 حَ فَرَّقَهُ خَوَاطِرَ الْإِخْوَانِ
 عَرَّابَاهُ مَثَلُ مَا يَأْبَانِي
 عَرَّ حَتَّى حَيْبُ وَأَبْنَاهَانِي

رَافِلًا فِي مَلَابِسِ الْفَخْرِ عَالِي الدُّ
 أَمِنَ الظُّهْرَ وَالْمَفَاصِلَ وَالرَّجْ
 تَصْرَعُ الْأَسَدَ قُوَّةً وَتَقُوتُ الـ
 / ٢١١ب/ يَا عَفِيفَ الدِّينِ الَّذِي حَلَّ بِالْوُ
 وَأَدِيًّا أَطَاعَهُ الشَّعْرُ حَتَّى
 وَحَوَى الْعِلْمَ وَالْفَصَاحَةَ حَتَّى
 عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ شَوْقِي إِلَى وَجْ
 وَتَمَادَى أَيَّامُ بَعْدِكَ فِي قُرْ
 وَأَصْطَبَارِي يَشْحُ عَنْكَ بِهِ قَلْدُ
 وَسُرُورِي بِذِي الْيَتِيمَةِ قَدْ أَعْدُ
 أَسْفَرْتُ حِينَ أَقْبَلْتُ فَاجْتَلَى طَرْ
 وَتَرَشَّفْتُهَا فَبِتُ كَأَنِّي
 وَتَصَفَّحْتُهَا فَخَيَّلَ لِي أَنَّ
 ثُمَّ كَرَّرْتُهَا وَرَدَّدْتُهَا حَتَّى
 قَسَمًا مَا سَوَّالِفُ الْغَيْدِ زَانَتْ
 وَتُغُورُ الرِّيَاضَ ضَا حَكَّةً غَدِ
 زَارَهَا وَأَفْدُ الصَّبَا فَبَارَتْ
 / ٢١٢أ/ عِنْدَ أَهْلِ التَّمْيِيزِ فِي الْحُسْنِ إِلَّا
 لَا تَسْمُنِي الْجَوَابُ عَنْهَا فَأَقْرَأْ
 يَا أَخِي يَا عَفِيفُ إِنَّ أَعْتَرَأَفِي
 لَا تَقْسُ خَاطِرِي بِخَاطِرِكَ الْخَطِّ
 أَنْتَ رُوحُ الْإِخْوَانِ فِي خَفَةِ الرُّوْ
 وَأَعْفَنِي مِنْ جَوَابِ شَعْرِكَ إِنَّ الشَّ
 وَأَبْقَ فِينَا وَدُونَ قَدْرِكَ أَهْلُ الشَّ

وكتب إليه أيضاً عن شعر له إليه وأنشدنيه : [من الخفيف]

يَا عَفِيفَ الدِّينِ الَّذِي جَلَّ فِي نَظِّ
يَا صَدِيقاً مَا حَادَ مُذْكَانَ عَنْ حُسْنِ
قَدْ لَعَمْرِي أَصْفَيْتَنِي الْوُدَّ وَأَسْتَنْدُ
وَتَمَلَّكَتْ رَقَّ حَمْدِي وَمَنْ شَأْ
بُسُلَافٍ أَدَارَ فَكْرُكَ فِي سَمِّ
/ ٢١٢ ب / فَعَلَّتْ بِي وَأَنْتَ أَدْرِي بِمَا تَفْعَلُ
وَتَوَهَّمْتَهَا أَتَنْتَنِي مِنَ الْجَدِّ
وَتَلْقَيْتُ كُلَّ مَا أَعْرَبْتُ عَنْ
وَتَخَلَّصْتُ حِينَ وَاجَهْنِي رَأَى
وَتَعَوَّضْتُ عَنْهُ عَوَاضَكَ اللَّهُ
لَا سَقَى اللَّهُ صَوْبَهُ لَا وَلَا
ثُمَّ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَطْرَقْتَنِي بِأَ
يَا عَفِيفَ الدِّينِ أَغْفَنِي مِنْ أُمُورِ
إِنَّ حَظِّي لَمْ أَحْظَ مِنْهُ بِإِسْعَاءٍ
لِي دَيْنٌ عَلَى الزَّمَانِ وَقَدْ آ
وَبَقَلْبِي مِنْهُ وَمَا بُحْتُ بِالشُّكِّ
لَا أُرُومُ الْقَصَاصَ مِنْهُ وَمَنْ يَدُ
وَرَجَائِي فِي السَّلَامِ مِنْهُ فَإِنْ سَا
يَا أَخِي يَا عَفِيفُ حَسْبِي بِذِكْرِكَ أَسْدُ
/ ٢١٣ أ / عَدَّ عَنْ هَذِهِ الْمُنَى إِنَّمَا الْعَيْدُ
لَا عَدَمْنَا مِنْكَ أَهْتَمَاماً بِهِ جِدُّ

يَا عَفِيفَ الدِّينِ الَّذِي جَلَّ فِي نَظِّ
يَا صَدِيقاً مَا حَادَ مُذْكَانَ عَنْ حُسْنِ
قَدْ لَعَمْرِي أَصْفَيْتَنِي الْوُدَّ وَأَسْتَنْدُ
وَتَمَلَّكَتْ رَقَّ حَمْدِي وَمَنْ شَأْ
بُسُلَافٍ أَدَارَ فَكْرُكَ فِي سَمِّ
/ ٢١٢ ب / فَعَلَّتْ بِي وَأَنْتَ أَدْرِي بِمَا تَفْعَلُ
وَتَوَهَّمْتَهَا أَتَنْتَنِي مِنَ الْجَدِّ
وَتَلْقَيْتُ كُلَّ مَا أَعْرَبْتُ عَنْ
وَتَخَلَّصْتُ حِينَ وَاجَهْنِي رَأَى
وَتَعَوَّضْتُ عَنْهُ عَوَاضَكَ اللَّهُ
لَا سَقَى اللَّهُ صَوْبَهُ لَا وَلَا
ثُمَّ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَطْرَقْتَنِي بِأَ
يَا عَفِيفَ الدِّينِ أَغْفَنِي مِنْ أُمُورِ
إِنَّ حَظِّي لَمْ أَحْظَ مِنْهُ بِإِسْعَاءٍ
لِي دَيْنٌ عَلَى الزَّمَانِ وَقَدْ آ
وَبَقَلْبِي مِنْهُ وَمَا بُحْتُ بِالشُّكِّ
لَا أُرُومُ الْقَصَاصَ مِنْهُ وَمَنْ يَدُ
وَرَجَائِي فِي السَّلَامِ مِنْهُ فَإِنْ سَا
يَا أَخِي يَا عَفِيفُ حَسْبِي بِذِكْرِكَ أَسْدُ
/ ٢١٣ أ / عَدَّ عَنْ هَذِهِ الْمُنَى إِنَّمَا الْعَيْدُ
لَا عَدَمْنَا مِنْكَ أَهْتَمَاماً بِهِ جِدُّ

وكتب إليه أيضاً جواب أبيات : [من السريع]

مَالِدُرُ زَانَتْهُ يَدَا نَاطِمِ
وَالرَّوْضُ غِبَّ الْعَارِضِ السَّاكِبِ

[وَالْوَشْيُ مِنْ كَفِّ صَنَاعٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ] لَعِينَ الْيَوْمِ مِنْ رَوْضَةٍ الْأَلْمَعِيِّ الْأَزْيَحِيِّ الَّذِي مَتَّى تَعَرَّفْنَا بِمَعْرُوفِهِ أَوْدَعَهَا مِنْ دُرِّ الْفَاطَةِ يُضِيءُ فِيهَا لِلْمَعَانِي سَنَى وَوَصَفَ أَشْوَاقَ غَدَا قَلْبُهُ فَاعْتَلَقَتْ طَرْفِي بِمَا أَبْدَعَتْ وَرُجْتُ مَسْرُورًا بِهَا بِاسْطِإِيهِ عَفِيفَ الدِّينِ يَا مَنْ بِهِ /٢١٣ب/ يَا ذَا النُّهَى وَالْفَضْلِ وَالْمَنْطِقِ الْكَمِّ لَكَ عِنْدِي مِنْ يَدِ شُكْرُهَا أَقْسَمُ بِاللَّهِ يَمِينُ أَمْرِي أَنْكَ مِنْ قَلْبِي فِي مَنْزِلٍ وَأَنَّكَ الْيَوْمَ لَا شَهْءِي إِلَيَّ وَأَنْ مَرَّكَ لَهُ فِي الْحَشَا وَلَوْ أَطَعْتُ الشَّوْقَ مَا كُنْتُ عَنْ بَقِيَّتِ مَا شِئْتُ الْبَقَا آمِنًا تَهْدِي لِي الشَّعْرَ الَّذِي نَظَّمَهُ وَتَجَنَّبِي شُكْرِي الَّذِي نَثَرَهُ

حَسْبُكَ عَلَى سَالِفَتِي كَاعِبٍ^(١) زَخْرَفَهَا فِكْرُ أَبِي طَالِبٍ سَدَّتْ سَجَايَاهُ قَمَّ الْعَائِبِ وَفَضْلُهُ الرَّاهِنِ وَالرَّاتِبِ لَا لَأَلَمْ تَذُنْ مِنْ ثَاقِبِ يُعْشِي ضِيَاءَ الْكَوْكَبِ الثَّاقِبِ مَنْ بَرَحَهَا فِي نَصَبٍ نَاصِبِ فِيهَا بَنَانُ النَّازِمِ الْكَاتِبِ إِلَى مَجَانِيهَا يَدُ الرَّاعِبِ عَزَّ جَنَابِي وَاحْتَمَى جَانِبِي فَضْلَ الَّذِي أَعْيَا عَلَى الْخَاطِبِ يُعْجِزُ حَضَرَ الْحَافِظِ الْحَاسِبِ لَا أَفْكَ الْقَوْلِ وَلَا كَذَابِ نَاءَ عَلَى الْمَصْحُوبِ وَالصَّاحِبِ نَفْسِي مِنْ عَوْدِ الصَّبَا الدَّاهِبِ لَذَّةُ بَرْدِ الْمَاءِ لِلشَّارِبِ جَنَابِكَ الْمُتَمَرِّعِ بِالْعَائِبِ فِي الدَّهْرِ مِنْ حَادِثِهِ الْلَازِبِ يَرْخِصُ سَعَرَ الدَّهَبِ الدَّائِبِ عَلَى مَعَالِيكَ مِنَ الْوَاجِبِ

وكتب إليه أيضاً جواب أبيات : [من السريع]

مَلَكْتَ رَقَّ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ سَافِرَةً فِي طَالِعِ السَّعْدِ وَنَشْرَهَا أَذْكَى مِنَ النَّدِّ

قُلْ لِعَفِيفِ الدِّينِ ذِي الْمَجْدِ بَيَّنْتَ فِكْرَ لَكَ أَرْسَلْتَهَا /٢١٤أ/ الْفَاطَةَ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ

فِيهِ شَفَاءُ الْأَعْيُنِ الرُّمْدِ
لَا عُدَمَ الْمَهْدِيِّ وَالْمُهْدِيِّ
صَدْرِي بَلْ أَوْطَأَتْهَا خَدِّي
قَدْ كُنْتُ أَسْتَعْدِي وَلَا مُعْدِي
قَبْلُ نَجِيَّ الْهَمِّ وَالْوَجْدِ
مَنْ أَوْحَدَنِي عَضْرَهُ فَرْدِ
فِي هَزْلِكَ الْمُلْهِي وَفِي الْجَدِّ
فِي حَالَتِي قُرْبِكَ وَالْبُعْدِ
نَظَّمْ عَلَى الْحَلِيِّ وَالْكُنْدِيِّ
أَفْحَمْتُ مَنْ قَبْلِي وَمَنْ بَعْدِي
فَضْلُكَ لَا يُخْصَرُ بِالْعَدِّ
يُصَحِّفُ اللَّفْظَ عَلَى عَمْدِ
وَأَنَّمَا الْفَخْرُ لَهُ مُعْدِي
تَصْحِيفُهُ فِي غَايَةِ الْبَرْدِ
فِي عَيْشِكَ الْمُقْتَبِلِ الرَّغْدِ

جَلَوْتُهَا مِنْكَ بِخَطِّ عَدَا
فَقُمْتُ لَمَّا أَقْبَلْتَ قَائِلًا
أَمَهَرْتُهَا وَدِّي وَأَفْرَشْتُهَا
أَعَدْتُ عَلَى الْهَمِّ وَيَا طَالَمَا
وَسَرَّتْ الْقَلْبَ وَقَدْ كَانَ مِنْ
تَقْدِيرِكَ نَفْسِي يَا أَبَا طَالِبِ
أَخْلَافُكَ السَّهْلَةُ مَعْسُورَةٌ
وَذَكَرُكَ الْمَوْصُولُ بِالْحَمْدِ
دَانَ لَكَ الشُّعْرُ فَازَرَيْتَ بَالِدَ
لَا غَرَوْ أَنْ أَفْحَمْتَنِي مِثْلَ مَا
كَيْفَ أَجَارِيكَ إِلَى غَايَةِ
وَذَلِكَ الشَّخْصُ الثَّقِيلُ الَّذِي
لَمْ يَكُنِ التَّصْحِيفُ مِنْ شَأْنِهِ
/ ٢١٤ ب / حَرَّرَهُ بِالْهَجْرِ فَقَدْ صَارَ مَنْ
وَأَبَقَ عَلَى الدَّهْرِ تَنَالُ الْمُنَى

وله إليه أيضاً: [من الخفيف]

دَلَّهُ فِي الزَّمَانِ جَاهًا وَرَفَعَهُ
خَانِنًا الْأَصْدِقَاءُ دِينَ وَشَرَعَهُ
رُلْنَا خُلُقَهُ وَكَرَّمَ طَبْعَهُ
نَبَهُ أَصْلَهُ الْكَرِيمَ وَفَرَعَهُ
سَعُ فِي بَذْلِهِ وَيَبْذُلُ وَسْعَهُ
بَكَ تَقْلِيدَنَا أَيَادِيكَ خُدَعَهُ
سَخَّ الَّذِي أَخْتَرْتَهُ وَتُحَكِّمُ صُنْعَهُ
سَدَكَ إِذْ تَنْقُضِي الصَّلَاةَ بِسُرْعِهِ
لُؤُوعًا عَلَى الْعَيْنِ مِنْهُ أَيْمَنَ طَلْعَهُ
سَامَ فِي عِزَّةٍ عَلَيْهَا وَمَنْعَهُ

يَا عَفِيفَ الدِّينِ الَّذِي نَلْتُ بِالْوُ
يَا صَدِيقًا لَهُ الْوَفَاءُ إِذَا مَا
حَبَّذَا أَنْتَ مَنْ فَتَى سَهْلِ الدَّهْرِ
وَحَبَانَا مِنْهُ بِذِي أَدَبٍ زَا
وَأَمْتَنَانِ فِي كُلِّ حَالَاتِهِ يُؤُ
قَدْ عَلَّمَنَا حَقِيقَةً أَنْ مَطْلُوعُ
وَأَمَرْنَا مَسْكًا تُجِيدُ لَنَا طَبْ
وَتَهَيَّأْنَا نَقْلَ خُطَاكَ إِلَى عَبْدِ
لَا حَيِّي مِنْكَ الْمُحْيَا الَّذِي أَجْ
يَا أَبَا طَالِبٍ بَقِيتَ عَلَى الْآيَةِ

كَيْفَ لِي أَقْطِعُ الزَّمَانَ وَآيَا مِي بِمَرَاكَ كُلَّهَا يَوْمَ جُمُعَةٍ

/٢١٥/ والعفيف هذا؛ هو أبو طالب عقيل بن الحسن بن عقيل بن صقر من أهل حلب، ومن بيت مشهور بها. شيخ حسن طويل أسمر اللون، ممتع الحديث، فكه المجلس، جيد في نفسه؛ عنده مروءة وفيه تودد وحسن عشرة لمعارفه وأصدقائه.

وكان يخدم متصرفاً للأمراء، ثم لزم بيته وواظب على الصلوات الخمس ویترامى إلى نظم القريض، ويتعاطى فيه. يفعل ذلك مزاحاً وانبساطاً، وله ذوق قريب في قوله وتركيب أوزانه، ويقول شعراً ملحوناً، نازل الطبقة. وكانت بينه وبين أبي جعفر بن القيسراني الكاتب المنشئ صحبة قديمة، وصداقة وكيدة.

وكان أبو طالب يحب أن يكتب أبا جعفر بالأشعار ويُجاوبه عنها ويداعبه ويماجنه بالأبيات النادرة؛ ولولا سقوط شعر أبي طالب واللعن الذي يقع في أثنائه، لأوردت منه شيئاً في كتابي هذا. وكنت أفردت له ترجمة بذاتها لما كان بيني وبينه من أكيد الصُحبة والإجماع؛ لكنه من الهذيان /٢١٥ب/ الذي لا يعتد به. ومن أصلح ماله من النظم قوله من أبيات كثيرة، كتبها إلى بعض أصدقائه: [من مجزوء الخفيف]

نَقَذَ الْوَرَقَ وَالْوَرَقَ فَقُوَادِي قَدْ أَحْتَرَقَ
لَا تَدْعُنِي أَصِيحُ مَثَلُ السَّمَامِينَ طَلَقَ

وكانت وفاة العفيف أبي طالب ليلة الجمعة خامس عشر ذي القعدة سنة خمسين وستمائة، ودفن بمقبرة الجُبيل شمالي القلعة بكرة يوم الجمعة بتربة مخصوصة بهم - رحمه الله تعالى - وسألته عن ولادته، فقال: ولدت في سنة خمس وسبعين وخمسمائة بحلب.

ثم نرجع إلى ذكر أبي جعفر بن القيسراني. كتب المخلص عبد الله بن محمد بن عبد الرحيم التميمي إلى أبي جعفر عند عودته من دمشق، واتفق وصوله إلى حلب قبل عيد الأضحى بيومين وذلك سنة تسع وأربعين وستمائة.

/٢١٦/ دُمِ يَا أَبَا جَعْفَرٍ مَالاً لَدِي أَمَلٍ يَرْجُونَ نَدَاكَ وَعَشْ لِلْفَضْلِ وَالْجُودِ
مَا عُدَّ غَيْرُكَ إِلَّا وَأَعْتَدَتْ غُرَرًا أَفْعَالُكَ الْبَيْضُ فِي أَفْعَالِهِ السُّودِ
أَنَايَ ارْتَحَالُكَ عَنَّا كُلِّ صَالِحَةٍ نَادَى إِلَيْهَا وَأَفْصَى كُلِّ مَقْصُودِ

لَا رَدُّ دُونِكَ بَابَ الْخَيْرِ فَاتِحُهُ قَبَابُ فَضْلِكَ عَنَّا غَيْرُ مَرْدُودٍ

فأجابه أبو جعفر بهذه الأبيات، وأنشدنيها: [من البسيط]

أَمْخْلَصَ الدِّينَ قَدْ أَوْلَيْتَنِي مَنًّا مَا شُكِرُ أَيْسَرَهَا عِنْدِي بِمَحْمُودٍ
وَقَفَّتْ مِنْكَ عَلَيَّ نَظْمُ أَدَارٍ عَلَيَّ سَمِعِي وَفَهَمِي وَلَبَّيْ بَنَتْ عَنْقُودَ
لَقَدْ مَلَكَتْ بِهِ وَدِّي الصَّرِيحَ كَمَا أَوْرَدْتَنِي مِنْهُ بَحْرًا غَيْرَ مَوْرُودَ
مَنْحَتَنِي مِنْهُ جُودًا مَا بَرَحْتُ إِلَيَّ نَقَّاسَ مَنْ حُلَاهُ ثَانِيًا جِنْدِي
وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَشْوَاقِي إِلَيْكَ وَمَا جَنَّتْ يَدُ الْبُعْدِ مِنْ هَمِّي وَتَسْهِدِي
وَمَا نَشَرْتُ بِذَلِكَ الْقُطْرَ مِنْ دُرَرٍ عَلَيْكَ فِي كُلِّ نَادٍ مِنْهُ مَشْهُودَ
وَيَوْمَ أَلْقَى مُحْيَاكَ الْجَمِيلَ فَذَا كَ الْيَوْمِ عِنْدِي مَنْ حُسْنُ بِهِ عِنْدِي
بَقِيَتْ لِلْفَضْلِ بُيُودُهُ فَأَنْتَ لَهُ كَالْمَاءِ لِلْعُودِ بَلْ كَالنَّارِ لِلْعُودِ

٢١٦ب/ ومن نثره ما كتبه إلى صاحب الإمام كمال الدين أبي القاسم عمر بن

أحمد بن هبة الله بن أبي جراحة الفقيه الحنفي المدرّس العقيلي - أسعده الله تعالى - من حمص عند توجهه إلى خدمة السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن محمد بن غازي - خلّد الله ملكه - بدمشق، يعرفه بوصوله :

«أدام الله نعمة المجلس السامي كمال الدين؛ ولا زالت محامدُه مفروضة، ومنته على الأعناق مفضوضة، والمسار على سمعه وقلبه الشريف معروضة، ولا برحت يده بالإحسان مبسوطة، وأيدي الحوادث عنه مقبوضة.

الخادمُ ينهي أنه سطر خدمته هذه من حمص وقد هبَّ عليه من ٢١٧أ/ حمص، وقدم عليه من نسيم الاقتراب من الخدمة الشريفة السلطانية ما أحيا روحه، وبعث إليه مسيحه، وهاج أشواقه وتباريحه، واستشعرت نفسه سعادة المثل بأبوابها، واستنار جبينه لما سيُباشره من ترابها، وتيقن إعتاب دهره عند تقيله عتباتها، ونجاح سعيه بوقوفه في مواقف عبيدها وأهل موالاتها، والله تعالى يقرب له ميقات الاستسعاد بمراى عظمتها التي تخشع لها البصار، وتخضع لها

الأقدار، ويستسرّ لأنوارها الأقمار، وتتوجه الوجوه والنيات إلى كعبة كرمها، ويحلّ الرجاء بأرجاء حرمها، وترفع الأقدار باستئزال ديم فضلها ونعمها ليسترجع الخادمُ بصره وبصيرته منها بنظره. ويشم لما حلّ حاله من سماء إحسانها ديمة ثرة، ويرد بحر كرمها الذي يقذف بدر الأنعام من معدنها، وتأخذها بقوة، ويأمرُ قومه أن يأخذوا بأحسنها، ويُشافه /٢١٧ب/ بالدعاء والإحماد والإبتهاال إلى الله تعالى، في أن يمدّ ظلّ سلطانها على العباد والبلاد، وأن يمتع الخليقة منه بتلك الخليقة، التي هي ألذ في الأجفان وأندى على الأكباد، ويفوز بخدمة المجلس التي هي مادة أنسه، وراحة نفسه، ومشاهدة محياه الذي له فيه مغنى عن قمره وشمسه، فإنّ مسألة الشوق إليه قد أخذت بحقّها، ومسافة الصبر قد الجأت إلى أضيّق طرقها. وكيف به لو أعارته الريح إليه جناحاً؟ أو لو زويت له الأرض فغدا على خدمته غدواً ورواحاً؟ وسطرها ونفسه تعد، ويده من خجلة التأخر ترتعد. وما يدري بماذا يعتذر؟ ولا ماذا ينظر ويتنظر؟ غير أنّ نفسه واثقة بأن سلطاننا - خلد الله ملكه - شريف الطبع، كريم الصنع. لا يناقش في هذا الحساب، ولا ينافس إلّا في الثواب، وأنّه إلى عادته في الأحسان أجنح، وأنّ سجايه الشريفة أندى وأسجح، ملكه الله الليالي خولاً، والأيام /٢١٨أ/ عبيداً، وجدّد له في كل يوم جديد ملكاً جديداً، وأغنى الدنيا به عمّن سواه كما أغنى جار البحر عن [أن] يتيمّم صعيداً، وحرس نعمة المولى وأبقاها، وضاعف له أسباب السعادة وأولاها، وعطف على مكارم أخلاقه أعنة الثناء وثناها - إن شاء الله تعالى - .

ومما كتبه إلى السلطان الملك الناصر صلاح الدين عزّ نصره - بعد عوده من مصر، وقد بلغه عتب منه بانقطاع كتبه عنه :

«أعزّ الله سلطان المقرّ الأشرف الأعظم السلطاني، وزاده اقتداراً وأعقبه ظفراً وانتصاراً، وأوسع الدنيا بملكه افتخاراً، وحاطه بمعقباته

الحافظات ليلاً ونهاراً، وجعل ملائكة نصره أعواناً وأنصاراً؛ ولا زالت الأقدار لأوامره مُعليةً، ولبعيد آماله مدنية، ولعقائل الممالك إليه مهدية / ٢١٨ب/ وإلى طاعته في كل مراد ومرام متهدية.

يقبل الأرض خدمةً يعتقدها فرضاً، ويلثم العتبات الشريفة التي لا يرضى لها السماء أرضاً، وينتهي مواسلته أيام مولانا بأدعيته التي يرفع وظائفها، ويهدي لطائفها، وينشر صحائفها. واستفتح أبواب القبول بدوامه على ذلك واستمراره، ومحافظته عليه في آناء ليله وأوقت نهاره. والله تعالى يسمع ويجيب إنه سميع مجيب، ويقسم بالله العظيم، وبحق نعمة مولانا وحقوقها عظيمة، وكفارتها معلومة أن المملوك لم يؤخر مطالعته عن الأبواب العالية إلا استصغاراً لنفسه عن هذا المقام، وإجلالاً لعظمة مولانا التي تتضاءل عندها همم الملوك العظام، وتهيب أن يخاطب مقرّ الشرف والعظمة بما يستمده من خاطر بهمّ بعده عن الخدمة الشريفة مكدود، وقلب مُحلاً عن موارد السعادات مطرود، وجنان تبهره أنوار تلك العظمة / ٢١٩أ/ التي إذا حاول من قلمه سجوداً، بآيات حمدتها قال جبينه أنا أحقّ منه بالسجود.

وعنده والله من الأسف لبعده عن الخدمة الشريفة ما لا تتخيلهُ الأوهام، ومن الأشواق إلى تعفير وجهه في مواطئ أقدام مولانا ما لا يطيق حصره، ﴿وَلَوْ أَنَّكَ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَفْلامٍ﴾^(١). ولئن أخره سوء حظّه، فإنه يتذمّم إلى حلم مولانا وعفوه بأن له في ولاء الدولة القاهرة القدم المتقدمة، وعقيدة الإخلاص المستحكمة، وأنه مملوكها الذي ما نشأ إلا في خدمة أبوابها، ولا شام غيث إحسان إلا من سحابها، ولا فغر إلا بالدعاء لأيامها فماً، ولا أجرى في غير طاعتها قلماً ولا قدماً، ولا عرف غير سلطان الله تعالى وسلطانها

منعمًا. وآماله فيها تتأكد على الدوام، وتزداد اشتداداً على تراخي الأيام، والله سبحانه يبلغه من خدمة مولانا ما يبلغه رضا، ويفوز منه بسعادتي دنياه وأخراه. ويخلد ملك مولانا، وينصر الإسلام / ٢١٩ب / بنصره، ويجعل أمره في عباده وبلاده من أمره، ويسعد ممالك الآفاق بما يطلعه عليها من أنوار بدره وأضواء فجره، يغني آمال الأولياء بما يقذفه لقريبها من درّ بحره، ويبعثه إلى بعيدها من متراكم قطره، والأمر أعلى - إن شاء الله تعالى -.

ومما كتبه إلى السلطان الملك الأشرف شاه أرمن مظفر الدين أبي الفتح موسى بن أبي بكر بن أيوب - رحمه الله تعالى - وكان قد أبل من مرض ناله - على لسان السلطان الملك العزيز غياث الدين أبي المظفر غازي بن يوسف بن أيوب - رحمه الله تعالى :

«يُقبَل الأرض بالمرقّ الأشرف العالي المولوي السلطاني الملكي. الأشرفي الشاهي - أعز الله سلطانه - ولا زالت / ٢٢٠أ / الأيام مستبشرة بعافيته، والآمال صحيحة بصحته، والإسلام مستعليًا بسلامته، والأقدار متقاصرة عن نيل قدرته، والدنيا مقبلة أبدأ بإقبال دولته، والتوفيق موافقًا لمماليكه وأهل مودته، والحياة معرضة عن أعدائه وأضداده وحسدته. خدمة يجددها على اختلاف أحواله وطاعة يتسرّب منها ملابس إقباله، وينهي مواصلته أيام مولانا بالدعاء واختياله في حلّ السراء، واختصاصه بعظيم الهناء، لما من الله تعالى على الإسلام والمسلمين والدنيا والدين من عافية مولانا التي أشرقت الآفاق بأنوارها، وسلامته التي عمّت القلوب بمسارها، وصحته التي صحت بها زواجر الإقبال، واعتدال مزاجه الشريف الذي قضى للزمان وأهله بالاعتدال. ووقاية الله - تعالى - ذلك الجسم الذي هو من لطفه مجسم وإشراق شمس تلك العزة أضاء بها شقّ الأمل الذي / ٢٢٠ب / كان أظلم فالحمد لله على هذه النعمة التي لا يدانيها الشكر، ولا يقوم بحقّها الوصف والنشر، وهو المحمود على لطفه

بالمملوك حيث لم يبلغه خبر التياث مزاج مولانا إلا مقترناً بخبر عافيته،
وكمال سلامته؛ ولولا ذلك لتفرقت أفلاذ كبده، وبرز قلبه إشفاقاً من
جلده وجلده.

وهو من كل الكرم أكرم، والله تعالى يصرف عن مولانا كل مكروه،
وينور بعافيته القلوب والوجوه، ويضفي على جسمه شعار الصحة،
ويخصه بالعمر الجديد المديد الفسحة، ويهدي إلى خاطره الشريف ما
يُهديه إلى خواطر أوليائه وممالكه من الفرحة؛ ويبلغ المملوك عنه أطيب
الأنباء، ويجعل الناس كلهم فداءً له من الأولياء والأعداء. والمملوك
يسأل تشريفه بأوامر مولانا ونواهي، والله تعالى يوزعه شكر أياديه، ويوفقه
لحيازة مرضيه - إن شاء الله تعالى - .

[٩١٨]

يحيى بن سعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله بن سعيد بن
محمد بن نصر بن عاصم بن عباد بن عصام بن الفضل بن
ظفر بن غلاب بن حمد بن شاكر بن عياض بن حصن بن
رجاء بن أبي بن شبل بن أبي السر كعب الأنصاري - صاحب
رسول الله ﷺ - بن عمرو بن المنهال بن عدي بن طريف بن
عبيد بن شراد بن زيد بن حامد بن لييد بن الأشجع بن
الحارث بن ربيعة بن ضبة بن جندب بن مرثد بن جشم بن
مالك بن عوف بن سالم بن مرة بن مالك بن أوس بن حارثة بن
ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن
مازن بن الأزد بن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن
يشجب بن يعرب بن قحطان الأزدي^(٢).

(١) ترجمته في: التكملة للمنزدي ٢/ ٤٦٣ رقم ١٦٦٦. طبقات النحاة لابن قاضي شهبة/ الورقة ٢٦٥. بغية الوعاة
٢/ ٣٣٤. تاريخ الإسلام (السنوات ٦١١ - ٦٢٠) رقم ٤٢٧.

نقل هذا النسب من خط تلميذ أبيه، أبي الدرّ ياقوت بن عبد الله الكاتب الموصلي - رحمه الله تعالى - .

أبو زكريا بن أبي محمد النحوي، المعروف والدّه بـابن الدّهان .

كانت ولادة يحيى قبل موت أبيه بثمانية أيام . وكان موت أبيه / ٢٢١ ب / يوم الأحد غرة شوال من سنة تسع وستين وخمسمائة بالموصل .

وكانت وفاة يحيى هذا - بها أيضاً - في سنة ست عشرة وستمائة، ودفن على أبيه بمقبرة المعافى بن عمران الزاهد - رضي الله عنه - ونشأ وأحبّ الاشتغال بالعلم والأدب، ولم يزل راغباً في تحصيله، مائلاً إليه بكلّيته .

وصحب الشيخ أبا الحرم مكيّ بن ريان الماكسي النحوي تلميذ والده، ولازمه إلى أن توفي ودرس عليه أدباً كثيراً، واستفاد منه علماً وافراً؛ نحواً وعربية وعروضاً ولغةً وأشعاراً قديمة حتى تميّز وبرع في ذلك على أقرانه . وكان يرجع إلى جودة فهم وذكاء وفطنة، ونسخ بخطّه كتباً كثيرة أدبية .

وكان فقيراً مملقاً متعذراً عليه القوت، واتصل بالأتابك عزّ الدين أبي الفتح مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود - رحمه الله تعالى - صاحب الموصل، وولاه التقدّم في الرباط، وصار شيخ الشيوخ به، وحظي لديه، واكتسب منه رزقاً صالحاً، وولاه بدر الدين أبو الفضائل لؤلؤ بن عبد الله خازناً / ٢٢٢ هـ / لخزانة كتب المدرسة التي أنشأها على دجلة، وألّف عدّة مجاميع باسم الملك القاهر عزّ الدين مسعود بن أرسلان شاه تحتوي على أشعار رقيقة غزليّة . وكان الناس يتجنبونه لما يرون فيه من التكبر والتهيه وشراسة الخلق والفظاظة . وكان مع ذلك شاعراً سهّل الشعر، صاحب قصائد ومقطعات .

أنشدني صاحب الوزير أبو البركات المستوفي الإربليّ بها - رضي الله عنه - قال :
أنشدني أبو زكريا يحيى بن سعيد بن المبارك النحوي ابن الدّهان لنفسه :

[من الطويل]

وَقَائِلَةٍ أَصْبَحَتْ فِي النَّاسِ شَاعِرًا وَقَدْ كَانَ يَخْلُو مِنْ أَمَائِكَ الْعَصْرُ

فَقُلْتُ لَهَا: يَا وَيْبَ غَيْرِكَ قَرَضِي
فَإِنِّي وَإِنْ أَلْفَيْتُ حَظِّي هَابِطاً
وَمَا جُلُّ فُخْرِي بِالْقَرِيضِ وَنَظْمِهِ
وَلَكِنِّي شَرَفْتُ نَثْرِي بِمَدْحِهِ
وَمَنْ كَانَ بِكَرِّ الْفَضَائِلِ وَاجِداً
لَهَا فَخَلِيقٌ أَنْ تُزَفَّ لَهُ الْبُكَرُ
مَلَامَكَ عَنِّي وَأَهْدِي أَنِّي لَكَ الْعُذْرُ
لَذُوْهُمَّةٍ مِنْ دُونِ قَمَّتْهَا النَّسْرُ
وَلَسْتُ أَمراً أَسْرَى فَضَائِلَهُ الشُّعْرُ
فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَسْمُو بِهِ النَّظْمُ وَالنَّثْرُ
لَهَا فَخَلِيقٌ أَنْ تُزَفَّ لَهُ الْبُكَرُ

٢٢٢ب/ وأنشدني أبو محمد عبد الله بن عمر بن سعدي البوازيجي الأنصاري

بحلب - رحمه الله تعالى - قال: أنشدني أبو زكريا يحيى بن سعيد بن الدهان النحوي
بالموصل لنفسه ما كتبه إلى الأمير بدر الدين أبي الفضائل لؤلؤ بن عبد الله - صاحب
الموصل - على ظهر كتاب أهده له يتقاضى رسماً كان له عليه في النيروز:

[من المنسرح]

مَوْلَايَ يَا سَيِّدَ الْمُلُوكِ وَيَا
قَدْ حَانَ رَسْمِي فَأَنْعِمْ عَلَيَّ بِهِ
أَعْظَمَ مَنْ يَلْتَجِيهِ مَلْهُوْفُ
فَأَنْتَ يَبْنَ الْأَتَامِ مَوْصُوفُ

ونقلت من خطه شعره من صدر كتاب ألفه وسمّاه «نتائج القرائح» خدم به الملك
القاهر عز الدين أبا الفتح / ٢٢٣/ مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود صاحب الموصل
- رحمه الله تعالى - : [من السريع]

أَمْ هَلْ عَلَى صَدِّكَ مِنْ نَاصِرٍ
فَاتَكَّةً بِالْأَسَدِ الْخَادِرِ
بِحُبِّكُمْ كَالْمَثَلِ السَّائِرِ
يَخْطُرُ لِي غَيْرُكَ فِي خَاطِرِ
غَرِيرَةٍ سَاحِرَةِ النَّظَرِ
رَاقِدَةٍ عَنْ جَفْنِي السَّاهِرِ
غَرَاءَ مَثَلِ الْقَمَرِ الْبَاهِرِ
تَقْدُّ قَدَّ الْغُصْنِ النَّاضِرِ
وَاحْرَبَا مِنْ حُسْنِهَا الْوَافِرِ
قَلْبِي وَلَا مَنْ دَمَعِي الْهَامِرِ
عَبْدُ الْجَوَادِ الْمَلِكِ الْقَاهِرِ
هَلْ لَغَرَامِي فِيكَ مِنْ آخِرِ
يَا رَبَّةَ الْخَذَرِ الَّتِي أَصْبَحَتْ
رَقِي لِمَنْ أَصْبَحَ فِي وَجْدِهِ
وَلَا تَنْظُنِّي بِي سُلُوءاً فَمَا
وَاهَا لِقَلْبِي كَيْفَ مَلَكْتُهُ
خَلِيَّةً عَنْ فَرْطِ وَجْدِي بِهَا
تُبْدِي إِذَا مَا طَلَعَتْ طَلْعَةً
فَإِنْ تَشْتِ فَلَهَا قَامَةً
وَافِرَةَ الْحُسْنِ فَوَاحِشَرْتَا
قَاسِيَةً لَمْ تَرُثْ لِي مِنْ جَوَى
كَأَنَّمَا مَا عَلِمْتَ أَنَّي

مُعْطِي اللّٰهَىٰ حَلْفَ النَّدَىٰ الْغَامِرِ
الزَّارِي عَلَى الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ
مَدِيحَ نَحْوِيكُمْ الشَّاعِرِ
لَهُ سَوَىٰ عَفْوِكَ مَنْ عَافَرَ
تَكْفُ كَفَّ الزَّمَنَ الْجَائِرِ
وَلَا لِمَا تَكْسِرُ مِنْ جَابِرِ

الْقَيْل عَزَّ الدِّينَ رَبَّ الْعُلَا
/٢٢٣ب/ نَجَلَ الْمُلُوكَ الصِّدَّ خَيْرَ الْوَرَى
مَوْلَايَ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ اسْتَمِعْ
فَإِنْ يَكُنْ قَصْرَ فِيهِ فَمَا
لَا زِلَتْ فِي عَزِّ مَنِيعِ الدُّرَى
لَيْسَ لِمَا تَجْبِرُ مِنْ كَاسِرِ

وقال أيضاً: [من البسيط]

مَا دُمْتُ حَيًّا وَدَامَ الْحُسْنُ فِي النَّاسِ
لَهُ عَذَارٌ عَلَى الْخَدَيْنِ كَالْآسِ
وَجْهٌ مَلِيحٌ فَمَا بِالْحُبِّ مَنْ بَاسِ

قَالُوا: إِلَىٰ مَ تَعَانِي الْحُبُّ قُلْتُ لَهُمْ
كَمْ ثُبْتُ يَوْمًا فَيْثُنِي هَمَّتِي رَشَا
إِذَا كَلِفْتُ بِمَنْ تَهْوَىٰ وَكَانَ لَهُ

وقال أيضاً: [من البسيط]

حَتَّىٰ إِذَا مَا تَدَانَى الشَّمْلُ وَاجْتَمَعَا
أَوْهَتْ قُوَى الْوَصْلِ حَتَّى صَارَ مُنْقَطِعَا
عُمْرِي فَلَيْتَ التَّدَانِي لَمْ يَكُنْ وَقَعَا

مَازِلْتُ أَطْلُبُ مِنْ دَهْرِي لِقَاءَكُمْ
مَدَّتْ إِلَيْنَا صُرُوفُ الْحَادِثَاتِ يَدَا
فَمَا اكْتَسَبْتُ سَوَىٰ حُزْنٍ أَكَابِدُهُ

وقوله يتذكر /٢٢٤أ/ الصَّبَا وَيَتَأَسَّفُ عَلَيْهِ: [من الوافر]

حَكَى أَلْفَ ابْنِ مُقْلَةٍ فِي الْكِتَابِ
أَفْتَشُ فِي الثَّرَابِ عَلَى شَبَابِي

وَعَهْدِي بِالصَّبَا زَمَنًا وَقَدِّي
فَصَرْتُ الْآنَ مُنْحَنِيًا كَأَنِّي

[٩١٩]

يحيى بن سعيد بن محمد بن سعيد بن أحمد بن إبراهيم بن
الحارث بن سليم بن أبي تمام القاضي، أبو المجد بن أبي الوفاء
التكريتي^(١).

من ربيعة، قاضي ماردین.

(١) ترجمته في: التكملة للمنزدي ١٠٩/٣ رقم ١٩٥٠. تأريخ الإسلام (السنوات ٦١١ - ٦٢٠) رقم ٧٠٩.
معجم الشافعية لابن عبد الهادي/ الورقة ١٠٦.

حدثني صاحبُ الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه الحنفي، وقال: قاضي ماردين؛ هو يحيى بن سعيد، قدم حلب رسولاً في سنة ثلاث عشرة وستمائة، ونزل بخانكاه الملك الصالح نور الدين إسماعيل بن محمود بن زنكي بن آقسنقر - رضي الله عنه - واجتمعت به وسمعت عليه شيئاً من الحديث، وأملى عليّ من شعره.

وهو شيخ حسن مُتّ فقيه من بيت الحديث والفقه، سمع ببغداد شهدة بنت الأبري، والرضي أبا الخير أحمد بن إسماعيل / ٢٢٤ب / بن يوسف بن محمد بن العباس القزويني، وبالموصل خطيبها أبا الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر بن الطوسي، وصدر الدين شيخ الشيوخ أبا القاسم عبد الرحيم بن إسماعيل بن أحمد بن محمد النيسابوري. وكان مدرساً بمدرسة أبي الكرم محمد بن علي بن مُهاجر الموصلية.

سألته عن ولادته، فقال: في ثاني عشر جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وخمسمائة بتكرت، وبلغتنا وفاته ونحن بحلب في ذي الحجة من سنة عشرين وستمائة، وتوفي بماردين؛ وقيل توفي ليلة الإثنين تاسع ذي القعدة.

وقد ذكره الإمام أبو المجد إسماعيل بن هبة الله بن باطيش الفقيه الشافعي الموصلية في كتاب «طبقات الفقهاء الشافعية». وقال: وُلد القاضي أبو المجد بتكرت، وتفقه بها مُدَّة، وتوجه إلى الموصل وتفقه بها مُدَّة على الشيخ أبي المظفر محمد بن علوان بن مهاجر الفقيه المدرّس بها يومئذ. وأعاد له الدرس بالمدرسة الفخرية على دجلة مُدَّة طويلة.

ثم توجه إلى ماردين وأقام بها وولي التدريس / ٢٢٥أ / والقضاء بها زماناً طويلاً، وتعيّن فيها للتدريس والفتوى والقضاء. وكانت له المناظرة بجامعها. وكان حسن السيرة، جميل الطريقة، عفيفاً في ولايته.

ثم قال: وذكر لي من أثق به؛ أنه لما عزم على الحج صعد المنبر يوم الجمعة، وقال: يا أهل ماردين قد وليت عليكم القضاء مُدَّة طويلة، فأسألكم بالله: إنَّ من كانت له عليّ مظلمة أن يقوم يطالبني بها فإنَّ كانت من مال قضيتها، وإنَّ كانت بسبب السلطان

تداركتها منه ، وإن عجزت عن ذلك تضرعت عليه في عفوها عني . فضجَّ الناس بالبكاء وارتفعت أصواتهم بالإيمان المؤكدة أنه ليس فينا من له منك شكوى ولا يتخلفك مكروه ؛ فبلغ ذلك صاحبَ ماردين فعظمت مكانته عنده ، وحجَّ في تلك السنة . وكان هو الرسول إلى ديوان الخلافة وغيره من الملوك عن صاحب ماردين ، هذا آخر كلامه .

أنشدني الصاحب الإمام أبو القاسم بن أبي جرادة بحلب - أيده الله تعالى - قال :
 أنشدنا / ٢٢٥ب / القاضي يحيى بن سعيد بن أبي تمام التكريتي لنفسه هذه الأبيات يرثي بها
 أخاه فخر الدين أبا الفخر وقد توفي بتكريت في سنة أربع وثمانين وخمسمائة :

[من الطويل]

رَشَادًا وَلَا لَأَقَاكُمَا الدَّهْرُ دَا عُرُ
 تَجِيءُ بِكُمْ فِي الْقَادِمِينَ بَشَائِرُ
 سَلَامِي إِلَى قَبْرِ سَقْتِهِ بَوَاكِرُ
 إِلَى أَنْ يُنَادِي فِي الْبَرِيَّةِ حَاشِرُ
 تَوَلَّتْ مِنَ الدَّهْرِ الْخَوُونُ مَقَاخِرُ
 وَلَا غَرَوْ أَنَّ الْغَرْبَ [لِلْبَذْرِ] سَاتِرُ
 غَمَامًا مُلَثًّا قَطْرَهُ مَتَوَاتِرُ
 تُمَدُّ إِلَيْهِ مَنْ يَعْبُدُ نَوَاطِرُ
 كَأَنَّ فُؤَادِي عِنْدَ ذِكْرِهِ طَائِرُ
 فَلَسْتُ بَعِيدًا أَنْ تَرَكَ الْبَصَائِرُ
 رُقَادِي وَأَنَّ الْجَفْنَ مِنِّْي لَمَاطِرُ
 وَضَمَّ سَرَاةَ الْعَالَمِينَ مَقَابِرُ
 وَرَاجِي حَيَاةَ عُمَرُ مَتَقَاصِرُ
 وَلَا نَصَبْتُ لِلْخَاطِطِينَ مَنَابِرُ
 لَمَّا حَكَمْتُ فِي الْعَالَمِينَ مَقَادِرُ
 لِيُشْرِبَهُ بِالْمَوْتِ بَادٍ وَحَاضِرُ

أَيَا نَازِلِي أَرْضِ الْعِرَاقِ لَقِئْتُمَا
 وَلَا زِلْتُمَا فِي غِبْطَةٍ وَسَلَامَةٍ
 إِذَا جِئْتُمَا تَكْرِيْتُ فِي اللَّيْلِ أَهْدِيَا
 نَوَاهُ فَتَى لَا يَخْلُفُ الدَّهْرُ مِثْلُهُ
 أَبِي الدَّهْرُ أَنْ يَحْيَا أَبُو الْفَخْرِ بَعْدَمَا
 بَجَانِبَهَا الْعَرَبِيُّ غِيَّبَ بَدْرُهُ
 سَقَى اللَّهُ قَبْرًا ضَمَّ عَقْلًا وَعَفَّةً
 وَلَا زَالَ مُخْضَرُّ الْجَوَانِبِ مُوَنْقَا
 وَقَوْلًا لَهُ إِنِّي فَقِيْدٌ لَفَقَدَهُ
 وَإِنَّكَ إِنْ غِيَّبْتَ عَنْ عَيْنِ نَاطِرِي
 كَفَى بِي حُزْنًا أَنْ فَقَدَكَ سَالِبِي
 / ٢٢٦أ / إِذَا مَاتَ أَهْلُ الْفَضْلِ وَانْدَرَسَ الْعُلَا
 وَصَارَ أَخُو الْأَدَابِ وَالْعَقْلِ وَالْحَجَى
 فَلَا حُبَّرتَ لِلْكَاتِبِينَ مَحَابِرُ
 وَلَوْ أَنَّ بِالْمَقْدَارِ حَوْلًا وَقُوَّةً
 وَلَكِنَّهُ الْكَأْسُ الْمُدَارُ عَلَى الْوَرَى

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني القاضي أبو المجد قوله : [من الطويل]

إِذَا كَانَ عُودِي نَاطِرًا [أ] وَشَيْبَتِي
 لَهَارًا وَنَقْ فِي نَفْسِهَا وَبَهَاءُ

وَمَا نَلْتُ مَا أَمَلْتُهُ مِنْ وَصَالِكُمْ فَمَنْ لِي إِذَا أَسْتَوَلَى عَلَيَّ فَنَاءُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه وكتبها إلى صديق له: [من الطويل]

وَإِنِّي لَمُشْتَقٌّ إِلَيْكَ وَإِنِّي لَا عَلَمُ أَنَّ الشَّوْقَ لِي مِنْكَ أَكْثَرُ
لَأَنَّ الَّذِي أَشْتَأْفُهُ مِنْكَ حَاضِرٌ بِقَلْبِي وَمَنْ تَشْتَأْفُهُ لَيْسَ يَحْضُرُ

وأنشدني، قال: أنشدني قوله: [من المنسرح]

لَوْ أَنَّ كُتِبِي إِلَيْكَ وَاصِلَةٌ بِقَدْرِ شَوْقِي مَا أَحْصَيْتَ عَدَدَا
لَأَنَّ ظَنِّي أَنِّي مَتَى وَلَعَتُ بِي كَفُّ دَهْرِي تَكُونُ لِي عُدَا

وأنشدني، قال: أنشدني له: [من الوافر]

أَلَا يَا كَعْبَةَ الْإِحْسَانِ طُرّاً وَمَنْ هُوَ فِي مَعَانِيهِ جَمَاعَةٌ
لئن قَصَّرْتُ فِي قُصْدِي وَحَجِّي إِلَيْكَ فَشَرَطُ حَجِّي الْإِسْطَاعَةُ

وأنشدني، قال: أنشدني أبو المجد بن أبي الوفاء لنفسه: [من الوافر]

ذَكَرْتُكَ وَالْحَجِيجُ لَهُ ضَجِيجٌ عَلَى عَرَفَاتٍ فِي يَوْمِ الْوُقُوفِ
وَأَرْسَلْتُ الدُّعَاءَ وَظَلْتُ أَرْجُو إِجَابَتَهُ مِنَ الْبَرِّ الْعَطُوفِ
وَمَا زَالَتُ ضُلُوعِي فِي أَجِيجٍ وَمَا بَرَحْتُ دُمُوعِي فِي وَكُوفِ
إِلَى أَنْ قِيلَ لِي فِي... نَلْتُ الْمُنَى وَأَمِنْتُ مِنْ أَمْرِ مَخُوفِ

وأنشدني قال: أنشدني القاضي يحيى بن سعيد من شعره: [من الكامل]

ضَحَكَ الرَّبِيعُ وَغَنَّتِ الْأَطْيَارُ وَتَمَايَلَتْ يَدُ الصَّبَا الْأَشْجَارُ
وَجَرَتْ عَلَى زَهْرِ الرِّيَاضِ نَسَائِمُ نَسَجَتْ رَفِيقَ ثَنَائِهَا الْأَسْحَارُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من المنسرح]

سَقَتِكَ دَارَ السَّلَامِ عَادِيَهُ صَوْبُ نَدَاهَا تَجُودُ مُزْنَتُهُ
فِيكَ إِمَامُ الْهُدَى وَمَنْ حَجَلَتْ شَمْسُ الضُّحَى مُذَبَذَتْ أَسْرَتُهُ
مَنْ طَبَّقَ الْأَرْضَ بِالسَّمَاكِ وَمَنْ عَلَتْ عَلَى النَّيِّرِينَ هَمَّتُهُ
هُوَ الْإِمَامُ الَّذِي بِهِ انْتَصَرَ الدِّ يَنْ وَقَامَتْ لِلدِّينِ حَجَّتُهُ

أَحْمَدُ مَنْ أَحْمَدَتْ عَوَاقِبُهُ وَسَرَّتْ الْعَالَمِينَ سِيرَتُهُ^(١)
لَا زَالَ فِي نِعْمَةٍ مُؤَبَّدَةٍ مَحْرُوسَةٍ بِالْذَوَامِ دَوْلَتُهُ
مَا فَارَقَ الْعَبْدُ رَبَّهَا مَلَأَ لَكِنْ لَتُهْدِيَ الدُّعَاءَ بَلَدَتُهُ

[٩٢٠]

يحيى بن سليمان بن شاؤول، أبو زكريا الحريزي اليهودي.
من أهل طليطلة^(٢).

كان شاعراً قوياً القريحة، غزير المادة؛ له شعر كثير في المدح والهجاء. وكان رديء اللسان، خبيث الطوية؛ ما مدح أحداً إلا وعاد / ٢٢٧ ب / وهجاه.

وصنّف مصنفات باللسان العبري كثيرة منها كتاب «المقامات» ومقامة مفردة سمّاها «الروضة الأنيقة» باللسان العربي.

وكان ذا قدرة في الشعر. وكان يعمل قصائد أنصاف أبياتها الأول بالعبري، والأنصاف الأواخر بالعربي. وكان قد طاف البلدان وجال في أقطارها؛ ثم سكن بأخرة حلب، ولم يزل بها إلى أن مات ليلة الأربعاء ليلية بقيت من ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

وقد ذكره صاحب الوزير أبو البركات المستوفي - رحمه الله تعالى - وقال: ورد إربل في العشر من محرّم من سنة سبع عشرة وستمائة، وحدثني أنّ اسمه بالعبرانية يهوذا، وإنما نقله إلى العربية. وكان طويلاً من الرجال أشيب.

سأله عن مولده، فقال: عمري إلى هذه السنة خمس وخمسون سنة، فانظر متى يكون مولدي؛ ثم حسب معي فأخطأ في تنزيله. يسكن بين ظهراني الفرنج، وكلامه مغربي / ٢٢٨ أ / قريب عهد بالخروج من بلده، تراه كأنه يعتريه سهر. وكنت أخبرت بوروده وأثنى عليه رجل من اليهود.

(١) أحمدت: صارت محمودة.

(٢) طليطلة: مدينة ذات خصائص محمودة بالأندلس، عملها بعمل وادي الحجارة، وهي على شاطئ نهر باجة. انظر: معجم البلدان / مادة (طليطلة).

وأُسَدْنِي، قال: أُسَدْنِي الحريري لنفسه في التاريخ المقدم ذكره: [من الطويل]

أَمَّا إِنَّهُ لَوْلَا مَحَبَّةُ الْخَدْرِ لَمَا فَصَحَتْ أَيْدِي الْمَدَامِعِ مِنْ سَرِّي
وَلَيْلَ طَرَقَتْ الْحَيَّ فِي بُرْدَةِ الدُّجَى مُنَمِّمَ بُرْدِ الْأَفْقِ بِالْأَنْجَمِ الزُّهْرِ
سَرَيْتُ إِلَيْهَا حِينَ هَوَمَ قَوْمُهَا كَمَثَلِ حُبَابِ اسْتَدَارَ عَلَى خَمَرِ^(١)
تُحِيطُ بِهَا بِيَضُ الصَّوَارِمِ وَالْفَنَّا وَأُسَدُّ مِنَ الْأَبْطَالِ دَامِيَةُ الظَّفَرِ
وَتَغْرِ الْمَنَائِي بِاسْمٍ عَنْ أَسَنَّةٍ وَيُسْفِرُ عَنْ خَدٍّ مِنَ السَّيْفِ مُحَمَّرٍ
وَقَدْ بَرَزَتْ فِي حُلَّةٍ ذَهَبِيَّةٍ كَمَا اشْتَبَكَتْ زُهْرُ النُّجُومِ عَلَى الْبَدْرِ
جَنَيْتُ بِهَا فِي جَنَّةِ الْحُسْنِ زَهْرَهَا بِمُخَصَّبَةِ الْأَرْدَافِ مُجَدَّبَةِ الْخَضِرِ
لَثِمْتُ بِهَا هَيْفَاءَ رِيْمِيَّةِ الطُّلَى مُدَامِيَةَ الْأَلْمَى حَبَابِيَّةِ الثَّغْرِ

ثم قال أبو البركات: هذا منقول من قول المعتمد محمد بن عباد^(٢) - ملك

الأندلس -: [من الطويل]

٢٢٨/ب/ وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بَتُّ أَنْعَمَ جُنَحَهَا بِمُخَصَّبَةِ الْأَرْدَافِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ

عاد شعر الطليطي:

وَبَتْنَا بِفَرَشِ الْوَصْلِ لَيْلًا وَفَوْقَنَا لِحَافٍ فَرَّاشَ مَزَقْتُهُ يَدُ الْهَجَرِ
وَقَدْ لَاحَ وَجْهُ الصُّبْحِ حُسْنًا كَأَنَّهُ بَشَاشَةٌ وَجْهَ الْمَلِكِ ذِي النَّائِلِ الْعَمْرِ
تَبَسَّمَ لِلْقَصَادِ جُودًا وَكُفُّهُ تَبَسَّمَ فِيهَا النَّصْلُ عَنْ مَبْسَمِ الثَّغْرِ
وَالسَّيْفُ فِي يَمَنَاهُ لَمْحٌ كَأَنَّهُ شَهَابٌ بِهَا يَنْقُضُ أَوْ قَدَرٌ يَجْرِي
بَحْدِيهِ آثَارُ النَّجِيعِ كَأَنَّهَُا شَقَائِقُ نَعْمَانٍ عَلَى ضَفْتِي نَهْرٍ
مَلِكٌ يَلُودُ الْمُلُوكَ مِنْهُ بِأُصَيْدٍ صَقِيلَ فَرْنَدِ الْحَمْدِ وَالْعَرَضِ وَالْبَشْرِ
عَلَيْهِ يَمِينٌ أَنْ تَجُودَ يَمِينُهُ يَبْذُلُ الْيَدَ الْعَذْرَاءِ وَالْفَتَاكَ الْبَكْرِ

(١) الحُبَاب: الحية. الخمر: ماوارك من شجر، ولعله المراد.

(٢) محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي، المعتمد ابن عباد، صاحب اشبيلة وقرطبة وما حولها (ت ٤٨٨هـ).

ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ٢٧ - ٣٥. مطمح الأنفس ١١ - ٢٢. خريدة القصر - شعراء المغرب ٢/ ٢٥٧. سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٨ - ٦٦ رقم ٣٥. البيان المغربي ٣/ ٢٤٤ - ٢٥٧. نفع الطبيب ٢/ ١١١٩. شذرات الذهب ٣/ ٣٨٦. الوافي بالوفيات ٣/ ١٨٣. الأعلام ٦/ ١٨١. وغيرها.

بَعَزِمَ بِهِدُ الطَّوْدَ هَدًا وَنَجْدَةً تَهْزُ قُدُودَ السُّمْرِ فِي كُلِّ حُمْرٍ
قال أبو البركات إلى هاهنا أنشدني ولم أسمعها منه . وأنشدته عنه قوله :

[من الطويل]

وَدَيْ قَلَمٍ إِنْ صَالَ يَوْمًا بِكَفِّهِ نَسِيتُ بِهِ فَعَلَ الرُّدَيْنِيَّةُ السُّمْرَ
/٢٢٩/ بَيَاضُ مَعَانِيهِ بِسُودِ سَطُورِهِ يُرِيكَ صَبَاحَ الْوَصْلِ فِي لَيْلَةِ الْهَجْرِ
لَيْبٌ قَمَاتَدْرِي أَرَايَا لِحَادَثَ يُدَبِّرُ أُمَّ سَهْمًا إِلَى غَرَضٍ يَبْرِي
يُقَسِّمُهُ جُودٌ يَقْنِضُ وَهَمَّةً فَمَنْ مَنَهْلَ عَمْرٍ وَمَنْ جَبَلَ وَعَرِ
رَمِيتُ بِأَمَالِي إِلَيْهِ وَإِنَّمَا حَمَلْتُ بِهَا الْمَرْعَى الْجَدِيبَ إِلَى الْقَطْرِ

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني الحريزي لنفسه يمدح السلطان الملك الأشرف شاه أرمين مظفر الدين أبا الفتح موسى بن أبي بكر بن أيوب - رحمه الله تعالى - :

[من الكامل]

بَسُوفَ عَزَمَتِكَ الْقَضَاءُ يَصُولُ وَمَضَاءُ بِأَسْكَ فِي يَدَيْهِ نُصُولُ
لَفَرَنْدَ سَيْفِكَ مِنْ بَهَائِكَ رَوْنَقُ بَكْلِيهِمَا مَاءُ الْجَلَالِ يَجُولُ
قَدْ حُزَّتْ بِأَسْكَ مَعَ نَدَى لَكْلِيهِمَا أَبَدًا سُوفُ تَنْبَرِي وَسُيُولُ
فَلَقَدْ ثَنَيْتَ اللَّيْثَ وَهُوَ فَرِيسَةٌ وَلَقَدْ تَرَكْتَ الْغَيْثَ وَهُوَ نَحِيلُ
وَلَنْ ذُكِرْتَ عَلَى الْعَدَا يَوْمَ الْوَعَى مَنْ ذَكَرْكُمْ نَفْسُ الْكُمَا تَسِيلُ
/٢٢٩ب/ مَا لِي وَشَرَحَ خِلَالَكُمْ فَخَالَكُمْ كَالصُّبْحِ لَا يُغْنِي عَلَيْهِ ذَلِيلُ
لَكِنْ وَصَفَكَ مُنَحَّمٌ أَهْلُ النَّهْيِ سَيَّانَ فِيهِ عَالَمٌ وَجَهْلُ
قَالَ الْعَدَا مَا لِلْيَهُودِ وَلِلنَّدَى فَأَجَبْتُهُمْ أَخْطَاكُمْ التَّحْصِيلُ
مَا شَقَّ مُوسَى بِحَرَ جُودٍ لِلْوَرَى إِلَّا لِيَعْبُرَ فِيهِ إِسْرَائِيلُ

وأنشدني أبو الفتح محمد بن أبي الخير بن أبي المعمر بن إسماعيل التبريزي بإربيل - رحمه الله تعالى - قال : أنشدني أبو زكريا يحيى بن سليمان الحريزي لنفسه :

[من الكامل]

أَرْضٌ سَقَتْ غَيْطَانَهَا أَعْطَانَهَا وَزَهَتْ عَلَى كُتْبَانَهَا قُضْبَانَهَا
سَلَبَتْ فُؤَادِي حُورَهَا وَنُحُورَهَا وَسَطَّتْ بَنَاءَ وَلَدَانَهَا وَلَدَانَهَا

ثَمَلْتُ بَكَّاسٍ عُقَارَهَا أَزْهَارَهَا
وَلَثْنٌ جَلَا أَثَارَهَا آذَارَهَا
وَالشَّمْسُ بِالْحَمَلِ الْمُنِيرِ تَزَيَّنَتْ
/ ٢٣٠ / وَكَوَاعِبُ سَلَّتْ صَوَارِمَ لَحْظَهَا
وَلَقَدْ تَلَّالًا دُرُّهَا بِنُحُورِهَا
فَتَكَّتْ بِالْبَابِ الْكُمَاةِ فَسَيْفُهَا
لَمْ يُبْقِ شَخْصًا بِالْبَسِيطَةِ سَالِمًا
خُودٌ نَفُورٌ نَافَرَتْ أَقْرَاطُهَا
فَاشْرَبَ بِأَرْضِ غَازَلَتَهَا مُزْنَةٌ
فَعَاشَقَتْ وَتَعَانَقَتْ أَفْنَانُهَا
وَتَصَاحَبَتْ وَتَجَاوَبَتْ أَطْيَارُهَا
وَتَسَمَّتْ وَتَبَسَّمَتْ أَيَّامُهَا
بِمُدِيرِهَا وَمُنِيرِهَا وَمُجِيرِهَا
بِحَكِيمِهَا وَعَمِيمِهَا وَكَرِيمِهَا
دُوحَ الْمُنَى عَذْبَ الْجَنَى عَالِي السَّنَى
فَتَجَدَّدَتْ بِيَهَائِهِ أَيَّامُهَا
جَادَتْ يَدَاهُ حَيَا نَدَاهُ عَلَى النُّفُ
/ ٢٣٠ ب / لَيْثُ الشَّرَى غَيْثُ الْوَرَى نَجْمُ الشَّرَى
فَجَمَّالُهُ أَعْمَالُهُ وَنَوَّالُهُ
شَهْمٌ غَدَا هَدَى الْهُدَى إِنْ أَوْقَدَا
بَجَنَابِهِ نَشَرَ الْهُدَى رَايَاتِهِ
عَزْمٌ سَمَاءَ، بَارِي السَّمَاءِ، مَاضِي الشَّبَا
يَا كَامِلًا بَلْ فَاضِلًا يَا فَاعِلًا
أَنْعَمَ بَعِيدَ بَلْ سَعِيدَ فِي مَزِيدٍ
لَكَ فِي الْمَآثِرِ دَوْلَةٌ بَلْ صَوْلَةٌ

حَتَّى أَغْتَدَى حَيْرَانَهَا رِيحَانَهَا
فَلَقَدْ حَوَى إِحْسَانَهَا نَيْسَانَهَا
لَمَّا رَأَتْ مَا زَانَهَا مِيزَانَهَا
فَكَأَنَّمَا أَجْفَانُهَا أَجْفَانُهَا
وَزَهَا بِجِيدِ قِيَانَهَا عَقِيَانُهَا
مِنْ طَرَفِهَا وَسَنَانُهَا وَسَنَانُهَا
إِلَّا سَبَى إِنْسَانُهَا إِنْسَانُهَا
وَحَلَّتْ بِهَا خِلَانُهَا خُلَّانُهَا
فَكَأَنَّمَا هَتَّانُهَا فَتَّانُهَا
وَتَصَافَحَتْ وَتَنَاوَحَتْ أَعْصَانُهَا
وَتَدَاوَلَتْ وَتَبَادَلَتْ أَلْحَانُهَا
وَتَهَلَّلَتْ وَتَكَلَّلَتْ أَرْمَانُهَا
وَمُعِيرُهَا حُسْنًا جَلَاهُ عِيَانُهَا
وَزَعِيمُهَا عُقْدَتُ لَهُ تَيْجَانُهَا
سُحْبُ الْغَنَى يُرَوِّى بِهَا ظَمَانُهَا
وَتَوَطَّدَتْ بَعْلَائِهِ أَرْكَانُهَا
سَ وَمَا أَنْجَلَى حَتَّى أَنْجَلَى حَرْمَانُهَا
نَارَ الْقَرَى تُعْشُو لَهَا ضِيْقَانُهَا
أَمْوَالُهُ سُؤَالُهُ خَزَانُهَا
نَارَ النَّدَى قَلْبَ الْعَدَا قُرْبَانُهَا
فَحَكَّى قُلُوبَ عِدَاتِهِ خَفَقَانُهَا
مَهْمَا الطَّبَالِيسَ الدُّمَى غَرْبَانُهَا
مَا قَصَّرَتْ عَنْ فَعْلِهِ أَعْيَانُهَا
سَدَمَنْ أَيْادِ أَيْنَعَتْ أَفْنَانُهَا
بَلْ جَوْلَةٌ حَازَ الْمَدَى فُرْسَانُهَا

[٩٢١]

يحيى بن عبد الله بن المُفَرَّج بن درع بن الحسن بن الخضر بن
حامد، أبو زكريا بن أبي القاسم التغلبي.

قاضي تكريت، والمدرس بالمدرسة النظامية.

إمام من أئمة المسلمين، ومن خيارهم.

كان فاضلاً عالماً كاملاً فقيهاً، شافعي المذهب قارئاً مفسراً نحوياً لغوياً عروضياً
شاعراً أديباً مترسلاً، جامعاً لأشتات الفضائل، قيماً بفتق المسائل / ٢٣١هـ / اشتغل بتكرير
على والده بحفظ القرآن العزيز والأدب، وشيء من الفقه. وبالحديث على أبي محمد عبد
الرحمان بن محمد البلخي.

ثم انحدر إلى بغداد فصحب الشيخ أبا النجيب السهروردي، والشيخ يوسف بن
محمد الدمشقي والرضي أبا الخير أحمد بن إسماعيل القزويني، وقرأ إصلاح المنطق على
الشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد بن الخشاب النحوي، واشتغل مدة مقامه ببغداد؛ ثم
عاد إلى تكريت.

وكان قد برز في علم الفقه والأدب، وولي قضاء تكريت مدة طويلة مع حسن سيرة
واشتهار بالفضل والعفة والديانة والتفنن في العلوم. وكان يدرس ويفتي ويحكم؛ ثم
استدعي من ديوان الخلافة إلى بغداد، وولي تدريس المدرسة النظامية، وذكر الدرس بها في
يوم الأربعاء ثاني عشر ربيع الآخر من سنة سبع وستمائة.

ورد إليه النظر في الوقوف التي تختص بالمدرسة النظامية أيضاً، واستتاب ولده الأكبر
في تولي الوقف ولم يزل على التدريس بالنظامية / ٢٣١هـ / إلى سنة أربع عشرة وستمائة
فصرف عنها؛ وولي مكانه محيي الدين أبو عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان البغدادي
الفقيه الشافعي، فسكن القاضي رباط شيخ الشيوخ إلى أن توفي به، ولم يزل مقبلاً على
الاشتغال بالعلم والعبادة على أحسن طريقة، وأجمل سيرة.

وكانت وفاته عشية الإثنين ثامن شهر رمضان سنة ست عشرة وستمائة. ودفن يوم
الثلاثاء غربيها بمقبرة الشونيزية - رحمه الله تعالى - .

وكانت ولادته بتكريت في مستهل المحرم سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، وتخرج به عالم كثير من التلامذة.

وكان شيخاً كيساً لطيفاً في محاورته، ظريفاً في مجالسته، حسن الإيراد مليح العبارة، ذا وقار وسكينة وهيبة؛ وله من التصانيف كتاب «تفسير القرآن العزيز» ينيف على عشرين مجلداً، وكتاب «الحقير النافع على مذهب ابن شافع» وكتاب / ٢٣٢ / «اللُّهنة في إزالة اللُّكنة» في النحو، وكتاب «التقريب في بضاعة الأديب» في صناعة الشعر، وكتاب في «العروض والقوافي»، وكتاب «الاختصاص في التاريخ الخاص» يدخل في ست مجلدات قصره على ذكر مشايخه الذين قرأ عليهم وتلامذته الذين قرأوا عليه، وأتبعه بذكر أقاربه وأهله وأشعار ورسائل ومكاتبات إلى أصدقائه في النظم والنثر وغير ذلك.

ومن شعره ما أنشدني ولده شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب بن يحيى التكريتي بالموصل في سنة اثنتين وعشرين وستمائة - رحمه الله - من لفظه وحفظه، قال: أنشدنا والدي لنفسه هذه الأبيات كتبها في صدر رسالة طويلة أنفذها إلى بعض الكبراء:

[من الطويل]

خَيَالُ سُلَيْمَى طَارِقاً يَتَعَسَّفُ	أَلَمْ وَغَرِيبُ الدُّجْنَةِ مُغْدَفُ
مَضَى نَفْنَفٌ مِنْهَا تَعَرَّضَ نَفْنَفُ	نَقَانَفُ لَا يَقْطَعُنَ بِالْعَيْسِ كَلَمًا
أَيْسُ سَوَى جَنِّ تَجُولُ وَتَعَزَفُ	/ ٢٣٢ ب / هُجُولًا تُنَاصِيهَا الْهَوَاجِلُ مَا بِهَا
وَبُومٌ إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ يَهْتَفُ	وَرَبْدٌ وَعُورٌ هَادِجَاتٍ وَنَعْبُ
عَشِيَّةَ لَيْلٍ يَوْمُهُ ظَلٌّ يَنْطَفُ	وَقَدْ هَاجَ صَرٌّ وَالسَّمَاءُ عَرِيَّةُ
وَنَاكَرَ هَوْلُ اللَّيْلِ لَا يَتَخَوَّفُ	فَسَاوَرُ عَوْلِ الْبَيْدِ غَيْرَ مُحَادِرُ
وَمَنْ دُونَهَا مَجْهُوْلَةٌ لَيْسَ تُعْرِفُ	عَلَى حَيْنِ حَلِّ الْحَيِّ مِنْهَا بَوَاحِفُ
بَأَنَّ لَا تَزَالِ الدَّهْرُ تَجْفُو وَتَصْدَفُ	وَأَلَّتْ سُلَيْمَى حَلْفَةً مَا تَحْلَهَا
لَأَنَّ الْمَطَايَا قَطَعَهُ لَا تُكَلِّفُ	وَنَائِي الْقَلَى شَرُّ الْبَعَادَيْنِ مَطْلَبَا
وَمَنْ أَيْنَ يَدْرِي مَا الْفَلَا وَالتَّعَسَّفُ	فَجَابَ الْفَلَا بَعْدَ الْفَلَا مُتَعَسِّفَا
وَقَدْ كَادَ يُضْنِيهِ الضَّنَى وَالتَّأْسَفُ	إِلَى مُدْنَفٍ مُضْنَى لِيَهْنَأَ رُقَادُهُ

بَرَاهُ الْهَوَىٰ حَتَّىٰ تَنْكَرَ شَخْصُهُ
وَمَا كَانَ طَمَاحًا إِلَىٰ وَصْلِ عَادَةٍ
وَلَكِنْ سُلَيْمَىٰ حِينَ مَرَّتْ كَانَهَا
ومنها قوله :

تَكَلَّفَ حُبًّا لِّمَّ صَارَ سَجِيَّةً
/ ٢٣٣ / وَطَالَ عَلَىٰ ذِي الْهَمِّ حَتَّىٰ كَانَمَا
وَأُنْشِدُنِي أَيْضًا مِنْ لَفْظِهِ وَحَفْظِهِ وَأَمْلَاهُ عَلَيَّ، قَالَ : أَنُشِدُنِي وَالِدِي الْإِمَامَ يَحْيَىٰ بْنَ
عَبْدِ اللَّهِ لِنَفْسِهِ : [مِنْ الْبَسِيطِ]

لَا بُدَّ لِلْمَرْءِ مِنْ ضَيْقٍ وَمِنْ سَعَةٍ
وَاللَّهُ يَطْلُبُ مِنْهُ شُكْرَ نِعْمَتِهِ
فَكُنْ مَعَ اللَّهِ فِي الْحَالَيْنِ مُعْتَنَقًا
فَمَا عَلَىٰ شِدَّةِ يَبْقَىٰ الزَّمَانُ فَكُنْ
وَأُنْشِدُنِي أَيْضًا قَالَ : أَنُشِدُنِي وَالِدِي وَقَدْ سُئِلَ عَنْ حَرَكَةِ الْأَمْرِ، فَقَالَ :

[مِنْ الرِّجْزِ]

لَأَلْفِ الْوَصْلِ ضُرُوبٌ تَنْحَصِرُ
فَالْفَتْحُ فِيمَا كَانَ مِنْ رُبَاعِي
/ ٢٣٣ ب / وَالضَّمُّ فِيمَا ضَمَّ بَعْدَ الثَّانِي
وَالْكَسْرُ فِيمَا مِنْهُ مَا تَخَلَّى

وَأُنْشِدُنِي أَبُو نَصْرٍ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ يَحْيَى الْتَكْرِيتِي بِبَغْدَادَ، قَالَ : أَنُشِدُنِي وَالِدِي مِنْ
شِعْرِهِ : [مِنْ الْمُتَقَارِبِ]

تَأْمَلْ إِذَا قُلْتَ مَاذَا تَقُولُ
وَلَا تَأْتِ مَا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ
وَسَلْ إِنْ سَأَلْتَ الَّذِي يُسْتَطَاعُ
وَحَاذِ قَرِيْبِكَ قَبْلَ الْبَعِيدِ
فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا
فَإِنَّ لِكُلِّ رَجَالٍ نَعَالًا
لَتُعْطَىٰ وَلَا أَضْعَفَتِ السُّؤَالَا
فَإِنَّ مِنَ الْأَهْلِ دَاءَ عُضَالَا

وأنشدني الشيخ العلامة الإمام الزاهد أبو سالم محمد بن طلحة بن محمد الفقيه الشافعي المدرس النصيبي العدوي بثغر حلب إملاءً من لفظه وحفظه في شوال سنة / ٢٣٤ / اثنتين وأربعين وستمائة - أسعده الله تعالى - قال: أنشدني القاضي تاج الدين أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن المفرج التغلبي التكريتي - رحمه الله تعالى - لنفسه ببغداد: [من الهزج]

تَعَلَّيْنِي مَنْ دَوَى الْحُكْمَ سِوَةَ وَأَعْمَلْ بِفَتَاوِيهِمْ
فَقَدْ قَالُوا لِمَنْ يَرْعَدُ سُبُّ فِي مِثْلِ مَسَاعِيهِمْ
إِذَا سُدَّتْ عَلَيَّ قَوْمُ كَ عِلْمًا لَا تَقُمْ فِيهِمْ
فَإِنَّ الْحَيَّ لَا يُطْرَقُ بِهِمْ صَوْتُ مُغْنِيهِمْ

وأنشدني الشيخ العالم أبو المجد إسماعيل بن هبة الله بن باطيش الموصلي الفقيه الشافعي بحلب - أيداه الله تعالى - قال: أنشدني / ٢٣٤ / ب/ القاضي الإمام أبو زكريا يحيى بن عبد الله التكريتي لنفسه من جملة مقطعاته: [من الكامل]

لِي فِي الرُّبُوعِ وَمَا بَهَنَ أَنْيْسُ قَلْبٌ وَدَمْعٌ مُطْلَقٌ وَحَيَّيْسُ
هَذَا يَدُ الْأَشْوَاقِ تَحْلُبُ دَرَّهُ وَلِذَاكَ مِنْ حَرِّ الْفِرَاقِ وَطَيْسُ
شَكَاوَيَ لَوْ نَفَعَتْ شَكَايَ فُرْقَةً أَضْنَتْ وَشَوْقِي فِي الْحَشَا مَرْسُوسُ
دَاءًا أَنْ مَا اجْتَمَعَ الْحَيُّ فَاثْنَى حَيًّا وَلَوْ دَاوَاهُ جَالِيْنُوسُ

وقال أيضاً: [من المتقارب]

عَزَائِمُ صَبْرِي فَرَقَتْهَا وَالْفَتَى بَيْنِي وَبَيْنَ السُّهَادِ
وَصَيَّرْتَنِي مَثَلًا لِلْأَنَامِ أَدَاوُلُ مَا بَيْنَ حَضْرٍ وَبَادِي
فَشْهَرُ وَصَالِكَ طَيْفُ الْخِيَالِ وَيَوْمُ صُدُودِكَ يَوْمُ التَّيَادِي
وَحَسْبُكَ أَنْيَّ عَلَى مَا عَلِمْتَ إِلَى مَا حَكَمْتَ لَسَهْلُ الْقِيَادِ
فَقَتْلِي حَيَاتِي إِذَا شِئْتَهُ وَعِلْمِي بِأَنَّكَ رَاضٍ مُرَادِي

وقال أيضاً: [من البسيط]

هَلْ لِي عَلَى أَنْ أَسْحَ الدَّمْعَ أَعْوَانُ هَذَا الْغُيُورُ وَمَا بِالْذَّارِ سُكَّانُ
/ ٢٣٥ / مَا أَوْحَشَ الرَّبْعَ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ وَإِنْ تَأَسَّتْ فِيهِ أَطْيَارٌ وَغَزْلَانُ

تُرَى يُكُونُ لَعُودَ الدَّارِ أَهْلَةً
وَآخِيَّةَ السَّعْيِ مَا عِنْدِي سَمَحْتُ بِهِ
قَفْ سَاعَةً أَيُّهَا الْحَادِي فَقَدْ نَشَأْتُ
وَأَسْأَلُ أَثِيلَةَ سَفْحِ الْمُنْحَنِ بِهِمْ
قُلْ لِلشُّمُوتِ تَوَقَّعْ فُرْقَةً أَمَمًا
فَالْمَرْءُ مَا عَاشَ تَطْوِينُهُ وَتَنْشُرُهُ
يَارَاقِدًا وَيَقَايَا اللَّيْلِ قَدْ طُوِيَتْ
حَيْرَانُ غِيَّكَ أَمْسَى فِيكَ مُهْتَدِيًا
تَصَرَّمَ الْعُمُرُ فَاسْتَذْرِكْ بَقِيَّتَهُ
يَوْمٌ وَهَلْ لاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ إِيَّانُ
وَعَزَّنِي فِي الَّذِي أُبْغِيهِ وَجَدَانُ
لِلْقَلْبِ مِنْ صَبَابَاتٍ وَأَحْزَانُ
فَرَبَّمَا أَخْبَرْتَ عَنْهُمْ مَتَى بَانُوا
إِنْ نَمْتُ هَوْنًا فَصَرَفُ الدَّهْرِ يَقْظَانُ
مَنْ الزَّمَانَ مَسَرَّاتٍ وَأَحْزَانُ
إِلَى مَتَى أَنْتَ بَعْدَ الصُّبْحِ وَسَنَانُ
وَالرُّشْدُ عِنْدَكَ أَضْحَى وَهُوَ حَيْرَانُ
وَفِي التَّدَارِكِ إِنْ حَاوَلْتَ إِمْكَانُ

[٩٢٢]

يحيى بن عبد الرزاق بن يحيى بن عامر بن شجاع بن كامل، أبو
البقاء الكنانى المقدسى الخطيب^(١).

كانت ولادته بأودلا قرية من قرى نابلس^(٢) في جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين
وخمسماية. ونشأ ببيت / ٢٣٥ ب / المقدس - حمى الله حوزته - ونزل عقرباً^(٣) من
الغوطة^(٤). وتولى خطابتها سنين كثيرة. وكان أبوه قبله خطيبها.

واستظهر الخطيب أبو البقاء القرآن المجيد، وقرأ طرفاً من الفقه على مذهب الإمام
الشافعي - رضي الله عنه - وسمع الحديث النبوي كثيراً وقرأ عليه ببغداد ودمشق وديار
مصر. وأجاز لمن سمع منه، وله مشايخ يكثر تعدادهم. وأنشأ خطباً، ونظم شعراً. وكانت
له منزلة لطيفة عند ملوك الشام بني أيوب ينفذونه إلى البلاد وأطرافها رسولا.

وتوفي بدمشق حين حاصرها معين الدين بن شيخ الشيوخ نيابة عن الملك

(١) ترجمته في: تاريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ - ٦٥٠) ص ٢٣١ رقم ٢٨٤. سير أعلام النبلاء ٢٣ / ١٤٧.

(٢) نابلس: مدينة مشهورة بأرض فلسطين. انظر: معجم البلدان/ مادة (نابلس).

(٣) عقربا: اسم مدينة الجولان، وهي كورة من كور دمشق. انظر: معجم البلدان/ مادة (عقرباء).

(٤) الغوطة: هي الكورة التي منها دمشق. انظر: معجم البلدان/ مادة (الغوطة).

الصالح نجم الدين أبي الفتح أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب - سلطان الديار المصرية - . وكان بها يومئذ الملك الصالح إسماعيل بن أبي بكر بن أيوب متغلباً ثامن عشر محرّم سنة ثلاث وأربعين وستمائة . ودفن بجبل قاسيون - رحمه الله تعالى - .

أنشدني أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الرزاق الدمشقي بحلب في المدرسة / ٢٣٦هـ / العسرونية في ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وستمائة ، قال : أنفذ الملك الأمجد أبو المظفر بهرام شاه بن فرخشاه بن شهنشاه بن أيوب - صاحب بعلبك - والذي في رسالة إلى مدينة السلام في سنة اثنتين وعشرين وستمائة يهنيء الظاهر بأمر الله أبا نصر محمداً بتوليته الخلافة ويعزي بوفاة والده الناصر لدين الله بعد إنشاء خطبة وتقديم كلام منشور ، وقال : سمعتها من لفظ والذي وهو يوردها غير مرة ، وأتبعها بهذه الأبيات : [من السريع]

جئْتُ أَعَزِّي وَأَهْنِي مَعَا	بِالسَّالِفِ الْمَاضِي وَالْبَاقِي
هُمَا إِمَامَانِ قُمْدُ غَابَ ذَا	بَدَا لَنَا ذَاكَ بِإِشْرَاقِ
هُمْ أَمْنَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ	لِيَعْنَةَ أَوْ أَخْذَ مِيثَاقِ
دَامَ إِمَامُ الْأَرْضِ فِيهِمَا لَنَا	وَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى الْإِرَاقِي

[٩٢٣]

يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي ، أبو الحسين المصري ، المعروف / ٢٣٦هـ / بالجزار^(١) .

(١) يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد ، أبو الحسين الجزار ، جمال الدين : شاعر مصري ظريف ولد سنة ٦٠١هـ وتوفي سنة ٦٧٩هـ . كان جزاراً بالفسطاط ، وكذلك أبوه وبعض أقاربه . وأقبل على الأدب ، وأوصله شعره إلى السلاطين والملوك ، فمدحهم وعاش بما كان يتلقى من جوائزهم . وكان بينه وبين السراج الوراق وغيره مداعبات . وكان من أصدقاء «ابن سعيد» صاحب كتاب «المغرب في حلى المغرب» فملاً ابن سعيد خمسين صفحة من كتابه بما انتقى من شعره . له : «العقود الدرية في الأمراء المصرية - خ» منظومة انتهى بها إلى أيام الظاهر بيبرس ، و«ديوان شعر - خ» صغير في المكتبة الصادقية بتونس ، لعله مختارات من شعره ، فإن ديوانه : كبير كما يقول ابن تغرى بردى ، و«فوائد الموائد - خ» و«الوسيلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب» ذكره بروكلمان ، و«تقايف الجزار» شعر . جمع شعره الشيخ محمد السماوي - صاحب الطليعة ، بديوان يربو على ١٢٥٠ بيتاً - خ .

ترجمته في : المغرب في حلى المغرب : القسم الخاص بمصر ١/ ٢٩٦ - ٢٤٨ ، فوات الوفيات =

لم أسمع شعره إلا من صاحب الإمام أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه بحلب - أدام الله سعادته - لأنه لما عاد قافلاً من ديار مصر إلى حلب في سنة ثمان وثلاثين وستمائة . وكان سافر إليها رسولاً من قبل السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف - خلد الله ملكه - فاقام بها نحو ستة أشهر ؛ فدخلت إليه مهتئاً بالقدوم والسلامة ، وتجارينا في الأحاديث والمذاكرة .

ثم سألتُه عن من شاهد ولقي بتلك الديار من الشعراء الذين يشار إليهم في الشعر المستجاد ؟ فذكر لي جماعة كثيرة منهم هذا الجزار الشاعر ، وأثنى على شعره ، وتمكنه من استنباط المعاني اللطاف ووصفه بالشاعر البارع ، وأنه لم يكن له نظير في زمانه ، وذكره ذكراً جميلاً .

ثم أشار إلى بعض غلمانه فاتاه بكتاب فدفعه إليّ ؛ وهو مجلد لطيف الحجم من أشعار الجزار سماه / ١٢٣٧ / «تقطيف الجزار» قد كتبه ناظمه خدمة له وسمعه منه جميعه . يشتمل على أغراض غريبة ، ونكت طريفة من مديح وهجاء ومجون وهزل ، وأغراض مختلفة النعوت والأوصاف فاستطرفته جداً ، واقتضبت من أثنائه ما ينبغي أن يسطر ويثبت ؛ فمن ذلك قوله يمدح أمير المؤمنين المستنصر بالله أبا جعفر المنصور بن محمد بن أحمد - رضي الله عنه - : [من الكامل]

بِمَدَائِحِ الْمُسْتَنْصِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ نَافَسْتُ كُلَّ مُرَجَّزٍ وَمُقَصِّدٍ

= ٦٣٠ / ٢ - ٦٣٢ ، شذرات الذهب ٥ / ٣٦٤ ، مسالك الأبصار - خ - ١٢ / ١٦٦ ، البدر السافر ٢٢٥ ، عقود الجمان للزركشي ٣٤٣ ، النجوم الزاهرة ٧ / ٣٤٥ ، البداية والنهاية ١٣ / ٢٩٣ ، الغدير ٥ / ٤٢٦ - ٤٣٣ ، ورجح وفاته «سنة ٦٧٢هـ» اعتماداً على رواية لابن حجة وعلى البداية والنهاية ، مع أن الثاني أرخه سنة ٦٧٩ و Brock 1:574 (335)، S. 1:409 ، كشف الظنون ٤٦٣ ، السلوك ج ١ / ق ٣ / ٦٨٤ . عيون التواريخ ٢١ / ٢٥١ - ٢٦٧ . ذيل مرآة الزمان ٤ / ٦١ - ٧٨ . المختار من تأريخ ابن الجزري ٣٠١ . تذكرة النبي ١ / ٦٠ - ٦١ . تأريخ الإسلام (السنوات ٦٧١ - ٦٨٠) ص ٣٣١ - ٣٣٣ رقم ٤٧٧ . العبر ٥ / ٣٢٤ . ديوان الإسلام ٢ / ٩٤ - ٩٥ رقم ٦٩٠ . تالي كتاب وفيات الأعيان ١٧١ - ١٧٣ . تاريخ ابن الفرات ٧ / ٢٠٢ . عقد الجمان ٢ / ٢٦٠ . معجم المؤلفين ٣ / ٣٠٧ . إيضاح المكنون ٢ / ١١٣ . هدية العارفين ٢ / ٥٢٥ ، نسمة السحر ٣ / ٣٥٦ - ٣٦٣ ، أعيان الشيعة ٥٢ / ٤٤ - ٥٠ ، أدب الطف ٤ / ٧٧ - ٨٧ ، أنوار الربيع ١ / ٢١٣ ، الطليعة ٢ / ٤٣٣ - ٤٣٧ . الأعلام ٨ / ١٥٣ .

وفي جريدتي البلاغ ٥ رمضان ١٣٥٣هـ ، والأهرام ٢٣ / ٩ / ١٩٣٤م بعض أخباره .

وَرِثَ الْخِلَافَةَ سَيِّدًا عَنْ سَيِّدٍ
وَحَمَى بِهِ دِينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدَ
نَبَأَ عَظِيمًا فِي الْعِلَا وَالسُّودَدِ
أَغْنَاهُ عَنْ تَرْجِيْعِ لَحْنِ الْمُنْشَدِ
شَرَفَ يَرْوُحَ بِهِ الْفَخَارُ وَيَغْتَدِي
وَلَكُمْ أَتَانًا مِنْ حَدِيثِ مُسْنَدِ
بِالْغِي ضَلَّ عَنْ السَّيْلِ الْأَرْشَدِ
لِلْعَجَزِ عَنْهَا كُلُّ طَرْفٍ أَرْمَدِ

خَيْرُ الْخَلَائِفِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ قَدْ
اللَّهُ شَرَّفَهُ وَشَرَّفَ بَيْتَهُ
سَلَّ عَنْهُ آيَاتُ الْكِتَابِ تَجَدَّلَهُ
وَإِذَا غَدَا الْقَارِي وَرَجَّحَ مَدْحَهُ
مَنْ مَعَشَرَ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِهِمْ
وَلَكُمْ أُتِينَافِيهِمْ مِنْ آيَةٍ
/ ٢٣٧ب / مَا شَكَّ فِي تَفْضِيلِهِمْ إِلَّا أَمْرُ
وَكَذَلِكَ أَنَّ الشَّمْسَ يَطْرَفُ جَفْنُهُ
ومنها يقول (١):

نَادَى نَدَاكَ عَلَى مَدَى مُسْتَبَعْدِ
يَا مَنْ بَذِلَ رَجَائِهِ عُلِقَتْ يَدِي
كَانَ الْحَيَا حَظَّ الْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ
ذَاكَ الْحَمَى لَا كَوْنٌ أَوْكَلُ مُنْشَدِ
كَالْمَسْكِ مِثْوً ثَابِتًا بِفَرْقِ الْفَرْقَدِ
كَالِدُرِّ إِذْ وَافَى بِسَلَكِ مُنْضَدِ
فَاشْهَدْ بِهَا عِنْدَ ابْنِ عَمِّكَ فِي عَدِ

يَا ابْنَ الْأَثَمَةِ دَعْوَةً مِنْ مَادِحِ
أَمْلِي يُقَرِّبُنِي إِلَيْكَ مَعَ النَّوَى
أَرْجُو نَدَاكَ مَعَ الْخُمُولِ وَرَبَّمَا
وَاحْسَرْتَ أَلَوْ أَنَّ لِي سَبِيًّا إِلَى
وَلَكِنْ أَرَى وَجْهِي يُعَقِّرُ فِي نَرَى
وَلَقَدْ بَعَثْتُ بِهَا قَصِيدًا لَفْظُهَا
وَجَعَلْتُهَا يَوْمَ الْحِسَابِ دَخِيرَتِي

وقال يمدح صدر الدين ابن القرميسيني (٢): [من السريع]

بَذَرُ دَجَى يَحْمِلُهُ غُضُنُ بَانَ
غُيِّبَ وَاسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْعِيَانُ
وَجَدَا شُجَاعًا بَسُلُوًّا جَبَانُ
خَوْفَ تَجَنِّيهِ عَلَيْهِ أَمَانُ
خَدِيهِ مِنْ حُسْنِهِمَا جَتَّانُ

بَانَ أَصْطَبَارِي وَالْكَرَى مُنْذُ بَانَ
شَاهَدَهُ الْقَلْبُ وَإِنْ كَانَ قَدْ
/ ٢٣٨ / لَا قَيْتُ مِنْ بَعْدِ فِرَاقِي لَهُ
مَاضِرُهُ لَوْ كَانَ لِلصَّبِّ مِنْ
وَاحَرَّ قَلْبَاهُ وَلِلْعَيْنِ فِي

(١) الأبيات في المغرب ١/ ٢٩٨.

(٢) وهو صدر الدين عبد الرحمن ابن القرميسيني، ناظر ثغر الاسكندرية في سنة ٦٢٨ هـ. القصيدة في المغرب ٣٠٦/١.

وَرَدُّ وَفِي مَبْسَمِهِ الْأَفْحُوانُ
وَالْحُورُ لَا تَسْكُنُ إِلَّا الْجَنَانُ
صَدْرُ مِنَ الْعِلْيَاءِ أَعْلَى مَكَانُ
فَاصِلُ حُكْمًا بِوَجْهِزِ الْيَّانُ
سُودَ جُفُونِ اللَّحْظِ يَبْضُ الْجَفَانُ
الْوَأْفَرُ الْعَرْضُ الْبَسِيطُ الْبَنَانُ
عَجِبْتُ مِنْهَا عِنْدَ قَبْضِ الْعَنَانُ
أَسْرَارُ أَخْلَاقٍ لَدَيْهِ حَسَانُ
كَالشَّمْسِ لَوْلَا هَالَةُ الطَّلَسَانُ
تَفَرَّقْتُ عَنِّي صُرُوفُ الزَّمَانُ

فِي صُدْغِهِ الْأَسُّ وَفِي خَدِّهِ الـ
أَسْكَنْتُهُ قَلْبِي وَفِيهِ لَطَى
لَهُ مِنَ الصَّدْرِ مَكَانٌ وَلَدُ
الْعَالَمِ الْعَامِلُ وَالْفَاضِلُ الـ
وَالنَّاطِرُ الْيَقْظَانُ أُغْنَتْهُ عَنْ
وَالْكَامِلُ الْفَضْلُ السَّرِيعُ النَّدَى
عُودَ بَسْطِ الْكَفِّ حَتَّى لَقَدْ
وَحُلْفُهُ يُبْنِيكَ بِالْحُسْنِ عَنْ
دُو طَلْعَةِ كَالْبَدْرِ فِي التَّمَبَلِ
لَوْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ شَمْلِي بِهِ

وقال فيه أيضاً يمدحه^(١): [من الرجز]

تَحْفُهُ الْهَالَةُ مِنْ لَثَامِهِ
مُذْ أَطْلَعَ الْأَنْجُمَ بِأَبْتَسَامِهِ
تَنْقُلُ ذَاكَ اللَّيْنَ عَنْ قَوَامِهِ
ظُلُمًا بِمَا فَوْقَ مِنْ سَهَامِهِ
سُقْمِكَ أَضْحَى الْأَصْلُ فِي سَقَامِهِ
عَلَى مَشْوِقِ الْقَلْبِ مُسْتَهَامِهِ
فَوْقَ لَهَيْبِ دَامَ فِي اضْطِرَامِهِ
أَغْنَتْ بِكَأْسِ الثُّغْرِ عَنْ مُدَامِهِ
إِذْ فَرَعُهُ أَبْدَى دُجَى ظِلَامِهِ
أَلْزَمَنِي شَوْقِي بِالتَّزَامِهِ
لَوْ سَاعَدَ الدَّهْرُ عَلَى دَوَامِهِ
جِئْتُ زَمَانَ كُنْ فِي نَظَامِهِ
عَدْتُ رَعَايَا الصَّدْرِ فِي أَيَّامِهِ

٢٣٨ب/ أَقْبَلَ مِثْلَ الْبَدْرِ فِي تَمَامِهِ
وَمَزَقْتُ أَنْوَارَهُ ثُوبَ الدُّجَى
وَمَاسَ فَاشْتَاقْتُ غُصُونُ الْبَانُ أَنْ
أُصْمَى قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ طَرْفُهُ
يَا جَفَنَهُ رَفَقًا بِصَبِّ مُدْنَفِ
وَأَنْتِ يَا أَعْطَا فَهُ هَلْ عَطَفَةٌ
مَنْ لِي بِمَنْ فِي خَدِّهِ نَارُ حَيَا
كَمْ لَيْلَةً أَسْكَرَنِي بِرَيْفِهِ
وَبِتُّ لَا أَجْزَعُ مَنْ حُرَّاسِهِ
وَبَيْنَنَا طَيْبُ عَنَاقِ طَالِمَا
هَذَا هُوَ الْعَيْشُ الَّذِي وَدَدْتُ أَنْ
تَلَكَ لَيْالٍ بَلْ لَالٍ شَرَفْتُ
كُنْتُ بِهَا فِي لَذَّةِ الْأَمْنِ كَمَا

أَلَا مَرَّ النَّاهِي الَّذِي عَزَمْتُهُ
/ ٢٣٩ / وَالنَّاظِرُ الْيَقْظَانُ وَجَدًا بِالْعَلَا
صَدْرُ بِهِ لَه سَرُّ مُودَعٍ
عَزَائِمُ رَدَّ بِهَا الْإِيَّامُ مِنْ
وَنَقْطَةُ قَدْ خَصَّصَهُ اللَّهُ بِهَا
وَسَطْوَةٌ لَوْ نَظَرَ اللَّيْثُ بِهَا
تَخْدُمُهَا الْهَمَّةُ بِاهْتِمَامِهِ
فَاعْذَرُهُ إِنْ أَعْرَضَ عَنْ مَنَامِهِ
تُذِيعُهُ الْحِكْمَةُ مِنْ أَحْكَامِهِ
أَعْوَانِهِ وَالِدَهْرُ مِنْ خُدَامِهِ
تُوحِي إِلَيْهِ الْغَيْبَ مِنْ إلهَامِهِ
لَأَعْمَلَ الْحِيلَةَ فِي إِحْجَامِهِ

وقال أيضاً وقد اكتسب بالشعر ثم عاد إلى الجزارة، فعاتبه على ذلك بعض

أصحابه^(١): [من الخفيف]

لَا تَلْمَنِي يَا سَيِّدِي شَرَفَ الدِّيدِ
كَيْفَ لَا أَشْكُرُ الْجَزَارَةَ مَا عَشِدَّ
وَبِهَا أَضْحَتِ الْكِلَابُ تُرَجِّجُ
نِ إِيذَا مَا رَأَيْتَنِي قَصَابَا
سْتُحْفَظَا وَأَرْفُضُ الْآدَابَا
نِي وَبِالشُّعْرِ كُنْتُ أَرْجُو الْكِلَابَا

وقال أيضاً^(٢): [من الرمل]

يَا لَقَوْمِي أَنَا مَنْ فَقَدَ
/ ٢٣٩ ب / حِينَ أَلَى الدَّهْرُ أَنَّ
ضَاقَ صَدْرِي وَأَضْرَّتْ
وَأَرَى الْآمَالَ لِلْمَرُورِ
وَأَبِي قَدْ بَاتَ مَنِّي
مَلْنِي فَقَرَّرَ وَإِنْ كُ
كُلَّ يَوْمٍ أَطْرُقُ الْخَدَّ
فَرَعْتُ دُكَّانَهُ لَوْ
سَرِي فِي أَنَحْسِ حَالِهِ
سِي لَا أَرَى مَنْ فِيهِ آلِهِ
بِي مَعَ الْفَقْرِ الْبَطَالِهِ
ء وَإِنْ لَدَدْتُ عُلالِهِ
سَسْأَلُ اللَّهَ الْإِقْصَالَ
سَان شَفِيعًا لَا مَحَالَهُ
بَّازَ مِنْهُ بِحَوَالِهِ
أَنَّهُ دَارُ الْوُكَّالِهِ

وقال في رجل اسمه الوجيه طلب منه فصاً من الكتان ومطلبه به^(٣): [من الطويل]

طَلَبْتُ مِنَ الْكَتَّانِ فَصًّا فَجَادَ لِي الـ
وَجِيهٌ بَوَعْدِ عَوْضِ الْمَنِّ بِالْمَيْنِ

(١) الأبيات في المغرب ١/ ٣١٦.

(٢) القطعة في المغرب ١/ ٣١٦ - ٣١٧.

(٣) البيتان في المغرب ١/ ٣١٧.

إِذَا جِئْتَهُ يَدْعُو عَلَيْهِ لِسَانَهُ إِذَا قُلْتُ أَيْنَ الْقَصُّ، قَالَ: عَلَى عَيْنِي
وقوله في النجم بن عديسة، وقد ادعى الشعر ووالده يُعرف بالمعلم:

[من المتقارب]

/ ٢٤٠ / أَرَى النَّجْمَ نَجَلَ عَلَيَّ عَدَا
هُوَ ابْنُ الْمُعَلِّمِ عِنْدَ الْفَخَّارِ

وقال أيضاً^(١): [من مجزوء الكامل]

مَنْ مُنْصَفِي مَنْ مَعْشَرٍ
صَادَقْتَهُمْ وَأَرَى الْخُرُوءَ
كَالْخَطِّ يَسْهُلُ فِي الطُّرُوءِ
وَإِذَا أَرَدْتَ كَشَطْتَ

وقال أيضاً^(٢): [من السريع]

إِنْ كُنْتُ مَمَّنْ رَاعَنِي هَجْرُكُمْ
فَلَا أَدَامَ اللَّهُ لِي سَلْوَةً
أَوْ ضَقْتُ دَرْعًا بَتَجْنِيكُمْ
وَرَدَّ قَلْبِي عَاشِقًا فِيكُمْ

وقال في أمرد يُعرف بابن نعيم^(٣): [من السريع]

يَا أَبْنَ نَعِيمٍ دَامَ دَمِّي لَمَّا
خَالَفْتَ مَنْ رَبَّاكَ فِي فِعْلِهِ
سَلَكْتَهُ مَنْ قُبْحٍ مِنْهُاجٍ
إِذْ أَنْتَ دَخَّالُ ابْنِ خَرَّاجٍ

/ ٢٤٠ ب / وقال على باب بعض الأمراء^(٤): [من المتقارب]

أَمْوَلَايَ مَا مِنْ طَبَاعِي الْخُرُوجِ
وَصِرْتُ أَرْوَمُ لَدَيْكَ الْغَنَى
وَلَكِنْ تَعَلَّمْتُهُ بِالْخُمُولِ
فِيخْرِجْنِي الضَّرْبُ عِنْدَ الدُّخُولِ

(١) أيضاً في المغرب ١/ ٣١٧.

(٢) ن. م.

(٣) وهو ابن نعيم الخراج. والبيتان في ن. م.

(٤) ن. م. ص ٣١٨.

وله في مسلماني^(١) لا يبرح في يده كتاب^(٢): [من الكامل]

قَالُوا: النُّعِيلُ وَإِنْ تَبَيَّنَ غِيُّهُ لِلْعَالَمِينَ وَعَابَ عَنْهُمْ رُشْدُهُ
يَمْشِي وَفِي يَدِهِ كِتَابٌ قَلَمًا عَلِمَ أَمْرُؤُفِي حَمْلِهِ مَا قَصْدُهُ
فَأَجَبْتُهُمْ لَا تَعَجَّبُوا مِنْ فِعْلِهِ فَأَبَوْهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَجَدُهُ

وكتب إلى شرف العلأ هاشم بن الأشرف العلوي^(٣): [من الكامل]

شَرُفْتُ بِكَ الْعِلْيَاءَ يَا شَرَفَ الْعَلَا لَمَّا عَلَوْتَ بِهَا جَمِيعَ الْعَالِمِ
وَالْكَامِلُ الْمَلِكُ ارْتَضَاكَ لِعَزْمَةِ أُغْتِنَتْهُ عَنْ سُمْرٍ وَيَضُ صَوَارِمِ
فَاخْرُسْ بِرَأْيِكَ مَجْدَ دَوْلَتِهِ الَّذِي مُذْ شُدَّتْهُ لَا يُسْتَطَاعُ لَهُادِمِ
فَاَجْمَعْ بِهِ شَمْلَ الْفَخَارِ فَإِنَّمَا بِمُحَمَّدٍ كَمَلَ الْفَخَارِ لَهُاشِمِ

/ ٢٤١/ وكتب إليه وقد أمر له بعلّة فوجدها قديمة^(٤): [من الوافر]

كُتِبَتْ لَنَا بِذَلِكَ الْبَرُّ بَرًّا وَقَصْدًا فِي الشَّاءِ وَفِي الثَّوَابِ
فَكَدَّرَ صَفْوَهُ الْكِيَالُ حَتَّى بَقِينَا مِنْهُ فِي عَجَبٍ عُجَابِ
وَجَدْنَاهُ عَتِيقًا وَارْتَضَيْنَا بِهِ إِذْ [عَادَ] وَهُوَ أَبُو تُرَابِ

وأخبرني صاحب الإمام أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي الفقيه الحنفي المدرس - أيدّه الله تعالى - بحلب، قال: كنت بالقاهرة جالساً في المنزل الذي نزلت به في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وستمائة. وكان قد أهدي إليّ السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن محمد بن أبي بكر رطباً جاءه من قوص هدية مع المفرد الذي يصل بيشارة النيل / ٢٤١ب/ وكان الأديب أبو الحسين الجزّار حاضراً قد جاءني، وقد قرب رحيلي عن القاهرة يشكو إليّ ما يجده من الوحشة لقرب الفراق،

(١) المسلماني هنا: أي النصراني.

(٢) الأبيات في المغرب ١/ ٣١٨.

(٣) الأبيات في المغرب ١/ ٣١٩.

(٤) الأبيات في المغرب ١/ ٣١٩. ذيل مرآة الزمان ٤/ ٦٣. المختار من تاريخ ابن الجزري ٣٠٣. تاريخ الإسلام.

وما بين المعقوفتين سقط في الأصل وأكملناه من المغرب، وعتيق هو أبي بكر، وأبي تراب تورية إذ هو كنية علي بن أبي طالب.

فقدمت للجماعة شيئاً من ذلك الرطب، فارتجل أبو الحسين الجزار بيتين وهما:

[من مجزوء الرجز]

أُطْعِمْتَنَا التَّمَرَ الَّذِي لِلْبَرَكَّاتِ قَدْ حَوَى
لِللَّهِ مَا أَطْيَاهُ لَوْلَمْ تَشْبَهُ بِالنَّوَى

وكتب للأmir شرف الدين يعقوب سألته عن المجد وكيل الأمير سيف الدين علي بن قليج^(١): [من الخفيف]

سَيِّدِي أَنْتَ هَلْ أَتَاكَ مِنَ الْمَجْدِ
أَوْ تَنَاسَى أَمْرِي وَحَاشَا مَعَالِيهِ
/ ١٢٤٢ / أَذْرِكُونِي فَبِي مِنَ الْبَرْدِ وَهُمْ
أُبَسِّتَنِي الْأَطْمَاعَ وَهُمْ أَفْهًا جَسَدُ
كَلَّمَا أَرْقَى لَوْنُ جِسْمِي مِنَ الْبَرِّ
بِدَلَاكَ الْحَدِيثِ عَنِّي جَوَابُ
فَيَسَّرَنِي إِلَيْكَ مِنْهُ عَتَابُ
لَيْسَ يُنْسَى وَفِي حَشَايَ التَّهَابُ
مِمِّي عَارٌ وَلِي فَرَى وَثِيَابُ
دَخَلْتُ أَنْتَ سُنْجَابُ^(٢)

وأنشد الأمير شرف الدين يعقوب، وقد مطله بوعد^(٣): [من الكامل]

يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي لِنَدَى
لَا غُرُو أَنْ أَصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِالْ
كَفَيْتَهُ كُلَّ الْجُودِ مَنُوبُ
صَبْرَ الْجَمِيلِ وَأَنْتَ يَعْقُوبُ

وقال أيضاً^(٤): [من الخفيف]

أَنَا فِي رَاحَةٍ مِنَ الْأَمَالِ
لِي عَجْزٌ أَرَا حَقْلِي مِنَ الْهَدَى
أَيْنَ مِنْ هَمَّتِي بُلُوغُ الْمَعَالِي
مِنْ وَمِنْ طَوْلِ فِكْرَتِي فِي الْمُحَالِ

(١) علي بن قليج، سيف الدين، من أمراء مصر في القرن السابع، توفي سنة ٦٤٣هـ.

ترجمته في: مفرج الكروب ٥/١٦٥، ١٧١، ١٧٤، ٢٣٩، ٣٢٨، ٣٤٠، ٣٦٣. ذيل الروضتين ١٧٧. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ - ٦٥٠) ص ١٦٥ رقم ١٧٤. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٤٦. البداية والنهاية ١٣/١٧١. سير أعلام النبلاء ٢٣/١٤٦. والأبيات في المغرب ٣/٣١٨ - ٣١٩، والبيتان ٣، ٥. في ذيل مرآة الزمان ٤/٦١. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٧١ - ٦٨٠) ص ٣٣٢. المختار من تاريخ ابن الجزري ٣٠٢. البداية والنهاية ١٣/٢٩٣. والأبيات ٣ - ٥ في تالي كتاب وفيات الأعيان.

(٢) السنجاب: حيوان من فصيلة الثعالب له ذنب طويل وفراؤه جيد.

(٣) البيتان في المغرب ١/٣١٩.

(٤) من قصيدة قالها في الأمير جمال الدين بن يغمور، في المغرب ١٠/٣٢٣ - ٣٢٤.

طَابَ عَيْشِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ كُنْتُ
مَا لِبَاسُ الْحَرِيرِ مِمَّا أَرَجَيْتُ
رَاحَةَ السَّرَفِي التَّخْلُفَ عَنْكُمْ
إِنَّ عِزَّ الْإِنْسَانِ فِي تَرْكِهِ الْعَدُوَّ
/ ٢٤٢ ب / يَا مُعِينِي عَلَى الزَّمَانِ أُعْنِي
كُلَّ يَوْمٍ أَسْعَى وَلَكِنْ بَلَا نَفْسِي
عَمَلِي دَائِمٌ وَلِي سِيرَةٌ فِي الدُّنْيَا

وقال في صدر الدين بن القرميسيني^(١) : [من الكامل]

وَقَدْ انْتَهَوْا لِبَدَايَةِ الْحَشْرِ^(٢)
يُنْجِي وَلَا سَلَمُوا مِنْ الْوَزْرِ
فِيهِمْ قَتْلُكَ عُقُوبَةُ الْكُفْرِ
فَتَضَاءَلُوا كَتَضَاءَلِ الدَّرِّ
شَتَّانَ بَيْنَ الْمَكْرِ وَالْمَكْرِ
حَسَدُ يَوْمِ أَصْلَهُمْ إِلَى الْحَشْرِ
مُتَكَتِّمًا فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ
بِمُرَادِهِمْ وَأَضِيعَةُ الْعُمَرِ
إِلَّا لِكَسْبِ مَثُوبَةِ الصَّبْرِ
فَفَ الْحِلْمِ عِنْدَ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ
أَنَّ الْعُلُومَ وَدِيعَةُ الصَّدْرِ
لِعُلَاكَ قَدْ ضَاهَى أَبَا ذَرٍّ
يَرُونِي مَدِيحَكَ أَتْلُ يَا مُقْرِي
كَتَرَأَحْمَ الْأَمَالِ فِي الْفِكْرِ
تَارُوا الْمُقَامَ بِهَا عَنِ النَّفْرِ^(٣)

وَالْعَصْرِ إِنْ عَدَاكَ فِي الْعَصْرِ
ظَلَمُوا فَمَا أَبْقُوا لَهُمْ وَزْرًا
كَفَرُوا صَنَائِعَكَ الَّتِي أَشْتَهَرْتَ
ظَهَرُوا لِنُورِكَ وَهُوَ شَمْسُ ضُحَى
مَكْرُوا وَقَدْ مَكَّرَ إِلَهُ بِهِمْ
دَعَاهُمْ فَلَا بَرَحَ التَّغَابُنِ مِنْ
وَأَنْشُدْ إِذَا مَا زُرْتَ تُرْبَتَهُمْ
مَاتُوا بِغِيْظِهِمْ وَمَا ظَفَرُوا
تَاللَّهِ مَا أَخْرَتْ مُدَّتَهُمْ
/ ٢٤٣ أ / وَلِرَأْفَةِ رَدَّتْ سَطَاكَ بَكَ
وَمِنْ الْعَجَائِبِ كَوْنُهُمْ جَهْلُوا
لِلَّهِ دَرْكُ كُلِّ مُتَمَكِّدٍ
لَوْ لَا أَخَافُ اللَّهَ قُلْتُ لِمَنْ
حَجَّتْ لَكَ الْعَافُونَ فَازْدَحَمُوا
نَالُوا الْمُنَى بِمَنْىَ جَنَابِكَ فَاخْ

(١) بعضها في المغرب ١/ ٣١٢.

(٢) موضع النقاط بياض في الأصل.

(٣) النفير من منى: النزول منها وهو من مراسيم الحج.

وقال فيه أيضاً^(١): [من الكامل]

إِفْعَلْ مَعِيَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ
يَا حَاكِمًا عَمَّ الرِّعَى
يَا مَنْ تَشَرَّفَتْ الْمَحَلَّةُ
مَوْلَايَ لَا تُبَدِّدْ أَشْتَعَا
ضَاقَتْ عَلَيْهِ يَا رَحِيبُ
كَفَرْتُ بِهِ الْأَصْحَابُ إِذْ
وَتَبَاعَدَتْ عَنْ قُرْبِهِ
/ ٢٤٣ب / وَإِلَى مَتَى طَمَعًا يُصَرُّ
مَا يَبِينُ قَوْمٌ لَا يَعِدُ
وَإِذَا ارْتَضَى الْإِنْسَانُ يَوْمُ
مَوْلَايَ صَدَرَ الدِّينُ يَا
يَا مُنْعَمًا عَمَّ الْوَرَى
بِكَ فِي الزَّمَانِ الْمُسْتَعَا
مَوْلَايَ دَعْوَةٌ مَنَ غَدَا
يَدْعُوكَ لَمَّا أَنْ تَنَّا
فَأَجْرُهُ مِنْ زَمَنٍ يُرَا
زَمَنٌ مَدَامَعُهُ الْمُدَا
تَبَّالْعَيْشِ قَدْ تَنَعَّدَ
وَلَبَّاسُ خَلْقٍ تَبَّ
وَعَدَا دُرُوزًا مُتَقَنَّا
فَهُوَ وَالصَّحِيحُ وَإِنَّمَا
/ ٢٤٤أ / فَأَجِرْ غَلَامَكَ مِنْ زَمَا

يَا مَنْ لَدَيْهِ الْفَضْلُ كُلُّهُ
بَعْدَ ظُلْمِ الْغَيْرِ عَذْلُهُ
بَعْدَ إِذْ غَدَا فِيهَا مَحَلُّهُ
لَا عَنْ مُحِبٍّ أَنْتَ شَغْلُهُ
الْصَّدْرُ مِنْذُ رَحَلْتَ سُبُلَهُ
أَوْرَاقُهُ بِالشُّعْرِ رُسُلُهُ
أُخْوَانُهُ وَجَفَّاهُ أَهْلُهُ
فُجِدَّ هَذَا الْوَقْتُ هَزْلُهُ
زُ عَلَيْهِمْ فِي الدَّهْرِ ذُلُّهُ
مَا بِالْخُمُولِ فَايُنَ فَضْلُهُ
مَنْ فَرَعُهُ زَاكَ وَأَصْلُهُ
فِي الدَّهْرِ نَائِلُهُ وَبَذْلُهُ
ثَمَنُ الزَّمَانِ أَشَدَّ مَحَلُّهُ
مُتَبَدِّدًا مُذْ غَبَّتْ شَمْلُهُ
قَصَّ صَبْرُهُ وَازْدَادَ خَبْلُهُ
مُنَادَاهُ وَالْمَعَهُ وَدُّ بَخْلُهُ
مَةُ فِيهِ وَالزَّفَرَاتُ نُقْلُهُ
صَّ شَرُّبُهُ فِيهِ وَأَكْلُهُ
رَأَاكُمُ مِنْهُ وَشَلُّهُ^(٢)
بِالْغَاشِ وَالْخِيَّاطِ قَمْلُهُ
جُلْدِي الْمُفْتَقُ مِنْهُ كُلُّهُ
نَقَدَ أَنَاخَ عَلَيْهِ كُلُّهُ

(١) بعضها في المغرب ١/ ٣١٠ - ٣١١.

(٢) الشَّلُّ: الخياطة.

وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ فَارَأَيْتَهُ
بَاعَ الْعَمَامَةَ وَالشَّمشَكَ
هَذَا الْقِرَانُ بِهِ تَعَكَ
فَمَرِ الزَّمَانَ فَعَقَدَهُ
بِالْبَرْدِ مَضْرُورٌ وَرَجُلُهُ
فَعَلَّوْهُ عَارًا وَسُقْلَاهُ
سَسَ نَجْمُهُ فَعَدَا يُضْلِلُهُ
فِي أَيْدِي مَوْلَانَا وَحُلُّهُ

وقال يمدح الإسكندرية^(١): [من الوافر]

أَرَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ ذَاتَ حُسْنٍ
هِيَ الثَّغَرُ الَّذِي يُبْدِي أَبْتِسَاماً
إِذَا وَافَيْتَهَا لَمْ تُبْقِ هَمّاً
حَلَلْتُ [بظاهر] مِنْهَا كَأَنِّي
فَلَا بئْرُ مُعْطَلَّةٍ وَكَمْ قَدْ
بَيَّاضُ يَمَلَأُ الْآفَاقَ نُوراً
وَأُفْسَمُ لَوْرَاتِهَا مَضْرُيَوماً
/ ٢٤٤ب / وَكَمْ قَضَرُهَا أَضْحَى كَحُضْنِ
يَرْصُ فُضُوصَهُ بَانِيهِ رَصّاً
لَهَا سُورٌ إِذَا لَأَقَى الْأَعَادِي
هُوَ الْفَلَكُ اسْتَدَارَ بِهَا وَكَمْ قَدْ
أَحَاطَ بِسُورِهَا بَحْرٌ أَجَاجٌ
وَحَسْبُكَ أَنَّ صَدَرَ الدِّينِ فِيهَا
هُمْ السَّادَاتُ لَا يُرْجَى وَيُخْشَى
إِمَامٌ جَلٌّ قَدْ رَأَى أَنْ يَهْنَى

بَدِيعَ مَا عَلَيْهِ مِنْ مَزِيدٍ
لَتَقْيِيلِ الْعُقَاةِ مِنَ الْوُفُودِ
فَقَلْبُكَ مُذِيرَاهَا مِنْ بَعِيدٍ
حَلَلْتُ إِذَا بَجَنَاتِ الْخُلُودِ^(٢)
رَأَيْتُ هُنَاكَ مِنْ قَضَرٍ مَشِيدٍ
يُشِيرُ بِرُقْهِ بِسَحَابٍ جُودٍ
لَكَادَتْ أَنْ تَغِيبَ عَنِ الْوُجُودِ
مَنْعٌ لَا كَزْرَبٍ مِنْ جَرِيدٍ
يُفَضِّلُهُ عَلَى نَظْمِ الْعُقُودِ
يُقَاتِلُهُمْ بِوَجْهِهِ مِنْ حَدِيدٍ
رَأَيْتُ فِيهِ مِنْ بَرْجٍ سَعِيدٍ
وَمَنْهَلٌ أَهْلُهُ عَذْبُ الْوُرُودِ
وَدَامَنْ مَدَحَهَا يَبْتَ الْقَصِيدِ
سَوَاهُمْ عِنْدَ وَعْدٍ أَوْ وَعِيدِ
بَشْهَرٍ أَوْ بَعْشَرٍ أَوْ بَعِيدِ

وله من قصيدة كتبها إليه أيضاً^(٣): [من الخفيف]

بَذَلْ وَجْهِي إِلَّا لِمِثْلِكَ بِذَلِكَ
وَاعْتَزَا زِيَّ إِلَّا بِجَاهِكَ ذُلُّهُ

(١) القطعة في المغرب ٣/ ٣١٢ - ٣١٣.

(٢) ما بين المعقوفين بياض في الأصل وأكملته من المغرب.

(٣) القطعة في المغرب ١/ ٣٠٤.

يَا جَوَادًا سَحَابٌ كَفَيْهِ بِالْجُودِ دَعَلَى كُلِّ قَاصِدٍ مُسْتَهْلَهُ
وَالَّذِي لَوْرَاهُ فِي دَسْتِهِ الْفَضْ لَبْنُ يَحْيَى لَجَاءَ يَطْلُبُ فَضْلَهُ^(١)
لَكَ نَيْلٌ قَدْ أَخْجَلَ النَّيْلَ جُودًا وَعَدَا دُونَهُ الْفُرَاتُ وَدَجَلَهُ
ومنها قوله^(٢):

٢٤٥/ يَا أَمِينًا قَدْ زَادَهُ اللَّهُ مَجْدًا دُونَ هَذَا الْوَرَى وَعَلَى مَحَلِّهِ
لِي نَصْفِيَّةٌ تُعَدُّ مِنَ الْعُمَرِ سِنِينَ غَسَلَتْهَا أَلْفَ غَسْلَةٍ
لَا تَسْلُنِي عَنْ مُشْتَرَاهَا فَقِيهَا مَنْدُ فَصَلَّتْهَا نَشَاءُ بِجُمْلَةٍ
نَشَفَ الرِّيحُ صَدْرَهَا وَرَأَاهَا كُلَّ يَوْمٍ تَشْكُو هَوَاءَ وَنَزْلَهُ
ظَلَمَتْهَا الْآيَامُ حُكْمًا فَأُضْحَتْ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ مِنْ غَيْرِ زَلَةٍ
كُلَّ يَوْمٍ يَحُوطُهَا الدَّقُّ وَالْعَصْرُ مَرَارًا وَمَا تَقْرُبُ بَعْمَلِهِ
وَهِيَ تَعْتَلُّ كُلَّمَا غَسَلُوهَا وَيُزِيلُ النِّشَاءُ تِلْكَ الْعَلَّةَ
أَيْنَ عَيْشِي بِهَا الْقَدِيمُ وَذَاكَ الـ تَتَّقُ فِيهَا وَخَطَرَتِي وَالشَّمْلَةَ
حَيْثُ لَا فِي أَجْنَابِهَا رُفْعَةٌ قَدْ طُ وَلَا فِي أَكْمَامِهَا قَطُّ وَصْلَهُ
قَالَ لِي النَّاسُ حِينَ أَطْنَبْتُ فِيهَا: بَسَّ أَكْثَرْتَ خَلَهَا وَهِيَ بِقَلِّهِ

فسير له صدر الدين بن القرميسيني نَصْفِيَّةٌ وملبوساً فكتب إليه^(٣): [من السريع]
أَشْكُرُ مَوْلَانَا وَنَصْفِيَّتِي تَشْكُرُهُ أَكْثَرَ مَنْ شُكْرِي
أَرَا حَهَا جَدَوَاهُ مِنْ كُلِّ مَا يَسْكُنُ مِنْ دَقٍّ وَمِنْ عَصْرِ
٢٤٥/ب/ كَمْ لَيْلَةٍ كَادَتْ مَعَ الْمَاءِ إِذْ يَغْسِلُهَا غَسَّالُهَا تَجْرِي

وقال يمدح القاضي زين الدين ابن الزبير^(٤): [من الكامل]
بَانَتْ وَقَدْ كَلَّفَتْهَا تَوْدِيعِي مَا يَبْنُ فَيُضِ جَوَى وَيُضِ دُمُوعِ

(١) الفضل بن يحيى، وزير هارون الرشيد، وكان يشتهر بالكرم.

(٢) الأبيات من قصيدة في المغرب ١٠/ ٣٠٣. وتاريخ الإسلام.

(٣) الأبيات في المغرب ١/ ٣١٠.

(٤) زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن الزبير، عاش طويلاً، وولى الوزارة للظاهر بيبرس ثم صرفه وولى بهاء الدين بن حنا. «انظر: النجوم الزاهرة ٧/ ١٠٣، ١٧٩». والأبيات من قصيدة في المغرب ١/ ٣٣٣ - ٣٣٤، وقد مدحه يوم كان ناظرًا للبهنساء في سنة ٦٣٣ هـ.

وَالنَّارُ حَشَوُ ضُلُوعَهَا وَضُلُوعِي
مَنِّي عَنِ الْمَرْتِيِّ وَالْمَسْمُوعِ
أَنْ تَشْكُرِي عَقْبَاهُ عِنْدَ رُجُوعِي

وَتَجَلَّدَتْ لِلْيَنِّ مِثْلَ تَجَلُّدِي
وَلَكُم تَعَلُّلَهَا مَنَوعَا عَيْدِ الْمَنَى
قَالَتْ : دَمَمْتُ الْيَنِّ ، قُلْتُ لَهَا : عَسَى

وقال أيضاً : [من البسيط]

دَابَّ وَسَلَّ عَنْهُمْ إِنْ رُمْتَ تَصْدِيقِي
إِذْ شَمَلَهَا بِهِمْ يَفْضِي لِتَفْرِيقِ
فَكُلُّ أَيَّامِهِمْ أَيَّامُ تَشْرِيقِ

إِنِّي لَمَنْ مَعَشَرَ سَفْكُ الدِّمَاءِ لَهُمْ
تَبَيَّتْ أَنْعَامُهُمْ مِنْهُمْ عَلَى وَجَلِ
تَزْدَادُ بِالدِّمِّ إِشْرَاقًا عِرَاصُهُمْ

وقال يمدح الأجل العدل شرف الدين أبا حامد محمد بن علي بن سعيد بن أبي جراحة

الحلي العقيلي : [من مجزوء الرجز]

وَبِإِنْ عَنِّي جَلَدُهُ
تَنَّى قُلْتُ قَدْ مَاتَ غَدُهُ
فِي الْحُبِّ دَابَّتْ كَبَدُهُ
لَمْ يَلْقَ مَنْ يَسْتَنْجِدُهُ
حُكْمُ الْهَوَى وَيَقَعْدُهُ
جَارَ عَلَيْهِ سَيِّدُهُ
سَدَّةٌ مَنْ غُلَّتْ يَدُهُ
سَهَرْتُ لَيْلًا تَرْقُدُهُ
يَلْقَى الْعَلِيلَ غَوْدُهُ
يُعْجِبُنِي تَأْوُدُهُ
وَالْبَدْرُ أَمْسَى يَحْسُدُهُ
تَنْضِيْدُهُ مُنْضِدُهُ
كَنْ أَيْنَ مَنِّي مَوْرَدُهُ
فِي ثَغَرِهِ مُقَلَّدُهُ
يَا حَبَّذَا مُوْرَدُهُ
إِذَا رَنَّا مُهَنَّدُهُ
عَلَى الْقُلُوبِ أَسْوَدُهُ

/٢٤٦/ لَا زَمَ قَلْبِي كَمَدُهُ
وَطَالَ عُمُرُ اللَّيْلِ حِدَا
وَارْحَمَتَا الْعَاشِقِ
يَسْتَنْجِدُ الدَّمَاعَ إِذَا
إِلَى مَتَى يَقِيمُهُ
مَا يَصْنَعُ الْعَبْدُ إِذَا
لَا يَسْتَطِيعُ الْبَطْشُ فِي الشَّدَا
يَا عَاذِلِي عَنِّي فَكَمْ
هِيَ هَاتِ أَنْ تَدْرِي بِمَا
يَا أَبَا بِي الْغُصْنُ الَّذِي
تَغْبِطُهُ شَمْسُ الضُّحَى
ذُو مَبْسَمٍ أَحْسَنَ فِي
وَرِيقَهُ عَزَبٌ وَلَكِ
كَأَنَّمَا اسْتَعَارَ مَا
/٢٤٦ب/ وَخَدَّهُ مُوْرَدُ
يَصُدُّنِي عَنْ لُثْمِهِ
لَحْظٌ يَسْلُ أَيْضًا

إِلَى مَتَى يَنَالُنِي
لَمْ يَنْقَ فِي الْخَلْقِ فَتَى
قَدْ عُدَّ الصَّدِيقُ فِي الْإِلَهِ
إِنَّ السَّعِيدَ مَنْ عَدَا
فَرَبَّهَ أَرَمَى الْفَتَى
وَإِنْ مِثْلِي فِي الْوَرَى
وَهَكَذَا مَنْ شَرَفُ الْإِلَهِ
أَيُّ كَرِيمٍ لَمْ يَزَلْ
وَلَمْ يَخْبَ فِي الدَّهْرِ مَنْ
نَرُو حَدِيثَ الْجُودِ عَنْ
كَمِ مُسْلِمٍ حَقَّقَهُ
/ ٢٤٧ / وَعَزُمُوهُ لَا يَتَّعَا
فَبَيْتُهُ قَدْ نُصِبَتْ
لَقَدْ زَكَّتْ أَصْوُلُهُ
وَقَدْ سَمَتْ فَخْرًا بِهِ
دُورًا حَتَّى هَانَ بِهِ
وَطَالَمَا عَزَّ بَذَا الْإِلَهِ
وَلَفْظُهُ الْبَدْرُ إِذَا
قَطَرَ سُرَّهُ بِخَطِّهِ
فَإِنْ حَسِبْتَ أَنََّّهُ
دُوْقَلِمَ كَالسَّهْمِ فِي
يَهْزُهُ كَالْمَشْرِفِ
مَا دَرَيْتَ يَوْمًا نَفْسُهُ
فَلَوْ تَرَأَى لِأَبْنِ عَبَّ
مَا ضَلَّ عَافٍ فِي دِيَارِ
/ ٢٤٧ ب / كَلَّا وَلَمْ يَشُقْ فَتَى
يَا أَبْنَ الْإِذِينَ فَضْلُهُمْ

مَنْ كُلَّ دَهْرٍ نَكْدُهُ
يَغْرُنِي تَوَدُّدُهُ
لَدُنِّيَا فَمَنْ ذَا يَجِدُهُ
وَهُوَ قَلِيلٌ عَدَدُهُ
فِي الْمَوْبَقَاتِ وَلَدُهُ
لَمْ يَخُلْ مِمَّنْ يَحْسُدُهُ
لَدُنَّ الْأَجَلِ يَعْصِدُهُ
نَشْكُرُهُ وَنَحْمَدُهُ
يَوْمُهُ وَيَقْصِدُهُ
بَنَانُهُ وَنُسْنِدُهُ
لَأَنَّ لَهُ مُحَمَّادُهُ
هِيَ فِي الْمَعَالِي أَمَدُهُ
عَلَى الثَّرِيَّا عَمَدُهُ
فِيْنَا وَطَابَ مَوْلَدُهُ
عَلَى الْبِلَادِ بَلَدُهُ
لُجَيْنُهُ وَعَسَجَرُهُ
هَوَانِ مَنْ يَسْتَرْفِدُهُ
حَرَرُهُ مُتَّقَدُهُ
كَالرَّوْضِ وَالْغَيْثِ يَدُهُ
سَحَرُ فَايُنَ عَقْدُهُ
نَحْرُ الْعَدَا يَسَدُهُ
يَهْزُهُ مَجْرَدُهُ
إِلَّا تَبَدَّدَتْ زُبْدُهُ
إِذَا لَكَ أَنْ يَعْجُدُهُ
جِي الْخَطْبِ وَهُوَ مُرْشَدُهُ
فِي الدَّهْرِ وَهُوَ يُسْعِدُهُ
يَتَعَبُّ مَنْ يَعْدُدُهُ

لَيْسَ يُرَامُ سُوءُ دُهُ
طِيَّةٌ وَمَحْتَصِدُهُ
قَدْ خَانَكَ تَجَلُّدُهُ
مَا بِالْقَوَافِي أَوْدُهُ
يُنْشَدُهُ بَلْ يَنْشُدُهُ
يُنْجَزُ يَوْمًا مَوْعَدُهُ
حَيَّ قَدْ عَدَا يُؤَكِّدُهُ
لَيْسَ يَخِيبُ مَقْصَدُهُ

وَمَنْ غَدَا بَيْنَهُمْ
يَا مَنْ غَدَتْ فُرُوعُهُ
مَوْلَايَ يَدْعُوكَ قَتْلِي
هِيَ هَاتِ أَنْ يَقُومَ يَوْمُ
ضَاعَ الْقَرِيضُ فَهُوَ لَا
مَا بِالْهَذَا الدَّهْرُ لَا
مَوْلَايَ لِي حَقٌّ وَمَدَّ
وَمَنْ غَدَوْتَ قَصْدُهُ

وقال فيه أيضاً: [من البسيط]

مَا كُلُّ وَقْتٍ يُجِيدُ الشَّعْرَ نَاطِمُهُ
لَدَى الْأَرَاكِ وَلَمْ تَسْجَعْ حَمَائِمُهُ
فَوْقَ الْعُصُونِ وَمَا شَقَّتْ كَمَائِمُهُ
وَأَنْ غَدَا الرَّشْدُ لَا تَخْفَى مَعَالِمُهُ
عَنِ الرِّجَالِ وَقَدْ يُفْشِيهِ كَاتِمُهُ
كَمَا يُحَارِبُ مَنْ أَضْحَى يَسَالِمُهُ
كَمَا يَكُونُ وَضِيعُ الْقَدْرِ عَالِمُهُ
وَكَيْفَ يُنْصَفُ مَنْ ذَا الدَّهْرِ حَاكِمُهُ
جَهْلًا إِلَى بَابِ مَنْ عَزَّتْ دَرَاهِمُهُ
قَدْ اسْتَوَى الْيَوْمَ فِي عَيْنِي وَحَاتِمُهُ
أَعْرَضْتُهُ عَنْ شَارِيهِ وَسَائِمُهُ
مَا أَسْلَمْتَنِي إِلَى دَهْرِي عَوَاصِمُهُ
جَرَادَةٌ حَسْبُ أَمَالِي مَكَارِمُهُ
يَشْكُو لَكَ الدَّهْرُ إِذْ عَمَتْ مِظَالِمُهُ^(١)

هَبْ خَاطِرِي الْعَفْوُ إِنْ شَحَتْ عَمَائِمُهُ
وَطَالَمَا رَكَدَتْ رِيحُ الصَّبَا سَحَرًا
وَرُبَّمَا جَادَ خَدَّ النَّورِ دَمْعُ حَيَا
/٢٤٨/ لَا يُمْكِنُ الْمَرْءُ أَنْ يَمْشِيَ عَلَى سَنَنِ
قَدْ يَكْتُمُ السَّرْمَنُ لَمْ يُخْفِهِ أَبَدًا
يُسَالِمُ الدَّهْرُ مَنْ أَضْحَى يُحَارِبُهُ
وَقَدْ يَكُونُ رَفِيعَ الْقَدْرِ جَاهِلُهُ
أَشْكُو إِلَى اللَّهِ دَهْرًا لَيْسَ يُنْصَفُنِي
كَمْ ذَا أَذْلُ قَرِيضًا بَتُّ أَحْمَلُهُ
لَوْ لَا ضَرُورَاتُ دَهْرِي كَانَ مَا دَرُهُ
بَارَ الْقَرِيضُ بِمَضَرِ الْيَوْمِ فَهُوَ إِذَا
لَوْ قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ أَتَى الشَّامَ بِهِ
وَكُنْتُ أُدْرِكُ مَا أَرْجُوهُ بِابْنِ أَبِي
عَلَيْكَ يَا شَرَفَ الدِّينِ اعْتِمَادُ قَتْلِي

(١) انتهت هذه الترجمة، وهذا الجزء، بهذا الشكل دون إشارة إلى نهايته كما اعتاد في بقية أجزاء الكتاب، ولعله أراد أن يتوسع في هذه الترجمة قبل ختام الجزء ولم يفعل، أو أن بقية الأوراق سقطت من المخطوطة!!

فهرس تراجم الجزء التاسع

رقم الترجمة

صاحب الترجمة

الصفحة

تتمة حرف النون

ذكر من اسمه نصر

- ٨٥٥ - نصرُ بنُ يوسفَ بنِ نصرِ بنِ عبدِ الرزاقِ بنِ عبدِ الوهَّابِ بنِ الخضرِ بنِ عبدِ الوهَّابِ بنِ الخضرِ بنِ عجلانَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ ربيعةَ بنِ المقدِّمِ بنِ لييدِ بنِ النابغةِ وهو قيسُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عُدُسِ بنِ ربيعةَ بنِ جعدةَ بنِ كعبِ بنِ ربيعةَ بنِ عامرِ بنِ صعصعةَ بنِ معاويةَ بنِ بكرِ بنِ هوازنَ بنِ منصورِ بنِ عكرمةَ بنِ خصفَةَ بنِ قيسِ بنِ عيلانَ بنِ مضرَ بنِ نزارِ بنِ معدِ بنِ عدنانَ، أبو سعدِ البالسيُّ، المعروفُ بابنِ قاضيِ بالس ٩
- ٨٥٦ - نصرُ بنُ أبي النجاةِ، أبو الفتحِ الأحميميُّ ٢١
- ٨٥٧ - أبو نصرِ بنِ اللعيبةِ الهمامي ٢٤

ذكر من اسمه نصر الله

- ٨٥٨ - نصرُ اللهِ بنُ أسعدَ بنِ نصرِ اللهِ بنِ عامرِ بنِ أبي البركاتِ بنِ المجليِّ، أبو الفتحِ البلديُّ ٢٥
- ٨٥٩ - نصرُ اللهِ بنِ عليٍّ بنِ نصرِ اللهِ بنِ عليٍّ بنِ عبدِ القاهرِ بنِ المجليِّ، أبو الفتحِ بنُ أبي الحسنِ الموصليُّ، المعروفُ بابنِ السَّمينِ ٢٦
- ٨٦٠ - نصرُ اللهِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ أبي الفرجِ بنِ الحسنِ بنِ عليٍّ، أبو البركاتِ الأنصاريُّ، المعروفُ بابنِ الحنبليِّ ٢٧
- ٨٦١ - نصرُ اللهِ بنِ محمدِ بنِ بابا، أبو الفتحِ بنِ أبي بكرِ الأسعديُّ ٢٩
- ٨٦٢ - نصرُ اللهِ بنِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الكريمِ بنِ عبدِ الواحدِ الشيبانيِّ، أبو الفتحِ بنِ أبي الكرمِ الوزيرِ الكاتبِ المنشيُّ، المعروفُ بابنِ الأثيرِ ٣٥

- ٨٦٣ - نصرُ الله بنُ المظفر بن أبي طالب بن حمزة بن علي بن الحسين أبو الفتح بن أبي العز بن الصفار الشيباني المعروف بابن شقيشة ٥٣
- ٨٦٤ - نصرُ الله بن نصر الله، بن نصر الله، أبو الفتوح الهيتي ٥٤
- ٨٦٥ - نصرُ الله بن هبة الله بن عبد الباقي بن هبة الله بن الحسن بن يحيى بن علي، أبو الفتح بن أبي العز الكاتب الرسائلي، المعروف بابن بصافة وبزاقة وبسافة كل يقال، الغفاري الكناني ٦٠
- ٨٦٦ - نصرُ الله بن يوسف بن أبي الفتح الكناني، أبو الفتح ٦٥
- ذكر مفاريد الأسماء في هذا الحرف**
- ٨٦٧ - ناصح بن سعد بن ظفر، أبو الشرف الكاتب المنشئ الأديب الكاواني ٦٧
- ٨٦٨ - ناهض بن إدريس الوادشي ٨١
- ٨٦٩ - نبأ بن أبي غانم بن حسين بن عبد السيد، أبو المعالي، المعروف بابن الزعفراني اليهودي ٨٢
- ٨٧٠ - نيهان بن محمود بن عثمان بن نيهان بن بهاج بن الحسين بن علي، أبو اليقظان الإربلي ٩٩
- ٨٧١ - نجم بن يوسف بن أحمد بن نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن أبي الفرج بن علي بن الحسن، أبو العلاء بن الحنبلي ١٠١
- ٨٧٢ - ندى بن عبد الغني بن علي المصري ١٠٢
- ٨٧٣ - نعمة بن يوسف بن بركات أبو الفضل الأنصاري الدمشقي، المعروف بالباقة ١٠٣
- ٨٧٤ - نما بن الخوجستاني ١٠٣
- ٨٨٥ - نوح بن أبي الفضل الدمشقي ١٠٤

حرف الهاء

ذكر من اسمه هاشم

- ٨٧٦ - هاشم بن حبيب، أبو الوليد، الأديب الفقيه النحوي الخطيب المقرئ الزاهد البيهقي ١٠٩
- ٨٧٧ - هاشم بن عبد السلام بن يوسف بن عمرو بن مندو أبو الفضل الإربلي ١١٠

رقم الترجمة صاحب الترجمة الصفحة

- ٨٧٨ - هاشمُ بنُ محمد بن هاشم بن أحمد بن عبد الواحد بن هاشم، أبو طاهر بن أبي عبد الرحمن الأسدي ١١٢
- ٨٧٩ - هاشم بن يحيى بن سالم بن يوسف بن كامل بن نصار، أبو المفاخر بن أبي الفضل التنوخي ١١٥

ذكر من اسمه هبة الله

- ٨٨٠ - هبةُ الله بن إبراهيم بن محمد بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الكندي، المعروف بابن مراحل ١٢١
- ٨٨١ - هبةُ الله بن أبي البشر بن أبي المواهب بن شراقي، أبو البركات المصري ١٢١
- ٨٨٢ - هبةُ الله بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن رزين، القاضي السعيد، أبو القاسم بن أبي الفضل المصري ١٢٢
- ٨٨٣ - هبةُ الله بن حاتم بن عبد الجليل بن عبد الجبار بن جعفر بن علي بن سليمان بن سيد بن أبي قحافة، أبو القاسم الأنصاري ١٤٠
- ٨٨٤ - هبةُ الله بن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب، أبو منصور النحوي اللغوي، الملقب بعميد الرؤساء ١٤١
- ٨٨٥ - هبةُ الله بن أبي الحسن بن أبي الخير بن بطرس بن بلوطس بن يممك، أبو البركات النصراني ١٤٢
- ٨٨٦ - هبةُ الله بن أبي سعيد بن أبي الكرم بن أبي سعيد بن أبي الخير بن أبي اليمن، أبو البركات النصراني، المعروف بابن ستوتة ١٤٤
- ٨٨٧ - هبةُ الله بن عبد الرحمن بن محمد بن محمود بن الشيرازي، يكتنى أبا الفضل ١٤٥
- ٨٨٨ - هبةُ الله بن علي بن عيسى بن المقلد بن علوي، أبو المعالي بن أبي القاسم النيلي ١٤٨
- ٨٨٩ - هبةُ الله بن محمد بن شكر، أبو البركات المصري، المعروف بابن العصّار ١٤٩
- ٨٩٠ - هبةُ الله بن محمد المجدي ١٥١
- ٨٩١ - هبةُ الله بن محمد بن هبة الله بن منصور بن أبي سعد بن الحسن بن منصور، أبو الكرم القصاب، الشيرازي، الموصلي ١٥٢

- ٨٩٢ - هبة الله بن أبي المجد الكاتب، أبو القاسم المصري ١٥٧
- ٨٩٣ - هبة الله بن يوسف بن خمر تاش، أبو الفتوح البغدادي ١٥٩

ذكر من اسمه هلال

- ٨٩٤ - هلال بن حبيب بن هلال بن جابر بن علي بن هبة الله بن سابور بن نعمان بن هردس بن حوشب، أبو البدر النصراني ١٦٠
- ٨٩٥ - هلال بن أبي الفضل بن هلال بن بختيار بن الحسن بن محمد بن عبد القادر بن كرم أبو النجم الحلاوي الجبلي ١٦١
- ٨٩٦ - هلال بن محفوظ بن هلال، أبو النجم الرسغني، المعروف بابن السراج ١٨٠

ذكر مفاريد الأسماء في هذا الحرف

- ٨٩٧ - هارون بن الحسين بن كرجي بن هارون ١٨١
- ٨٩٨ - هذاب بن محمد بن الحسن بن عبد الكريم بن هذاب، أبو المفاخر الأسعدي ١٨٤
- ٨٩٩ - هزير بن المعمر بن سنان بن غفيلة بن شبانة؛ أحد بني قديمة بن نباتة بن عامر بن ربيعة بن عقيل العقيلي ١٨٤
- ٩٠٠ - همام بن راجي الله بن سرايا بن أبي الفتوح ناصر المصري ١٨٥
- ٩٠١ - الهيثم بن جعفر، أبو المتوكل الأشيلي ١٨٧

حرف الواو

- ٩٠٢ - وثاب بن أبي الثريّا بن عبد الرحمن الأزدي المالكي ١٨٩
- ٩٠٣ - وزير الجبلي ١٨٩
- ٩٠٤ - وسوان بن منصور بن وسوان بن ملكيشوا بن قحطان، أبو يعقوب الكردي ١٩٠

حرف الياء

ذكر من اسمه ياقوت

- ٩٠٥ - ياقوت بن عبد الله، أبو عبد الله، الرومي، البغدادي، الحموي ١٩٧
- ٩٠٦ - ياقوت بن عبد الله أبو الدر الرومي العزي ٢٠٢

ذكر من اسمه يحيى

- ٩٠٧ - يحيى بن أحمد بن موسى، أبو زكريا الضرير المقرئ، الموصلي ٢٠٧
- ٩٠٨ - يحيى بن أحمد، بن يوسف بن أحمد، أبو زكريا الواعظ الحسني ٢١٠
- ٩٠٩ - يحيى بن إبراهيم بن محمد، أبو تراب بن أبي إسحاق البزاز البغدادي ٢١١
- ٩١٠ - يحيى بن إسحاق، الأمير، أبو زكريا الميورقي ٢١٢
- ٩١١ - يحيى بن أسعد بن يحيى بن موسى، أبو المفضل ٢١٢
- ٩١٢ - يحيى بن إسماعيل بن موسى بن إبراهيم بن منصور بن العاص، أبو زكريا الموصلي ٢١٥
- ٩١٣ - يحيى بن أبي بكر بن مكّي، أبو زكريا الكاتب التيمي ٢١٨
- ٩١٤ - يحيى بن الحسن بن الحسين بن علي بن محمد - ويلقب بالطريق - ابن نصر بن حمدون بن ثابت بن مالك بن ليث بن عامر بن غنم بن فهر بن دلجة بن بشر بن معاوية بن بدر بن ثعلبة بن حبال بن نصر بن سواة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، أبو الحسين، وأبو زكريا الأسدي ٢١٩
- ٩١٥ - يحيى بن الحسن بن أحمد بن مروان بن علي بن سلامة بن مروان، أبو زكريا الطنزي ٢٢٢
- ٩١٦ - يحيى بن حميد بن ظافر بن علي بن الحسين بن علي بن القائد أبي علي يعرف بمؤيد الحق بن صالح بن علي بن سعد بن كريم بن محمد بن الحسن بن الحارث بن علي بن سعد بن مسعود بن يعقوب بن حارثة بن الأعصم بن غنم بن أسد بن سالم بن سعد بن الحارث بن صخر بن الحارث بن صخر بن الحارث بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزدي - وهو غسان - بن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، أبو زكريا بن أبي طي الأزدي ٢٢٤

- ٩١٧ - يحيى بن خالد بن محمد بن نصر بن صغير بن خالد بن داغر، أبو جعفر بن أبي البقاء بن القيسراني، الكاتب المنشيء ٢٣١
- ٩١٨ - يحيى بن سعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن نصر بن عاصم بن عباد بن عصام بن الفضل بن ظفر بن غلاب بن حمد بن شاعر بن عياض بن حصن بن رجاء بن أبي بن شبل بن أبي اليسر كعب الأنصاري - صاحب رسول الله ﷺ - بن عمرو بن المنهال بن عدي بن طريف بن عبيد بن شراد بن زيد بن حامد بن لبيد بن الأشجع ابن الحارث بن ربيعة بن ضبة بن جندب بن مرثد بن جشم بن مالك بن عوف بن سالم بن مرة بن مالك بن أوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزدي بن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الأزدي ٢٥٠
- ٩١٩ - يحيى بن سعيد بن محمد بن سعيد بن أحمد بن إبراهيم بن الحارث بن سليم بن أبي تمام القاضي، أبو المجد بن أبي الوفاء التكريتي ٢٥٣
- ٩٢٠ - يحيى بن سليمان بن شاؤول، أبو زكريا الحريزي اليهودي ٢٥٧
- ٩٢١ - يحيى بن عبد الله بن المقرج بن درع بن الحسن بن الخضر بن حامد، أبو زكريا ابن أبي القاسم التغلبي ٢٦١
- ٩٢٢ - يحيى بن عبد الرزاق بن يحيى بن عامر بن شجاع بن كامل، أبو البقاء الكناني المقدسي الخطيب ٢٦٥
- ٩٢٣ - يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي، أبو الحسين المصري، المعروف بالجزار ٢٦٦
- فهرس تراجم الجزء التاسع ٢٨١

